الفكر

كتب في هذا العدد

البشير بن سلامة
د. صلاح عدس
د. نور الدين صمود
د. محمد فنطر
محسن بن حميدة
البشير المجدوب
الحبيب الحمامي
علي العريبي
رياض المرزوقي
ع. م. القاسمي
د. نور الدين بلقاسم
محمد مصمولي
أبو بكر العيادي
الصادق شرف
يوسف الحناشي
حليمي الزواري
سمير الخياري
وغيرهم

العدد : 9 ـ السنة : 30 ـ جوان 1985

الثمن : 0،620 د. ت

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تلفون : 260.237
الحساب الجاري : 337.69 ـ تونس
العنوان : ص. ب : 536 تونس 1025

● تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة وتحتجب في شهري أوت وسبتمبر .

● قيمة الاشتراك السنوي :

الاشتراك العادي بتونس والبلاد العربية 6 دنانير .

الاشتراك بالخارج : 7 دنانير .

اشتراك الانصار : 12 دنانير .

● الاشتراكات يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة او يصب في حسابها الجاري : 337.69 ـ تونس .

● الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر .

● المراسلات تكون جميعا باسم :
مدير مجلة « الفكر »
صندوق البريد عدد 536 ـ تونس

العدد 9 ـ جوان 1985 السنة الثلاثون

EL-FIKR Revue Mensuelle Culturelle - 30e Année - N° 9 - JUIN 1985

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم ـ تونس
تحت رقم 1985/519 الايداع القانوني 2 / 1985

« ورق الفكر » من انتاج « الشركة القومية لعجين الحلفاء والورق »

تمرد الشباب

الى الاولياء والأساتذة والمسؤولين في مختلف القطاعات القومية على السواء – كي يولوا الشباب العناية الكافية . منذ الطفولة الى المراهقة الى الرشد . والاضطلاع بدور الانتاج والايجابية بعد الاستهلاك والسلبية . وينقصوا من همومه بل يعينوه على تجاوزها والنجاح في امتحان الحياة قبل امتحان الجامعة . . في هذا التمرد كل ذلك وأكثر من ذلك !

واذا اتسمت مظاهرات الطلبة في بلدان اوربا وغير اوربا بالعنف واندس في صفوفها عناصر فوضوية هدامة . من واجب المسؤولين ان يضعوا حدا لاستهتارهم ويحموا الكيان القومي من عبثهم . فان على المسؤولين عن الشباب والتعليم والثقافة والماسكين بخطوط الامم أن يستخلصوا العبرة ويبحثوا عن اسباب الأزمة القريبة والبعيدة . ويعتمدوا على خيالهم وذكائهم وواقعيتهم لتقرير الاصلاحات الجذرية الضرورية في المدرسة والجامعة وفي المجتمع وينظروا في الاختيارات الكبرى نفسها ويلائموا بينها وبين حاجات الاجيال الصاعدة ومقتضيات الربع الاخير من القرن العشرين.

اما في تونس الفتية . تونس الشباب . فان الواجب يدعو الى مواصلة المجهود المبذول في سبيل الاجيال الصاعدة وتدعيمه وتحسين طرقه كي لا يصيبنا ما أصاب أقواما كثيرة نعمت بالازدهار المادي وغصت بالخيرات وظنت أن غذاء الجسم يغني عن غذاء الروح ويشفي من (الفاقة الكبرى). ★

محمد مزالي

إلى القارئ

حول السنة العالمية للشباب

بقلم : البشير بن سلامه

التأم في مدينة موريال (Montréal) بالكندا من 24 الى 27 أفريل 1985 مؤتمر عالمي في نطاق السنة العالمية للشباب التي أوصت بها منظمة الامم المتحدة . وكانت البادرة من الحكومة الكندية بمشاركة اليونسكو والجامعة الدولية لتربية الاولياء وأوكلت حكومة الكندا تنظيم المؤتمر الى شركة البحث في التوجيه البشري (*) وكان عنوان هذه الندوة العالمية : « ذاتية للتجديد : أولياء مرفوضون شباب ملفوظ » .

حضرت هذا المؤتمر العالمي الهام الذى كان غاية في احكام التنظيم في بلد عرف بانتمائه الى العالم الامريكي الجديد وهو الذى مضى شوطا كبيرا في التصنيع وتأثر مجتمعه بعوامل عديدة ناتجة عن هذا المنحى ولكنه لم يفقد توازنه لانه قد حافظ أكثر من العالم القديم (أوربا ، إفريقيا) على كثير من القيم الموروثة وشد افراده الى ضرب من التوازن النفسي والطيبة والعزوف عن العنف والتنكب عن نوازع الخبث والزور والبهتان . ولعل ما اصاب العالم القديم من جراء استغلال الثورة الصناعية للبشر وما تبعها من استعمار افريقيا وآسيا قد جنب العالم الجديد كثيرا من الآفات التي يتخبط فيها الافراد اليوم في أوربا وافريقيا بفعل القطيعة بين ماض كان حافظا لجملة من القيم الاساسية في نشاة الفرد ونموه وسلوكه وبين حاضر يشكو التازم والصراع والاستلاب .

(*) هذه الشركة أسسها ويديرها السيد المنصف القبطوني من اصل تونسي والكندى الجنسية وهو الذى أوكلت اليه حكومة الكندا وخاصة «الكيباك» تنظيم المؤتمر ورئاسته . وقد أكرمه فخامة الرئيس الحبيب بورقيبه وأنعم عليه بوسام الاستقلال نظرا للخدمات الجليلة التي قام بها مشرفا بذلك بلده الاصل تونس .

وقد كانت طرافه هذا المؤتمر متمثلة في انه جمع في مكان واحد وآن واحد بين الكهول والشباب كممثلين اساسيين للحاضر والمستقبل يشدهما مصير واحد لانهما محكوم عليهما لضمان بقاء المجتمع وصيرورته أن يتناظرا ويتنافسا حتى يجدا الارضية المشتركه لدفع مجتمعات العالم الى العيش في كنف السلم والطمانينة والخلق . وقد ضم هذا المؤتمر كهولا وشبابا من بلدان عديدة (28 بلدا) يمثلون حضارات وثقافات وأنظمة متعددة ومتباينة .

اجتمع كل هؤلاء وغايتهم مضبوطة في ما حمله هذا المؤتمر من اهداف محدده اذ هو يرمي الى :

ـ تحليل أسباب الازمه التي يعيشها الشباب على أصعدة عديدة نفسانية وتربويه واجتماعيه وأسرية ثم تحديد نظرة الاولياء تجاه ردود فعل الشباب .

ـ تقييم تأثير التطور الاجتماعي والتكنلوجي على هيكل الاسرة ووظيفتها والروابط التي تجمع أفرادها .

ـ تحديد دور الاولياء والاساتذه وغيرهم من المعنيين بالتربية والاسره لمجابهة حاجات الشباب المستحدثة .

ـ الحوار حول طرق تربية الشباب والكهول وتكوينهم حتى يتلاءموا مع الواقع البشري والاجتماعي الجديد .

ـ تقوية شخصية الشباب حتى يختاروا مستقبلهم من خلال أنفسهم ويخلقوا في أنفسهم حب العمل والتوق الى المستقبل والشعور بالمسؤولية ويكفوا عن اعتبار أنفسهم كائنات مهمشة . وكذلك تقوية شخصية الاولياء ليجدوا في أنفسهم ما يمكنهم من القيام بدورهم والاضطلاع بمسؤوليتهم وتصحيح كل ما من شأنه أن لا يتلاءم مع تطور الشباب تطورا حقيقيا .

ـ بعث الهياكل والبرامج الكفيلة بنشأة حوار من نمط جديد بين الكهول والشباب والعمل على ايجاد تواصل تاريخي ومجتمعي شامل بين الاجيال والبحث عن ايجاد القوانين الكفيلة برعاية الشباب وضمان تطوره .

والغاية من كل هذا هو حث كل المشاركين في المؤتمر على الاتفاق حول مشروع حضاري مستقبلي يمكن البشرية من الخروج من الازمات والحروب والمحن ولا يكون ذلك الا بتغيير الحاضر : حاضر الكهول وحاضر الشباب أي في الواقع الانكباب على دعم الاسرة دعما واقعيا للخروج بها ـ من جراء ما أصابها ـ من تأثيرات عدة وهذا لا يكون الا بايجاد الحلول التي لا تعتمد

النواكل على الغير سواء كان هذا الغير هياكل او مؤسسات بل على شعور الافراد بالمسؤولية واقدامهم على الاصلاح الجذري الذي يحافظ على احترام المساواة فيما يخص هياكل الشباب والكهول والذي يدفع الى التفكير الجدي في ايجاد توازن بين الظاهرة الاقتصادية والظاهرة الاجتماعية والذي لا ينسى القسمة العادلة بين المكاسب في نطاق الجهد المبذول والاقتدار، كل ذلك تحاشيا من تفشي الاستغلال والوصولية . وهذا لا يمكن ان يتم الا في كنف الحوار لانه لا يكفي البحث في المشاكل بمس نوعي ومختص بل من « الواجب الحث على ايجاد الحوار والقيام ببحث من شانه أن يجعلنا نظفر بالحلول وذلك بوضع الشباب والكهول بعضهم أمام بعض وحضهم على تبادل تجاربهم السابقة والنظر في الوضع الحالي واستجلاء آفاق المستقبل. ويجب أن نتحاشى المجابهة عند ضبط المطالب بل الواجب يقتضي سد الفجوة الحاصلة بين الاجيال في انعدام الحوار بين الاشخاص بعضهم مع بعض » .

وكان المؤتمر بتنظيمه المحكم وباجتماعاته العامة ومحاضراته وورشاته فرصة للقاء بين شخصيات عديدة من مختلف القارات ومناسبة للخوض في عدة مفاهيم ومشاكل وقضايا هي صلب حضارة اليوم علاوة على اهتمام الحكومة الفدرالية الكندية وحكومة « الكيباك » بارسال وزراء لتتبع أشغال المؤتمر . فكان حقا مؤتمر الوفاق والنظرة المستقبلية الجديدة اذ مكن من بلورة عدة مشاكل تتعلق بالكهول والشباب وأوجد بينهم نوعا من الحوار المسؤول . ولكن المؤتمر أكد على موضوع هام وهو البحث عن الذاتية في نطاق تعايش الثقافات وصيانة الذاتية سواء المتعلقة بالرجل أو المرأة بشعب ما أو ثقافة ما. وإن احترام الذاتية يؤدي في الواقع الى البحث عن تنظيم جديد للعالم والنظر في تحديد جديد للروابط التي يجب أن توجد بين الشعوب وهي متصلة أشد الاتصال بقضايا العالم اليوم الكبيرة وهي : السلم والتنمية والفاقة في العالم سواء كانت الفاقة المتمثلة في الجوع الضارب أطنابه في كثير من بلدان العالم أو « الفاقة الكبرى » كما يسميها أبو العتاهية وهي هذا الجوع الروحاني والبطالة المعنوية او كما سماها بعض المحاضرين: الروح العاطلة:(L'âme en chomâge)

وكانت محاضرتي تندرج في صلب هذا الموضوع اذ هي تتناول : الثقافة كعامل تاصيل موضحا ان قضية الشعوب سواء المتقدمة أو التي في طريق النمو وقضية الشباب والكهول والمرأة والرجل على السواء انما هي قضية ثقافية اي مرتبطة بحماية الذاتية ، والتاصيل والتجذير في التاريخ والقيم والاسرة

والوطن (*) . وهذا هو العنصر البارز في الواقع الذى خيم على كل المؤتمر واتفق عليه الجميع ، وهو الذى أبرزته سواء فى محاضرتى او فى كلمتى فى افتتاح المؤتمر او فى التدخلات العديدة والاستجوابات التلفزية والاذاعية والصحفية .

الم يصدع بذلك العالم الانتروبلوجى «ليفي ستراوس» عندما حذر افريقيا من ان يصيبها ما اصاب العالم الاوربى عندما قطع الصلة بتاريخه وبنى مجتمعات على أساس افكار مجردة وايديلوجيات ولهذا فليس من الغريب أن نجد الشبان فى هذا المؤتمر يرجعون الى القيم القديمة التقليدية : كفضيلة العمل والجهد والتجاوز وكالعائلة وهذا لا يتنافى مع ما آمن به الشباب من روح الخلق والخيال والتعاون والتضامن وهم يرفضون أن يكونوا من المحافظين الجدد بل ينشدون استقرارا فى الاسرة أساسه الروابط المنعشة بين الاشخاص ولكنها اسرة من الواجب أن تكون أكثر تفتحا وابعد مساواة فيها يتقاسم الرجل والمرأة الادوار والاعمال والقرارات .

ثم إن المؤتمر لم يهمل ما يتخبط فيه العالم من أزمة اقتصادية وبطالة الشبان (فى تونس اعتنينا بالموضوع واحدثنا برنامج تشغيل الشباب الذى هو ثورة وتجربة فريدة من نوعها يحق أن يطلع عليها الشباب فى العالم) . وادى هذا الى الدعوة الى نظام جديد اقتصادى واجتماعى وثقافى يحفظ التوازن بين الشعوب والافراد ، ويوجد مفهوما جديدا للانسان يكون بفضله الشباب والكهول قادرين على صنع عالم أكثر عدلا ومساواة وأقرب الى الاخوة وفى الاخير أحرص على التعاون لأن « التعاون هو حنان الشعوب » كما يقول « برجس » .

هذه حوصلة متواضعة لما تم فى هذا المؤتمر الذى سنعرض ـ بمساعدة من الامم المتحدة ـ اهم توصياته على الحكومات وفى تونس قد بدأنا التظاهرات والندوات المتصلة بالاحتفال بالسنة العالمية للشباب وقد قامت وستقوم التشكيلات الشبابية بعدة تظاهرات فى هذا السياق واعدت وزارة الشؤون الثقافية برنامجا حافلا فى هذا الصدد حتى يتشبع كل التونسيين بهذه المعانى التى ذكرت والتى لا تخرج عن قيمنا ومبادئنا الاسلامية السمحة التى تربينا عليها فى تونس والخالية من العنف والتازم والتطاحن والاوهام .

(*) هذه المحاضرة القيتها بالفرنسية وساعمل على ترجمتها لاطلاع القراء الكرام عليها فى عدد قادم .

البشير بن سلامة

"التكاملية" فلسفة محمد مزالي

بقلم : د . سعد عدس
(القاهرة)

إن فلسفة « محمد مزالى » ليست مذهبا جامدا أو نسقا محددافهو يرفض المذهبية ويرفض « الدوجماطيقية » ويرفض الحلول الجاهزة المستوردة وهو برفضه للحلول الجاهزه يبدو تأثره بفلسفة «كانت» وفكرته عن «الافكار المسبقة a priori » كما نجده أيضا قد تأثر بسقراط في تساؤله المستمر وبحثه عن الحقيقه وتأثر أيضا بالغزالى و « ديكارت » في شكهما المنهجي ...

وإن المتتبع لتاريخ الفلسفه المعاصره يجد أن عهد المذاهب ذات البناء الفلسفي قد انقضى بانقضاء القرن التاسع عشر ولم يحاول فيلسوف بعد « هيجل » أن يقيم نسقا فلسفيا في القرن العشرين وإنما نجد الفلسفة عند دعاة «المنطق الوضعي» و «التحليلية» هي مجرد منهج ، ونجد الفلسفة عند الوجوديين هي مجرد رؤيه للانسان والوجود ..

وهكذا نجد فلسفة « محمد مزالى » هي رؤية للحياة والواقع وهي منهج للتفكير وهي مواقف .. فمحمد مزالى فى كتاباته وحياته له مواقف موحدة من قضايا الانسان والحريه والدين والعلم والادب والثقافة والحضارة.. وكل هذه المواقف في مجموعها تشكل رؤية واحدة تجعل من محمد مزالى فيلسوفا لتونس والحزب الاشتراكي الدستورى بل فيلسوفا للحضارة العربية الاسلامية ..

وإن كتابات « محمد مزالى » تدخل فى باب الفلسفة لانها تعالج موضوع القيم وهو الموضوع الذى اختصت الفلسفة ببحثه منذ نشأتها الاولى .. والقيم تنقسم الى أربعة مجموعات هى الحق والخير .. والعدل والجمال .. اما الحق فيبحثه «المنطق» ليحدد لنا الصحة والخطأ وعلى أى أساس نقبل فكرة ما أو

برفضها .. وهنا نجد امامنا أرسطو بمنطقه «الصوری» الذی يهتم بشكل القضية بغض النظر عن مضمونها .. ثم نجد «المنطق الوضعی» الذی يقيس صواب الفكره بمدی مطابقتها للواقع ونجد أيضا «البراجماتية» التی تقيس الفكره بعائدتها العمليه . وتقبلها أو ترفضها علی هذا الاساس . أما عن «الخير» فنبحثه «فلسفه الاخلاق» لتحدد لنا السلوك الانسانی فی المجتمع من حيث الخير والشر وهنا نجد الكثير من المذاهب مثل « الكلبيين » و «الابيقوريين» النازعين الی اللذه فی الفلسفة الاغريقيه ، وهم يقيسون السلوك بما يحقق من لذه لصاحبه ثم نجد فی الفلسفه الحديثة مذهب « المنفعة الخاصه » عند « بنثام » ومذهب « المنفعة العامه » عند « جون ستيوارت مل » .... واخيرا نجد «وليم جيمس» الذی يقبل الدين والاخلاق علی اساس براجماتی أيضا ای لانها تفيد الناس فی حياتهم العمليه .

أما عن العدل فنبحثه « فلسفه السياسه » وذلك بتأمل النظم السياسيه ومعرفة أيها يحقق العدالة والحرية وقد عرف تاريخ الفلسفة الكثير من الابحاث فی هذا الموضوع بداية من « جمهوريه أفلاطون » وكتاب السياسة لأرسطو حتی كتابات « جان جاك روسو » و « فولتير » و « مونتسكيو » عن الحريه والديمقراطية وأخيرا المذاهب « الاشتراكيه » عند « كارل ماركس » و « سان سيمون » و « فورييه » وكذلك أصحاب مذهب الفوضوية

أما « الجمال » فنبحثه فلسفه الفن لنحدد ماهيه الجمال والتذوق الفنی وطبيعة الخلق الادبی والفنی وكيفيه تقييم العمل الادبی أو الفنی عامة . وهذا يدخل ايضا فی مجال الادب والنقد الادبی ومن هنا أيضا تدخل كتابات محمد مزالی فی باب الادب . كما أن كتاباته عن الحريه والديمقراطية تدخل فی باب فلسفة السياسة وكتاباته عن الانسان والتاريخ تدخل فی باب فلسفه التاريخ . وأما كتاباته عن الهويه والعلم والدين والثقافة فتدخل فی باب فلسفة الحضارة .. اما كتاباته عن الفكر وعلاقته بالواقع تلك العلاقة التفاعلية فان هذا يدخل فی باب « نظريه المعرفة » التی تطرح هذا السؤال أيهما أسبق الفكر أم المادة ؟..

وهنا ينقسم الفلاسفة الی فريقين هما : أصحاب المادية وأصحاب المثاليه أما الماديون فيرون أن المادة سابقة للفكر الذی ما هو الا مجرد افراز لها كما تفرز الكبد الصفراء .. واما المثاليون فيرون ان الفكر سابق للمادة حتی أن «افلاطون» كان يری أن عالمنا المادی ما هو الا صورة

لعالم « المثل » وشبه ذلك بكهفه الشهير الذى يقف فيه أنـاس وظهـورهم للشمس فلا يرون حقيقة الاشياء خارج الكهف وانما يرون ظلالها التى تمر امامهم على الحائط .. وهؤلاء الناس الموجودون داخل كهف أفلاطون مقيـدون بالسلاسل لا يستطيعون فكاكا ليروا الحقيقة .. واذا حـدثهم أحـد عن هذه الحقيقة فانهم سيسخرون منه .. وما أشبه حالنا نحن العرب الآن باصحـاب كهف افلاطون هذا ، فما زالت عهود التخلف تقيد فكرنا بالجمود منذ العصـر التركى المملوكى حيث أقفل باب الاجتهاد فاذا ألمت بنا مشكلة معاصرة جديدة لم نحاول الاجتهاد فى حلها فى ضوء العلم او فى ضوء القرآن والسنة حسب طبيعة المشكلة ، وانما ننتظر حتى يجيء الينا الخبير الاجنبى ليقدم لنا الحـل الجاهز او أن نبحث فى الماضى عن فقيه لم تكن هذه المشكلة قائمة فى عصره لنأخذ عنه الرأى الجاهز ومن هنا جاءت فلسفة محمد مزالى ثورة على هذا الجمود الفكرى ودعوة الى الذاتية والى روح المبادرة والى تأمل الواقع والبحث عن حلول جديدة ومتغيرة بتغيره لا الاتيان بحلول جاهزة من الخبير الاجنبى سواء كان ماركس أو غيره .. وهكذا يحاول محمد مزالى اخراج تونس والعالم العربى من السلاسل الفكرية ومن كهف أفلاطون ليرينا شمس الحقيقة وطريق الحضارة الجديدة ... ويمكن تلخيص فلسفة محمد مزالى فى عشر افكـار رئيسيـة وهذه المقولات العشر هى :

اولا : العقل او الفكر وعلاقته بالواقع ..

ثانيا : الانسان وعلاقته بالتاريخ .

ثالثا : العلم والتقنية .

رابعا : الدين والتمسك بالقيم الروحية .

خامسا : الحضارة وهى مبنية على المقولتين السابقتين .

سادسا : التونسة وتتعلق بالأصالة .

سابعا : التفتح ..

ثامنا : اللغة ..

تاسعا : الثقافة ..

عاشرا : الحرية والديمقراطية ..

ونلاحظ أن المقولات الخمسه الاخيرة هي التي تحدد الطريق لتحقيق مقولة « الحضارة الجديدة » وقد افردنا لها اهميه خاصة لان كاتبنا تحدث عنها كثيرا وبالحاح في كل مؤلفاته . .

وهده المقولات العشر توضح لنا أبعاد الرؤية الفلسفيه وطبيعه المنهج الفكري عند محمد مزالي التي تهدف اساسا الى خلق الانسان التونسي والعربي الجديد الذي يستطيع بناء حضاره جديده ٠٠٠ وعموما فان فلسفة محمد مزالي يمكن تسميتها باسم «النظريه التكامليه» والتكاملية هي نقيض النظرة الاحادية التي يعاني منها عالمنا العربي بل يعاني منها العالم كله بل نعاني منها على مستوى تفكيرنا الفردي في حياتنا اليوميه ... وتتضح النظرة التكامليه عند محمد مزالي في موقفه او رؤيته للواقع وللانسان وللحضارة .. أما رؤيته للواقع فجوهرها أن هذا الواقع يحتوي على التعدد ولكن بلا تناقض فهناك متعددات ومتغيرات ولكن هناك وحده . وهو بهذا يخالف « كارل ماركس » في نظريه الدياليكتيكيه بينما يقترب هنا ، محمد مزالي » من الحقيقة العلمية التي اكتشفها العالم « اينشتين » عن « وحدة الطبيعه » وبذلك أسقط فكرة الصراع بين المتناقضات التي روج لها « كارل ماركس » في فلسفته « المادية الجدلية » التي يمكن اعتبارها امتدادا للنظره المادية الميكانيكية عند « نيوتن » .

كما نجد محمد مزالي ينظر للانسان نفس هذه النظره التكاملية فهو ليس مجرد جسد مادي وانما هو ايضا روح ٠٠ فهو فكر ومادة في آن واحد ، وبذلك نحل مشكلة الثنائية والازدواجية التي حيرت الماديين والمثاليين طوال تاريخ الفلسفة . وهذه النظره الواقعيه التكامليه للانسان قد أخذها محمد مزالي عن الاسلام لان الاسلام ينظر للانسان نظرة متعادله تنظم مطالبه الجسدية والروحية وذلك بعكس المسيحيه التي تنكر مثلا الجسد والجنس وتعتبرهما خطيئة : فالسيده مريم عذراء والمسيح لم يتزوج والعزوبة هي الاصل والرهبانية هي الاصلح . بينما لارهبانيه في الاسلام . فالمسيحيه نظرة أحادية بينما الاسلام نظره تكاملية وتتضح هذه النظره التكاملية في فلسفة الحضارة أيضا عند محمد مزالي فان الشرق الآن يحلل الدين فقط والغرب الآن يحلل العلم والتكنلوجيا فقط ٠٠ والعرب والمسلمون يتمسك فريق منهم بالتراث الروحي فقط باسم الأصاله بينما العرب والمستغربون في بلادنا يتمسكون بالعلم المادي باسم المعاصره وكل فريق يرى نظريته الاحادية أنه السبيل الوحيد للتقدم

والحضاره . اما المفكر محمد مزالى فقد استطاع ان يحل هذه الثنائية والازدواجية وذلك بنظرته التكاملية التى ترى أو تنظر للانسان باعتباره مادة وروح معا ومن ثم نرى كاتبنا أن الحل لازمة العالم العربى بل العالم كله هو الاخذ بالدين والعلم معا أى الاصالة والمعاصرة معا من أجل بناء حضارة جديدة تعطى مثلما تأخذ وهذا هو معنى التكامليه بعكس النظره الاحاديه التى تكتفى بالاخذ عن الغرب فقط او الاكتفاء بالتراث فقط . فان هذه « القطعية » هى ما أعنيه بالنظرة الاحاديه أما فكرة « حوار الحضارات » فهى ما أعنيه بالنظره «التكاملية» .. وأحب هنا أن أنوه بأن «محمد مزالى» قد سبق «جارودى» فى الدعوة الى حوار الحضارات والذى نشر كتابا بهذا العنوان عام 1977 أما محمد مزالى فقد نادى بهذه الفكرة قبله بكثير منذ مؤلفاته الاولى وخاصة كتابه « من وحى الفكر » عام 1969 وكتابه « مواقف » عام 1973 وكتابه « دراسات » سنة 1974 وكتابه « وجهات نظر » عام 1979 .. ولكننا تعودنا بحكم عقده الخواجة أن نهلل للفكره اذا جاءت الينا من الغرب فقط واذا كانت مكتوبة بلغه أجنبيه وليس فى هذا انتقاصا لقدر « جارودى » وإنما مجرد إقرار للحق وهو أن محمد مزالى هو صاحب فكرة «حوار الحضارات» ولذلك نسميه فيلسوف الحضارة العربيه الاسلامية . . كانت هذه لمحة سريعه عن فلسفه محمد مزالى التى يمكن جمعها من خلال مؤلفاته وكتاباته ويمكن رؤية الخط الذى يجمعها وهو « النظرة التكاملية » ...

د. صلاح عدس

(القاهرة)

من مؤلفات الاستاذ محمد مزالى

* من وحي الفكر
* في دروب الفكر
* حديث الفعل
* الديمقراطية
* مواقف
* وجهات نظر

الشّبابُ العَربي المُسْلم

شعر: د. نور الدّين صمّود

يا شبابـاً يَسْعَى إلى المجْدِ وَثْبَـا وَيَـرَى وحـدةَ العُـرُوبـةِ دَرْبَا .

★ ★

كُنْ لِسَانـاً مُعَبِّراً كُلَّ يَوْمِ ناطقـاً بالصّواب عن خيرِ قَومِ
مُوقظـاً للجُمُوعِ مِن بعدِ نوم فاتحـاً للنّجاحِ دَرْبـاً فَدَرْبَا
يا شبابـاً يسعَى إلى المجـدِ وَثْبَـا وَيَرَى وحدةَ العروبَةِ دَرْبَـا

★ ★

نحنُ قلبُ الأمَّـةِ العَـرَبِيَّـهْ هَـرِمَ الـدّهْـرُ وهْيَ دَوما فتيّهْ
لغةُ الضـادِ عَلَّمتنا الحَمِيَّـهْ فطلَعْنَـا فِي ظلمـةِ الليلِ شُهْبَا
يا شبابـاً يسعى إلى المجـدِ وَثْبَـا وَيرى وحـدةَ العـروبةِ دَرْبَـا

★ ★

يَـا شبـابـاً يقـودُهُ الإيمـانُ ويُغـذّي يقينَـهُ القـرآنُ
وهـوَ دِرْعٌ تُحْمَـى به الأوطـانُ في المعـالي أرضَى بِـلاداً وَربّاً
يا شبـابـاً يسْعَى إلى المجـدِ وَثْبَا وَيَرَى وِحْدَةَ العـروبـةِ دَرْبَا

★ ★

يا شبابَ الإسـلامِ من خير أُمَّـهْ سوف تبقَى على المدى خيرَ قِمَّهْ

(*) السنة العالمية للشباب وعيد الشباب بتونس .

تُشْعِرُ العُـرْبَ باعتـزازٍ وهِـمَّـهْ　　وتُـذيعُ الأمجـادَ شرقـا وغَرْبَا
يا شبابـًا يسعَى إلى المجدِ وَثْبَـا　　ويرَى وحـدةَ العـروبـةِ دَرْبَـا!

★ ★

مَنَحَتْنَا رُوحُ الجُـدُودِ الفُتُوَّهْ　　فَطَلَعْنَـا في عَالَمِ العُرْبِ قُوَّهْ
وَأَعَـدْنَا أمجَـادَهُ وعُلُــوَّهْ　　وَأَثَـرْنَا عَلَى التَّفَـرّقِ حَـرْبَـا
يا شبابـًا يسعَى إلى المجـدِ وثْبَـا　　وَيرَى وحـدةَ العـرُوبـةِ دَرْبَـا

★ ★

يا شبابـًا يحدُوا إلى المجـدِ شَعْبَـا　　كنْ لشعبي مدى حياتكَ قَلْبَا ...
نابضـًا بالحياةِ تُعْلِي المبـادي　　تنشِرُ النـورَ في جَمِيعِ البلاَدِ
تحْمِلُ الطُّهرَ في مَطَاوِي الفؤادِ　　زَارِعـًا في القلوبِ وِدًّا وَحُبَّـا
يا شبابـًا يسعَـى إلى المجدِ وثبَـا　　ويرى وحـدةَ العـروبةِ دَرْبَـا

نور الدين صمود

من مؤلفات الاستاذ البشير بن سلامه

★ قضايا

★ الشخصية التونسية

★ عائشه (روايه)

★ نظرية التطعيم الايقاعي

★ لوحات قصصية

من قرية الفاو الى العلا و الحجر

بقلم : د. محمد قنطر

لقد سبق ان قدمنا خواطر حول كتاب من تأليف الدكتور عبد الرحمان الطيب الانصارى الاستاذ بجامعة الرياض الذى أفرده الى قرية « الفاو » التى تنتشر معالمها غربى الربع الخالى وشمال نجران . ويسعدنا ان نقدم اليوم كتابا سعوديا يعنى بأصول الحضارة العربية القديمة انطلاقا مما كشف عنه الغطاء من اطلال مدينتين كان لهما شأن كبير قبل الرسالة وهما العلا (ديدان) والحجر (مدائن صالح) وكلتاهما تقع بالشمال العربى من المملكة السعودية فى ربوع ترويها مياه وادى القرى وتحتضنها خضرة ونماء حتى انهما موطنان للازدهار والعمران والحضارة .

لقد رفعت كتب المحدثين والمؤرخين ذكر وادى القرى وكانت العلا والحجر نافذتين تفتحان على حضارة البحر الابيض المتوسط ، بل كانت جسرا تعبره الحضارات وتلتقى على حافته وتتحاور فتراوح وتمازج وكان بذلك لقاء الجنوب بالشمال ولقد تغنت الكتابات المقدسة برحلة سبأ الى فلسطين ورحلة فلسطين الى سبأ فترددت أصداء مارب وسد مارب ذلك الذى كتب له ان يكون حقيقة وان يكون خيالا وأن تكون حدثا تاريخيا تسجله النقائش المسطورة على صفحات من حجر وأن تكون أسطورة يهتز لها الوجدان ويثريها الخيال روعة وبهجة ترددت أصداء بلقيس وأصداء سليمان وأساطير سليمان وبني كنعان . ففى العلا والحجر نوازل وطيوب وفيهما خبر كثير وتجارب الناس الفنية والعقائدية .

تقع العلا والحجر على طريق تجارية عريقة مطروقة منذ القدم تربط بين حضارات جنوب الجزيرة العربية أى حضارات سبأ ومعين وحضرموت واليمن والبحر الاحمر ، حيث تنبثق أشعة الشمس وبين حضارات البحر الابيض

المتوسط وموانيء بني كنعان وما قد يصل اليها عبر المسالك الصحراوية الرابطة بين دجله والفرات وعلى مس السعن من بابل واشور ومنف النيل وفي ذلك سمفونية بجاريه حضارية تنشل اليناعة والازدهار ٠

عنوان الكتاب ؟ « **مواقع اثرية وصور من حضارة العرب في المملكة السعودية العلا (ديدان) والحجر (مدائن صالح)** » ٠ أصدره قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب جامعة الملك سعود وهو تأليف جماعي شارك فيه كل من الاساتذة الدكاترة عبد الرحمان الطيب الانصارى واحمد حسن غزال وجفرى كنج نشر سنة 1984 بمطابع جامعة الملك سعود .

يعرف الكتاب بمدينتي العلا والحجر تعريفا يمتاز بالوضوح دون ما دخول فى التفاصيل بل كانهم أرادوه مدخلا يفتح للقارىء أبواب المدينتين وله اذا رام ذلك ان يتوغل فى شوارعها وأزقتها وأن يتعرف الى مميزات العمارة فيهما ويحاول الوصول الى حل ما يثيرانه من مشاكل تاريخية حضارية بما فى ذلك من قضايا لغوية وعقائدية واقتصادية ومعمارية وغيرها .

نجد فى بداية الكتاب تقديما يبين فيه المؤلفون قيمة مثل هذه الدراسات حول حضارة العرب قبل الاسلام ومما ورد فى التقديم قولهم : « وكل هذه الآثار تحكي لنا جذور حضارتنا العربية ولا تزال فى حاجة ماسة الى الدراسة الجادة . ومن هنا جاءت مسؤولية قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب ــ جامعة الملك سعود ــ فى اعداد المتخصصين لدراسة هذه المناطق وغيرها على أسس علمية دقيقة والتعرف على مراحل تطورها التاريخى حتى يتبلور دورها الحضارى الذى قام به العرب على مدى التاريخ » ص. 1 .

واذ يجدر بنا التنويه بمثل هذه المواقف ازاء تراثنا العربى وازاء دور الجامعات العربية من حيث ضرورة اعداد المختصين القادرين على الاستجابة لحاجيات تراثنا مهما كانت ملامحه اللغوية والعقائدية وعلى تعاقب عصوره وتعدد أطواره . فلا بد من الاشارة الى تقصير الجامعات العربية بالمشرق والمغرب فيما يتعلق بتراثنا وتاريخنا . من ذلك أن مفاتيح كتاباتنا القديمة ما زالت عند الآخرين وكاننا قبلنا ان يستأثروا بها وكاننا لم نتحرج من أن نترك لهم دور قراءة ما خلفه لنا أجدادنا فى ربوع دجلة والفرات وفى الربوع الكنعانية وفي الجزيره العربية وما أثرى الجزيرة العربية وما أثرى اليمن السعيد صاحب سبأ وحضرموت ! فلقد أصبح أبناء ارض الكتابة والكتب المقدسة

تعبدين كل البعد عن القراءة والكتابة ونسوا الاسماء وكانهم لذاتهم جاهلون. وأما عن سرجون ملك اكادة وعن ملحمة جلجامش العظيم وعن الواح إبلة ملك المدينة التي تنتشر اطلالها قرب تل مرديخ على الطريق الرابطة بين دمشق وحلب . فليس العرب بقادرين على أن يحدثونا عنها بغير وسط . وهل تقول لامي اقرأ ؟

وبعد تقديم الكتاب نجد مدخلا ضبط فيه المؤلفون ملامح المحيط الجغرافي وقيمة الموقع كما اشاروا الى اهم الدراسات التي تناولت العلا والحجر وغالبها من وضع علماء أجانب أقبلوا من البلاد الاوربية والامريكية سعيا وراء التعرف الى حضارة العرب قبل الاسلام على ان بعض الدراسات قام بها علماء عرب من أبناء المملكة السعودية . نرجو لهم التكاثر والتوفيق .

ثم نصل الى مدينتي العلا والحجر . فبعد وصف المحيط يذكر المؤلفون اهم الاطلال والتحف التي وجدت في كلتيهما .

• مـدينـة العـلا :

فبالنسبة الى مدينة العلا نجد اشارات عابرة الى اطلال معبد لكنها لا تكفي القارىء الذي يريد معرفة تخطيط المبنى ومعرفة عناصره وما قد كشف عنه الغطاء اثناء الحفرية . ثم نجد اشارات اخرى اكثر دقة وتفصيلا الى المدافن التي نحتت في منحدرات صخرية وحاول اصحاب الكتاب ان يصفوا زخارفها وصفا شاملا يساوي الاحراء كلها فمعبد القارىء من حيث معرفته لهذه المعالم ومن حيث الاسماء التي استعملت لتسمية كل عنصر منها

على انهم ركزوا على نقائش سطرت على واجهات المدافن وهي تعتبر كنوزا لغوية جديرة بفائق العناية وعميق الدرس فمنها نقائش لحيانية ونقائش ديدانية وأخرى معينية . ومعلوم ان اللغة اللحيانية هي لغة العلا وهي لغة عربية شمالية كتابتها مميزة على انها من اصول جنوبية . واما النقائش المعينية التي عثر عليها في العلا فهي تشير الى علاقة جنوب الجزيرة بشمالها . وقد كان تجار اليمن يتحولون الى العلا طلبا للثروة بيعا وشراء .

وفيما يتعلق بالحدود الزمنية لمدينة العلا ، فقد يعسر ضبطها بكل دقة فالثابت انها كانت مزدهرة خلال القرن السادس قبل الميلاد « ذلك انها تاجرت مع دول الجنوب والشمال في الجزيرة العربية وفلسطين وسوريا ومصر ومناطق أبعد من ذلك » ص. 8 .

ويبدو انها تقلصت منذ القرن الثالث قبل ميلاد عيسى عليه السلام ولعل نجمها افل فيما بين القرن الثانى والقرن الاول قبل الميلاد ولكن المسالة ما زالت قائمة .

• مدينة الحجر :

ورد ذكر مدينة الحجر فى القرآن الكريم : **(ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين • وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين • وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين . فاخذتهم الصيحة مصبحين . فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون)** الحجر (مدائن صالح) لينمى دور مدينة العلا ، ص• 16 ، فلقد تالق نجم الحجر المدافن المنقورة فى منحدرات صخرية تلك التى ما زالت شاخصة يشاهدها الزائر ويعجب بها ؟

ويعلق المؤلفون فى الحديث عن الحجر بقولهم : « وعلى أية حال فقد جاء ظهور الحجر (مدائن صالح) لينمي دور مدينة العلا » ص. 16 ، فلقد تالق نجم الحجر مع ظهور الانباط وكانت المدينة تسمى حجرا ولكن الى متى يعود الإستقرار السكانى بربوع هذه المدينة ؟ سؤال عسر على المختصين الاجابة عنه ومهما يكن من أمر فازدهار المدينة كان فى أيام الانباط خلال القرن الاول ميلاديا وما سبق ذلك التاريخ فضباب كثيف يحجبه عنا ولا فائدة فى سرد الافتراضات العديدة المتناقضة : « ولن يوضح ذلك الا حفائر أثرية جادة فى الحجر ، وقد تفيدنا أيضا هذه الحفائر فى ايجاد حل لمشكلة العلاقة اللحيانية النبطية » ص. 20 .

أما عن تقلص الحجر فيبدو انه أضحى واقعا ملموسا ابان سيطرة الرومان على المدن النبطية لما تحولت البطراء الى مقاطعة رومانية سنة 106 ميلاديا . فلما كان ذلك باتت مدينة الحجر تعيش حياة فاترة واختفت اخبارها .

ومن الاطلال التى ما زالت شاخصة بالعلا والحجر قبور نقرت فى الصخر وكانها البيوت التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم : « وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا » تمكننا هذه المدافن المنحوتة من الوقوف على بعض ما تمتاز به العمارة فى العلا والحجر كما تمكننا من الوقوف على تاثير الحضارات المجاورة لهما فى الجزيرة العربية كانت او خارجها كمصر والبطراء وفلسطين .

ولقد تعرض اصحاب الكتاب الى بعض هذه المدافن وتناولوها بالوصف والشرح مستعملين مصطلحات فنية تثرى معجم المختصين فى العمارة والآثار عامة .

ومما يستوقف القارىء مجموعة من النقائش سطرت حروفها على واجهات المدافن ونقلها المؤلفون بالحرف العربى تبسيطا وتقريبا . ففى العلا نقائش ديدانية ونقائش لحيانية ونقائش معينية واخرى نبطية تحمل معلومات ثمينة حول الذين عمروا المدينه ، منها معلومات تخص النظم السياسية والشؤون الاقتصادية كالتجارة وما يتولد عنها من أرباح ومشاكل ونزاعات ومنها معلومات حول التشريع والشريعه النبطية . وفى النقائش أسماء الآلهة واسماء الملوك وأسماء الرجال والنساء وأسماء الشهور والاسم يحوي فى طياته كنوزا من المعلومات تبرز بعد الدرس والتحليل .

ومما يجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان اسم الله كان معروفا بين الانباط فهذه نقشة تتحدث عن مقبره وثنية قام بنحتها ناحت يدعى خلف الله وتفيد نقيشة اخرى من نقائش الحجر ان لتيم الله مقبرة وهبها لزوجته . والمرجح ان كلا من خلف الله وتيم الله وثنى مشرك فخلف الله كان يعبد ذا شرى ومنوتو فهل كان اسم « اللـه » يطلق على بعض آلهة العرب قبل الاسلام ؟ قد يكون ! ومهما يكن من أمر هذه القضية من قضايا تاريخ الديانة العربية القديمة ، فمعلوم ان أبا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان يدعى عبد الله وكاد يقدم ضحية للآلهة من قبل أبيه .

وفى الكتاب معلومات أخرى عديدة يفيد منها دارس الحضارة العربية وتاريخ العرب قبل الاسلام ، ففى النقائش التى استعرضها المؤلفون أضواء عن المجتمع وعناصره ومشاغله وطموحاته وفيها كنوز لغوية لا تحصى على اننا كنا نود لو قدمت النقائش بحروفها الاصلية قبل نقلها الى الحرف العربى ولا شك ان القارىء كان يستفيد أكثر لو قدمت له النقائش مرتبة على أساس اللغة والمحتوى .

ثم لا ننسى الزخرفة المعمارية التى حاول اصحاب هذا الكتاب وصفها وصفا دقيقا معززا بالواح بيانية تساعد القارىء على تصور الموصوف وتقربه من الواقع الذى عاشه أهل العلا والحجر ، فهنيئا للذين تفضلوا بانجاز هذا العمل المفيد وهنيئا للقارىء الذى سيستفيد .

د. محمد فنطر

الى روح ابني جنوب

عصفورتي

شعر: محسن بن حميده

عُصفُورَتِي في وَمْضَةٍ أخَذَهَا الرَّحْمَانُ
وَقَالَ : لاَ أرْضَى بِحُسْنِهَا بَدِيلْ
فَقُلْتُ : لَوْ تُمْهِلُنِي تُمْهِلُهَا قَلِيلْ
فَقَالَ : إنَّهَا مِنْ أمَدٍ طَوِيلْ
تُرِيدُ مِنْ أعْمَاقِهَا فِي جَنَّتِي النُّزُولْ

★ ★

عُصفُورَتِي قَدْ أفْلَتَتْ مِنْ بَيْنَ أضْلُعِي
خَفَّاقَةً مَبْهُورَةً بِنُورِ الانْعِتَاقْ
يُحِيطُهَا بِعَطْفِهِ الْوَاحِدُ الخَلاَّقْ
تَارِكَةً فِي كَبِدِي مَدَى تَوَجُّعِي
وَألْفَ حُرْقَةٍ بِقَلْبِيَ الخَفَّاقْ
عُصفُورَتِي هَيَّأتُهَا عَرُوسَةَ الجِنَانْ

★ ★

صَدَّرْتُهَا حُورِيَّةً فِي عُرْسِهَا الجَمِيلْ
مَزْهُوَّةً مَحْفُوفَةً بِالوَرْدِ وَالرَّيْحَانْ

وَكَبِدِي مَقْرُوحَةٌ وَقَلْبِيَ عَلِيلْ
وَخَاطِرِي مُوَزَّعٌ لاَ أَدْرِي مَا أَقُولْ

★ ★

يَا خَالِقَ الأَحْيَاءِ وَالأَجْوَاءِ وَالأَفْلاَكْ
يَا خَاطِرَ السَّمَا يَا رَبّ يَا تَوَّابْ
وَدَعَتْ قُرَتِي لِمَنِّكَ الدَّفَّاقْ
فَاحْفَظْ سَنَاءَهَا مُشَعْشَعًا بَرَّاقْ
وَامْنَحْهَا رَبَّنَا مَنْزِلَةَ المَلاَكْ

★ ★

وَاقْرِضْ إِخْوَتَهَا وَأُمَّهَا الوَلْهَى
ثَوَابَ المُبْتَلِينَ صَدْمَةَ المَنُونْ
وَلاَ تُخَيِّبْ ظَنَّهَا فِي جَنَّةِ المُنَى
وَامْنَحْنَا رَبَّنَا صَبْرًا بِلاَ حِسَابْ
إِنَّا لَكَ انَّا لَكَ إِنَّا إِلَيْكَ رَاجِعُونْ

محسن بن حميده

حول مفهوم الظرف *

بقلم : البشير المجدوب

لعل أجمع تعريف للظرف عند القدامى (إن صح أن الظرف يعرف) ، وأبينه دلالة على هذه الظاهرة المتعددة الوجوه ، البالغة التعقيد ما جاء في « الظراف والمتماجنين » لابن الجوزي . قال :

« الظرف يكون في صباحة الوجه ورشاقة القد ونظافة الجسم والثوب ، وبلاغة اللسان وعذوبة المنطق وطيب الرائحة والتقزز من الاقذار والافعال المستهجنة . ويكون في خفة الحركة وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح . ويكون في الكرم والجود والعفو وغير ذلك من الخصال اللطيفة ... » (1) .

فقد ألم في هذه الفقرة التي جمعت بين الوضوح والبساطة ، وشيء من الايجاز والتركيز ، وإن أعوزها بعض الترتيب والتنسيق ، إلماما حسنا بمقومات الظرف الاساسية .. تلك الخصائص التي لا بد من توفرها في الشخص لكي يدعى ظريفا مكتمل الظرف ... من حسن صورة ، ورشاقة جسم ، وأناقة زي ، وحب للزينة والجمال ، ونفور من القبح في مختلف صورة وأنواعه ـ حسيا ومعنويا ـ وتوقد ذكاء ، وفصاحة وبلاغة ، وخفة حركة ، وحلاوة فكاهة ، وأخلاق فاضلة .

وكأنما استشعر ابن الجوزي حيرة القارىء إزاء هذه المعطيات الكثيرة الشديدة الاختلاف ، فعمد ، ليزيدنا بيانا وتدقيقا لمفهوم الظرف ، الى ابراز

(*) هذه محاولة ثانية لايضاح معنى الظرف قصد فيها الى الاختصار والتبسيط ، وقد نشرت الاولى بهذه المجلة ، عدد 6 ، مارس ، سنة 1980.

(1) ص 12 .

الـرابطة التى تؤلف بين هذه الخواص ، ونجعل منها وحدة متنـاسقة ، وإن تباينت عناصرها . وهذا التناسق ليس ثمرة الاتفاق والمصادفة ، ولا هـو جمعا ـ مجرد جمع ـ ورصفا كما اتفق ، وإنما هو ـ الى حـد كبيـر ـ وليد الانتقاء والتاليف على ضوء قاسم مشترك ومعيار لهذه الخصال والمزايا جميعا ، وهو اللطافة . كلمة متعددة الدلالات ، على ابهـامها وعمومها ، ففيها معنى الرقة والرشاقة ، والخفة واللباقة ، والرفق والكياسة ، والبر والسمـاحة ، والسمو والتهذيب ، سواء على مستوى المظهر والاخلاق ، او الذوق والتفكيـر والتعبير . وفيها ايضا معنى الخفاء والغموض الذى يقترن بالظرف وبجميـع الخصال العالية والمزايا النفسية النادرة النابعة راسا من الطبيعة ، ثم تصقلها الصناعة ولكنها تعجز عن الاتيان بها ، فتقبى لغزا محيرا يستعصى على التفسير والتعليل . سرا ممتنعا هو سر الخلق والابداع .. كل خلق وإبداع فى الحياة البشـرية .

« ... وكان الظريف ماخوذ من الظرف الذى هو الوعاء ، فكانه وعـاء لكـل لطيـف ... » (2) .

ويستدرك المؤلف ، بعد أن اعطى فكرة عن الظرف التام ، صورة نموذجية منه لم تعرف ولم نكن واقعا معاشا الا فى عهد ازدهار الظرف ونضجـه (3) ، ولم تتحقق الا عند فئة قليلة .. نخبة ممتازة من الناس .. صورة أقـرب الى المثل الأعلى تطمح اليه انظار الظرفاء ويسمون جهدهم فى الاقتـراب منـه ، فيعرض لمفهوم ثان للظرف ضيق محدود ، الصق بواقع الحياة وأكثر انطباقا عليه ، لأنه يرتبط بنماذج حية آكثر تداولا وشيوعا .

« ... وقد يقال ظريف لمن حصل فيه بعض هذه الخصال » (4) .

ملاحظة جد صائبة تشهد بصحتها النصوص الموثوق بها من امهات الأدب ، ولكنها تثير اشكالات تضفى على هذا التعريف الملحق إبهاما كثيرا .

فاى هذه الخصال المذكورة أعلاه يستحق بها صاحبها سمة الظرف ؟ وما عددها ؟ هل يكفي المرء مثلا ، ان يكون ذكيا فصيحا بليغ اللسان ، أو رشيق

---

(2) نفس الصفحة .

(3) أى ابتداء من أواخر القرن الثانى وطيلة القرنين الثالث والرابع .

(4) كتاب الظراف والمتماجنين ، ص 12 .

القد نظيف الجسم والثوب ، او كريما جوادا حليما ... لكي يدعى ظريفا ؟ ألا يكون ذلك مدعاة الى التباس الذكاء والفصاحة والبلاغة (وغيرها من الصفات) بالظرف ، وهي إن كانت جزءا من الظرف ومن خصائصه ، فهي ليست إياه ، والا كان كل ذكي ، وكل فصيح بليغ ، وكل صبيح الوجه ظريفا ، واختلطت هذه المدلولات ، وانتفت الفائدة منها ؟

اليس يشترط شيء آخر ينضاف الى هذه الصفات الجزئية .. عنصر آخر جوهري ، بمثابة روح الظرف وكنهه ، نحس به وقد يصعب تحديده ، ولكنه قائم الذات ثابت موجود ، وبفضله يتميز الظرف عن جملة هذه الخصال ويبين ؟ (5) .

فلو قارنا مثلا ــ تاكيدا لما نقول ــ بين الظرف ومفهوم آخر من أشد المفاهيم قربا منه ، وأوثقها صلة به ، وهو الجمال ، لوجدنا ، على ذلك ، فرقا بينا ملحوظا ، على دقته وخفائه ، يستحيل معه أن نعد الجمال مرادفا للظرف .. صنوا له مطابقا تمام المطابقة ، فالجمال شيء والظرف شيء آخر ، وليس كل جميل ظريفا ناصع الظرف ، ولا كل ظريف جميلا ، ومصداق ذلك هذا الخبر من الأغاني .

« .. قالت سكينة (بنت الحسين) لعائشة بنت طلحة : أنا اجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا . فاختصمتا الى عمر بن أبي ربيعة . فقال : لاقضين

---

(5) اذا كان من المتعذر تحديد جوهر الظرف وكنهه ، لان سبيل ذلك «الذوق» والحدس ، فلعله بوسعنا أن نشير الى نواته الاصلية التي هي بمثابة القدر الادنى المشترك بين الظرفاء على اختلاف شخصياتهم وتفاوت طبقاتهم ، ويتمثل هذا القاسم المشترك في خاصية لعلها اهم خواص الظرف جميعا اذ هي في الصميم بمكان الروح .. هذه الخصلة هي خفة الروح ، وقد عبر الجاحظ عنها ، في هذه الفقرة ، بالحلاوة . قال : « ومن بني حرقوص : شعبة بن القلعم ، وكان ذا لسان وجواب وعارضة ، وكان وصافا فصيحا ، وبنوه عبد الله وعمر وخالد كلهم كانوا في هذه الصفة ، غير أن خالدا كان قد جمع مع اللسن والعلم الحلاوة والظرف ، وكان الحجاج بن يوسف لا يصبر عنه » . البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 319 ، تحقيق عبد السلام هارون .

بينكما : اما انت ، يا سكينة فاملح (اى أظرف) منها ، وأما أنت ، يا عائشة فاجمل منها فقالت سكينة : قضيت لى والله » (6) .

وقريب من ذلك : « وكان خالد (بن صفوان) جميلا ، ولم يكن بالطويل ، فقالت له امرأته . إنك لجميل يا أبا صفوان ! قال: وكيف تقولين هذا ، وما في عمود الجمال ، ولا رداؤه ، ولا برنسه ؟ فقيل له : ما عمود الجمال ؟ قال : الطول ، ولست بطويل ، ورداؤه البياض ولست بأبيض ، وبرنسه سواد الشعر وانا اشمط ، ولكن قولى : انك لمليح ظريف» (7) .

وعبثا تبحث عن هذه الخاصه التاليفية التي امنارت بها فقرة ابن الجوزي ، على بساطتها وسذاجتها ، فلن تجد لها اثرا عند اصحاب المعاجم ، وعند سائر المؤلفين والمنظرين .

« فاللسان » على ما عرف به من تدقيق واستقصاء واستيعاب ، لا يقدم لنا سوى جملة من المعطيات المنتشرة المفككة (يرويها عن السلف من اللغويين) حتى لقد يخيل الى القارىء أن المؤلف يتحدث عن أمور شتى ومعان متباينة متباعدة ، مع أنه لم يخرج عن موضوع بحثه ، ولم يتخط الحقل الدلالى الذى عمد الى استكشافه ... ركام من المعلومات كلها صحيح مقبول ، ناقص قاصر فى الآن نفسه ، لا يعدو ان يكون فكرة باهتة مجردة ، لان كلا منها يمثل عنصرا من عناصر الظرف .: وجها من وجوهه المتعددة الكثيرة دون التفات الى مجموع الظاهرة فى وحدتها وتماسك تركيبها .

« الظرف البراعة وذكاء القلب .. وقيل الظرف حسن العبارة وقيل حسن الهيأة وقيل الحذق بالشيء .. الاصمعى وابن الاعرابى : الظريف البليغ الجيد الكلام . وقالا : الظرف فى اللسان ... وقال غيرهما : الظريف الحسن الوجه واللسان ، يقال : لسان ظريف ووجه ظريف . والظرف فى اللسان البلاغة ، وفى الوجه الحسن ، وفى القلب الذكاء ... والظرف الكياسة...» (8).

فكان هؤلاء اللغويين ، باقتصارهم على وجهات نظرهم الخاصة ، وإعراضهم عن النظرة الكلية الشاملة ، قد تقسموا كيان الظرف الحى النابض بالحياة ،

---

(6) الاغانى م 16 ص 100 .
(7) البيان والتبيين ، ج 1 ، ص 340 .
(8) لسان العرب ، مادة « ظرف » .

يتداولونه تفطيعا وتشريحا ، كل يبحث فى ناحية عن سره وجوهره ، وقد فاتهم أنهم بأيديهم قتلوا السر واعدموا الجوهر والحياة .

ونلاحظ نفس العيب فى كتاب «الموشى» للوشاء الذى أفرد للظرف والظرفاء ، فقد انتهج صاحبه نفس الطريقة ، ولا فرق من حيث المضمون ، إجمالا ، سوى ميزة تتمثل فى تأكيده وابرازه لجانب من أهم جوانب الظرف ، وهو البعد الأخلاقي (9)

وقد اشار الوشاء ، فى هذا الصدد ، الى ما بين الظرف والادب والمروءة من صلة وثيقة بحيث تتداخل هذه المعانى وتمازج وتوشك أن تتحد فيعسر ، لذلك ، الفصل والتمييز بينهما .

« ... يجب على المتأدب اللبيب ، والمتظرف الأريب ، المتخلق بأخلاق الأدباء، والمتحلي بحلية الظرفاء أن يعرف ، قبل هجومه على ما لا يعلمه ، وقبل تعاطيه ما لا يفهمه ، تبيين الظرف ، وشرائع المروءة ، وحدود الادب ، فانه **لا ادب لمن لا مروءة له ، ولا مروءة لمن لا ظرف له ، ولا ظرف لمن لا ادب له** » (10) .

والتوحيدي نفسه ، ذلك المفكر الألمعى والبحاثة المدقق النبت ، لا يفيدنا ، حينما يعرض فى «البصائر والذخائر» لتعريف الظرف ، شيئا يستحق

---

(9) « اعلم أن عماد الظرف عند الظرفاء ، واهل المعرفة والادباء حفظ الجوار ، والوفاء بالذمار ، والانفة من العار ، وطلب السلامة من الاوزار . **ولن يكون الظريف ظريفا حتى تجمع فيه خصال اربع : الفصاحة ، والبلاغة ، والعفة ، والنزاهة** . وسألت بعض الظرفاء عن الظرف فقال : التودد الى الاخوان ، وكف الأذى عن الجيران ..وقال آخر : الظرف ظلف (أى كف) النفس ، وسخاء الكف ، وعفة الفرج ... وسألت بعض متظرفات القصور عن الظرف ، فقالت : من كان فصيحا عفيفا ، كان عندنا متكاملا ظريفا ، ومن كان غنيا عاهرا كان ناقصا فاجرا . وقال بعض الادباء : الظرف ظلف النفس ، ورقة الطبع ، وصدق اللهجه ، وكتمان السر» . الموشى ص 51 — 52 .

(10) نفس المصدر ، ص 1 ، ومما يؤخذ أيضا على كل من صاحب « اللسان » والوشاء اغفالهما لخاصية من أهم خواص الظرف واعنى بها روح الفكاهة .

الذكر ... نفس النظرة المعنية بالجزئيات والتفاصيل ، المتجافية عن الاجمال والشمول (II) .

ولم نجد بين المحدثين من اهتم بظاهرة الظرف ، وعني بالقاء الضوء عليها سوى صاحب كتاب « الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس » .

يقول صلاح الدين المنجد « ... وإنما الذي يميز هذه العصابة (أي الظرفاء) من الناس هو ما تفردت به من صفات لا تجدها عند الناس جميعا . فقد كان لها عناصر سيكولوجية خاصة ميزتها عن غيرها ، كرهافة في العواطف ، واضطرام في الاهواء، ولطافة في الشمائل ، وتتبع الجمال ، والتأنق في اللباس والطيب والزينة ، والهيام بالرياض والازهار ، والولوع بالطريف الذي لم تعرفه العوام ، والتباهي في التعبير عن الاحساس والافكار، وزهو حلو يشتد عند المتظرفات ، وعناية بالشعر الغنائي الغزلي الذي يترجم عن العواطف والخواطر . واحتفال بالحب والهوى ، وهيمان في إثر اللذاذات والمجون » (I2) .

نلاحظ في محاولته للتعريف بالظرف نزعة الى الربط والتأليف بين مظاهره وميزاته بغية إعطاء صورة وافية مكتملة منه ، إلا أنه يؤخذ عليه ، كما يؤخذ على ابن الجوزي نفسه انتهاج المنحى الوصفي في التعريف ، دون التحليل والتجريد ، ثم التركيب والتأليف الذي من شأنه أن يكشف عن خصوصية الظرف الكامنة وراء الخصال المكونة له ، والممثلة في طبيعة الظريف ، وفي النزعات الاساسية لشخصيته .. تلك النزعات التي تكسب الظرف لونه

(II) نستثني ، مما جاء في كلام التوحيدي ، عبارة واحدة تنحو ، في صيغتها ، منحى الاجمال ، الا أن عيبها الابهام والعموم .

«وأما الظريف فروى لنا شيخ عن الأصمعي وابن الاعرابي أنهما قالا : الظرف ما يكون في اللسان ، يقال فلان ظريف أي بليغ جيد المنطق ... قال بعض السلف : الظريف من فيه أربع خصال وهي : الفصاحة ، والبلاغة ، والعفة ، والنزاهة ... وقال بعض الادباء : **الظريف المتمرس بكل امر ، المتخلص من كل ذم** ... » م ثان (I) ، تحقيق د. ابراهيم كيلاني ، دمشق .

(I2) ص 26 ـ 27 ، ط 3 ، بيروت 1969 .

وطابعه الفريد وطرافته وامتيازه ، كما تتمثل فى نوعية النظـره .. نظـره الظرفاء الى الحياة وموقفهم المتميز من المجتمع .

فالظرف أساسا نظرة خاصة الى الحياة وموقف خاص منها ، ومن النـاس والاشياء .. موقف يلتقي فيه الحس الجمالى الحاد بالوعى الخلقى العميق ، فاذا هما وحدة لا تنفصم تحفز الظريف الى تجاوز ذاته على جميع المستويات ، فلا يستطاع لذلك تبين طبيعة هذا الدافع وتمييز عناصره لانه فكر وخلق وفن .. حاسة مشتركة التكوين ، واحدة الهدف والمعول . فالظرف ليس علما ولا فنا ولا خلقا فحسب ، هو كل ذلك وفوق ذلك .

ولعله في وسعنا ، على ضوء ما تقدم ، أن نحاول تقريب معنى الظـرف ، وتسليط مزيد من النور على حقيقته لا تعريفه ، لان الظرف ككل ظاهرة حيـة يتعذر تعريفه ، **فالظرف صياغة فنية للحياة ، والظـريف هو ذلـك الـذكى الخفيف الروح الرقيق الشعور يسعى جهده ليصوغ حياته ـ ذوقـا وتفكيـرا وبيانا وسلوكا ـ صياغة ممتازة** (13) **تنأى بها عن السخف والابتذال ، مـع حرص على الأصالة والابتكار** ، فالظرف كالفن تماما .. إنه خلـق وإبـداع أو لا يكـون .

البشيـر المجـذوب

---

(13) جاء فى البيا نحول هذا المعنى ما يلى : « وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : « والله لفلان أثقل من مغن وسط ، وأبغض من ظريف وسط ». ج 1 ، ص 145 . ومما يتصل بهذا المعنى قول الجاحظ . « ... كمـا أن النادرة الباردة جدا قد تكو نأطيب من النادرة الحارة جدا. وانما الكرب الذى يختم على القلوب، ويأخذ بالانفاس النادرة الفاترة التى لا هى حارة ولا باردة ، وكذلك الشعر الوسط ، والغناء الوسط ، وانما الشأن فى الحار جدا والبارد جدا » . نفس المصدر والصفحة .

الخطى تخلق الطرقات

شعر: الحبيب الهمامي

①

أخيرًا نهضتُ منَ الذوبانِ
وكانَ دَمي يقرأ الغيبَ
قلتُ : ـ وماذا رأيتَ ؟
أجابَ : ـ رايتكَ
تكتسحَ الأرض بالكلماتْ
رأيتك تختطفُ البحرَ منْ موتِهِ
وتعدَ لهُ دولةً منْ غصونٍ
تقاسمُكَ الجسدَ / المعجزاتْ
وشاهدْتُ مملكةَ الطيرِ
تكتُبُ باسمِكِ حلمَ الجنُون
وشاهدْتُ انشَاكَ
تهطل من أفق لا تراهُ
سوى لغة
يتكلمها الشُعَراءْ .

②

اخيرًا نهضتُ منَ الهذيانِ
وقلت : ـ الخطى تخلق الطرُقاتْ
مِنَ الضوءِ وَجهي
وَوجهي فراش
عليه تضاجعُ شمسٌ أشعتهَا
ما أنا بنبيٍ
ولكنْ أكادْ

③

أخيرا نهضتُ
فلا بدّ من شاعر ليسمي الجنون بأسمائه
ويُعيدُ الفضاءَ إلى سالِفِ الضوءِ
لا بدّ من غامضٍ
ليُوضِحَ ما قاله البرْقُ للرّعدِ
في ليلةٍ انْمرتْ عاشقَين
اضاءَ عروقَ السماوات في لذةٍ
دَخنَنَا الأرض ما بينَ آهٍ واهٍ ..
وَنَامَا .

④

وقُلتُ الخُطَى تَخلِقُ الطرقاتْ
وقبلَ العُصُور أنَا
لِي لغاتْ
بها أتكلمُ حين يداهمني وَطن شاحبٌ

فأدُكَّ عواطفَ تنهشُهُ
وأزجّ بهِ في يقين البياضِ
اعلّمُه العُشْبَ
أقرئُهُ الغيْبَ
احفِرُ فيهِ
شعُوبا مِنَ الشعرَاءْ .

⑤

أسمّي النّساءَ حنيني الى الهفوَاتْ
اسَمّي الحنينَ نساءْ
اسمّي الطيورَ عروق الدروب
اسمّي جنُوني طيُوراً
اسمّي القضَاء قيُودِي
وادعُو القيودَ قَضَاء

⑥

وقُلتُ الخطى تخلق الدربَ
احْمِلُ مَا يتحمّلُهُ الدّهْرُ
لا أحملُ الدّهْرَ
ثوباً
وفي جيْبِي الأرضُ كسرَةَ خبْز
وأخرُجُ عنْ سلطةِ الوقت
لي سُلْطتي
وبها أحكم المملكات التي لايراها
سوَاي
وإني أرى ما سيأتي
ستأتي بحارٌ تدثرني
وستأتي جبال تسبح باسمي
ستأتي طيورٌ تبوسُ دمي وتسمّيه
نهر التحوّل
تأتي شعوبٌ تبايعني مَلِكاً .

الحبيب الهمامي

رحلة "البشير صفر" إلى مصر

بقلم : علي العريبي

« ان جنازة البشير صفر ، وصورة والدى ، وهو يبكى الى جانبى لا انا اساله : لم كان يبكى ؟! ولا هو يقول لى السبب ، هى الحدث الثانى الذى عشته ، والذى أثر فى تكوين شخصيتى الوطنية » •

الحبيب بورقيبة : حياتى آرائى جهادى (*)

يعد محمد البشير صفر (1280/1863 ـ 1336/1917) من ابرز وجوه النهضة الادبية الحديثة فى تونس ، ومن اشدهم وطنية واخلاصا للوطن وساكنيه ، تعلم بفرنسا قبيل الاحتلال ، وكان يتحرق شوقا الى اتمام دراسته في العلوم الرياضية ، الا أن احتلال بلاده ومعارضة المحتل لتعليم الاهالى تعليما جامعيا حال دون رغبته، فعاد الى تونس ـ مع أفراد البعثة ـ وانخرط في سلك الادارة، وتحمل مسؤولية ادارة الاوقاف قرابة العقد من السنين ، فكان المدافع الصلب عن مكاسب هذه الجمعية وأموالها أمام تهافت المعمرين على اراضيها ونهشهم لارزاق التونسيين (1) •

والى جانب قيام البشير صفر بمهامه الادارية أحسن قيام انغمس فى النشاط الثقافى والاجتماعى مع ثلة من رفاقه فكون الجمعية الخلدونية احدى النوافذ التى أطل منها طلبة الجامع الاعظم على الثقافة العصرية ، وأسهم فى تكوين اول جريدة عربية غير رسمية ، وهى جريدة الحاضرة وتاسيس مدرسة

(*) ص 16 ، كتابة الدولة للاعلام • تونس 1978 •

(1) نفس المرجع ص 14 ـ 15 •

فلاحية اهلية ، ومدرسة للبنت المسلمة بالاضافة الى مشاركته فى تأسيس المدارس القرآنية العصرية ، وكل هذه الجوانب المهمة من نشاطه الاجتماعي والثقافي أثرت الحركة الادبية والفكرية في تونس ، وبوأته مكانة ممتازة في قلوب التونسيين ، وتجلى ذلك بالخصوص عند نقلته من تونس العاصمة الى مدينة سوسة في جوان 1908 وفي تشييع جنازته في أوائل مارس 1917 (2) .

---

(2) نذكر فيما يلي اهم المراجع التى تحدثت عن البشير صفر حسب ظهورها :
- ملفه بالخزينة العامة للحكومة التونسية (الوزارة الاولى) رقمه 267 .

Paul Lambert : Choses et Gens de Tunisie, Dictionnaire illustré de la Tunisie - Tunis 1912.

André Servier : Le Nationalisme Musulman en Egypte en Tunisie en Algérie, Constantine 1913.

(من ص 59 حتى ص 108) .
- جريدة الزهرة : 4 مارس 1917 رقم 2837 مات ولم يمت . ترجمة وافية للبشير صفر وكذلك الاعداد الموالية لهذا العدد .
- مجلة الصادقية . أمواتنا العدد الاول أفريل 1920 بقلم (مصطفى صفر) ص 3 - 6 .
- البشير صفر : مفتاح التاريخ (مقدمة الناشر) ط تونس 1927 .
- صالح رضا الاحمر : البشير صفر مجلة المسرح العدد الثاني السنة الاولى ربيع الاول 1356 جوان 1937 .
- محمد البشروش : البشير صفر مجلة المباحث العدد الاول السنة الاولى جانفي 1938 .
- علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المغرب العربي . ط 1 القاهرة 1948 .
- محمد الفاضل ابن عاشور : أركان النهضة الادبية بتونس 1381 / 1961 تراجم الاعلام . تونس 1970 .
الحركة الادبية والفكرية في تونس ط 2 تونس 1972 .
- الحبيب بورقيبة : مدخل الى تاريخ الحركة القومية . تونس 1962 .
حياتي أرائي جهادي . تونس 1978 .
- شارل اندرى جوليان : المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة تونس (الدار التونسية للنشر) .

Mongi Sayadi : La première Association Nationale Moderne en Tunisie : Al Jam'yya Al-Khalduniyya (1896 - 1958) Tunis 1974.

وبالاضافة الى هذا النشاط المتنوع قام البشير صفر برحلات الى اوربا والى مصر خاصة . وتعتبر هذه الرحلة الاخيرة من الرحلات الثقافية والسياسية التي تندرج ضمن التعاون وتنسيق خطط الكفاح بين المثقفين في تونس ، وبين زعماء الاصلاح في مصر . وقد أرسى هذا التعاون ودعمه الشيخ محمد عبده (3) بزورتيه الى تونس (سنة 1884 وسنة 1903) وكذلك زيارة الزعيم محمد فريد (4) الى ربوع الخضراء سنة 1902 .

ونريد أن نقف قليلا عند هذه الزيارة ثم نمر الى رحلة البشير صفر الى مصر .

ان زعيما الحزب الوطني المصري وهما مصطفى كامل (5) ومحمد فريد قد تعلما بفرنسا على غرار البشير ورفقائه . ولا شك ان التجانس الثقافي

- احمد خالد أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد ط تونس 1979 .
- صاحب هذا البحث الحاضرة أول جريدة وطنية في تونس (بحث مرقون بمكتبة كلية الآداب - تونس) .

(3) محمد عبده (1266 / 1849 - 1323 / 1905) من رواد الاصلاح الاجتماعي والديني في العصر الحديث انظر رشيد رضا : تاريخ الاستاذ الامام (3 اجزاء) القاهرة (1905 - 1931) .
المنجي الشملي قضية المرأة في تفسير المنار حوليات الجامعة التونسية ع 3 / 1966 وفي خصوص زيارتي عبده الى تونس انظر المنصف الشنوفي مصادر عن رحلتي الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده الى تونس (حوليات الجامعة التونسية ص 71 - 102 ع 3/1966) .

(4) محمد فريد (1285 / 1868 - 1338 / 1919) حقوقي وسياسي مصري اشتغل بالقضية المصرية وصحب مصطفى كامل في كثير من رحلاته الى أوربا . وخلفه في رئاسة الحزب الوطني وقد حبس ونفي بسبب آرائه الوطنية . توفي ببرلين ونقل رفاته الى القاهرة 1920 الزركلي : الاعلام ج 7 ص 220 .

(5) مصطفى كامل (1291 / 1874 - 1326 / 1908) من اكبر الزعماء المصريين في أوائل القرن العشرين ، تعلم بفرنسا ونال شهادة المحاماة ولكنه لم يرافع الا عن قضية بلاده بخطبه ومقالاته الصحفية . انظر آخر دراسة صدرت عنه : مصطفى كامل . أضواء جديدة على حياته لنجيب توفيق . القاهرة 1981 .

والتكوين العلمي المتشابه قد قرب بين المجموعتين ووحد النظرة الى قضـايـا المجتمع الاسلامي في ذلك العصر • وكان كل من الفريقين يزور البلاد الفرنسية بين آونة وأخرى خاصة في فصل الصيف • ولا شك أن زعيم الحزب الوطني قد تقابل مع البشير صفر في أوربا • ولم نعثر على مرجع يبين ما تم في هذا الاجتماع بين الرجلين •وكل ما نعلمه جملة وردت عرضا في تراجم الاعلام لابن عاشور تفيد ان مصطفى كامل قد اغتبط بمعرفة البشير صفر في فرنسا (6) • واشار الفاضل ابن عاشور في كتابه أركان النهضة الادبية بتونس الى أن صفر قد عرف زعيم النهضة الوطنية المصريـه مصطفـى كـامـل ، واستحكمـت صلاته» (7) •

الا انه من المحقق أن محمد فريد ـ الشخصية الثانية في الحزب الوطني ـ قد اجتمع بالبشير صفر في تونس واوربا ثم في مصر • ويبدو ذلك من خلال كتابه من مصر الى مصر الذي ذكر فيه أحاديثه ولقاءه بأبرز المسؤولين في تونس سواء أكانوا من الفرنسيين أم من التونسيين • فقد اجتمع مع بعض المثقفين التونسيين بفندق درمش ، وأمسك عن ذكر اسمائهم خـوفا «من أن نتعقبهم الحكومة الفرنسية فتلحق بهم الاذى» (8) •

وقد تحدث (أدباء التونسيين وفضلاؤهم) مع محمد فريـد عـن «الاسـلام ومصائبه وتسلط الافرنج عن (!) بلاده ينتقصونها من اطرافها وكيفية معاملتهم ن بوقعه سوء الطالع تحت حكمهم القاسي من اسلمين» (9) •

ولا شك أن هؤلاء الفضلاء التونسيين هم جماعة الحـاضرة ، وأبـرزهـم رئيسهم البشير صفر الذي نعته الزعيم محمد فريد أكثر من مرة بالعالم العامل والوطني الفاضل» (10) •

---

(6) محمد الفاضل ابن عاشور : تراجم الاعلام ص 205 •

(7) الفاضل ابن عاشور : اركان النهضة الادبية بتونس ص 37 ط مكتبة النجاح تونس 1381 / 1961 •

(8) محمد فريد : من مصر الى مصر ص 75 مطبعة الموسوعات بشـارع بـاب الخلق بالقاهرة 1319/1902 •

(9) نفس المرجع ونفس الصفحة •

(10) نفس المرجع ص 68 •

وانتقد محمد فريد سياسة الحماية بتونس أمام نائب الكاتب العام للحكومة اشد الانتقاد خاصة «حبس حرية الفكر والضغط على الجريدة التونسية الوحيدة (الحاضرة) (11) ومراقبتها المراقبة الشديدة ، وعدم ادخال الجرائد الاسلامية التى تبحث فى شؤون المسلمين عامة» (12) ·

وحاضر فريد «بانتقاده لحال تعليم المسلمين · وعدم وجود تعليم عال أو ثانوى بتونس وعدم صلاحية التعليم الابتدائى لاولاد المسلمين ، لانه يرمى لنشر اللغة الفرنسية واماتة اللغة الشريفة العربية والتضييق على أولاد المسلمين فى المدارس الفرنسية مثل مدرسة كارنو وايجاد العقبات فى طريقهم لتقليل عددهم بهذه المدرسة الثانوية الوحيدة حتى لم يبق منها الا تلميذان من أولاد المسلمين» (13) ·

وكان لهذه المواقف الحرنة رد فعل سريع من قبل سلطات الحمايــة ، ومنعت ابرز الجرائد المصرية من الدخول الى تونس مثل المؤيد (14) واللواء (15) ومنعت كذلك الزعيم محمد فريد من زيارة تونس التى كانت مقررة لصائفـة

---

(11) احتجبت الجرائد العربيه بتونس منذ أواخر سنة 1896 بعد عودة القانون الخاص بالضمان المالى على الصحف · وبقيت الحاضرة تواصل الصدور بمفردها حتى أوائل سنة 1904 ·

(12) المرجع السابق ص 81 ·

(13) نفسه ص 81 ·

(14) المؤيد جريدة مصرية يومية ظهرت أواخر سنة 1889 ، وهى صحيفة اسلامية عثمانية ذات أهداف اصلاحية اصدرها الشيــخ علي يـوسف (1280 / 1863 ـ 1332 / 1913) وقد نالت جريدته شهـرة واسعـة فى عصرها انظر فى شأنها · فيليب دوطرازى : تاريخ الصحافة العـربية ج 3 ص 37 ـ 40 · عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر (الجزء الرابع) · أديب مروة : الصحافة العربية ص 196 ·

(15) اللواء جريدة وطنية مصرية أصدرها مصطفى كامل فى مفتتح سنة 1900 بالعربية ثم بالفرنسية والانجليزية · عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة··· (الجزء الخامس) · أديب مروة : الصحافة العربية ص 199 · انظــر فى خصوص منع الجريدتين من الدخول الى تونس جريدة «الحاضرة» ع 713 بتاريخ 16 سبتمبر 1902 و ع 715·30 سبتمبر 1902 ·

1903 (16) ، وبالعكس من ذلك سمحت للشيخ محمد عبده بزيارة تونس فى تلك السنة .

وقد تتبعت (الحاضرة) تنقلات محمد عبده في تونس من رحاب جامع الزيتونة الى أقسام الجمعية الخلدونية فمصنع السميد لصاحبه عبد الجليل الزاوش (17) . ونقلت محاضرته التى القاها فى الجمعية الخلدونية وعنها نقلتها الصحف والمجلات الشرقية كمجلة المنار (18) .

ورجع الشيخ عبده الى القاهرة وقد سر بهذه الحفاوة التى استقبله بها التونسيون ، وفي مقدمتهم جماعة الخلدونية : اذ وجد الجماعة يسيرون حسب المبادىء الاصلاحية التى سنها اثر الخلاف بينه وبين السيد جمال الدين الافغانى (18م) ومفاده ان الاصلاح القويم يبدأ بالتربية والتعليم والاطلاع على العلوم العصرية التى كانت سببا فى تقدم الغرب الذى احتل معظم أقطار العالم الاسلامى .

ويبدو أن جماعة الخلدونية قد التفوا حول شخص الشيخ محمد عبده فقط ولم يتواصل التجاوب بينهم وبين مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا الموالى للانجليز أعداء مصطفى كامل ومحمد فريد . وبعد وفاة الشيخ محمد عبده فى

---

(16) الحاضرة ع 753 · 21 جويلية 1903 .

(17) عبد الجليل الزاوش (1290 / 1873 ـ 1367 / 1947) من أبرز المثقفين التونسيين المنادين بسياسة المشاركة بين الفرنسيين والتونسيين .
انظر : الحبيب بورقيبة : مدخل الى تاريخ الحركة القومية ص 36 .
الصادق الزمرلى : السالفون ص 207 . محمد مزالى والبشير بن سلامة (تعريب) : المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى ص 92 .

(18) مجلة دينيه صدرت سنة 1898 واختفت سنة 1935 لصاحبها محمد رشيد رضا (1282 / 1865 ـ 1354 / 1935) وهى من كبريات المجلات الدينية فى عصرها . انظر فى خصوص علاقتها بالتونسيين المنصف الشنوفى : علائق رشيد رضا مع التونسيين فى حوليات الجامعة التونسية ص 121 ـ 151 عدد 4/1967 .

(18م) جمال الدين الافغانى (1255 / 1839 ـ 1315 / 1897) من زعماء الاصلاح السياسى والاجتماعى فى العصر الحديث .

سنة 1905 كفت الحاضرة عن النقل من مجلة المنار ، واصبحت هذه الاخيرة تنقل هي الاخرى عن جريدة الزهرة (19) ٠

واصبح التجاوب بين جماعة الحاضرة وبين الحزب الوطني يشتد ويقوى ٠ وتوج هذا التقارب بزيارة البشير صفر الى مصر ٠

لقد اعلن وقتها على صفحات الحاضرة (20) عن زيارة البشير صفر الى مصر صحبة نازلي فاضل (21) وزوجها خليل بوحاجب (22) ، وكان ذلك في نوفمبر 1907 وعاد منها في اواخر جانفي 1908 ٠ أي دامت هذه الرحلة أكثر من شهرين ٠

لا شك أن صفر قد التقى بالزعيم محمد فريد ، وتحدث معه طويلا عن ردى الاوضاع السياسية والاجتماعية في العالم الاسلامي عموما والخطوات التي قطعها الطرفان في ميدان التربية والتعليم خصوصا ثم تقابل مؤسس الخلدونية مع الخديوى عباس حلمى الثاني (23) ٠

---

(19) جريدة تونسية اسبوعية ثم يومية صدرت سنة 1890 واختفت نهائيا سنة 1957 لصاحبها عبد الرحمان الصنادلى (1267/1850 ـ 1354/1935) ٠ انظر الزهرة ع 8543 بتاريخ 28 اكتوبر 1935 ٠ عمر بن قفصية : أضواء على تاريخ الصحافة التونسية ص 62 ٠

(20) الحاضرة عدد 962 ـ 19 نوفمبر 1907 ٠

(21) من اشهر الاميرات المصريات في عصرها ثقافة ووطنية ٠ كان قصرها بالمرسى ـ احدى ضواحي تونس ـ قبلة رجال الادب والفكر من تونس وغيرها ٠ وقد أقام محمد عبده عند زيارته لتونس (1903) في قصرها وعدها محمد الفاضل ابن عاشور من «أركان النهضة الادبية بتونس» ص 49 ـ 53 ٠ انظر ملفها بالخزينة العامة للحكومة التونسية رقمه 1718٠

(22) خليل بوحاجب (1286 / 1869 ـ 1363 / 1943) من أبناء الشيخ سالم بوحاجب ، تعلم بفرنسا على نفقة والده ٠ انظر ترجمته في تراجم الاعلام للفاضل ابن عاشور ص 271 ـ 282 ٠

(23) حكم من سنة 1892 حتى سنة 1914 ٠

واخيرا اطلع على النهضة العلمية والاقتصادية بمصر صحبة صديقه مصطفى بيرم (24) الموظف باحدى المحاكم المصرية •

والغالب على الظن انه لم يجتمع بالزعيم مصطفى كامل الذى كان فى هذه الآونة طريح الفراش ، ومات بعد ايام قليلة من عودة البشير صفر الى تونس (25) •

والملاحظ ان الشرطة السرية الفرنسية كانت تلاحق البشير صفر فى تنقلاته واجتماعاته بالمثقفين المصريين ، يؤيد ذلك ما جاء فى ملف المكى كمون أحد خريجى الصادقية ، وابرز المناوئين للوجود الاستعمارى في تونس ، والذى فر من بلاده واستقر بالقاهرة ، واخذ يهاجم الحماية الفرنسية على صفحات الجرائد المصرية كالمؤيد وغيرها • فقد سجلت عيون فرنسا الحوار الذى دار بين صفر وكمون حول الحضور الفرنسى بتونس (26) •

---

(24) ابن الشيخ محمد بن مصطفى المعروف ببيرم الخامس (1266 / 1849 ـ 1307 / 1889) وقد هاجر الى مصر واسس بها جريدته «الاعلام» والمطبعة الاعلامية التى طبع بها كتابه صفوة الاعتبار بمستودع الاقطار والامصار• وقد نعلم ابنه مصطفى بالمدرسة الصادقية عند افتتاحها 1292/1875 • محمد الفاضل ابن عاشور : اركان النهضة الادبية بتونس ص 21 ـ 27• محمد محفوظ تراجم المؤلفين التونسيين ج 1 ص 191 ـ 197 ط 1 (دار الغرب الاسلامى بيروت 1982) وفى خصوص ابنه مصطفى ص 198 من تراجم المؤلفين ••• وقد ذكر محمد محفوظ أنه كان حيا سنة 1321/ 1902 ومن المعروف ان مصطفى بيرم صاحب محمد عبده في زيارته الى تونس سنة 1903 ، كما كان من مرافقى البشير صفر فى جولته بالقطر المصرى موضوع هذا البحث •

(25) ابنته الحاضرة ع 909 بتاريخ 18 فيفرى 1908 • موت وطنى • وجاء فى هذا التابين ما يلى : «••• وكنا عهدناه (مصطفى كامل) طالبا لم يتمم دراسته •• عند رحلتنا لباريس سنة 1895 • وكان شابا غضا يتوقد ذكاء ويلتهب وطنية ••» والذى قام بهذه الرحلة الى باريس فى هذه السنة هو على بوشوشة (1276/1859 ـ 1336/1917) مدير الحاضرة •

(26) ملف المكى كمون بمصلحة الوثائق بالخزينة العامة للحكومة التونسية رقمه 1428 •

وقد لخص البشير صفر مشاهداته عن القطر المصرى فى محاضرة القاها باللغة الفرنسية بجمعية قدماء الصادقية يوم 8 نوفمبر 1908 بحضور برنار روا الكاتب العام للحكومة وغيره من المسؤولين.

بدا هذه المحاضرة بالحديث عن مشاهداته في مالطة وطرابلس الغرب التي راى فيها شواهد الترقى والتقدم عما كانت عليه في رحلته الاولى سنة 1309 / 1891 ، ثم تحدث عن مدينة الاسكندرية من حيث حسن نظامها وعدد سكانها الذى يصل الى ثلاثمائة الف نسمة ، وقال : انه من حين وضع قدمه فى محطة السكة الحديدية تبين له ان غالب الوظائف المصرية بأيدى المصريين من أعلى مستوى الى آخر مستوى الا الرتل السريع فقد تكفل بأمره فنى انجليزى .

ومعلوم ان موظفى وعمال السكة الحديدية بتونس كلهم مـن الفـرنسيين والايطاليين وغيرهم من الاوربيين . أما الاهالى فلا حـق لهم فى العمل بهذه الشركة مطلقا واشار صفر عمدا الى أن غالب الاراضى وغالب الاشغال والصنائع بايدى المصريين البالغ عددهم احدى عشر مليونا آنذاك في حين أن الاراضى الخصبة بتونس قد استولى عليها المعمرون ظلما واعتسافا . وعرج على دواوين الحكومة والمحاكم فأكد أن جميع متوظفيها من المصريين وقد كانت حكومة الحماية في تونس ترفض انتداب المتوظفين التـونسيين لكثـرتهم حسب زعمهـا . ثم أفاض القول فى مسالة التعليم فى القطر المصرى فبدأ بالجامع الازهر الذى بلغ عدد طلبته نحو احد عشر الفا يتلقون العلوم الشرعية على ثلاثمائة مدرس وأشار الى مدارس الحكومة التى بها من التلامذة نحو احد عشر الفا وهو عدد قليل بالنسبة لسكان القطر المصرى . بيد أنه توجد مدارس كثيرة للاوقاف وللجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقى بالاسكنـدرية ، وأكـد لمخاطبيه أن التعليم الابتدائى بكافة المدارس باللغة العربية فى جميع فروع التعليم ، كما أن هناك كثيرا من المدارس الخاصة وعددا وافرا من الكتـاتيب المنظمة على اسلوب المدرسة القرآنية بتونس ، وبلغ عددها بانحاء لقطر المصرى 4180 بها من الطلبة 165000 منهم 12000 من البنات .

ثم تحدث عن الجيش المصرى وعدده (18000) بمصر والسودان وهم على أتم نظام واحسن ترتيب ، وعدد ما به من ضباط الانجليز لا يتجاوز الستين فردا. وكذلك البوليس وعدده نحو (6000) كما أن جيش الاحتلال لا يتجاوز (5000) رجل . وبعد أن أثنى على الذين تفضلوا باكرامه خصوصا الاميرة نازلى فاضل

والامير عزيز حميد اسماعيل باشا (27) تحدث عن حرية الصحافة بمصر وختم محاضرته قائلا :

«ان البلاد المصرية التى سلكت سبيل المدنية العصرية من عهد محمد على باعانة نخبة من علماء الفرنسيين فى الفنون الحربية والادارية توقف سيرها زمنا ثم هبت تطوى المراحل لتدارك ما فات ووجهت همتها نحو أساس كل مدنية أعنى التعليم والتربية ، وهى سائرة فى هذا السبيل سيرا حثيثا بالنسبة لبقية الممالك الاسلامية وأن ثروة البلاد المصرية ناشئة عن خصب أرضها ونشاط أهلها وكدهم للعمل وارتفاع أسعار القطن وتفضيل الحكومة للمصريين على غيرهم فى جميع أبواب الرزق سواء كانت ادارية أو زراعية أو صناعية بحيث يتراءى للقادم الى مصر لاول مرة أن غالب الاصلاحات الجارية الآن بتلك البلاد • واقعة لمصلحة المصريين وبواسطة مصريين بمساعدة فنية من الاوربيين» (28) •

تعتمد هذه المحاضرة اساسا على المقارنة غير المباشرة بين الاستعماريين الانجليزى والفرنسى وطريقتهما فى معاملة البلدان المولى عليها ففى حين يجنح الانجليز الى الاستيلاء على التجارة الصادرة والواردة يعمد الاستعمار الفرنسى الى «سلب الارض من أهلها ومنحها للمستعمرين (••) ويصبح الشعب المقهور خادما للشعب القاهر لا يملك قيد شبر من أرض بلاده التى تضم عظام اجداده، وهذا شان الامم الزراعية كفرنسا ، فان الفرنسى مزارع بالطبع ولا يميل الا الى اقتناء الارض لفلحها واستثمارها» (29) •

لا شك أن الكاتب العام للحكومة قد اشمأز من هذه المقارنة التى تدين نظام الحماية المعرقل لسير تعليم اللغة العربية وكساد الصناعة والتجارة فى تونس واهمالها بتوريد البضائع الاجنبية ، وتقديم الاوربيين فى الادارات على غيرهم ولو كانوا من شذاذ الاوربيين ، وكان البشير صفر يوجه أصابع الاتهام الى نظام الحماية بعد أن قدم مطالب التونسيين فى افتتاح التكية أمام المقيم العام فى مارس 1906 •

---

(27) اسماعيل باشا خديوى مصر تولى الحكم سنة 1863 وعزل سنة 1879 •

(28) الحاضرة ع• 968 بتاريخ 11 فيفرى 1908 •

(29) محمد فريد : من مصر الى مصر ص 85 •

وهكذا فان هذه الرحلة لم تكن للتفسح في ربوع مصر بقدر ما كانت رحلة للاتصال بروؤس النهضة الاصلاحية في مصر . وكان لهذه الرحلة نتائج اهمها التعجيل بنقلة البشير صفر الى سوسة وابعاده عن جمعية الاوقاف (30) وعن العاصمة بالذات التي أصبح وجوده فيها يزعج سلطات الحماية خاصة حزب المعمرين الذي يقوده فيكتور دوكرنيار أحد الخصوم الالداء للاهالي في تونس .

وقد رفض صفر النقلة الى سوسة في بادئ الامر ، (31) ثم قبلها على مضض وهو يقول لمن يعاتبه على قبوله هذه الوظيفة . «انني رجل معدم وقد قبلت الخطة لتكون موردا ارتزق منه» (32) .

وودعه أصدقاؤه وتلامذته في جمعية الاوقاف أولا ثم في الجمعية الخلدونية ثانيا . وذكر في حفل الخلدونية . «انه لولا مناسبة الوداع لما رأى نفسه أهلا لمشار هذا الاحتفال ، فانه انما كان عمله في مشروع الخلدونية من باب القيام بالواجبات الوطنية ، وانما للمرء في حياته اوقات يراها الذ أوقات حياته ولذلك هو يرى ما قضاه في خدمة الجمعية الخلدونية من أوقات أجل والذ ساعات حياته» (33) وودعته الصحف العربية وداعا تجلى من خلاله الاسف والحسرة على ابعاد (روح النهضة الادبية) عن العاصمة . ونذكر فقرات على سبيل المثال من جريدة الصواب لمحمد الجعايبي (34) .

---

(30) تردد من قبل أن سلطات الحماية ترغب في نقلة البشير صفر من جمعية الاوقاف الى ادارة أخرى . وقد كذبت الحاضرة هذا الخبر . (الحاضرة ع 632 . بتاريخ 29 جانفي 1901) .

(31) الحاضرة ع 990 . 21 جويلية 1908 .

(32) الحبيب بورقيبة . حياتي ارائي جهادي ص 16 .

(33) عدد الحاضرة السابق .

(34) جريدة اسبوعية صدرت سنة 1904 ثم احتجبت سنة 1911 على اثر القانون القاضي بتعطيل الصحف العربية بسبب حوادث الجلاز ثم برزت من جديد في سنة 1920 انضم صاحبها محمد الجعايبي (1298 / 1880 — 1357 / 1938) الى الحزب الحر الدستوري الجديد بقيادة الزعيم الحبيب بورقيبة . وكانت مقالات الصواب شوكة في حلق غلاة المعمرين وعلى راسهم فيكتور دوكرنيار . عمر بن قفصية : اضواء على تاريخ الصحافة التونسية ص 69 — 71 .

ولقد فجعت المملكة التونسية من أدناها الى اقصاها بذلك الخبر الذى تناقلته الالسن ، وهو خبر تولية الوطنى الغيور المجاهد فى سبيل حفظ الاوقاف التونسية جهاد الابطال السيد البشير صفر رئيس جمعية الاوقاف وروح النهضة الادبية عاملا على سوسة ، والذى زاد هذا الخبر اهمية هى مفاجأته فى هذه الظروف التى أصبح فيها الخوف على الاوقاف أكثر من الخوف على الاعناق والارزاق ، ولقد كان لهذا النبأ المشؤوم رنة عظيمة بين كافة التونسيين لا فرق فى ذلك بين العالم بالحقائق والجاهل بخفايا الامور» (35)·

ثم تتوجه الصواب الى مدينة سوسة لتهنئتها بمقدم البشير صفر عليها قائلة : «فهنيئا لك ، فقد أخذنه منا ونحن فى حاجة اليه وأبعدته عنا والنفس مشوقة اليه ، فانك والله ذات حظوظ ووجهك بعين العناية ملحوظ فسقيا لربوعك التى ستحتوى على أفضل تونسى أشرب فى قلبه حب العدل فلا تأخذه فى الحق لومة لائم ، فهو من خيرة القوم سماحة وعلما وأوفرهم تواضعا وحلما ، ثقى والله انك لا نضامين أبدا ولا تظلمين فتيلا ، ما دام يحرسك ويرعاك واياك أن تمنى بفضله على البلاد الاخرى فتحسدك عليه وكل ذى نعمة فى الكون محسود» (36) ·

وهكذا يمكن اعتبار رحلة البشير صفر الى مصر والمحاضرة التى لخص فيها انطباعاته عن هذه الزيارة سببا مباشرا من بين عدة اسباب اخرى (37) عجلت بنقلته الى سوسة وانفرط العقد الذى كان البشير صفر واسطته ، ثم

---

(35) الحاضرة ع 990 · 21 جويلية 1908 ·

(36) نفس العدد ·

(37) منها تعاظم حركة الشباب التونسى بعد بروز جريدة (التونسى) فى 7 فيفرى 1907 ومطالب المعمرين بازاحة البشير صفر عن ادارة الاوقاف لمعارضته التفويت فى أراضى الاوقاف لفائدة هؤلاء المعمرين ·

التأمت حباب هذا العقد شيئا فشيئا بفضل تلامذته ومريديه ، وأبرزهم على باش حانبه (38) الذى قاد المشعل بعد غياب استاذه البشير صفر عن العاصمة .

بيد ان البشير صفر لم يوقف نشاطه الثقافى والسياسى ، فقد شارك فى مؤتمر افريقيا الشمالية بباريس سنة 1908 بتقرير هام (39) كان له الصدى البعيد فى أوساط المحررين الفرنسيين . وحول موضوع الاوقاف الى قضية قوميه ووطنية بعد تقديم هذا التقرير (40) .

علي العريبي

---

(38) على باش حانبه (1293 / 1876 – 1337 / 1918) صاحب جريدة التونسى بالفرنسية ومن أبرز الوجوه الوطنية التى عرفتها تونس فى العقد الاول من القرن العشرين . انظر فى شأنه : المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسى تعريب الاستاذين محمد مزالى والبشير بن سلامة . الصادق الزمرلى السالفون (بالفرنسية) ص 43 – 67 ..

(39) انظر نص هذا التقرير فى
Compte rendu des travuax du congrès de l'Afrique du nord.
Béchir Sfar : Les Habous en Tunisie envisagés au point de vue de l'opinion publique indigène et de l'intérêt général pp. 385 - 404.

(40) علقت الحاضره على مشاركة التونسيين فى مؤتمر باريس فقالت : «وخلاصة القول ان نتيجة هذا المؤتمر هى ادبية أكثر منها مادية لابناء المملكة التونسية تبرهن عن نهضة علمية ويقظة عقلية تجعل العامة والخاصة من الملل الاوربية يضربون لهم حسابا ولا يغلقون فى وجه مطالبهم المشروعه بابا ولا ينكرون عليهم فى الذود عن حقوقهم بميادين المفاوضات الحريه بحثا أو خطابا وهى نتيجة تبشر بابتسام ثغر عصر جديد ...» ع 998 بتاريخ 20 أكتوبر 1908 .

العـــودة

شعر : رياض المرزوقي

«اهيم بدعد ما حييت فان امت

اوكل بدعد من يهيم بها بعدي» (*)

كطــائرٍ يجــري يــؤوبُ للــوكْــر
لَمْلَمْتُ أشتــاتي وعُــدتُ (للفِـكرِ)

* * *

قطعــتُ أعــوامــاً صحــراءَ كالموتِ
قضت على ذاتــي وضيّعــتْ صوتــي
ذوّبتُ أشعــاري أذابنــي صمتــي !
وبعــد تَجــوالــي في غيْهــبِ القفْــرِ
ضجّتْ بــآلامي جــواهرُ الصخــرِ

* * *

عبــرتُ بُلْــدانــاً أراضيهــا بــلا حدْ
تــرابُهــا مِلــحٌ هــواؤُهــا يُضْــنى

(*) من شعر «نصيب» أحد شعراء القرن الاول للهجرة ٠

بـدّدتُ أمجـادي   شربتُ مِن حِقدي
حمّلـتُ أضـلاعي   أثـاقلَ الـوَقْـرِ
فمـالتِ الـدنيـا   وضـجّ بـي صدري

* * *

وأقبلـت تسعـى   كـالحلـمِ والـوعْدِ
فـأخصبـتْ أرضي   وفجّـرتْ رعـدي
نسيـتُ مـا قبلـي   أهملـتُ مـا بَعـدي
وُلِـدْتُ مِن جفـنٍ   أحْـلـى من العُمْـرِ
في وصفِ عينيْهـا   نطقْـتُ بالسحـر

* * *

وعُدتُ (للفكـرِ)   مثـل ابنِهـا البَـرِّ
كي أذهـلَ الـدنيَا   بـالعشـق والشّعـرِ
ولْيَشْـرَبِ الأعْـدَا   مِن لُجّـةِ البحـرِ!

تـونس في 12 ـ 4 ـ 1985

رياض المـرزوقي

في العـدد القـادم ننشـر

الجـزء الثاني من دراسة بقلم : د. نور الدين بلقاسم

« دور الادب العـربي في مـواجهـة التحـديـات »

القاعدة والاستثناء

بقلم : عبد الله مالك القاسمي

نظم مركز جورج بومبيدو الثقافي بباريس ، على هامش الصالون الخامس للكتاب ، يوم الشعر المغربي تحت شعار : « اصوات وأناشيد من المغرب العربي الكبير » وذلك يوم 22 مارس 1985 . وقد تحول من تونس خمسة شعراء للمشاركة في هذا المهرجان هم : عبد العزيز قاسم ، عبد الله مالك القاسمي ، محمد العوني ، المنصف الوهايبي ومحمد الغزي بالاضافة الى بعض الشعراء التونسيين المقيمين بباريس نذكر منهم : الطاهر البكري ، امينة سعيد والهادي بوراوي ... أما الشعراء المغاربة والجزائريون المشاركون في هذا الملتقى فان أغلبهم يقيم بباريس كما علمنا أنه وجهت الدعوة الى رشيد بوجدرة من الجزائر وعبد الكبير الخطيبي من المغرب إلا ان ظروفا خاصة منعتهما من المشاركة .

بدأ المهرجان في حدود الساعة الثانية والنصف مساء وتواصل الى الثامنة ليلا . وقد خصصت لنا قاعتان للقراءة : قاعة صغرى دعي اليها المنصف الوهايبي ومحمد الغزي وقاعة كبرى ضمت بقية الوفد التونسي . وبحكم وجودي ـ شخصيا ـ في هذه القاعة فان التركيز سيقع على الأمسية التي اقيمت بها .

أول من افتتح المهرجان الاستاذان إيمانويل روبلاز (من أكاديمية قونكور) واندري ماندوز اللذان تحدثا باقتضاب شديد عن التجارب الشعرية المكتوبة بالفرنسية في تونس وفي المغرب وقد ركزا بصفة خاصة على تجارب الشعراء والكتاب الجزائريين الراحلين الذين ساهموا ـ حسب تعبيرهما ـ في تاسيس أدب مغربي « عربي » ناطق بالفرنسية أمثال : مالك حداد ، كاتب ياسين ومولود فرعون .

وعلى الاثر ، قرأت ماريون وريميو ـ كاديه نصا لمولود فرعون . كما قرأ الاستاذ الشاعر عبد العزيز قاسم قصيدة لأبي القاسم الشابي بعنوان « النبي المجهول » بلغتها الاصلية وبتفاعل كبير . ثم عاد الاستاذ قاسم الى مكانه مكتفيا بذلك فطلب منه المنظمون أن يترجم جزءا من هذه القصيدة الى اللغة الفرنسيه فاستجاب لهذا الطلب ، وقدم ترجمة جيدة أعجبت الحاضرين، مبينا أن الشاعر التونسي قادر على الكتابه بالفرنسية ولكنه ـ أيضا ـ متمسك بلغته الأم . فكان هذا أول درس نقدمه في باريس الى كل المشككين في هويتنا وفي انتمائنا .

وبعد ذلك قرأت دينز بارات قصيده للشاعر الجزائري جون عمروش وكذلك قرأ الشاعر الفرنسي حول روا قصيدة لشاعر جزائري آخر هو جون سيناك ، ثم جاء دور الشاعر المغربي عبد اللطيف اللعبي وقد كنا ننتظر أن يلقي هذا الشاعر قصائده باللغه العربيه بعد أن قام بتعريب كل كتاباته الفرنسية القديمة على إثر خروجه من السجن لكنه انخرط في لعبه الاغتراب والاستلاب ، فقرأ بالفرنسية قصيدة مهداه الى جون سيناك وقصيدة أخرى بعنوان « وصية ماياكوفسكي » .

وازداد اندهاشنا عندما قرئت قصائد باللهجة البربرية (وهناك من يعتبرها لغه) للشاعر الجزائري سي مهند لم تقدم لها أية ترجمة . وتواصلت الأمسية فقرأ جان تكنفري قصائد لمحمد ديب ثم قرأ قصيدة « كانت عبارة عن مونتاج ركبه بنفسه من الاحداث والكلمات التى بقيت عالقة في ذهنه . كلمات امرأة جزائرية اسمها فاطمه كانت تعمل في بيته أيام الاستعمار » .

بعد هذا ، جاء دور الشاعر والروائي المغربي الطاهر بن جاون الذي قرأ ـ طبعا ـ باللغة التي تعتبرها اللغة الأم (ويقصد بها الفرنسية) مجموعة من القصائد القصيرة مهداة الى ضحايا الحرب وخاصة الى الذين سقطوا أثناء حصار بيروت ، وكل قصيدة تحمل اسم بطل مجهول مثل « خضر سعيد محمد » .

ثم قرأ الشاعر التونسي الهادي بوراوي الذي يقيم ـ عادة ـ بكندا قصائد الفرنسية موضحا في البداية أنه موزع بين ثلاثة انتماءات « فهو ينتمي الى تونس حيث نشأ وحيث يكتب بالعربية والى فرنسا حيث تعلم وحيث يكتب بالفرنسية والى كندا حيث يعمل» . ولكن هذا التمزق الذي يعانيه الهادي بوراوي لا يغفر له تمسحه على أعتاب اللغة الفرنسية .

وبعده مباشرة قرأت الشاعرة التونسية أمينة سعيد بعض القصائد بنفس اللغة وكذلك فعل الشاعر المغربي مصطفى نيسابوري .

وقبل أن يأتي دور الشاعر التونسي محمد العوني اتفقنا (نحن الشعراء القادمون من تونس) على قراءة أشعارنا بالعربية ـ وإن كنا جميعا نحسن الفرنسية وقادرين على الترجمة ، بالاضافة الى أننا كنا نملك [في ذلك الحين] نصوصا مترجمة لقصائدنا ـ لأننا نعتبر أن هذا الموقف يمليه علينا واجبنا نحو أمتنا وحضارتنا . وهو تأكيد على الانتماء واعتزاز بالهوية . وهو ـ أيضا ـ رد فعل على ما ساد الجو من اغتراب ، اذ كان الشعراء الجزائريون والمغاربة وكذلك التونسيون المقيمون بباريس يقرؤون بالفرنسية وقد فوجئنا بهذا الولاء الأعمى لهذه اللغة . ونحن ـ في الحقيقة ـ لسنا ضد أية لغة في العالم ولكننا ضد الاستلاب والاغتراب .

وعندما قررنا أن نتخذ هذا الموقف كان الى جانبنا الاصدقاء حسونة المصباحي وعبد الكريم قابوس وشربل داغر وغيرهم ، واتفقنا ان يستهل محمد العوني (باعتباره السابق في الترتيب) قراءته بكلمة تمتزج فيها السخرية بالمرارة وهي كالآتي : « في المغرب العربي الكبير هناك ـ أيضا ـ شعر مكتوب بالعربية » وقد لاحظنا أن أول من غادر القاعة على إثر سماع هذه الكلمة هو الطاهر بن جلون الذي يبدو أنه استاء من مثل هذا الكلام . وفي المقابل صفق جانب كبير من الجمهور إعجابا بموقفنا . ثم قرأ محمد العوني قصيدته « مملكة القرنفل » وكنا نستمع اليها بعاطفة كبيرة لاننا احسسنا بلذة الانتماء .

بعد ذلك قرأت بلاز دوتيه قصيدتين للشاعر والكاتب المغربي عبد الكبير الخطيبي الذي لم يتمكن من الحضور ، ثم جاء دوري فقرأت قصيدة « مالك الذي يأتي » بكل ما أملك من احساس ومن طاقة تعبيرية حتى اثبت للحاضرين ـ بشكل أو بآخر ـ أننا في تونس متمسكون بلغتنا وبشخصيتنا .

وفي نفس الوقت كنت أملك ترجمة لنفس القصيدة أعدها الشاعر عبد العزيز بن عرفة فطلب مني الأستاذ محمد الحبيب حامد أستاذ اللغة الفرنسية بجامعة تونس أن أسلمه الترجمة لقراءتها على الحاضرين حتى يؤكد لهم أن اختيارنا للغة العربية ليس نتيجة عجز وإنما هو موقف مبدئي وحضاري .

ثم قرأ الشاعر التونسي الطاهر البكري المقيم بباريس بعض القصائد القصيرة وقرأ الشاعر نفسه قصائد الشاعر التونسي الراحل صالح القرمادي ، وقد اختار البكري أن يلقي بالفرنسية بالرغم من أن صالح القرمادي كتب – أيضا – بالعربية .

هذه أهم الفقرات التي اشتملت عليها أمسية القاعة الكبرى ، أما ما حصل في القاعة الصغرى فان الصديقين الوهايبي والغزي يؤكدان على أن السيناريو نفسه تكرر مع الشعراء المغاربة والجزائريين ولم يشذ عن هذه القاعدة سواهما . وبذلك يكون الشعراء التونسيون – وتحديدا الشعراء الخمسة القادمون من تونس – هم الاستثناء الوحيد في هذه القاعدة .

ونحن نعتقد أن هذا الاستثناء أو هذا الخروج عن قواعد اللعبة هو موقف نعتز به وقد يشرف كل التونسيين والعرب عموما . باعتباره درسا في الوطنية وفي الدفاع عن مقومات الشخصية العربية ولعل « اللغة » هي من أبرز هذه المقومات .

وقد لاحظ شربل داغر في مقال له نشر بمجلة «كل العرب» (3 أفريل 1985) أنه « لولا بعض الأصوات الشعرية ، التونسية تحديدا ، لكان هذا اليوم أشبه باجتماع لمنظمة منحلة ، للمحاربين القدامى ، لهواة جمع الطوابع البريدية والصور التذكارية » .

وتعليقا على يوم الشعر هذا كتب كاظم جهاد بمجلة « اليوم السابع » (8 أفريل 1985) مقالا بعنوان « نرسم شموسا ونوقع . شعراء المغرب » .

– أول ملاحظة تسترعي الانتباه : العنوان ، وهو مجزوء من قصيدة جان سيناك الشاعر الجزائري اليهودي الذي وقع إغتياله في الجزائر . منذ زمن بعيد (وقد تردد ذكره بكثرة في هذا المهرجان) :

[ارسم شمسا

واوقع :

« جان سيناك »]

– ثاني ملاحظة : يعتبر الكاتب ان البربرية (القبائلية تحديدا) هي لغة وليست لهجة اذ يقول : « بعد هذا قرئت قصائد باللغة البوبرية .. وكنا

نستمع مذهولين الى إيقاعها المتين ، الذى تذكر نهايات ابياته الجارفة بنهايات أبيات المعلقات العربية .. »

ـ ثالث ملاحظة : في تعليقة على القصائد المقروءة في يوم الشعر لم يتعرض الى الظاهرة التي تحدثنا عنها ، بل اعتبر أن الشعر المغربي المكتوب بالفرنسية قد « تعهد ويتعهد بالتعبير عن جراح الانسان المغربي وعن آماله » .

وهو (أي الكاتب) بذلك يسقط في الفخ المنصوب وينخرط في عمليـة التضليل بالرغم من أن مقالته كتبت بالعربية !!

مسالة اخرى نعتقد أنها هامة ، وبالتالي لا بد من الاشـارة اليهـا . وهي مسالة التقديم . فبالنسبة الى برنامج القاعة الكبرى ذكرنا في بداية العرض ما احتواه تقديم الاستاذين « إيمانويل روبلاز » و « اندري ماندوز » اللذين ركزا على تجارب الشعراء والكتاب الجزائريين الراحلين باعتبارهم مؤسسي الادب المغربي الناطق بالفرنسية دون الاشارة ـ بما فيه الكفاية ـ الى أدبـاء المغرب وتونس أما عن برنامج القاعة الصغرى التي حضر مداولاتها المنصف الوهايبي ومحمد الغزي ، فقد ذكرا في حديث لجريدة « الـراى » : أن الـذى قدم الادب التونسي هو ألبار ممي ، فكان تقديمه لهذا الادب مشوها ومرتبكا ومبتسرا .. وانه يعتبر ان الشعر التونسي يختزل في إسمين هما : صالح الكرمادى والمنصف الغشام وتجاهل كل الاسماء التي تكتب بالعربية ... » .

ولكن البار ممي لم يكن وحده في التقديم فلقد اشترك معه جون ديجـو ، وقد صدر نصا مصاحبـا للبرنامـج بعنـوان : « الشعـر المغـربي المكتـوب بالفرنسية » كتبه جون ديجو (وهو المتخصص في دراسة الادب المغربي منذ ثلاثين سنة ، يعمل أستاذا محاضرا بالمركز الدولي للدراسـات الفرنكوفونية بجامعة الصوربون ، كما أن له مؤلفات عديدة عن الادب المغربي منها : «الادب الجزائرى المعاصر » صدر سنة 1979 ، « فهرس الكتاب المغـاربة النـاطقين بالفرنسية » صدر سنة 1984 ، و « شعراء تونسيون يكتبـون بالفـرنسية » صدر أيضا سنة 1984 الخ ...) .

ولعل أخطر ما جاء في هذا النص قوله : « إن الشعـر المغـربي المكتـوب بالفرنسية هو شعر الصامدين الذين يتحدون كل الشمارات رغبة منهم في تحقيق الانتشار العالمي » .

إنه يعتبر أن الشعر المكتوب بالفرنسيه هو شعر صمود . لكنه اى صمود يعني ؟ هل هو الصمود أمام حركات التعريب أم هو صمود أمام اللغة العربية نفسها التى ـ قد ـ يعتبرها الكاتب لغة دخيلة وغازية ؟ أما اذا كان يقصد أن الفرنسيه هي اللغه الوحيده التى تحقق الشهرة والعالمية فاننا نقول له : إن اية لغة فى العالم يمكن أن تكون عالميه اذا ما عرف مستعملوها كيف يطورونها ويطوعونها الى أغراضهم . والدليل على ذلك اللغة الروسية واللغة اليابانية وحتى اللغة العبريه ، فان اصحابها يؤمنون ـ حاليا ـ بإحيائها . وهم يتعاملون بها ومعها على أساس أنها لغة حية أما الذين يكتبون بالفرنسية فى المجتمعات غير الفرنسيه ـ وخاصه تونس ـ فلا نعتقد أنهم مقروؤون أو محظوظون في بلدانهم الاصليه فما بالك في غير بلدانهم ؟

ولا بد أن نشير في النهايه الى المهرجان الآخر الذى اقيم بقاعه العـروض الفرنسيه من قاعتي الالقاء وهو مهرجان يشتمل على معرض لبعض اللـوحات الزيتية والرسوم التعبيريه المجسدة لبعض القصائد ، وقد اشترك فيه كل من الحبيب بوشى وعبد الدائم أسامة وماريتير وعلي فنجان وآنيك لونوير وناصر خمير وأحمد ذئاب وغيرهم .

أما الصالون الخامس للكتاب الذى أقيم بالقصر الكبير فانه ركـز بصفـة خاصه على انتاج الكتاب الفرنكوفونيين الذين اختاروا اللغة الفرنسية لغـة تعبير وإبداع وقد لاحظنا احتفاء كبيرا بهؤلاء الكتاب على الصعيد الاعلامى .

عبد الله مالك القاسمي

دائـــرة الانهيار

شعر: البشير المشري

— ① —

بَهَرَتْنِي المَدِينَةُ بِالنُّورِ ..
أَنْهَتْ أَوَامِرَهَا لِفُؤَادِي ..
بِأَنْ يَتَرَجَّلَ فِي فَيْئِهَا ..
فَتَحَتْ لِي النَّوَافِذَ
غَارِقَةً فِي الشَّذَا
فَدَخَلْتُ وَكَفِّي عَلَى خَافِقِي ..
جَنَّةٌ هَذِهِ ؟ وَالشَّوَارِعُ
مُقْفِرَةٌ .. وَالرِّيَاحُ المَرِيجَةُ بِالحُزْنِ
تَعْوِي هُنَا وَهُنَاكَ ..
دَخَلْتُ المَدِينَةَ .. فَانْتَحَنِي غَيْمُهَا
بِالسُّؤَالِ : لِمَنْ تَتَبَرَّجُ صَفْصَافَةُ القَفْرِ ..
وَالرِّيحُ مَسْكُونَةٌ بِالهَوَاجِسِ ؟
هَذِي المَدِينَةُ فَاتِنَةٌ تَتَرَصَّدُنِي
عِنْدَ مُفْتَرَقِ الطُّرُقَاتِ الطَّوِيلَةِ ..
تُذْرِعُنِي وَجَعاً وَتُرَاوِدُنِي عَنْ سُبَاتِي

وَأعْرِفُ أنّيَ فِي عُمْقِهَا زَوْرَق
تَتَقَاذَفُهُ الرِّيحُ وَالنَّوْءُ وَالأَزَمَاتُ ..
وَلِي مَوْعِدٌ فِي غَدٍ مَعَ كُلَّ تَفَاصِيلِ
قِصّتِنَا الأَزَلِيَّةِ .. يَا وَجْهَ مُلْهِمَتِي الفَجَرِيَّةِ
يَا رِيحُ ! هَلْ تَهَبِينَ لِقَلْبِي دَقِيقَةَ صَحْوٍ لِيَرْحَل
فِي حُلُمٍ دَافِقٍ وَيُصَلِّي عَلَى شُرْفَةِ الإِنْهِيَارِ
فَإِنِّيَ أَمْتَلِىءُ الآنَ بِالبَوْحِ حَتَّى حُدُودِ القَرَارْ ..

* * *

— ② —

عِنْدَمَا فَاتَحَتْنِي عُيُونُكِ بِالإِنْهِيَارِ عَلَى شَاطِئَيْكِ ..
تَلَفَّتُ كَيْ أتَمَلَّى الثَّنِيَّةَ .. كَانَتْ رُبُوعُ بِلاَدِيَ
سَابِحَةً فِي قَرَارِكِ .. كُنْتُ أنَا تَمَرًا طَازِجًا فِي يَدَيْكِ ..
فَهَلْ تَعِدِينَ فَتَاكِ المُسَافِرَ فِي الغَيْمِ بِالإِنْتِشَارِ
عَلَى هَضَبَاتِهِ . . فَانْسَكِبِي مَرَّةً يَا نَوَافِيرَ وَاتَّحِمِي بِالمَفَاصِلِ
كَيْ تَرْتَوِي نَزَوَاتِي .. فَمِنْ زَمَنٍ لَمْ يُكَحِّلْ حَنَانُكِ جَفْنِي ..
وَمِنْ زَمَنٍ لَمْ أرَ النُّورَ خَارِجَ دَائِرَةِ الإِرْتِمَاءِ الجُنُونِي
فِي مُدُنِ الدَّهْشَةِ الشَّبَقِيَّةِ .. سَيَّجْتُ خَارِطَةَ الحُسْنِ
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ شَبَابِكِ بِالسِّحْرِ .. أغْلَقْتُ فِي وَجْهِ مَنْ
عَشِقُوكِ النَّوَافِذَ حَتَّى تَكُونِي لِعُمْرِي المَحَطَّةَ وَالمَرْفَأَ
المُتَجَدِّدَ .. هَنْدَسْتُ فِيكِ الثَّنَايَا الَّتِي ابْتَلَعَتْ عُمُرِي
سَاعَةً .. سَاعَةً .. وَرَنَوْتُ إِلَى مَا بَنَيْنَاهُ .. كَانَتْ بِنَاءَ النَّمَا
مِنْ هَبَاءِ التَّصَوُّرِ .. مَاذَا ؟ أنَا وَاقِفٌ هَهُنَا وَالمَوَاكِبُ
تَجْرِي .. فَهَلْ تَتَوَقَّفُ قَافِلَةُ المتعبِينَ وَهَلْ تَتَبَرَّجُ لِي

شُرْفَةٌ فِي قَيَافِي المَدِينَةِ .. ؟

* * *

عِنْدَمَا فَاتَحَتْنِي عُيُونُكِ بِاللَّحْظَةِ المُشْتَهَاةِ تَهَاوَيْتُ
فَوْقَ هِضَابِكِ كَيْ يَتَوَازَنَ نِصْفِي المُكَبَّلُ بِالشَّجَنِ البَرْبَرِي
وَأَلْقَيْتُ لِلرِّيحِ مَرْكَبَتِي .. فَتَقَاسَمْتِ أَنْتِ وَكُلُّ الدُّرُوبِ
الَّتِي أَرْهَقَتْنِي الحَصِيلَةَ .. دَمَّرْتِنِي وَتَنَاءَيْتِ عَنِّي ..
وَمَازِلْتُ فِي وَطَنِي نَوْرَسًا هَائِمًا ..
عِنْدَمَا فَاتَحَتْنِي عُيُونُكِ بِالبَوْحِ .. فَكَّرْتُ أَنْ أَتَوَغَّلَ
فِيكِ .. وَأَبْنِي عَلَى شُرُفَاتِ المَدِينَةِ مَخْدَعَنَا .. وَتَرَاجَعَتْ
مَذْعُورَةً أُمْنِيَاتِي ..
وَمَسْكُونَةً بِالأَسَى دَائِمًا ..

* * *

— ٣ —

كُنْتِ لِي نَغْمَةً تَرْتَمِي فِي القَرَارْ ..
كُنْتِ لِي أُفُقًا ..
وَنُجُومًا ..
وَزَنْبَقَةً وَمَحَارْ ..
كُنْتِ لِي زَمَنًا
بِالمَفَاتِنِ يَحْلُمُ ..
يَغْفُو عَلَى رَبْوَةِ الإِخْضِرَارْ ..
آهِ .. يَا وَطَنِي ..
إِنَّنِي مُتْعَبٌ ..
مُتْعَبٌ .. وَالمَوَاسِمُ تَغْدُو .. !!.

البشير المشرقي

أبي في رحاب الله..

بقلم: د. نور الدين بلقاسم

هذا أول عيد (*) يا أبي (1) أعيده بدونك وأنت في رحاب الله !..

هذا أول عيد يحلو فيه مجلسنا .. ببجنتا منك !..

هذا أول عيد يا أبي أحس فيه بالغربة والوحشة والفراق ..

منذ ساعة كنت واقفا على تراب قبرك ، وكان وهمي يصور لي أنك ستقوم – بعزمك القوي الذي عهدته فيك – لتحضنني كما تعودت احتضاني ، ولتدعوني الى الجلوس بقربك ، فتسألني عن كل ما يهم مستقبلي وحياتي ، وتوجهني وترشدني ، وتفتح أمامي أبواب الأمل من جديد ، وتحط عني – بلطفك وعطفك – أوزاري وأتعابي

(*) جبيرة – منزل حشاد في يوم عيد الفطر 29 رمضان 1405 هـ. / 29 جوان 1984 م.

(1) ولد أبي بلقاسم في 8 جوان 1908 بجبيرة – منزل حشاد ، وتوفي يوم الجمعة 3 فيفري 1984 .
حفظ القرآن وعلمه .
وخلال الثلاثينات سافر الى بلاد الشام ضمن الجيش الفرنسي ، وعاش سنتين هناك .
وعندما قامت الثورة التحريرية في تونس تحمس لها كثيرا ، فأعان الثوار وآواهم في بيتنا .

فوق قبرك قرأت ثمنا من القرآن ، ونصدقت ترحما عليك ! وكنت أشعر أن ذلك أقل ما أقدمه إليك في يوم عيد كنت لا نفارقني فيه ولا افارقك .

كان موتك يا أبي مثل حجرة سقطت على راسي فأفقدتني توازني وسببت لي قلقا مستمرا ، وحملتني أعباء البيت والمزارع ، وهي أعباء كنت لا أعتم بها وأنت على قيد الحياة .

وقد زاد قلقي يا أبي لأنني أحسست بإرهاق شديد وأنا أسعى الى التوفيق بين مطامحي العلمية وحبي الاطلاع على المجتمع والحياة وبين الحفاظ على تنفيذ وصيتك في رعاية بيتنا الكبير بالريف ومزارعنا (2) .

ثم هاأنذا يا أبي ، فإن كل حجرة في هذا البيت تذكرني بك ، وكل شجرة لوز وزيتون وخوخ وتين زرعتها يداك الكريمتان ـ في هذه المزارع ـ ترسم خيالك الفارع أمامي ، وتعيد الى ذاكرتي ملامحك المحبوبة الى قلبي .

لذلك ساحاول يا أبي قدر جهدي أن أحافظ عليها لأنها تمثلك أنت جهدا باقيا وعطاء مستمرا لم ينته بمماتك ، بل جعلك هذا الجهد تتحدى الموت والزمن وتفرض نفسك عليهما فرضا ، مثلك في ذلك مثل الرسام والنحات والشاعر والمفكر .

أنت خالد يا أبي ، لأنك كنت من المصلحين في الارض . فها إن ما زرعته ياكل منه الانسان والطير والبهائم !

انت خالد في ضمير الحياة لأنك اثريت الحياة !

كم كنت عظيما يا أبي في عيني لأن الدنيا كانت صغيرة في عينيك ؛ ولأن متاع الدنيا وسخ ـ كما كنت تقول ـ تغسله مفاجآت الأيام !.

---

(2) اشتغل بالفلاحة بعد الخمسينات الى أن توفي وكان شعاره : (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) . وكان رحمه الله كثيرا ما يردد على مسامع محدثيه قوله : « الرجل يربط من لسانه » و « العرض كالثوب الأبيض اذا لم نحافظ عليه يتسخ » و « وافعل الخير في أهله وفي غير أهله » و « بركة الكسب الزكاة » و « الصدقة تدفع الشر عن فاعلها » .. الخ .

وكم كنت قويا على نفسك لأنـك كنت دائما خارجـا عن سلطـان البطـن والجسد ، فترى أن الثوب يغسل اذا تدنس ، أما الشرف اذا لاط به العـار فلا غسيل له !

وكم كنت حريصا على أن لا تحكم بالظن ، ولا تتكلم الا بعد أن تـزن مـا تقول ، ولا تطمع فيما فى أيدي الناس ما دامت يداك خاليتان منه !

وكم كنت حريصا على ان لا تؤذى أحدا بيدك أو لسانك ، ولا تغتابه ، ولا تحط منه لترفع من نفسك ، بل كنت تعفو وتصلح وتقنع وتقرب ولا تبعد !

وكم كان للضيف أو الغريب او المنقطع عن الاهـل فى رحـابك مـأوى وراحة وحنان !

رحمك الله يا أبي !

فكم كنت معطاء !

وكم كنت صبورا على الشدائد !

وكم كنت شما وفيا !

وكم كنت تمارس البطولة بلا ضجيج !

نور الـدين بن بلقـاسم

من قصائد الاعـداد القادمة

ومن قصائد أصدقاء

أنا لستُ هُنا ، الآن

قصيد : محمد مصمولي

جسدا محشوا بالعبوات ،
بزلازل العمر ،
صعدت جارتي
كالجمر ·
من غيوم القلب ،
إلى واحة الجفن ،
صعدت دمعتي
كالجمر ...
ودفقة ضوء مخترقة لأقنعة
القمع والقهر ،
فاضحة لأسرار البر والبحر ،
تدلت جارتي
كالبدر
من عباءة الليل الجريح
تدلت
كالبدر ..
الا يا رغبة في البكاء ،
ضمي نقطة ..

ثم عودي الى السطر
وارحلي ..
فقد ولى عهد « قفا نبك »
وخنساء صخر ،
ارحلي ، يا جارتي ، يا دمعة ،
وإلا مارست ضدك ..
فصلا من الضحك ..
في السر وفي الجهر ...

* * *

انا لست هنا ..
الآن ،
يا المكتسحة لكبرياء البركان ،
ايتها الجارة الجريئة ،
المقبلة كالطوفان ،
والتي كالطوفان ، لا توقفها
لا الابواب ولا الجدران
ولا انفجارات البركان

انا لست هنا ..
الآن ،
لقد رحلت مع النسيان
فى اللامكان ..
احرقت مراكبى كلها ،
وضعت وضاع العنوان ..
فمعذرة ، آنستى الصاعدة
كالجمر ..
من غيوم القلب ..
إلى واحة الجفن ..
وليس انا من يبكى بالعين ..
غدر الزمان ..
غدر إنسان هذا الزمان ...

* * *

كابح للجماح انا ..
صامد فى وجه الرياح ..
كالرمح ..
وكل جراح الآخرين
جرحي ..
فضعي ، آنستي ، نقطة
ثم عودي الى السطر
وإن بكيت انا بالدمع ،
« فلانزل القطر » ..
ولا كنت ، كما تعلمين ،
مفردا بصيغة الجمع ..
فارحلي ، فارحلي ،
الآن
يا زائرة بغير استئذان
لقد ولى عهد « قفا نبك »
وخنساء صخر ،
قلبي الجريح ، هنا ، غابة ،
مدججة اشجارها ،
بصواريخ من الصبر ..
دونها البر والبحر ..
دونها السر والجهر ..

3 / 5 / 1985
محمد مصمولي

الاسم الموصول

قصة : ابو بكر العيادي

تنتصب جذعا خاويا وسط الاشجار الوريقة التى تحجبه المبنى الرسمى ، ترمق الباب العريض ذا المصراعين الضخمين وتظل تنتظر ويطول انتظارك فيلسعك البرد . تتدثر في قشابيتك اتقاء سياط الريح الغربية وتنهشك عيون الغادين والرائحين . تحط عيون غريبة رحالها عليك ، تدنو منك ، تحاصرك ، تتشابك نظراتها وتتضافر وتعود تتفحصك كمعلم من معالم المدينة . تلهج الالسن برطانة وتدنو منك متوددة ، تشيح بوجهك عنها دون ان تفهم طلبها ، يلاحقك لسان عربي .

ـ يدفعون لك في المقابل ما تريد .

ولكنك تتصامم وتركز نظرك على الباب العريض وقد دبت بعتحته حركة نشيطة . دقيقة .. ثلاث، عشر، لن يتأخر وستعبر الشارع جريا حال خروجه. جريا ؟ تتحسس ركبتيك وخاصرتك فيورق في وجهك الالم . لم يشنهم شيبك ولم يرحموا سنك ، نهروك في اليوم الاول وشتموك وعدت ثانية فدفعوك وأوقعوك وركلوك ، وعانق وجهك اديم هذه الارض للمرة الثالثة في حياتك .

تذكر انك ارتميت طوعا في بنزرت تدفىء كيانك بحماها وحين أتاك حديث ماردو عفرت جبينك بطيب ثراها ، ولكن لم يجل بخلدك قط ان اللقاء الثالث سيكون عنيفا . واختلط دمك بدمعة انحدرت على خدك كحمم بركان . لطالما سالت منك دماء ولم تنحدر من عينيك دمعة . تناوبت على ظهرك متاريس البوليس وسياط الجلادين تقلع عظامك وتمزق جلدك ، حتى ألفت دماءك السجون وظللت ضرغاما ما يزار في الحديد ولا يهاب ورد الردى . تذكر الموت متكبر نقطة الالم في صدرك ، وتلفك غمامة شفافة واهنة تحملك الى حيث لا

تدرى . تتبدل معالم الاشيــاء وتتــلاطم الصور ويطــل من وراء الغيــم أبــوك بشاشيته القرمزية التى كان يعتمرها وجبته القمــراية التى كانت لا تفــارقه يشكو الوحدة والوحشة ولفح الزمهرير ، ويرجوك مده بما يبعث الدفء فى شرايينه الهامدة . وترددت فبرنسك اللدن لم يطوق كتفيك بعد لكن أباك يلح مرتجفا فتسلمه اياه والالم يعتصر كيانك . وافقت مذعورا تنسل نظراتك عبر غابة الليل الموحش وتبغى تجوس فى معطفات الخيال ونهيم فى دروبه . ومن الغد يلتحق ابنك الاكبر بأبيك . تهيل على قبره التراب وترتد كثيبا يمور الالم فى صدرك وتنقلب المشاهد فى ناظريك شوهاء بشمة وتعود تردد :

« الطريــق » « الطريــق » .

ـ صورة واحدة ولك ما تريد .

ويقتحم الصوت هواجسك ، ترفع رأسك فجأة . تجيل بصرك حــواليك . تبصره ممحها نحو المرسبدس فتتذكر ديكك « السوري » فى مطلع كل فجر ، تغوص فى الذكرى حتى تكاد تنسيك ما لاجله قدمت ، تتحامل حتى الطــوار المقابل ملوحا بطرف اصفر صارخا :

ـ سيدى سيدى من فضلك .

ينفتح باب « المرسيدس » .

يهم بالركوب ولكنه يلتفت صوب الصوت ، يصمعك بنظرات مقيتة ويتقدم نحوك رجاله ، فى أعينهم نظرات ليست غريبة عنك ، نظرات تورق فى النفس ذكرى سحيقة القدم ، كنت تظن انها رحلت الى غير رجعة ولكن هــا هى ذى أمامك تزحف نحوك وتعريك . تستعد للوكز والرفس والركل ولكنهم باشارة منه خفية يتوقفون قبل أن تلامس ابديهم قشابتك . ويتقدم منك مفتر الفم عن ابتسامة عريضة مربتا على كتفك . سائلا عن حاجتك .

تداخل الزمان والمكان فى مخيلتك ونزت حبيبات عرق من جبينك وشغلك الذهول عن عرض طلبك . تغوص عيناك فى هذا الوجه الذى لم يعرف الشمس . ياخذ من يدك الظرف فيما كان بصره يجتازك الى ما خلفك ، تلتفت فــاذا الغرباء يلتقطون صورا تذكارية .

* * *

ينصرف المقرئون ويظل الرجال على البساط الباهت يتطامنون ، تتقارب رؤوسهم فتصلك همهمات وزفرات من قلوب وجيعة فيهيج بك الشوق الى وحيدك وتعتصرك الذكرى اعتصارا . تحت ظلال الاوكاليبتوس الوارفة وجدته ، لحما مخذعا وسط حطام مركبته ، نراقصت الارض تحت قدميك ومال جذعك حتى انهار وصحوت على أصوات الحاضرين يواسونك . قالوا : « انزلاق » وقالوا : « سرعة » وقالوا : « فوران الشباب » .

كنت ساهما ترمق الاخاديد المنشقة وسط الشريان المرقط كجلد افعى ، ذكرتك رؤيته بسنى القحط وامتد بصرك غير بعيد فوقع على هيكل من الحديد كان بالامس القريب سيارة .

هناك قبرت آمال وانتحرت أحلام وفحمت نفوس .

فيظلمة الليل الساجي يرتفع عواء حاد ينتشلك منشرودك. تتأمل الحاضرين. وجوه اليفة . على اديم هذه الارض صهدتها الشمس وغسلتها الانواء وبعثرت أوراقها ريح الخريف .

يسالك اخوك :

ـ انظن أما فعلناه صائب ؟

فلا نجيب . كنت مشدودا الى تلك الابتسامة التى أضاءت وجهه الصارم فجأة . فاجاه العرض كما فاجاتك يده الطرية وهي تلتقط أصابعك وتضمها ، واندفعت انفاس الكبر تنفخ صدرك . في تلك اللحظة احتقرته شعرت بأنك قوي رغم ضعفك. اقوى منه تمنحه ما لا يقدر أن يعطيك عشره. في البدء بدت على وجهه الريبة ، وجه نحوك نظرات مهددة ولكنك بددت سحب الشك التى رانت على قلبـه :

ـ اردنا أن تكون للجهة « شخصية » تشرف بذكرها .

فتصنع الجد محاولا كتمان فرحه ، ومنحته باسم الرجال قطعة من الارض «الظهرية» يفعل بها ما يشاء .

يتململ ابن عمك في مكانه ويقول فيما يشبه الهمس :

ـ حين يتم البناء والتسييج سنعرف ان كنا على صواب ·

* * *

تمضي أيام ، تضع بقربك عجلا . تموت احدى عنزات أخيك . يعض كلبك غريبا . ينفض عقاب على فراخ فيصيب واحدا ، ينبت العشب على قبر ابنك وتبرز اقحوانة صفراء فاقعة ، تتفتح اكمام الزهر وتتحلى اشجار اللوز والمشمش والاجاص بالوان بديعة · وتطل معلقا بالمسكن الجديد ، تبني مع لبناته احلاما وتعد وتنتظر .

وحين ينتصب على الارض « الظهرية » شامخا يهرأ ببيوتكم ، يقيم صاحبه حفلا ، ولا يدعو من رجال القرية احدا · لا يهمك ذلك كما لا يهمك أنه بعث من الغد رجاله يوزعون بقايا الاطعمة والشراب ، كنت تنتظر شيئا أهم ·

ولم يطل انتظارك . في بداية الاسبوع الثالث تمتق على ضجيج يذكرك بتحركات الوحدات العسكرية ، وحين تطل تكون المنساحات والجرافات والجرارات والشاحنات والمرداسات تصطف على قارعتي الطريق وسط أكداس الحصى والحجارة وبراميل الزفت ·

أبوبكر العيادي

من مكتبة القصة التونسية

زيتونة الدم القديم	محمد الطاهر الضيفاوى
ويبقى السؤال	جلول عزونه
رجل لم يقل كلمته	على ساسى
الدوران في المنحى المعاكس	محمد الدرويش
طريق المعصرة	محمد العروسي المطوى

نقطة استفهام .. نقطة إعجاب

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

إلى شفيقه مع الاصرار على أن الفن
معانـاة تـؤمن بالتفتح على المنغلقين .

يا نقطةَ استفهـامِهـا .. مـاذا يكونُ جوابي ؟
هَبْنِي سكتُّ .. هَلِ السكوتُ علامَةُ الإعجابِ
قالت : — « عرفتُكَ لا تُجيـدُ تلعثُمَ المرتابِ
انطقْ .. فليسَ الصمتُ للشعراءِ .. والكُتَّابِ »
فأجبتُ : — أخشى إنْ نطقتُ رفعتُ عنكِ حجابي
قالت : — « أنا امرأةٌ أعيشُ الفنَّ دُونَ نِقابِ
أنـا لا أخـافُ إشـارةَ الإبهـامِ والسبَّـابِ »
قلتُ : — الإشارةُ رُبَّما ... ماذا عنِ الألقابِ ؟
« لو تصدقُ الألقابُ ، قالت ، ما لبستُ ثيابي »
قلتُ : — المرأةُ ملِكَةٌ . قالتْ : — « وذاك مصابي
بل في المـرآةِ حقيقـةٌ والزيفُ في الأثوابِ !
إني أرى (ربطاتِ أعناقٍ) بدونِ رقـابِ !

وأرى شفاهــًا خلفها صفّ مــنَ الأنيــــابِ !
وأرَى المُلُوكَ تصنّمتْ .. والمُلْكُ للحجّابِ !
وأرى قشــورًا فوقَ فــاكهةٍ بغيرِ لُبَــابِ !»
قلتُ : — اسمحي لي يا شقيقَ أتقصدينَ جنابي ؟
ضحكتْ وقالتْ : — « لم يكن خوفي من المجرابِ
بلْ مِنْ صحيحٍ سالمٍ يعْتَلُّ خلفَ البابِ ! »
حدقتُ فيها هامِســًا بالحرف لا الأهْدَابِ :
— لكن لماذا تدخلين مزالجَ الأبــــوابِ ؟
شَرَدَتْ قليلا .. شرّدَتْنِي في حضُورِ غيابي ..
قطعَتْ شُرُودي لمسةٌ بنانها اللّهّــابِ ..
فرجعتُ منّي نحوها .. أُخفِي ارْتِجافَ تُرَابي ،
قالت ، وقد غرستْ بريقــًا في ضباب هضابي :
— « تبــــلى الســـنينُ التي فيها زرعت شبابي
أأبيعها ؟ كلاّ ! نعم ! إلا لعُودِ ثقابِ
النارُ أرحمُ .. لستُ ممسَحَةً عــلى الأعتــابِ »
قلتُ : — (الاذاعة) ما بها ؟ قالت : « علام عتابي ؟
أتظنُّنِي قــدْ ضُعْتُ بينَ تعدّدِ الأبوابِ ! »
فأجبتها : — كلا ! أرى شفقــا يلفّ سَحَابِي .
قالتْ ، وقد ضحكتْ : — « لقد كثُرت به خطابي
ما جئتُ أبحثُ عَنْ عريسٍ .. عن هوًى كذّابِ

بَلْ جئتُ للابداعِ .. نحوهُ قد رفعت خطابِي
إنْ كانَ أبكَمَ أو أصَمَّ ففيهِ أغرسُ نابِي ..

غـردنُ الفسائـل ينضحُ الفنانُ منـه شـرابي ..
الفن يهتفُ بيِ : تعاليْ يا شفاهَ رُضـابـي »

* * *

شفـة أنا .. شفتـايَ قـدامـي تخبّ ركـابـي
فلتضحكا .. ولتتركا التقطيب للأقطـابِ

يا هيبـةَ الأقطابِ كَـمْ تُخفِيـنَ غيرَ مُهابِ !
ماذا على شَفَةٍ تمرّ عـلى غوابِ الغـابِ ؟

كالسهمِ تمـرقُ .. تهمسُ الأضـراسُ للأنيـاب :
(هل هذه حباتُ عنقُـودٍ مِـنَ الأعنابِ ؟

أم لـوزة هـذي بـلا قشـر مع الأكـوابِ ؟
بل هذه « حبّ الملوكِ » ودوحـةُ العنّـابِ !)

ورد تمنّعَ قضمُـه عـن اكلِ الأعشـابِ
أحببتـه .. والحـبّ كـم ألفـتُ منـهُ كتابِي !

إن كـان إعجابِي بـهِ قد بـات يكشف ما بـي
ماذا عـلىِ إذًا كشفتُ الحـبّ للأحبـابِ ؟

* * *

فـي معبدي شَفَـقٌ يطـاولُ قـامـة المحـرابِ
شـفـقٌ تحـرّكَ فـوقَ ركـحِ رَشاقَـةٍ وشبابِ

شفقٌ جميلٌ لا يجيد تلحفًا بسراب ..
ليسَ الجمالُ تعلُّقٌ بتخلُّفِ الآدابِ
ليس الجمال تخلقٌ بتزمُّت الأعصاب
إن الجمال تحركٌ يقوى على إرهابي
وهو الضياع أمامَ روعته فقدت صوابي
وهو استطاعة ما به حولتُ وجهة بابي
وهو التعذّبُ في غيابه استلذّ عذابي
وهو التوغُّلُ في عيونه كم يطول غيابي !
وهو التداخلُ بينَ وجداني وبين إهابي
وهو السفينة للشبابِ لرحلة الألعابِ .
شفقٌ يفيضُ بنقطة للضوء بين ضبابي
فإذا الغيومُ تحومُ حولَ شعاعه المنسابِ
وإذا الهجومُ على النجومِ بداية لخراب
يا للخرابِ إذا غدا الفلاّحُ كالقصّابِ !
يقضي على الأغصانِ في باكورة الإخصاب
هي نقطة لا غير .. كيف بها يضيقُ رحابي ؟
ولكم أرى من قد يضيقُ لأتفه الأسباب
من أغرقته بنقطة من بحرها الجذابِ
يتهفتْ .. هي الأمواجُ كمْ بلعتْ من الركابِ
للصائدين يكونُ بطنُ الحوت خيرَ جرابِ !

الصادق شرف

85/3/12

خمس قصائد لفايز أحمد فايز

تعريب : مصطفى الفارسي

فايز أحمد فايز (1911 ـ 1984) شاعر باكستاني دائع الصيت فى ارجاء العالم شرقا وغربا جنوبا وشمالا وهو كفيلسوف يعتبر من الابناء الروحيين لمحمد اقبال • نشرت منظمة اليونسكو سنة 1972 مجموعة شاملة باعماله وفي عام 1973 صدرت له مجموعة شعرية بعنوان «اى ساه سانج» باللغة الاوردية (اصابع تحت الصخر) •

كان ـ رحمه الله ـ احمد مؤسسي الحركة الادبية الآفرو آسيوية التى انطلقت من ندوة طشقند عاصمة اوزبيكستان سنة 1958 وشغل منصب رئيس تحرير مجلة «لوتس» الناطقة باسم اتحاد كتاب آسيا وافريقيا من سنة 1978 الى تاريخ وفاة يوسف السباعي الذى شغل نفس الخطة من 1968 الى 1978 •

احرز :

ـ جائزة لينين الادبية للسلام سنة 1962 •

ـ جائزة «لوتس» الادبية لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا سنة 1976 •

ـ جائزة درع الثورة الفلسطينية للفنون والآداب سنة 1982 •

صديقه الاستاذ مصطفى الفارسي نائب رئيس تحرير مجلة لوتس وصاحب جائزة «لوتس» لسنة 1983 ممن تولوا تابينه ونقلوا بعض اشعاره من الانكليزية الى العربية • وهو يهدي قراء «الفكر» هذه القصائد الخمس •

1 ـ انصت يا قلبي

انصت ... هناك من يناديك يا قلبي
ويكرر النداء
لا .. لا احد يدعوك ويقصد اليك
لربما هو عابر سبيل يطرق بابا آخر
الليل يتخثر وتتناثر النجوم هباء
وفي البيوت القصية
مصابيح ناعسة بدأت تترنح
كل المسالك تغط الآن في نومها

وقد انهكها الانتظار
ويمحو آثار الاقدام عفر غريب
اطفيء الانوار يا قلبي
وابت بالخمر والحساء
اقفل ابوابك التي لا تنام
فلا احد سيطلع عليك الليلة
لا احد ...

2 ـ اعتزال مطبق

انا لا يحزنني ان اجرد
من مالي ومن قلمي ومن اوراقي
ما دمت اغمس في دم قلبي
اصابعي

ولن احفل بالختم الذي وضعوا على فمي
فلقد اعطيت الكلمة نيابة عني
لكل حلقة من حلقات قيدي .

3 ـ كوني بجانبي

انت اقتربي مني
يا قاتلتي يا حبيبتي
عندما يبدأ الليل مسيرته
وقد ارتوى من دم السماء
عندما يرخي الليل سدوله
وقد امتلا انتظارا للضحكات والاغاني
وخلاخله الزرقاء تئن من تلاطمها
في الكعاب
كوني بجانبي
عندما تنهار القلوب
وقد اعياها البحث عن اياد صديقة
مدسوسة في اكمام معاطفها

وعندما يشبه صوت الخمرة النازلة
عويل طفل في خطر يرفض المواساة
كوني بجانبي
عندما تفقد الكلام كل تاثير
وينحبس في الراس كل تفكير
وينشر الليل ستائره علينا
وهو يتحرك مدلهما حزينا
متزرا في كآبته الجرداء
كوني بقربي
يا قاتلتي ويا حبيبتي
كوني بجانبي ...

4 ـ يــا قلبــى فاقــد الصبــر

الظل المكثف
متلاحق كالامواج المتلاطمة
بلا نهاية
كانما ينفجر من كل شريان الليل
دم خاثر قرمزى
نغل فى مرجله دياجير مدلهمة
ونبض الكون برمته
بدق كانما انذهال العالمين انسحب
مخلفا وراءه العياء
وضربا من الالم
يسوط الجسد باكمله .
دم الليل هذا الذى يفور دافئا
ليسيل اكثر فاكثر فى جداول
لان هذا الظل ذاته
هو ذلك القشر الذى
سيضفى على الصباح الجديد
بريقا احمر وهاجا
ولان اشعة الفجر الطالع
يا قلبى المتلهف فاقد الصبر
ستنبجس ولا ريب
وما عليك الا ان تنتظر قليلا .
إنا لنسمع دائما
رجع الصدى
من اوتار الآلات الموسيقية الحساسة
صدى لأزيز القيود

فقبضة المصالح المادية العاتية
ما زالت قاهرة سليطة
فى الخمرة المرغية الحمراء كالدم
تسيل مع الرحيق دويبات عضوضة
كما يبقى فى الارجل المترنحة
بصيص من احترام
التقاليد الموروثة
والعادات المتبعة المضبوطة
لكن تمهل قليلا
انتظر اليوم الذى سيستحيل فيه كل شىء
الى جنون هائج
وتصبح خماراتك المتواضعة الخجول
حانات تتهاطل فيها الخمور
حيث يسكر الناس حتى فقدان الشعور
سكرا متوحشا يائسا
فعندها ينتثر فى الهواء
جزعنا من المال
وثقل التقاليد الموروثة القاتل
سينزاح بدوره ويندثر
ولن تبقى ترن فى آذاننا
الا طقطقة ضعيفة خافتة
لتلك القيود

5 ـ بيـــــروت

(الى بطل الثورة والشعب والوطن ياسر عرفات)

بيروت ، يا حبيبة الكون
بيروت يا اخت الفردوس
مرايا عيون الصغار الضاحكة
تهشمت اوبـــا
تضيء الآن كالنجوم
شوارع هذه المدينة
وارض لبنان تالقت
بيروت يا حبيبة الكون
الوجوه التي ازدانت فتنة بالدماء
تضيء الآن بانعكاساتها الملونة شوارع المدينة
وارض لبنان منبهرة

بيروت يا حبيبة الكون
كل منزل منهوب وكل اثر مدمر
يعادل في أبهتـه قصـر الامبراطـور داريوس
وكل مجاهد يغبطه الاسكندر
وكل فتاة تفوق ليل جمالا
بيروت يا حبيبة الكون
بيروت قلب ارض لبنان
هذه المدينة وجدت منذ البدء
هذه المدينة ستظل سرمدية
بيروت يا حبيبة الكون .

تعريب : مصطفى الفارسي

ننشر في الاعداد القادمة

هنا خبات قلبي (شعر) .... عبد الرزاق فريفه
من المخطوطات المـوسيقية .... محمود قطاط
صوت الفقراء (شعر بودلار) ...... محمد بن صابر

الجمالية والنقد الإيديولوجي

بقلم : يوسف الحناشي

لعل الحكم السائد ، في الاوساط الفكرية ، أن هناك بونا شاسعا فاصلا بين الجمالية من جهة ، والنقد الايديولوجي ، من جهة أخرى ؛ حتى أن بعضهم يرى عدم التوافق بينهما إن لم يكن التباين الكلي . فهل يمكن أن نستسلم لهذا التصور ؟ أم أن تفحص أصول المذهبين يقر بخلاف هذا الاعتقاد ؟

إن « النقد الايديلوجي » هو النقد الذى ينبني على اتجاه ايديلوجي معين ، يخضع تقويم الأثر الفني الى مبادئه وتوجهاته ، وهو لا يرى فى العمل الفني وحدة منعزلة عن محيطها الاجتماعي والسياسى والاقتصادى والثقافى علاوة على أهم مميزات شخصية الفنان . بل يعتبره نتاج هذه العوامل المختلطة وانعكاسا لها . ولعل تقعيد النقد الايديلوجي قد بلغ ذروة انصهاره مع المنهج المادى الجدلي الذى يقول : إن الأثر الفني رلبد البنية السفلى المتولدة خاصة عن نمط الانتاج والعلاقات الناتجة عنه ، لذا رأى بعض الماركسيين ان يضبط مفهوم النقد الايديلوجي فى كونه « بدل أن يكتفي ، مثل النقد البورجوازى ، بدراسة المفكر او الاديب ، والفنان مقصودا فى حد ذاته أو البيئة ، بالمعنى الضيق للكلمة ، التى تلقى تأثيرها ، أو أن يضع نفسه إثر تعليله لأثر أو لايديلوجية ، فى مستوى مجتمع غير متميز ، فان النقد الايديلوجي الماركسى يجد فى تنزيلهما فى محيطهما الاجتماعي المتصف بالصراع الطبقي . وهو يثبت أن كل أثر فني مهما بدا أكثر انفصالا ، فى الظاهر ، عن هذه الصراعات ، فانه يجد ، فى التحليل النهائى ، تفسيره ضمنها ، كما [يدرك] أن هذه الصراعات هى التى تحدد التطور المسترسل للآراء والاحاسيس والمعتقدات التى لا تشكل غير التعبير الايديلوجي عنها » (1) .

---

(1) Auguste Cornu : Essai de cirtique Marxiste, Editions Sociales 1951

أما الجماليه فهي ميدان معرفي ينظر في مقومات ظاهرة « الجمال » ويحاول ايجاد تفسير لها .

ولكي نبحث في الصلات التي يمكن ان تكون بين « النقد الايديلوجي » الملتزم وبين خصائص الجمالية نرى ضرورة التذكير بأهم المراحل التي قطعتها « الجماليه » في حد ذاتها ، إذ لئن كان النقد الايديلوجي وليد التفاعلات الفكريه المعاصره فان الجماليه ضاربه في القدم ، مسايرة لأبرز الحضارات الانسانية المزدهره ، ولعلها كانت مدار اجتهاد الفلاسفة والمفكرين وعصارة تمذهبهم .

مراحل الجمالية :

إننا اذا حاولنا تقصي اهم الاطوار التي مر بها التفكير الجمالي الانساني يمكننا من اثبات ثلاثة أساسيه ،

لعل المرحله الاولى تمتد الى حد القرن التاسع عشر . وتحديدنا لهذا الفاصل الزمني يعود الى خصائص المفاهيم الجمالية في حد ذاتها . فقد خضعت ، هذه المفاهيم ، إجمالا ، الى خلفيات اجتماعيه وثقافية ودينيه وسياسية أيضا وهي لم تتحرر من أبعاد إيديلوجية اذا اعتبرنا الايديلوجيا - كما يرى ل. التوسار مثلا - انها التصور لعلاقة الافراد (الخيالية) بوضعيه وجودهم الحقيقي » (2) .

ويستعصي علينا الاثبات مجرى التفكير الجمالي هذا ، الاعتماد على جل الاطروحات الجمالية العزيره سواء كانت عند الصينيين او الهنود أو اليونانيين . وكذلك الرومان والعرب قديما ولكننا سنكتفي بأن نضرب بعض الأمثله متخذين إياها نماذج للاستدلال على ما ذهبنا اليه في تصنيف التفكير الجمالي الانساني .

---

(2) Louis Althusser . Idéologie et Appareils idéologiques de l'Etat in la « Pensée » N° 151 1970 p. 24.

فمن هذه المفاهيم الجمالية عند الفلاسفة اليونانيين (3) ما صاغه «هيراقليط» [حوالي 470 ــ 530 ق. م.] من أطروحات جمالية انطلاقا من إقراره بعدم ثبوت قوانين أزلية للنظام الكوني بل رأى تغير الكائنات وخضوعها الى التحول والتبدل ، وفى نظره يكون « الجمال » نسبيا ، وهو لا يتعدى أن يكون ظواهر للعالم الموضوعى الذى ندركه بالحواس ، ويبحث « هيراقليط » عن معادلة تتم بين العوامل المتصارعة المتضاربة فيجدها فى التناسق ، اذ هو ينتج ــ حسب رأيه ــ عن صراع التناقضات .

ويتبين عدم عزل « هيراقليط » الظاهره الجماليه عن نظام الكون ككل .

أما « سقراط » [399 ــ 370 ق. م.] . فهو يعلق نسبية « الجمال » بغايات النفع والافادة ، وعرف « الرائع » بالشىء الذى « يفيد وينفع » . وربط سقراط بالتالى بين « الجمال » وقيمته الاخلاقية ، اذا اعتبر الانسان الأرقى من يوفق بين الهيئة الجسدية الرائعة والقيمة الاخلاقية التى لا تخلو من روعة أيضا ، وأبرز الصفات التي أسندها سقراط للفضيلة هى « سلامة العقل » ، وحصر التفوق بالتالى بين المفكرين والفلاسفة والاسياد عامة . ووجه تفكيره وجهة انتمائه الطبقى الارستقراطى .

ويكاد يكون « أفلاطون » [347 ــ 427 ق. م.] قد سلك مسلكه فى تكريس ولائه الطبقي إذ أنه عاش فى عهد سقوط الديمقراطية بأثينا وانتصاب الاستقراطية لتفرض نمط تفكيرها ومجتمعها على بقية الطبقات ، وذهب نتيجة تعلقه بـ « المثل » الى تهميش المعرفة الحسية واعتبارها متحولة فانية ، واعتبر الحقيقة الثابتة فى عالم المثل ، عالم الافكار . ويدرك هذا العالم ــ فى

---

(3) اعتمدنا لدراسة المفاهيم الجمالية على :
— Ph. gauckler : le Beau et son histoire. Paris 1873.
— Félicien Challaye : l'Art et la Beauté. Paris 1929.
— Gaston Rageot : La Beauté (essai d'Esthétique historique). Paris 1923.
— Lucien Bray : Du Beau : Essai Sur l'origine et l'évolution du Sentiment esthétique. Paris 1902.

ــ موجز تاريخ النظريات الجمالية : تاليف : م. أوفسيا نيكوف ، ر. سمير نوفا ، تعريب : باسم السقا ، ط. دار الفارابى ، بيروت 1979 .

ــ نايف بلوز : علم الجمال ، ط. 1980 ــ 1981 .

نظره - عن طريق العقل لا الحواس . واعتبر الفن ، في محاكاته للحقيقة ، زائفا ، ودعا بالتالي الى نبذه . ولا تخلو هذه المفاهيم من إسقاطات طبقية .

اما «ارسطو طاليس» [322 - 384 ق. م.] فقد عارض مفاهيم افلاطون واعتبر ان « للرائع » شروطا موضوعية ، وصفات موجودة في الواقع المحيط بالانسان ، وهو بالنسبة للكائنات مجموعة من الاجزاء المتتابعة بانتظام، ويخضع ايضا الى نسبية التطور اذ له بداية ووسط ونهاية .

إننا اذا اقتصرنا على هذه المفاهيم الجمالية فحسب من الفلسفة اليونانية يتسنى لنا استنتاج ارجاعها إما لعالم مثل يمثل خلفية حضاريه تتعلق بطبقية معينة أو الى عوامل موضوعية خاضعة الى نسبية الكون عامة .

وبجانب هذه النظريات الجمالية اليونانية ستوقفنا عدة مفاهيم جمالية لا تعزل الظاهرة الجمالية عن مؤثرات خارجية ، فالفيلسوف الروماني « لوكريشيوس [55 - 99 ق. .] قد بنى آرائه من وجهة تحليل مادي للكون الذي اعتبره ليس من صنع الآلهة وإنما هو نتيجة لحركة الجواهر المنفردة وهو يؤكد بالتالي على أبدية المادة وعدم اضمحلالها . » (4) .

أما المفكر الصيني « كونفوشيوس » [479 - 551 ق. م.] فقد حدد للفن مقاصد أخلاقية اذ اعتبره يهذب الاخلاق ويولد الفرح والمتعة لدى الانسان .

اما في القرون الوسطى فان اغلب النظريات الجمالية زادت التحاما بالغاية الاخلاقية وخاصة الدينية منها اذ أصبحت تحت ظل « التيوديزيا اللاهوتي » (Theodicee) الناظر في العلاقة بين العدل السماوي والشر البشري الارضي اذ أن التفسير الديني يعتبر المحسوسات ملوثة بالدنس الارضي ، ولما كانت هذه المصدر الاساسي للاحساس الجمالي فان الفن يتعرض عند ذلك الى نفس الاتهام . الا أن المفكر المسيحي « توما الأكويني » [1225 - 1274] كان قد كلف بتوجيه « علم الجمال » في خدمة اللاهوت المسيحي وسعى الى التفرقة بين ما هو جميل وخير اذ اعتبر الاول يرضي السمع والبصر دون الحواس الاخرى ، ثم اهتم بابراز ظاهرة « الجمال الحسي » وإثبات صفاته الموضوعية .

---

(4) موجز تاريخ النظريات الجمالية ، ص 32 .

وهكذا وظف « الجمال » لخدمة الدين .

أما « دانتي » الايطالى [1265 م. ـ 1327 م.] فقد عارض توما الأكويني ورأى الجمال فى طبيعة الجنس البشرى لا فى الألوهية اذ هي تحمل فى نسيجها طاقة جمالية ثرية . وبالطبع ، فان هذه الطاقة غير منعزلة عن العالم الخارجى بل هى فى علاقات تأثر وتأثير .

ولقد أرجع ج. ج. روسو [1712م. ـ 1778م.] وديدرو [1713م. ـ 1784م.] المادة الجمالية الى الطبيعة ، دون تعميق هذا الاتجاه الى علاقات اكثر اشعاعا مع العالم الخارجى المحيط بالفنان .

أما هوبز الانجليزى [1588 م. ـ 1679 م.] فقد ركز على الجانب الاجتماعى فى تحديد لقيمة الجمالية واكد على نسبية مفهوم «الجمال»، وذهب «هودر» الالمانى [1744 م. ـ 1841 م.] الى تبنى نظرية تطور الفنون وأرجع المادة الفنية أساسا الى الشعب ونفى كل تقعيد لظاهرة الاحساس الجمالى والظاهرة الجمالية .

ولعل أهم النظريات الجمالية التى نستوقفنا فى نهاية مطاف هذه المرحلة إسهامات « كانط » (Kant) و « هيغل » (Hègel) فى تطوير المفاهيم الجمالية . ويمكن أن نلخص نظرية « كانط » الجمالية باعتبار الظاهرة الجمالية نتيجة اللعب الحر للخيال . وبالتالى فهو ما يعجبنا دون مصلحة خاصة، أما الحكم الجمالى فهو غير منطقى بل حسي متصل بالذات .

ولقد سعى « كانط » فى مرحلة أولى من تفكيره الى فصل البحث الجمالى عن الاخلاقي وكذلك عن نشاط الانسان العملى . الا أنه اضطر فى مجرى تحليله الى تجزئة « الجمال » الى جزأين : « الجمال الحر » و « الجمال المرافق » .

وفى حين عدم خضوع « الجمال الحر » الى اى توجه متوقع يخضع اليه الشىء فان « الجمال المرافق » يقارن بين الشىء وتصوره النوعى ، وبالتالى يقع تفكير « كانط » فى التأويل الاخلاقى دون أن ينجح فى تحاشيه ويستنتج « أن الرائع هو رمز الخير الاخلاقى » .

أما « هيغل » فهو يبني نظريته الجمالية على أساس أن الفن يربط العالم الخارجى والمحسوس بالفكر الخالص المطلق ، فهو اذن علاقة بين الطبيعة والانسان ، وهذه العلاقة هى مرحلة ، فى الواقع ، لتطابق الروح من الظاهرة

المتناهية ، وفضل « هيغل » المحتوى الجمالي على شكله . اذ أن المحتوى هو « الحقيقة والروح ما هو إلاهي ، والوحدة بين الشكل والمحتوى هي الوحدة بين الحسي والمطلق » (5) ولا يمنع هذا التفكير المثالي « هيغل » من إعطاء بعد واقعي ملتزم للفن ، فهو في نظره يكتشف أيضا سيطرة القوى العامة في التاريخ، وهكذا يتجلى ان خلف التصوير الحسي للعالم المطلق تكمن المدلولات .

ويعتبر « هيغل » كذلك أن الفن باعتباره ثري المحتوى ، فهو قادر على التدخل في الجدلية التاريخية ، وهو يسهم بالتالي في تغيير الانسان نفسه ، ويجنح « هيغل » في نهاية المطاف الى تبني اتجاه « الفن الواقعي » اذا اعتمدنا في الوئام الذي يوجده الفن بين التعبير الحسي عن المطلق وبين كيان المطلق في حد ذاته ، الى الوحدة بين الطبيعة والفكر الانساني .

وقد انتقد «هيغل» موقف البرجوازية من الفن باعتبار أن تصورها للعمل الاستغلالي وتقسيماته تقتل عند الفنان طاقات التحرر والابداع ويحنط قدراته . فالبرجوازية معادية اذن للفن الحر المعبر بصدق عن قضايا الانسان .

إن هذه المفاهيم الجمالية سواء يونانية كانت أو رومانية أو صينية أو متجلية في عهد النهضة الغربية وما بعدها ، لتثبت عدم فصم الجمالية عن صلاتها بالعالم المادي المحسوس أو بالعالم الروحي ، بل هي معلقة بهذا أو بذاك ، ويمكن بالتالي البحث عن خلفياتها وأبعادها الايديلوجية المختلفة .

مرحلة الفن للفن او انبتات الجمالية :

لقد بعثت هذه الاتجاهات الجمالية العديدة السالفة نزعة « الفن للفن » ، وهو كما يقدمها د. محمد النويهي « ذلك المذهب النقدي الجمالي الذي يقوم على اعتقادين : اعتقاد أن الفن له وجوده المستقل المعزول عن كل شيء خارجه ، فينبغي ألا يحكم عليه بأي مقاييس خارجية ، بل بمقاييس فنية صرف ... واعتقاد أن « الجمال » له وجود جوهري قائم بذاته مستقل عن الماصدقات التي يتحقق فيها تحقيقا جزئيا ... » (6) .

---

(5) نايف بلوز علم الجمال ، ط 1980 ـ 1981 ، ص 209 .

(6) د. محمد النويهي · وظيفة الادب · بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، ط. 1966 ـ 1967 ، ص. 101 .

« أما الاعتقاد الثاني فواضح انه نمية من الايمان الافلاطوني القديم [يقول] بأن للمثل وجودا قائما بذاته مستقلا عن ماصدقاتها لا أنها محض افكار تجريبية ننتزعها اذهاننا من التأمل في الوف الماصدقات الجزئية ٠ وقد ادى هذا الاعتقاد بأصحابه الى الظن بأن التجربة الاستاتيكية او الجمالية هي نوع مختلف من النشاط الذهني لا علاقة له بسائر المعارف الحسية والانفعالات العاطفية والمدركات العقلية ... » (7) .

ويجدر الاشارة الى أن النويهي كان قد ألف كتابه (وظيفة الادب : بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي) ردا على د. مصطفى ناصف صاحب بحث « دراسة الادب العربي » (8) الذي يبني فيه نظرية الفن للفن متخذا بعض الاعمال الادبية العربية نماذج تطبيق . وقد حاول النويهي ان يبرز من خلال رده التعسف المفرط لمثل هذا المنهج على الادب العربي ٠

ولا يخلو اتجاه « الفن للفن » بدوره من خلفيات وأبعاد ايديلوجية اذ قد براهن النقد الايديلوجي على أنه جاء رد فعل إزاء زحف الاتجاه الواقعي ، وهو بالتالي صياغة للانطواء البرجوازي أمام بروز محاور أخرى في التعبير الفني وظف الفن الى الاسهام في تحولات الواقع .

الجمالية الملتزمة :

إن المنطلق الاساسي للتصور الجمالي الماركسي ينزل في نطاق عملية الانتاج ذاتها ومدى انعكاسها على قدرات الانسان في الخلق والابداع .

إن نمط الانتاج ـ في النظرية الماركسية ـ هو المحدد لعلاقة الانسان بذاته أولا ، ثم بالعالم المحيط به ، ثانيا ٠ فكلما كان النشاط الانتاجي غريبا عن الذات ، متنكرا لطاقاتها كان الاحساس الجمالي بعملية الخلق مسلوبا ومتكلفا ، وتتسع دائرة العقم هذه الى العالم الخارجي المحيط بالانسان فتتعزز ظواهر الاغتراب والانفصام . اما اذا تخطى الانسان هذا الحصار لمباشرة عملية انتاج متحررة من أشكال الاستلاب تفتحت ذاته على نشاطه العملي في الكون . فتتسع دائرة الاشعاع الجمالي وتأخذ أبعادها الابداعية الخلاقة .

---

(7) المرجع السابق ، ص 102 ٠
(8) د. مصطفى ناصف : « دراسة الادب العربي » 1966 .

إن الذات الجمالية ، في نظر الماركسية ، ليست بالذات المنطوية على نفسها او المتصلة بالعالم المثالي بل هي ثمرة التطور الذاتي للحياة المادية والاجتماعية وقد تعدت الحدود الضيقة للنماء الاجتماعي الذي عرفته البشريةفي بدايات أطوارهـا .

إن الوجود الحسي ـ حسب ماركس ـ جزء هام من حركه الناس المنتجين خلال التاريخ ومن اسهاماتهم في تغيير العالم وتحويله ، اذ أن الانسان يثبت ذاتيته في العالم الموضوعي لا بفكره فحسب ـ كما يعتقد «هيغل» ـ ولكن أيضا بفيض حواسه ؛ واذا كان الفن فعالية حسية فهو يمثل أساسا وعي الانسان بذاته وقيمة انتاجه ووجوده التاريخي .

وهكذا تصبح كل أنواع الانشطه الانسانيه هـادفة الى توفيـر طاقـات وتظاهرات جمالية تصوغ ذات الانسان وتصلها بالعالم المحيط بها .
وينبني التصور الماركسي الجمالي فيعلاقه الاحساس الجماليبالواقعالموضوعي المؤطر له على ما اصطلح على تسميته بـ « الانعكاس » فالماركسية تعتقـد أنه « بالرغم من اختلافه بين الفن الواقعي والرومنطيقي والطبيعي ، فان انعكاس العالم الموضوعي يبقى دائما فيها انعكاسا ، انه يحافظ على ذلك ويتجلى باشكال عديدة في الشعر ، والنحت وفن المعمار ، والرسم والمسرح . » ففي العـالم الواقعي ، وفي [صلب] الواقع ، يجب البحث عن مصدر الابداع الفني وليس في شعور الذي يخلق مثلما يريد المثاليون ان يحملوا [غيرهم] على الاعتقاد به ... » (9) وهكذا يصبح الفن في علاقه بالواقع « .. في نفس الوقت شكلا للوعي الاجتماعي وشكلا للنشاط الانساني ، يعكس الواقع ، ويسعف الانسان بالارتقاء لادراكه ، أي بتغيير « طبقا لقوانين الجمالية (10) .

فالواقع هو المادة الاساسية للفن ، وهذا الواقع يحتضن صراعات متنوعة يهدف حلها بفضل تطور تناقضاتها الى ادراك الخلاص النهائي من الاستلاب ومهما كان نموذج الابداع لاثر فني ، شعرا كان او نثرا او قطعة موسيقية ، فان هذا الخلق ينبني دوما على الحقيقة الموضوعية ، ان الفنان يعكس ويعبر في اعماله عن الحقيقة الموضوعية التي يعيش فيها أو التي عاشها او سيعيش فيها

---

(9) Esthétique Marxiste et Actualité : «Editions Progrès », Moscou 1972, p 41

(10) Idem. p. 53.

أناس ، فمهما كان غرضه فانه ينقل الواقع (الطبيعة ، المجتمع ، الفكر) الذى يجاهد فيه أناس من أجل مصالحهم ودوافعهم العميقة » (11) .

كما أن العلاقة بين المعرفة النظرية للفنان والواقع الموضوعى ليست علاقة تناقض أو تباين أو انفصام بل إن « فى عمل الفنان نضاعف المعرفة الواقع ، وتجعل من التحرك نحو الموضوعى الثابت بأكثر يسر وعسر فى آن واحد . ونحضر ، فى الوقت ذاته ، على اندماج اكثر تركيزا بين المعرفة والتطبيق ، وعن هذا كانت صعوبة الخلق الفني عامة ، وكانت أيضا خصوصيته التى تمثل ذاتيتـه » (12) .

وهكذا يصبح « الجمال » ـ فى نظر الماركسية ـ جزءا من ذاتيـة الانسـان المحولة للكون ، وجزءا كذلك من الكون المتصل بذاتية الفنان فى نطاق جدلية الصراع التى يجب ـ حسب ماركس ـ أن ينحكم فيها الفنـان ويطوعهـا نحو التحرر من التبعية للانسان الآخر وللطبيعة كذلك .

إن النقد الايديلوجي ـ كما سبق أن بينا فى التمهيد ـ يلتقي التقاء حليا مع هذه الاطروحات المادية الجدلية حـول الجمـالية فـ « الجمـال » خـاصة و « الذوق » عامة هما نتاجا نمط الانتاج الذى يباشره الانسان ، وبالتالى فان على النقد الايديلوجى أن يكشف عن هذا النمط دون إهمـال الخصوصيـات المميزة لذاتية الفنان ، إذ هى ـ كما رأينا ـ لست فى علاقة تقابل أو تباين مع الواقع الموضوعى ـ كما يعتقد بذلك ماركس ـ بل هى نبحث عن انعكاس لها يمثل استمراريتها وتواصلها مع العالم الخارجى ، وكل ذلك امتدادات لوجودها الـواعى .

ويبقى التراث الجمالى بما فيه من عزل للجمـالية عن الـواقع ، وانطـواء للمفاهيم عن العوامل الخارجية ، خاضعا بدوره الى التقويم الايديلوجي الـذى يحدد مدى صلاته بالفن المتحرر الواعى أو بالفن المسلوب البورجوازى .

يـوسف الحنـاشي

---

(11) Idem p. 58.

(12) Idem p. 54.

بطاقة حبّ الى بغداد

شعر: حلمي الزواتي

هذي الملايين اجنادٌ بلا عددِ — فاستنفري اليوم يابغداد واحتشدي

قد فجّرَ الحقَ في أحشائنا حمماً — يومَ اللقاءِ ، فلم نجبنْ ولم نحِدِ

تبخترَ المجدُ نشوانا ومبتهجاً — واستطلعَ النصرَ في بشرٍ وفي رَغدِ

حنا علينا ونورُ الفجرِ يغمرُنا — والعادياتُ بساحِ الحربِ لم تردِ

هذي الشقائقُ من أوداجهم رَويت — واعشوشبَ الروضُ رياناً الى الأبدِ

* * *

حلفتُ باللهِ يا بغدادُ ما كذبت — هذي الجموعُ ولم تكفر بمعتقدِ

قمةُ الجودِ أن نسقي الثرى دَمنا — يوم الطعان ، ونلقى الخصمَ في جلد

أنا جعلنا لهُ الأهوارَ مقبرةً — لم نرهبِ الموتَ ان الموتَ صنعُ يدي

من لم تشيّع بنيها وهي شامخةٌ — الى الحويزةِ لم تحبلْ ولم تلدِ

قد اشرقَ النصرُ يا بغدادُ وانطفأت — نارُ المجوس ، فما عادوا ولم تعد

* * *

هذي فلسطينُ يا بغدادُ ما برحت — جرحاً تقرّح في قلبي وفي كبدي

اين الجيوشُ ؟ وهل هبّت لنصرتها — أين الاباةُ ؟ لماذا بعدُ لم تقدِ ؟

في كل شهرٍ شظاياها مبشرةٌ — تستصرخُ القومَ في حزنٍ وفي كمدِ

الراقصونَ على اشلائها فرحا باعوا الشعوبَ بصلحٍ غير منفرد
الهاربونَ ونارُ الحقدِ تلفحهم والحاكمونَ بحدِ السيفِ والزَّردِ
والرافعونَ لواءَ العارِ مذْ ولدوا والخافضونَ جناح الذلِ عن عمد
قدْ أسلموها لجيشِ الغزوِ في دعةٍ واستعذبوا الذلَّ في صمتٍ وفي خَلَد
إن الأياديَ يا بغدادُ موثقةٌ قد كبّلوها بأحبالٍ من المسَدِ

* * *

حوريةٌ أنتِ يا بغدادُ فارعةٌ إني اعيذُكِ من شرٍ ومن حسَدِ
أهفو اليكِ ونارُ الشوق تضرمني أني احترقتُ ، واني ألفُ متقدِ
ألملمُ الجمرَ من قلبي وأعصره ناراً تذوّبُ صُمَّ الصّخرِ والصَلد
في الأعظمية او في الكرْخ موعدُنا في القادسيةِ في حطّينَ في صَفد
اني عشقتك يا بغدادُ في وَلَهٍ إني فَديتكِ في نفسي وفي وَلَدي

حلمي الزواتي
(الكويت)

ننشر في الأعداد القادمة

- نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى للبشير بن سلامه

بقلم : حسنى سيد لبيب

- الرابطة القلمية مدرسة التجديد الادبى

بقلم : د. عيسى الناعورى

الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس

بقلم: د. محمد الصالح الجابري

- 2 - (*)

إحساس الشعراء الجزائريين المهاجرين بالارتباط بالعالم الاسلامي كان بالطبع أسبق من شعورهم بارتباطهم بالعالم العربي ، على أنه يجب التفريق بجلاء هنا بين شعور هؤلاء بروحهم القومية العربية الذي كان احدى السمات البارزة في شعرهم منذ البداية ، وبين شعورهم السياسي بالانتماء مصيريا الى الاقطار العربيه وهو ما بدا أكثر وضوحا في شعر المتاخرين ممن ظهروا قبيل الثورة وبعدها .

فالنفس العربي كان ثابتا في الشاعر الجزائري وتطور في شعره بتطور الاوضاع والقضايا العربية . والاحداث التي تكثفت بصراع الامة العربية مع الاستعمار الغربي ومع الصهيونية العالمية بصفة عامة . أما الطابع الاسلامي السياسي فقد ظهر متوهجا في قصائد بعض الشعراء ثم لم يلبث

أن خبا بتوالي الخيبات التي أصابت العالم الاسلامي وأفول الدولة العثمانية التي كانت في بعض الاحيان محط آمال بعض الشعراء العرب في انقاذ الاوطان العربية والاسلامية من الغزوات الاستعمارية التي توالت تباعا منذ أواخر القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين ، في حين أن جذوة الاسلام كعقيدة وحضارة ودين مكين ظلت في شعراء الجزائريين المهاجرين علامة بارزة على الاعتزاز بهذا الدين ، والاخلاص لهذه العقيدة عملا وقولا ، ومعينا روحيا يستمد منه الشعراء القيم الخالدة ، والمثل العليا التي

(*) انظر الجزء الاول في « الفكر » ع 7 - س 30 - أفريل : 1985 .

يحاولون بعثها في نفوس أبناء شعبهم في الساعات الحالكة والمهولة ، التي حفت بالجزائريين في كفاحهم لتشد من عزائم هؤلاء في جهادهم الخالص لوجه الله والوطن .

ومن ثم فان هذا اللون من الشعر الديني لم يواجه فقط حركات التبشير والتنصير ، ويحارب الطرقية والمشعوذين فحسب ، ولكنه كان عاملا هاما من عوامل النعبئة الى الجهاد والكفاح باعتبار أن ما شنته فرنسا على الجزائر كان فى بدئه ومنتهاه حربا صليبية .

ولعل أول شاعر جزائرى نراه يتبنى الدعوة من منطلق سياسى الى وحدة العالم الاسلامي . وايقاظ الشعوب الاسلامية ، واحياء الملة ، والغيرة على كل ما يمس الاقطار الاسلامية من مكروه هو (عمر بن قدور) (1) الذى يمكن اعتباره ظاهرة فريدة فى تاريخ الادب الجزائرى ، سواء بمقالاته الفكرية الوطنية التى انبرى فيها باستمرار للدفاع عن الكيان الجزائرى وارتباطاته العربية ، أو فى شعره الذى كان يحمله نفثاته ومشاعره وخواطره وانفعالاته قصد خدمة الامة الاسلامية والاسهام فى انهاضها ، مما حمله على أن ينشر هذه القصائد بجريدة (المشير) بتونس فى سنة 1911 ثم بجريدة (الفاروق) سنة 1913 التى أنشأها بالجزائر قصد مخاطبة أكثر ما يمكن من أبناء الامة الاسلامية .

---

(1) نشر عمر بن قدور ثلاث قصائد شعرية بجريدة (المشير) فى التواريخ التالية : (دمعة على الملة) فى 15 جانفى 1911 وهى القصيدة التى نشرت مرة ثانية بجريدة (الفاروق) بتاريخ 16 ماى 1913 وقد اعاد نشرها الدكتور صالح خرفى فى كتابه ، (شعراء من الجزائر) ص 85 بنفس العنوان (دمعة على الملة) ثم فى كتاب (الشعر الجزائرى) بعنوان (الملة السمحاء) ولكنه اقتصر على ايراد (18) بيتا فقط من مجموع أبياتها البالغ عددها (84) بيتا .
وبالنسبة لقصيدته (الاسلام والمسلمون) فقد نشرها لاول مرة بنفس الجريدة التونسية بتاريخ 1911/5/28 ثم اعاد نشرها بجريدته (الفاروق) فى 28 افريل 1913 كما أعاد الدكتور خرفى نشرها بعنوان (الامة الاسلامية) فى كتابه (الشعر الجزائرى) الملحق ص 12 واقتصر على نقل 25 بيتا من مجموع أبياتها (38) .

ففي قصيدته (دمعة على الملة) يبكـي الشاعر الامة الاسلاميـة قاطبـة التي أضاعت طريق الرشاد بعمل أبنائها الذين توانوا عـن النهوض بهـا ، وأسرعوا في الكيد لها . وضمن بكائه الامة يبكي بالطبع وطنه الجزائر مـن هذا المنطلق الاسلامي الفسيح ، باعتبار ان الجزائر كيـان عربي اسلامي ، وان هذا الكيان يتداعى بتداعي الملـة :

آكيـد الليالـي بالسقـوط دهـاهـا ام المجـد من سوء الفعـال قلاهـا ؟
تنكـرت الافكـار فيهـا فعرفـت فمـا رضخـت فاندك طـود رجاهـا
فكم عندهـا من الف بـاغ ومسرف يكيدونهـا كيـد اللئـام عـداهـا
رموهـا ومـا مسـت يداهـا جنايـة بفعـل قبيـح لا يصـر عـداهـا
وشـدوا عليها فانثنـت وتوشحـت بغبن الليـالى وارتـدت بعنـاها (1)

وبعد ان يصف الشاعر مكانه هذه الملـة ، وفضلها على العالمين ، ومـا أتت به من المكرمات للشعوب المسعصعة ، وارساءها لتقاليد اعمال العقـل والاقبال على العلم وسائر المثل التي جاء بها الرسول الهاشمي ، ينطرق الى الخيبات والانتكاسات التـي عرفتها هذه الملة علـى يد الخائنين والغادرين من أبنائها الذين أضاعوا هـذا المجد وتركـوا شعوبهم فريسـة للاحتـلال والسقوط ثم لا يلبث أن يصرخ بقلب مؤلم موجع محاولا ايقاظ بني هذه الملة منبها اياهم الى هذا التراث الروحي والفكرى الذى ما يزال ناطقا فيهم علهـم يثوبون الى رشادهم .

الا يـا بني السمحاء هـلا شعرتمـو بـذى الذلة الكبـرى وحـر لظاهـا
جنيتـم فعـوقبتم ، وخنتـم فابتمـو بهـا ضـربـة نجـلاء حـم قضـاهـا
متى تفقهوا [!] سر التقدم والنهى متى تدفعوا [!] شر المنون ودهـا
وفيكـم كـتـاب اللـه لا زال ناطقـا كما كـان فـي عهد الهدى بحجاهـا
ينـاشدكـم ان لا تكونـوا اذلـة وكـونـوا شدادا عند بغـي عداهـا

وان ما كان يغيض الشاعر على وجه التحديد هو تقدم العالم بأسره ، ولا سيما الغرب وحفاظه علـى دينـه ، واستلهام تراثـه بينما بنـو جلدته من

---

(1) (المشيـر) 1 جانفي 1911 .

المسلميـــن تركـــوا دينهم واسلامهم فـالتصقت بهم جميع الوان التخلــف والهوان :

نظـرت الورى طـرا تحروا رشادهم ولم انظـر الاسلام ينفـك عن سـت
عن الجهل، والاحجام ، والبخل والنوى وعن دولة الافاك والاكل فى السحت
وعـن بدعـة الاغضاء عن كـل منكر وكـم انـب القرآن متبعى الجبـت !
ايـا امـة الاســلام هــلا لصالـــح افيضى ام الاغضاء للغى والمقت ؟ (1)

ورغم اغضاء الامة عن الانتصاح بنصحه واشاحتها عن مواجهة واقعها ، فاننا لا نرى الشاعر عمر بن قدور ييأس من مخاطبة القوم وايقاظ الضمائر، ضمائر بنى شعبه فى الجزائر وضمائر جميع المسلمين والعرب ، بل نراه يوجه الهمم الى أهم عامل نفتقر اليه نهضتهم وهو العلم الذى كسبه بعضهم وانحصـر استثمارهم لهـذا العلـم على التسلق الى المناصب والحصول عـلى المال حاثا بنى العرب والاسلام على الالتفات الى الماضى المجيد والاهتداء بهدى السلف الصالح من العرب والمسلمين عل الضمائر تفيق من غشيتها فيصدع الناس بقول الحق ، ويلتزمون العمل بـه .

انـزع غشـاوات الضميـــر تفيـــق واصدع بمـا يملـى الضمير تفـوق
واعـرف مجـال العلـم عنـد حلوله بضميـر شـهــم للصـلاح رفيـق
واعلم بان ضميرى ذى الوجدان ينقـ ـــذه اذا كـــان البـــلاء يحيـــق
من كان عـار [!] عن ضمير فانـه ولو حاز علـم العـالمين غريـق (2)

ويضرب المثل الساطع لهذه القدوة من التاريخ الذى صنعه العرب والقيـم التى تركوها ، ففيها كل ما يمكن ان يزيل الغشاوة وكل ما يمكـن أن يمـلا النفوس والعقول والقلوب تطلعا وطموحا :

يا طالما بسطوا العدالة والنهى اذ لم يـر بين الانـام شفيـق
فرقيقهـم عند الجـلاد غليظهـم وغليظهـم عند الوئـام رقيـق
اما قراهم بالنـزيل فـرحبة وقرى سواهم بالنزيل تضيـق

---

(1) (المشير) 28 ماى 1911 .
(2) خلل بالوزن والاعراب . والصواب عاريا .

وهواهمو للمكرمات يسوقهم وهوى سواهم للفساد يسوق
واولائك الآباء قدر قدوهم ثم انظر الابناء ثم فروق

وان القارىء ليشعر بالمراره ووحز الضمير وبالالم الحاد ، وبالاحزان المبرحة عند مطالعة هذا الشعر الذى كتبه عمر بن قدور ، لا من وحي ما كان يرى عليه العالم الاسلامي من انحطاط وهوان بأفول نجم الدولة العثمانية ، وضياع امل المسلمين بضياعها فقط ، ولكن من وحي ما كانت عليه الجزائر خاصة المهددة في قيمها الروحية وفي عقيده ابنائها وفي المثل التى ورثتها عن الاسلام ، والتي تعتبر اهم دعامات كيانها الذى كان الاستعمار يعمل على دك أركانه .

وعندما كانت تتعدد الجراحات ويطغى الاسى ، لا يرى الشاعر مناصا من رفع عقيرته عاليا ، مخاطبا الشرق بأسره نافخا فيه روح العزيمة :

يا شرقنا اني اعيذك ان ترى متغافلا عنهم فتسقط من عل
اني اعيذك ان يسود نفوذهم وتساق حيلتهم عليك فتنطلي
وانهض فديتك واتخذ لك قوة مقرونة بالسعي دون تمهل
ان القوى عند الشدائد تبتغى بالحزم والتدبير ثم الصيقل (1)

ولعله بسبب تحمله هذه الدعوه ، وشعوره بهذه المسؤوليه كان يميل فى قصائده الى الحكمة وضرب الامثال التاريخية ، كي يخفف اليأس والاسى عن نفسه ، ويسير بهدى هذه الحكمة سبيل الرشاد لكل المسلمين علهم يستلهمون منها ما كانوا بحاجة اليه من الحوافز والآمال :

ارجع الى التاريخ تفهم حكمة تهدى اليك فصوله وتسوق (2)

وبقدر ما كان (عمر بن قدور) صلبا عنيدا في شعره الذى تناول فيه قضايا الجزائر الداخلية ، مواجها لاحداث بلاده مواجهة تتسم بالشجاعة والتنور ، ولا تخشى في الحق صولة المستعمر ، تراه في شعره الاسلامي تغلب عليه مسحة المنكوب اليائس الذى يشعر أنه ينفخ فى الرماد .

ان مراهنه الشاعر كانت ولا شك رابحة بشأن وطنه الذى امل ذات يوم ان يتحرر ، وكان من طليعة المثقفين الذين وعوا أبعاد القضية الوطنية ولم

---

(1) (شعراء من الجزائر) ص 57 .
(2) (المشير) 6 أوت 1911 .

يبخلوا على بلادهم بكل ما قدروا على تقديمه بما فى ذلك الابعاد (1) والنفى والعذاب النفسي والجسدي ، كما أن أفكاره اليائسة التي ضمنها شعره عن سوء مصير العالم الاسلامي آنذاك كانت صائبة الى حد كبير ، اذ أن أمته الاسلامية أبت أن تنضو عنها رداء الجهل والغفلة ، وابت ان ترى فى دينها هدى لها ولغيرها .

وما اختيار الشاعر لان ينشر هذه القصائد المبكرة بصحف تونس أولا ، ثم الجزائر أخيرا الا لان الظروف لم تكن تسنح بنشر هذا الشعر بالجزائر ثم لان الصحف التونسية كانت فى الغالب تعبر الحدود التونسية الى الجزائر والى أقطار عربيه والاسلامية أخرى ، آثر أن تستمع جميعا الى تفجعاته واستعداء نفسه ، وأن يبلغها صوت هذا الشاعر والمعلم الجزائرى ، الذى كان يعبر بلسان وطنه الجزائرى عن تطلعات كل الجزائريين الى التلاحم مع كفاح ونضال اشقائهم فى المشرق والمغرب وعلى مدى العالم الاسلامي .

وما من شك فى أن (عمر بن قدور) كان يعتبر الصوت المنفرد (2) الذى وسع بدعوته العالم الاسلامى جميعه ، على خلاف غيره من الشعراء الذين نشروا شعرهم بتونس فى العشرينات وبعدها ، والذين صرفوا النظر عن تبنى هذه الدعوة ، واقتصروا فى شعرهم الاسلامى على معالجة مسالتين اثنتين : أولاهما محاربة الطرقية والبدع والشعوذة التى انتشرت فى أنحاء الجزائر بتشجيع من المستعمر لتخدير الناس والهائهم عن جوهر الدين وقيمه الصحيحة ، وثانيتهما الالحاح والتركيز على تجدير صلة الكيان الجزائرى بالاسلام وهى مسالة يعتبرها الكثيرون قضية بديهية فلا تثار الا فى المناسبات الدينية او عند الحديث عن الوطن وتذكير القوم بان الشعب الجزائرى شعب مسلم له تراثه الحضارى الاسلامى الممثل فى القرآن والسنة ومآثر الاسلام الخالدة .

(يتبع)

د. محمد صالح الجابري

---

(1) معلوم ان عمر بن قدور نفى الى الاغواط بسبب مواقفه الوطنية من سنة 1914 الى سنة 1918 .

(2) ثمة بعض القصائد القليلة التى كتبت من وحى الانتصارات العثمانية فى العشرينات مثل قصيدة اللقانى السائح (النصر العزيز) ج 1 ص 33 من كتاب (شعراء من الجزائر) وبعض ما اشار اليه الدكتور خرفى فى ص 62 من كتابه (الشعر الجزائرى) بعنوان (اتاتورك والانحراف الدينى) .

بالصمت اعلن حبي

شعر: سمير الخياري

أنا وحبيبي
وحلكة ليل الوداعْ
ودرب تغلغل فيه الضّياعْ
ورهبة صمتٍ
وكثبان رملٍ
على الصّدر حطّتْ
ونار التباعْ
تقولين لي : ـ « يا حياتي تكلّمْ
وعرّ جراحات صدركْ
تكلّم ، لماذا السّكوتْ ؟ »
وماذا أقول ؟
وكلّ الحروف على شفتيّ تموتْ
دعيني لِصمتي ،
فصمتي يعبّر عنكِ
ويغرّق فيكِ
ويعبق منكَ
وصمتي قصيدٌ
قوافيه أنتِ
دعيني لصمتي

فصمتي سماء
عليها كتبتُ : ـ « أحبّكِ أنتِ »
فهلا احترمت قداسة صمتي ؟!
وهلاّ اقتنعت ؟!
بأن محاريبَ روحي
وباحاتِ قلبي
تصدّر فيها
ضياؤكِ أنت
وإنّي وإن ذاب في شفتي
طيف بوحي
أحبّك أنت
أحبّك أنتَ
وصمتي انكسارٌ
لأجلكَ أنتَ
وصمتي التياعْ
فقد داهمتني
مرارة ليل الوداعْ
وسرتُ وأنتِ
ودرب تغلغل فيه الضّياع .

85 / 4 / 7

وانتهى الحساب

قصة : الصادق الوكيل

الشمس لظـى ، والارض نار موقدة ، والنـاس مبثوثون علـى الرمال الناعمة يصلـون أنفسهم . فلا ترى فـي هذا المكان الآمـن غيـر الاجسـاد المطروحة . والمظلات المدقوقة ، والنمارق المصفوفة .

اكتظ الشاطيء بالنساء والرجال والكبار والصغـار ، نـراهم فى أروع تصوير وأحسن تقويم . اشرأبت الاعناق وتلامسـت الاكتـاف ، وتلاحمـت الابدان المتمايلة كاغصان البان ، حو يوحـى بالحسـن والجمـال وبالالهام والخيـال .

هـا هـو السيد توفيق ، ذلك الرجل الغنى الانيق ، يحـادث ابنتـه الوحيدة سعاد ، انها شابة في مقتبل العمر ، يافعـة جميلة مفاتنها مليحة ، وصورتها بديعة وشعرها أشقر طويل منساب عـلى كتفين رقيقتين حمـراوين مرمريتين ، عيناها زرقاوان ساحرتان ، ووجهها يأخذ بمجامع القلوب .

لم يكن يعرف السيد توفيق أن ابنته الصبية تشبه تماما أمها المرحومة لم يكن ليعرف ذلك لولا هذا اليوم .. انها نسخة من أمها فى قوامها واعتدالها وجمالها . كان السيد توفيق يديم النظر فيها بين الحين والحيـن ، فتعاوده الذكرى الطيبة ، ذكرى الزوجة الحبيبة التـى فارقتـه دون سابق اعـلام ، تاركة اياه وحيدا حزينا كئيبا ، فما أقسى الحياة وامرها !؟ وما افظع الموت حين يفاجئنا !؟ فلو لم تكن سعـاد بجانبه لمات حسرة ، فهى اليوم حبيبتـه وأنيسته ومستقبله . ربما كانت تسبب له الآلام والاحزان ، ربما كانت تحد من تصرفاته . لكنها دائما فرحته ورجاؤه .

هاهي تظهر مفاتنها وتعبث بشعرها الذهبي ، وترفع راسها فتقابل الشمس الساطعة ، وتلقي بظهرها على الكرسي الطويل ، فتمد رجليها ، هاهي الأعناق تشرئب نحوها ، والنفوس تتوق اليها ، لكن سعاد غير عائبه بأحد .

تناول السيد توفيق ما لذ له وطاب ، فهواء البحر يحثه على الاكل ويحرضه على الشرب ، لقد شبع الآن ، هذه ابنته تأخذ حماما من الشمس ، لماذا هو الآخر لا يصطلي . استلقى على ظهره فوق الرمال عارضا وجهه ، وصدره وبطنه لخيوط الشمس البيضاء المحرقة التي بدأت تلفحه ، هبت على جسده العاري نسيمات البحر المنعشة اللذيذة فدغدغت أنفه وبشرته الرقيقة ولطفت من لوعة القيظ . سرت في كيانه نشوة محببة ، نظر في ابنته فبدت له ساحرة ، رجع اليه رشده ، دار على بطنه عرض ظهره الى عين الشمس ،، بقي يسترق النظرات ، الى هذه وتلك . ظهرت له غابة من السيقان المرمرية المصقولة . بدت له الصدور والارداف في ألوان مختلفة ، كل الوان الدنيا هنا . كل المحاسن والمفاتن على هذا الشاطىء الرملي الهادىء الجميل .

ابنته تدهن كتفيها وزنديها بزيت الشواطىء ، تطلي خصرها وبطنها وصدرها ، الشمس نار والطلاء زيت وذاك الجسد لحم طرى ، تريد سعاد ان تكون لحما مشويا أسمر اللون .

السيد توفيق يتقلب على ظهره ، يشوى لحمه فيحمر ، السيد توفيق رجل عصرى وكيف لا وهو صاحب الاموال الطائلة وسطه الجديد جعله سهلا لينا مطواعا . السيد توفيق تهدهده نسيمات لطيفة . لذيذة ومنعشة . انه يفكر . هواجس تداعب خياله . النعاس يغلق عينيه انها القيلولة ، الاحلام تراوده « لماذا تبنى الاطفال قصورا من تراب ؟ هل يقلدون الكبار أم انهم يشبعون رغباتهم ويحققون أحلامهم هل يريدون طي المراحل سريعا ؟! ناكله الكبار يحلمون بالطفولة العذبة ، والصغار يبغون الكهولة ! سعاد ابنتي تحرجني دائما . انها قبلة الناظرين » .

السيد توفيق جاءته سنة من نوم فغفا فسمع ورأى .

« هناك في السماء وزرقتها شبح أبيض شفاف ، يتحرك ، يدنو من الارض ، يقترب من البحر ، انه يكبر يتضخم . انتبه اليه القوم الحفاة

العراة فتطاولت نحوه الاعناق ، فالوجوه في دهشة ، والقلـوب في اخفـاق ، وتعثرت الساق بالساق ، وفغرت الافواه وقد أصابها وجوم غريب ، وسـاد الشاطىء سكون ثقيل رتيب . وغمر الجو خوف رهيب ، الجسد الغريب يدنو من الارض رويدا رويدا ويقترب ، والقلـوب الواجفة تضطرب ، تكـاد مـن أمكنتها تنسل لتنهار الاجسام الخاوية وتضمحل ! تساءل القوم وتهامسوا : قد يكون صاروخا ؟! قد يكون طبقا طائرا مدمرا ؟! انه الجـان ، لكـن الجان لا يرى ! انه الملاك . لكن الملاك لا يظهر للعيان ؟! لا.. لا.. لس من الانس ولا من الجان انه العفريت يا الاهي يا رب . يا لطيف.

ارتاع القوم من هول ما رأوا فهرعوا ، وفي الفرار فكروا لكن أين المفر وأين المخبأ والمقر ؟! فالبحر من أمـامهم والخـلاء من ورائهم . دنـا النـور الهائل من الارض ، بقي معلقا في الفضاء ، انه في صورة طبـق طائر لكنـه كثير الاجنحـة ، نوره أبيض صاف يبهر الابصار يشع ضياء يعشي الانظار لماذا لا يكون جبرائيل ؟! وما ادرانا بجبرائيـل وما شأنه بنـا ! قالـوا انه اسرافيل فهل ستنتهي الدنيا با لمصيبتنا ! قد يكـون عـزرائيـل يـا الاهنـا ستزهق أرواحنا ! قالوا قد يكون ميكائيل ، يا هولنا ويا دمارنا ويا هلاكنا !

وهم الحفاة العراة بالفرار ، ودارت وجوههم الى الوراء يبغون الاختفاء ولاذوا بالطريق .

اختلط الحابل بالنابل ، وتفرقوا كالقطيع الجافل لكنهم سمعوا أصواتا عالية من آذانهم دانية وفجـأة توقفوا ، وفـيالارض تسمروا ، واستمـروا لرؤوسهم رافعين ، والى الجرم الهائل متطلعين ، والى صوته العالي صائخين، في خشوع وابتهال وخـوف واذلال ، لان المنظر لوحة راقصة علـى خشبة المسرح معبرة عن الهلع والرعب والفزع .

شرع النور الساطع في الكلام ، فكان صوته يصك الآذان : « يـا أيهـا الناس اسمعوا وعوا والى انتبهوا ، جئت اليكم أنفخ في البوق لاعلمكم ، فاين تذهبون ؟ وأماكنكم لا تغادرون . تحسبـون أن لـن يقـدر عليكـم أحـد . فبامكاننا قيدكم الى الابد ، فكيف تفرون وقد كنتم لانفسكم تحسبـون ، ان لم يخلق مثلهـا في البلاد ولا حتـي بيـن العباد . وجوهكم راضية ناعمـة ، مستبشرة ضاحكة ، كانت أجسادكم ممدودة مطروحـة والافخاذ مرفوعـة ، والنهود منفوخة ، والارداف مهزوزة والاعنـاق ممدودة ، والعيـون ساحـرة

مسحورة ، والشعور مسدوله ، مناضدكم مصوبة ، واكـوابكم موضـوعة ، بعضكم مستلقون على القفا يصطلون ، يحلمون ، وبعضكم يمشون ويجيئـون ، يتنزهون ، يثرثرون واذا مروا بالنساء الكواعب ينظرون ، ويبتسمون والـى بعضهن يغامزون ، أو ينوقعون فينحدثون وبعضكم يدخلون الماء ، يتبردون ويسبحون ، ثم ينقلبون الى مظلاتهم وهم يتفكهـون ، فيرتمون على الارائك يستريحون • ويطوف عليهم غلمان بيض ، اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثـورا يحملون أوانـى من فضة عليهـا طعام شهى ، وأكواب وقوارير ، فيأكلـون هنيئا ويشربون مريئا . وفى ذلك يتنافس المتنافسون ويتظاهر المراؤون ، ويندفع البخلاء يريدون ان ينعموا يوما ، فيصرفـون المال ويبذرون ، وهـم لا يحزنون وكيف يحزنون ، وهم بأنظارهم يجولون بين الحسان ذات الجمال والدلال • فلا تفكرون أنتم فى الفقير ، ولا تسألون عن اليتيم ولا تنظرون الى المسكين . تأكون المال أكلا لما وتحاورون الاشياء كيفـا وكما ، تتباهـون وتفتخرون وتتنافسون منعنم عنكم الصـلاة والرحمة والصدقـة والزكـاة ، وتناسيتم المصير والدنيا بكـم تسير . تعرون كمـا لو كنتم فـى العصور البدائية ، غير مباليس بالقيم الاخلاقية ولا المبادىء الدينية .

التفت السيد توفيق الى عاده حسناء كانت بجواره قال : هل يكـون هذا اليوم الموعود ؟ هـل يكون هدا طارقا من السماء ؟! أجابتـه مرتعدة ، ماذا قدمنا لانفسنا ؟! .

ويواصل الجرم الساطع كلامه لهذا ومثله جئت اليكم أخبـركم ، فـلا حساب بعد اليوم ، فلا تنتظرون العقـاب ولا ترتجون الثواب . لقد حصل ما فـى الصدور . وتم غلق الكتاب . فـافعلوا ما شئتم ، وطاب لكم ما تحدثكـم به نفوسكم وما تمليه عليكم ضمائركم وعواطفكم ، ومشاعركم • انـه القـول الفصل وما هو بالهزل . وسرى الجـرم الغـريب الى الاثيـر ، أخذ يصعـد ويصعد ، حتى أصبح صغيرا . فتلاشى مع ضوء النهار وتوارى عن الانظار . تاركا القلوب واجفة والابصار خاشعة ترنو اليه فى صمت ورهبة والاجساد مرتعدة والوجوه شاحبة كالحة والافواه فاغرة .

تفرق القوم بيـن مهلل ومكبر ، وبيـن محبذ ومنكر وبيـن مستفسر ومفسر ، حتـى أصابتهم الصاعقة ؛ صوت مزعـج لفت انتباههـم ، وهـز كيانهم ، توجهوا نحو الهاتف فاذا بسيارة شرطة كبيرة تنادى فى الابواق :

« أيها الناس، أيها الناس ، هل أتاكم حديث الطارق من السماء ؟ فبعده جاء اليسر بعد العسر ، وبعده صدر هذا الامر عن الدولة العلية ، جئنا نمليه عليكم بناء على سيرة هذه البلاد الطيبة ، وبناء على الطاعة والولاء والتسامح والاخاء ، قررت الحكومة أن لا عـقاب بعـد اليوم ، فلا قـانون يردعكـم ولا محاسـب يحاسبكم ، فاصنعوا ما شئتم ، وارضوا ضمائركم ، فـلا تكبتـوا غرائزكم ، فانتم اليوم طلقاء أحرار ، اذ لا عقاب ولا حساب بعد اليوم. والسلام عليكم من الآن فصاعدا » .

وما ان بارحت السيارة الشاطيء حتى ارتفعت صيحة عالية في السماء واذا بالسيد توفيق يرفع يديه ويهلل . واذا بالمرأة بجواره ترتمي في عنقه ، واذا به يحتضنها ، واذا به ينتبه ، فيتذكر ابنته ، واذا بالشمس تلدغه وتلسعه في وجهه وصدره .... واذا به يصحو من غفوته ويردد : لا ... لا ، سعاد ؟! سعاد ؟! اين أنت يا ابنتي ؟!

الصادق الوكيل

المقدس في شعر الشابي

بقلم : الباجي القمرتي

– 3 – (*)

يتجلى هذا المقدس في أركان أربعة

اولها الحركة . وهي في الديوان ذاك الشوق الفطري الى الحياة ، وذاك الانجذب الروحي الى لهيبها ، وذاك الطموح للتسامي بالوجود الانساني والارتقاء به في سلسلة الموجودات . الذي يمثل وجه تميز الانسان عن سائر الكائنات ويدفعه الى جهاد يسمى به شرفه ويروم به ادراك منزلة الانبياء (70) والآلهة (71) . وهي كذلك « الظمأ الى النور » ، و « الظمأ الى النبع » ، و « الظمأ الى الكون ينزع بالشاعر الى الخلود . لذلك نجدها تتجسم في ارادة الحياة بالفعل الخلاق ، وفي الاستحالة لا يعرف لها فرار ، تلك مسؤولية الانسان الحي يطلب الكمال ابدا . وليست هذه الاستحالة عرضا ، بل هي أس من اسس النظام وركن من « نشيد علوي مفعم موزون » (72) ركب ايقاعه على جدلية الموت والحياة وتلك هي اخلاقية الطبيعة رمز للتحول المستمر (تحت الغصون) ودلالة على التجدد القائم على قطبي الموت والبعث . وبديهي ان ينزل الانسان بفعل هذا التصور منزلة في الكون جديدة ترتكز اساسا على الحركة

(*) انظر « الفكر » ع 8 – س 30 – ماي 1985 .

(70) قصيدة النبي المجهول صص 145 – 149 .

(71) قصيدة نشيد الجبار او هكذا غني بروميتيوس : صص 252 – 254 .

(72) قصيدة تحت الغصون ص 241 .

المنشئة والفاعلة في التاريخ اى في الواقع البشرى لا خارجا عنه ، وهكذا يتخذ المقدس سمة اساسية اذ لم يبق تلك المحرمات التى تضمن سلامة المؤسسات وديمومتها وقرارها (73) ، وهو مقدس المعتقد السائد ، وانما هـو ذاك الذى يهددها ويزعزعها ولكنه في الوقت نفسه يجددها ليقيها مـن الفناء نتيجة مـا تلبس بها من أدران على ان هده الحركة دورية تخضع لسنة التعاقـب ، وهي ايضا لولبية لانها نامية ، صعادة ، لذلك فهى مجددة دوما ،

ذاك هو النظام حركة محض ، وكل سكون انما هو الفوضى
وذاك هو القدر الآلاهي ارادة الحياة ، فان اردت فانت خلجة الحياة

وثانيها الحرية ، وهي ركن المقدس الثاني لاح في الديوان في تجربه وجودية عاشها ابو القاسم في اقواله الشعرية وراءت له نفسه من خلالها ضوءا يشيع على الوجود مطلقا لا نهاية له .

ليتني لم أزل ـ كما كنت ـ ضوءا شائعا في الوجود ـ غير سجين (74)

أو روحا محضا تتحرك في الفضاء فكانها الفضاء ، او سحابا من الـرؤى يتهادى فوق الزمان :

كنت في فجرك المغلـف بالسحـر فضـاء مـن النشيد الهـادى (75)
وسحابـا مـن الـرؤى يتهـادى فـي ضميـر الآزال والآبـاد

فاذا الحرية خروج مطلق عن النسبية ، وبالتالي لفظ لآدمية الانسان ، يرد الشاعر الى حال وجوده الاول وحقيقته الجوهرية وكيانـه الروحى الأحـادى فالحرية وجود روحى محض .

كذا صاغك الله يا ابن الوجود والقتك في الكون هذى الحياة (76)

---

(73) Gallois Roger : L'homme et le Sacré, Paris 1939 p 129.
(74) قصيدة « الاشواق التائهة » ص 166 .
(75) المرجع نفسه ص 165 .
(76) قصيدة « يا ابن امى » ص 127 .

ولئن كان هذا الوجه الاول لمعنى الحرية ، فان وجهها الثـاني يتبلـور في معنى القيد ، وبه تنزل القضية في بعدها الوجودى الحقيقى المرتبـط بالمنزلة الانسانية التي كنا رايناها قائمة في العنصر السابق ، على جدلية الحياة والموت والتي ستقوم في هذا السياق على جدلية الروح والمادة .

وانقضى الفجر .. فانحدرت من الافق ترابا الى صميم الوادى (77)

هكذا استحال الانسان وجودا مثنويا ، واضحى العنصر الحر فيـه مكبلا بقيود الجسد تائها في ظلمه مسالكه غريبا ، وارتد بذلك الوجـود قائما عـلى قوتين قوة مانعة تشد الانسان الى عنصره الترابي وقـوة دافعة ترنـو به الى عنصره السماوى . ولن تكون اذذاك سبيل للحرية غير الموت ..

غير ان هذه الحرية الميتافيزيقية وان كانت غاية ابى القاسم القصوى فانها لا تتحقق الا ان كان الانسان واعيا بذاته وباصول الحياة ، فاحيـا في نفسـه بذورها ، وجاهد كل مظاهر السكون فيها ، فكان حركة عـلى الدوام وخروجا عن السبل المطروقة ، وبذلك يقـع اسقاط التصور الميتافيزيقى عـلى الواقع البشرى ويضحى الشعور بالحرية رمزا لاستمرار القوى الآلاهيـة في الانسان الموجهة للسلوك والفعل ولقد تجلت هذه الحرية في الديوان في وجهين : وجه تمثل في التحرر الفكرى للشابى الفرد تجاه المؤسسة المقننة للفكر ، بحثا عن نسمة الحياة . اى سعيا الى السمو ، ويلوح هذا الوجه في كل الديـوان عموما وخاصة في قصيدة يا حماة الدين (78) .

لقد نام اهـل العلم نوما مغنطسـا — فلم يسمعوا ما قـد رددته العوالم
ولكـن صوتـا صارخـا متصاعـدا — مـن الروح يدرى كنهـه المتصامـم
سيوقظ منهم كل مـن هـو نائـم — وينطق منهم كـل مـن هـو واجـم

ووجه ثان اضحى بمقتضاه الشابى الشاعر ، وقد وعى جوهر الحيـاة نبى الحرية ، او زعيما يدعو المجموعة وقـد ضلت الى فـك قيودها الـتى سلبتهـا اليقظة ، وبذلك يتحول بهذه الدعوة من الموقف الى التاسيس والبنـاء ، عـلى الاركان الاصيلة المناسبة لجوهر الوجود البشرى خارج الاطار الشائع ، ويخرج

(77) قصيدة « الاشواق التائهة » ص 165 .
(78) قصيدة « يا حماة الدين » ص 161 .

التصور الميتافيزيقي من حيز الامكان بالقوة ، الى حيز الامكان بالفعل فيكون الخلاص من الحال العرض .

كذا صاغك الله يا ابن الوجود والقتك فى الكون هذى الحياة

فمالك ترضى بذل القيود وتحنى لمن كبلوك الجباه

وتسكت فى النفس صوت الحياة القوى اذا ما تغنى صداه (79) .

وهو فى كل ذلك يحاول ان يحقق كيانه السماوى المفقود فى الواقع البشرى وينزل السعادة الخالدة الى الواقع الارضى . على أن هذه الحرية وان نزلت فى الواقع البشرى فهى فعل بقى محصورا فى حدود الشابى الفرد . اذ هو تحقيق لحرية فردية عبر تحرير المجموعة . وهذا سر من اسرار الجفوة بين النبى وشعبه يرده الشاعر الى قصور المجموعة عن ادراك كنه الوجود.فهى فى حاجة الى محرر والى فرد متميز عبقرى يخرجها من سجن الموت الى حركة الحياة ، وذاك هو الفعل المحرر ، المطهر من الدنس والمؤسس للكيان الكامل ، والذى به يطلب الشاعر طريقه الى الخلود والى الحرية السرمدية . كذا ينزل الشاعر الفرد فى المجموعة منزلة الروح فى الجسد . فهو قوى الحرية فيها ، وقوى الحياة ، هو الانسان وقد سما فوق البشر .

ايها الشعب انت طفل صغير لاعب بالتراب والليل مغس

انت فى الكون قوة لم تسسها فكرة عبقرية ذات بأس

انت فى الكون قوة كبلتها ظلمات العصور من امس امس

.....

هكذا قال شاعر فيلسوف عاش فى شعبه الغبى بتعس

جهل الناس روحه واغانيها فساموا شعوره سوم بخس

فهو فى مذهب الحياة نبى وهو فى شعبه مصاب بمس (80)

---

(79) قصيدة « يا ابن امى » ص 127 .

(80) قصيدة « النبى المجهول » ص 147 .

وثالثها الحب ، وهو مضمون حاضر في الديوان في قصائد شتى نذكر على سبيـل المثـال منها « تـونس الجميلـة » (81) و « الجمـال المنشـود » (82) و « طريق الهاوية » (83) و « صلوات في هيكل الحب » (84) و « أراك » (85) و « قلب الام » (86) و « الساحرة » (87) و « ذكـرى صباح » (88) و « تحت الغصون » (89) و « حرم الامومة » (90) ، ويقترن أساسا بالقلب خلجة الحياة في الانسان ، وحفقة القلب للحياة ، لذا كان الامل الدافـع للتسامي والعنصر المطهر الذي يخرج الروح من الظلمة الى النور،فيتراءى له جمال الوجود السامي في جمال الانثى البكر لم يمسسها بشر ، وقد تعرت من اثـواب الاثـم ، فهي زهرة الحياة وزينه الوجود . وذاك الشدى العبق الذي لا تطيب الا به الحيـاة ويستحيل بدونه الوجود قبرا

يا عذارى الجمال والحـب والاحلام　　بـل يـا بهـاء هـذا الوجـود
خلـق البلبـل الجميـل ليشـدو　　وخلقتـن للغـرام السعيـد
والوجـود الرحيـب كالقبـر لـولا　　ما تجلين من قطوب الوجـود (91)

هذه الانثى حورية الفردوس ، وهذا الحب انشودة الملأ الاعلى ، وترنيمة الابد ، وهو براءة الانسان طفلا . هكذا يرفع الشابي الحب الى حقيقتـه السماويـة ، وعنصره السامي الاصيل ، فاذا هو عقيدة في الحياة تصورت لـه في فينيس ربة الجمال عند اليونان ، ويرفع بالتالي المرأة الى مرتبة الآلهة . فلم تبق رمز

---

(81) صص 24 ـ 25 .
(82) صص 157 ـ 158 .
(83) صص 159 ـ 160 .
(84) صص 179 ـ 183 .
(85) صص 184 ـ 185 .
(86) صص 190 ـ 195 .
(87) صص 206 ـ 208 .
(88) صص 226 ـ 228 .
(89) صص 241 ـ 245 .
(90) ص 267 .
(91) قصيدة « طريق الهاوية » ص 159 .

الخطيئة البشرية ، وانما العنصر المخصب للحياة . والحب في صورته الآلاهية على الارض

يا لها من طهارة تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد

اى شيء تراك ؟ هل انت فينيس تهادت في الورى من جديد
ام ملاك الفردوس جاء الى الا رض ليحيي روح السلام العهيد(92)

هكذا اضحى الحب روح الكون وروح السلام وعباده دائمة نشد العبد الى السماء وترند معها العلاقة بين الانسان والالاه قائمه على الاتحاد . فالالاه محبة صرف ورحمة محض ، سقط معها فلسفة النعمان المقدس الـي يرتكز عليها المقدس السائد .

فالالاه العظيم لا يرجم العبد اذا كان في جلال السجود (93)

ان الحب بهذا المعنى طاقة الطموح في الانسان تدفعه دفعا الى الفن والجمال والطهر والمطلق ، وترفعه الى اس الوجود وقمة الادراك ونشوة العبادة في غير تضرع ، ولا خضوع . فاذا هو مناجاة في غير تذلل ، وسكر للروح معربه نكون معها الغيبوبة ، نعرج بالانسان الى السماوات العلى ولعله الحب يطلب فلا يدرك

وانتشت روحي الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد
انت تحيين في فؤادى ما قد مات في امسى السعيد الفقيد
من طموح الى الجمال ، الى الفن الى ذلك الفضاء البعيد

.....

يا ابنة النور انني انا وحدى من راى فيك روعة المعبود
فدعيني اعيش في ظلك العذب وفي قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال والفن والالهام والطهر والسنى والسجود
عيشة الناسك البتول يناجي الر ب في نشوة الذهول الشديد (94)

---

(92) قصيدة « صلوات في هيكل الحب » ص 179 .
(93) المرجع نفسه ص 183 .
(94) قصيدة « صلوات في هيكل الحب » صص 180 ــ 181 .

ولئن كان الحب قد تشكل في الديوان أساسا في الانذات الى الانثى سواء كانت في صورة المرأة بكرا . او الام وقد طهرها الوضع ، فلأنه يرمز الى عنصر الخصب في الحياة ، يستحيل بدونه الوجود قحطا . لذلك كانت العلاقة جلية بين الانثى الام وطفلها من ناحية وبين الارض والانسان من ناحية اخرى .

هو قلب امك ، امك السكرى باحزان الوجود

سيظل يعبد ذكرياتك : لا يمل ولا يميل

كالارض تمشي فوق تربتها المسرة والشباب (95)

فانجذاب الانسان الطفل للانثى الام من سنخ شوق الطفل الانسان لامه الارض ، هكذا يخرج الشابي الحب من سياقه الاول ليضعه في سيـاق جديد يتجلى في العلاقة العضوية التي تشده بالارض ، فهي المرضع . وان كانت هذه العلاقة متمثلة في لبن أمه الارض سرى غذاء في جسمه ، مادية صرفا ، فانها قد استحالت علاقة روحية بحكم استحالة هذا الغذاء متمثلا في الطبيعة الى طاقة روحية محيية ، مخصبـة لروح الانسان ، كـذا نـزل الشابي الحـب ببعـده الميتافيزيقي في الواقع البشري الذي يعيش وقامت الارض الطبيعة مقام الجنة المفقوده ، والوطن الذي شرد عنه (96) . ولقد كانت هذه الارض في ديـوان اغاني الحياة تونس ، بوجهها الخصب وهو الطبيعة والوطن ، وبوجههـا المقفر وهو المدينة ، تلك التي يسعى الشاعر الى اخراجها من الفوضى الى النظام ومن الموت الى الحياة ومن الوجود المدنس الى الوجود المقدس بالحب. هكذا كان الحب ميتافيزيقيا وركنا مخصبا حيويا في الواقع البشري .

ورابعها الفصيلة وهي تاج الحركة والحرية والحب ، هي الحقيقة مطلقة ان بلغها الانسان استحال ايمانا مبصرا بالانسان ، وهي غاية الوجـود البشري القصوى ، ونهاية الكمال ، وهي الدرجة من السمو تتاله فيها الافكار فتصبح طهرا محضا وجمالا صرفا وحبا مطلقا ، ويكون فيها الانسان فوق الحياة والموت والكون ، كلية هذا الوجود وحقيقته الجوهرية .

ونسينـا الحيـاة والمـوت والكـون   وما فيه من مني ومنون (97)

---

(95) قصيدة « قلب الام » ص 194 .

(96) قصيدة « صوت تائه » ص 117 .

(97) قصيدة « تحت الغصون » ص 245 .

ولقد شدت الفضيلة في الديوان الى الفن ، باعتباره وسيلة الترقي الروحي المطهرة للرجس في الانسان ، لذا كان الدافع اليها العبقرية ، الكامنة في الفرد والمحيية لملكات الانسان الفطرية التي نخصب فيه طاقة الخيال المبصر ، وقوة الشعور الحيء وبديهي الا تكون الفضيلة عندئذ معطى عقليا فشتان بين الحقبقة الوجودية يعقلها العقل والحقيقة الوجودية وقد تدثرت عاطفة ، تصبح بمقتضاها صنو الحياة ان لم تكن جوهرها . هكذا لم تبق الفضيلة نظاما اخلاقيا ، وتقنينا سلوكيا ، وانما انجذابا شعوريا للحياة يهب الانسان علة وجوده ، ويدفعه الى الجهاد ليكتمل ، وفعلا مطهرا يعرج بالانسان الى وجود سام فيكون فوق البشر ، ملاكا ، اونبيا . وهذا ما يجعل الفضيلة في الديوان قيمة فردية — لا يدركها الا من كانت القوى الآلاهية فيه حية متجلية في العبقرية — ذات امتداد انساني ، اساسه مصدر العبقرية الواحد وهو الآلاه . وطبيعي ان يتحول تبعا لذلك الشاعر وقد عاش الفضيلة في حالات احرامه ، ونشوته الروحية عبر الفن ، الى الارض ملاكا يبشر بما كان قد اوحت له به ذاته الفنية السامية ، ويدعو الانسان الى السمو (98) . بهذا الوجه يكون اساس الفضيلة ، وجدانا ، وفعلا .

هذه هي اسس المقدس من خلال انجيل (99) ابى القاسم اغاني الحياة ، واركان عقيدته المقدسة تلك التى فتح بها طريقا بكرا في حياته فكانت اصيلة كبعض الشعر الذى صاغها فيه تظنه لغوا ووحي الشياطين ، وما هو الا الحق نراءى لك الوهم . وكانما الحق لا يجلو الا اذا تدثر الشعور ودلجت به اكوان الفن ، فاخرجته في سحر الشعر ، ياخذ الالباب . ذاك هو الشعر لغة الرسالة الحية ووحي مقدس من الانسان الى الانسان ، يحيي الحياة ، وتصبح بدونه كل عقيدة خلاء بلقعا لا حياة للقلب فيها ، لذا كان للشعر لدى أبي القاسم كيان مقدس وللشعور دور أصيل في اذكاء الشوق الى الحق . كذا لا يكون المقدس الا شعرا ولا يكون الشعر الا مقدسا .

---

(98) هذه الدعوة تتجلى في قصائد متعددة نذكر على سبيل المثال منها : « النبي المجهول » ، « ارادة الحياة » ، « الى الشعب » ، « نشيد الجبار » ..

(99) استعمل ابو القاسم هذه الكلمة في قصيدة « الساحرة » في قوله :

تلك يا فيلسوف،فلسفة الكو ... ن ووحي الوجود هذا القديمه
وهي انجيل الجميل فصدقه ... والا .. فللغرام جحيمه ..

هكذا ردت هذه التجربة الوجودية في الشعر ابا القاسم الى ذاتـه ، بشكل جذري جرد بمقتضاه العالم من كل طابع مقدس اصولي ، ولم تكن نيته في ذلك اخلاء الكون من كل حضور الاهي ، وانما التأكيد أساسا على عظمة الالاه وسموه من خلال انفتاح الانسان الروحي طليقا على الكون ، عبر الطبيعة ، تلك القرينة التي شدت الشاعر الى المقدس ، باعتبارها متضمنة للوحي الالاهي ، ننطق عنه.
هكذا يتبلور المقدس في حيز مغاير للمقدس السائد ، فلاح بذلك اقـرب الى الى التجريد ينحو به الشاعر الى الدائمه ـ وان كان يرى في ذاته الانسانية ـ واضحى متعلقا بالمضامين لا بالذوات ، وهو مقدس يعزل الفرد فيجعله وحيدا تجاه الالاه يعبده من غير طقوس ، بذلك الدفـق الروحي ، وهــذا ما نعث في الديوان النفس الصوفي.ولقد أمسى أيضا موقف ادراك شعوري يهتم بالسلوك الباطني والوحي اكثر من اهتمامه بالشعائر . لذا كان التامل الشعـري قوام هذا المقدس وقمة العبادة فهو يوحي باللانهاية وبالابدية وهمـا مـن صفـات الالاه . ولقد نزل هذا المقدس الانسان في الوجود منزلة المحور مـن الدائرة ، فهو الفاعل في التاريخ . اما الالاه فنزل منزلة هذه الدائرة ، فهو فاعل في الكون على ان الصلة بين القطبين هي الطبيعة . بهذا التصـور ســاسس الحيــاة بالضرورة على الحركة الخلاقة والجهاد المستمر ، وكأن الانسان لا يستطيع ان يحيا الا في استحالة يرهقه احيانا ولكنه يحن معها الى الفناء .

بهذا الوجه لا يلوح ديوان اغاني الحياة تاسيسا في الشعر فحسب ، وانما ايضا ثورة على مقدس المؤسسات السائد . وعلى التقاليد الروحية التي اضحت اشكالا خاوية افرغت من مضامينها السامية السرمدية . وهي ثورة ، أخرجت مفهوم المقدس من اطاره الديني التقليدي الى اطار انســاني ارحــب اصبحــت بمقتضاه العقيدة اعظم من ان تحد بقيود الوحي والديــن ، واستعاضت قيــم المقدس السائد بقيم جديدة افرزتها تجربة ابي القاسم الروحية المتميزة وصيغت في اطار ديني كساها جلال القدسية . ولا شك ان هذه الثــورة تندرج ضمن اطار موضوعي اوسع ...

الباجي القمرتي

تلميذة تزوجت

شعر: حسين سفطه

كانت كضوع المسك في روض الزهَرْ ... ريحانة تختال في أوَج الصغَرْ

ألحان موسيقى ونبعا دافقا ... حتّى محيّاها ضياء منتشر

أنشودة إنْ شئت أوْ أغرودَة ... أو نغمة من ناي فنّان أغرْ

أعطافها كالطيْر في أجوائِهِ ... والثغر أعلاقٌ وعقد من دُرر

والسّحر قد شاع على أرْجائها ... فاهتزّ تطرابا ومن بعد استقرْ

يا دمية تمشي على أقدامها ... يا تحفة تمشي الهُوينا في خفر

مرتاحة للدّرس من أرْبابه ... تنساق للعِرْفان شحْذا للفِكَر

سبّاقة للعِلم تشفي غلّتَها ... هدّافة للمجد لا تخشى خطَر

لكنّها سرعان ما اغترّتْ بما ... يبدُو سرابا مثلما اغترّ البشر

قد هُدّ منها كُلّ حصن ثابت ... واندكّ صَرحٌ كان قبلا مشمخرْ

يا صرخة الدّهر على أنقاضهِ ... يا دمعةَ الشّعر على كنز غبَر

العيش ما أقساه في جوْلاته ! ... نجمٌ تراءى لحظة ثمّ اندثر

مسكينةٌ زُفّتْ إلى صيّادِها ... تهفو إلى عيْش رغيد منتظر

ثوبٌ من الدّيباج قد ماستْ به ... عُجبًا فظنّتْ أنّها ملءُ النّظر

لهفي على تلميذة كانت مـلا ... كاً ! فصارت من ضحيّات القدَر

الرصاصة والجرح المعاصر

قصة : الحبيب المرموش

نفد الحجر في صدري ، فلا تبحثي الآن عن أعـذار تسترين بها عـورات جبنك وعيوب انتقاصك واستصغارك للطرف المقابل !.

فداء لك ولك وحدك أسرني الليل وأمرني أن أسجد أمام صوتك المشنوق المشموق « مقلوع الأظافر » يغازلني ويسدل على وجهي وشاحه الأسود الباكي بغير دموع ! ، بجرفني من كهوفي ومقاصر انعزالي ليعلقني بأسوار اللـوعة والحنين ، ويظل يعزف على مسامعي مقامة الاشتهاء حتى الرقص رغم أنفي !.

سكن الليل فيروزيا مسافرا كالانتهاء ، في أدغال قلبي في شعاب حبي ، في المرارة متخطيا عصفوري وغـاده الاحـزان الحاطة على مـرافيء جنـوني كالنبوءة .. وانا اتصفح ورقات رسالتي الاولى والاخيرة اليك شعرت بالذنب ووخز الضمير ! بأي المعدومة عواطفي مضال الوجود تائه الاقصاء في أحضان بلسمي الوحيد ساءلت لماذا أكتب لانني لم أعرفها ولا تعرفني ، لكننا التقينا بمحض الصدفة ؟! قصتي معها انتهت يوم أن بدأت ! مذ بعثت في نفسي بوادر الشر والحقد على نفسي حتى كدت أصلبها لأني غفلت عنها مسافة هذا الزمن المتهـور .

ــ قـف ..! قـف !!.

أمرتك أن تقف ، أيها العذاب المارد الوارد في أوردتي :

ــ قف وارفع يديك وإلا .. أطلقت الرصاص !.

لم يتوقف فضغطت على الزناد ! ثلاث رصاصات ؟ أطلقها في وجـه الحـب الساخر حيث انهار كل شيء !

وقبل أن أصوب المسدس نحو اذني لأخمد صـراخك المصـدع لمسـامعي استحال فراغي الى فصل صقيع في مواسم النفور يجمد حياتي !. عزلني .. أحالني الى وحش عاجز هاديء فوق الهدوء ! وحدي منطو على نار باردة !!.

هذا غرامك مغريتي يتوحش حسب المراحل في ذهني لأذعن لك واعتصم بحبل صمتي كلما تجاهلتني ! لأضيفك كسرا آخر لتكسيراتي العديدة ! فيم يزورني طيفك عابسا عانسا كل ليلة ، يحتل نصف ذاكرتي ويترجاني أن .. ابتسم !... ولهفة تنسحب ابتسامتي نرتسم دمعة مجنونة ترقص على شفتي ، ووجعا عظيما ينام مقهورا حالما في عيني ، وكل شيء يصدأ في قلبي كشريان مقطوع يتهادى الموت فيه بلا انقطاع ... كل ما بداخلي يئن :

ـ سمعا وطاعة يا ألمي ...

كم خفت أن يأتي هذا اليوم الذي أجد فيه نفسي وحيدا شريدا بلا رفيق استغيث بين أطلال من كن بالامس حبيباتي على انقاض ذكراك ، وأدوس زهرة البلاستيك المزيفة التي خلتها بنفسجة مزروعة في اوصالي ! ومكثت العمر كله أسقيها قطرات دمي وأطعمها فتات قلبي ساعات الجفاف والمجاعة !؟ وأقضي الليل ساهرا بقرب نبراسها الراحلة عبر الأثير في كياني .. أشتم عبيرها الطاغي على كل العطورات المتنافسة حولي !؟ والمتاريس منتصبة تجاهي ! أخر داعيا ناعيا لآخر حصة لك مع نبضاتي ..

اليوم تنطفىء شعلة الحب المتقدة في كبدي ... اليوم أدعك زاهية مسرورة وأودع روحي دون رجعة !

ـ فشكرا ملهيتي ، اليوم عرفت هويتي !؟ اليوم انتصرت أنت واخطأت أنا ، لتكسبي وحدك الرهان ، كنت أعاند متشبثا بموقفي مصرا على أنك لي ! ما استطعت ابدا كتمان سري ! صرت مخمورا بك بلا عقل ولا وعي ولا ارادة ، وكان الجميع يقول :

ـ سكرة وتزول ، نزوة عابرة ستخدش مرآة عمره النقية وتمضي .

لكنني كذبتهم ولطمت الارض ولطخت بالاوحال وجهي كجندي باسل مهزوم سلبوه وطنه وأداة دفاعه ... أمسى حبك كالمفرقعات يتفجر في محيطي يوما بعد يوم لاعجازي ، أصبحت مريضا بك أكثر ، تستعبدني أهوائي لأصهل داخل قفص الارهاصات وحدي :

ـ جميلة أنت ... يا هاجسي الاوحد ... سأنحر هذا الحب السرطاني المتفشي في دمائي يلوث دائرة انتمائي ويعطل دورة زحفي في فراغات الحقيقة الى المجهول المحلق حولي متربصا بي !... سأتركك في حالة غرور ونشوة تعدين برنامج الانتصار ، لأظل في حالة نكسة وخيبة وحيرة وفرار في احتضار الاصرار ... وفي الانتظار أناديك من جوارحي :

ـ لا تبتسمي في وجهي بعد اليوم حتى لا تستيقظ مشاعري وتسقط أهدابي وانتزاع وجلي فاتراجع وأخذل من جديد .. وتستهويني الكلمات فاصدح على لسان جميل :

ولما بدا لي أن قلبك ملني وعلمت أن هناك ما لا أعلم
أقسمت ان لا أورد اسمك في فمي لكنني قد كنت باسمك اقسم ...

كانت الساعه ناهبه رهيبة بلا مأوى حين اطفأت النور وقطعت مسار الحلم والحب يلعب براسي كالخمرة شاطرا صوتك المنساب عبر المذياع مع أنفاسي وفي حواسي ..

ضرب العضاء ضربته القاضية وسرعت طعناته في أجزائي لأستسلم لطعنات نفسي ، وصفعات القدر متتالية تكاد تذهب بوجهي ...

عسعس الظلام في صدري وتعجرف محتالا عاصفا بحلمي والساعة ما تزال ناهبة رهيبة بلا ماوى ... ولا إجابة . كنت بوهيميا تارة أعد وأتوعد وأتلوى في فراشي كفراش على صفيح من لهب ، واخرى أعربد وأعاند القضاء ضاربا براسي عرض الحائط ضربا عشوائيا :

ـ احبك .. أحبك ولكن .. ساضيفك جرحا جديدا مجنحا تفتح في جراحاتي القديمة مقصبة الجوانح !

فسامحيني عزيزتي ، سامحيني وأعدك أن لا اهاجر بعد اليوم كالسنونو خلف فراشة ترفضني ..

سامحيني وساحاول أن لا أتذكر أني كنت ذات يوم عاشقا ملعونا من .. عشاق الليل !...

سامحيني لعلني انسى غلبي .
وعيني .
وجبيني .
والخنجر الساكن في جنبي ..
سامحيني فان حبك مستحيل ؟! ولكنه يجدد حياتي .!!

الحبيب المرموش
(المنستير)

الشعر على الشعر في « أغاني الحياة » لأبي القاسم الشابي

بقلم : محمد القاضي

- 3 - (*)

III ـ الشعر والمصطلحات الجديدة : وضع الظاهرة في اطارها التاريخي :

ان هذه المصطلحات التي عمد الشابي الى التصريح بها في قسم من شعره تدعونا الى التساؤل عن الدواعي التي دفعته الى ذلك . ومن هنا فنحن في حاجة ماسة الى وضع هذه القصائد في اطارها التاريخي لنتمكن من تنزيلها منزلتها من الحركة الشعرية في عصر الشابي .

لقد كتبت قصائد ديوان « اغاني الحياة » بين سنتي 1923 و 1934 اي فيما بين الحربين العالميتين . وقد شهدت تونس في هذه الفترة نشاطا ادبيا تمثل في رسوخ فنون ادبية مستحدثة في الادب العربي ـ كالاقصوصة والمقالة ـ اتخذت لها منبرا المجلات الادبية (50) . وفي كتاب « زين العابدين السنوسي » « الادب التونسي في القرن الرابع عشر » (51) مختارات من قصائد الشعراء

(*) انظر «الفكر» ع : 8 ـ س 30 ـ ماي 1985 .

(50) نذكر منها « الفجر » (1920 ـ 1922) و « العرب » (1923 ـ 1924) و « العالم » (1930 ـ 1932) و « العالم الادبي » (1930 ـ 1936) .

(51) صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب عن مطبعة العرب بتونس . ج1 . 1927 . ج2 . 1928 .

التونسيين في تلك الفترة تدلنا على ان الحركـة المجددة في الشعر كانت في بداياتها . وكانت المحاولات التجديدية ضئيلة بالمقابلة مع المد التقليدي . لقد كان الشعر التونسي متوزعا بين اتجاهين غير متكافئين :

ـ اتجاه تقليدي طـاغ يمثلـه « قبادو » (1812 ـ 1871) و « حزنـدار » (1881 ـ 1954) و « آغـة » (1877 ـ 1946) وهو يمثل النزعة التقليدية المحدثة على مثال شعراء البعث في الشرق (« البارودي » (1838 ـ 1904) « شوقي » (1868 ـ 1932) « الكاظمي » (1865 ـ 1935) . ولئن كان هذا الاتجاه يرفض الاغراق في المحسنات البلاغية والاعراب اللفظي ـ باستثناء قبادو ـ فانه كان يستمد نبراسه من الشعر العربي القديم في عصور ازدهاره . ومـن ثم فهو لم يتخلص من تصور الشعر من خلال الاغراض والمناسبات .

ـ اتجاه تجديدي يمثله الشابي اساسا . ويمكن ان ندرج ضمنه قسما من اشعار « سعيد ابو بكر » (1899 ـ 1948) و « محمود بورقيبة » وغيرهما . وفي اطار هذا الاتجاه يعبر الشابي عن رفضه لشعر الاغراض :

لا انظـم الشعـــر ارجـــو بـــه رضـــاء الاميــــر
بمدحـــــة او رثــــــاء تهـدي لـرب السريـر (52)

وينادي بالانطلاق من ذات المبدع وتتبع حالاتها وجعلها الحكم الوحيد :

حسبـي اذا قلـت شعــرا ان يرتضيـه ضميـري (52)

ومن هنا نجد هـذه الدعوة القارة الى الطبيعة والحلم والخيـال والمطلق وهي تؤول الى المصطلحات التي تتبعناها في شعر الشابي .

وهذه المصطلحات التي تعرضنا الى ثلاثة منها في شعر الشابي هي مصطلحات الرونطيقية الغربية التي ظهرت منذ اواخر القرن 18 في انقلترا والمانيا في الادب والفن . وسعت الى احلال العاطفة محل العقل ، والخيال محل التحليل النقدي . ثم انتقل هذا المذهب الى فرنسا وايطاليا واسبانيا خلال القرن 19 . وقـد دعا اتباعه الى الانعتاق من اسر الهيئة الاجتماعية ، والدخول في منطقـة الحلم او الاغرابيـة (Exotisme) او المـاضي . وطالبوا بالتعبير عـن الاحاسيس

---

(52) الديـوان ص 26 .

تعبيرا حرا ، منادين بعبادة الانا ، وضاربين عرض الحائط بالمثل الاعلى للادب الكلاسيكى (53) .

ان تصفح اعمال الشابى يؤكد لنا انه اطلع على ما كتبه بعض الرومنطيقيين الاوروبيين ك « لامارتين » و « دى فينيى » وغيرهما (54) . وهذه الآثار التى نجد اشارة اليها فى « مذكرات الشابى » (55) وفى رسائله (56) وفى محاضرته عن « الخيال الشعرى عند العرب » قد اطلع عليها الشابى مترجمة الى اللغة العربية . وهذه المحاضرة فى جوهرها دعوة عنيفة الى تغيير مصادر الالهام لان حاجات جديدة قد وجدت وترتبت عنها الحاجة الى « ادب جديد » :

« لقد أصبحنا نتطلب أدبا جديدا نضيرا يجيش بما فى أعماقنا من حياة وأمل وشعور . نقرؤه فنتمثل فيه خفقات قلوبنا وخطرات أرواحنا وهجسات امانينا واحلامنا . وهذا ما لا نجده فى الادب العربى القديم » (57) .

وفى هذه المحاضرة نجد احالات كثيرة على الادب الغربى بل ومقارنة بين الشعر العربى والشعر الاوروبى للتدليل على تفوق « الصوت الغربى » وثرائه :

« ان الصوت الغربى هو لحنان مزدوجان فى آن واحد : لحن يتصل بأقصى قرار فى النفس ولحن متصل بجوهر الشىء وصميمه . اما الصوت العربى فليس مصدره النفس ولكن مصدره الشكل واللون والوضع وشتان بين القشرة واللباب » (58) .

---

(53) Encyclopédie Larousse : Romantisme T. 17 p. 10517 - 10521

(54) عمر الامام : محاولة فى ضبط مصادر ادب الشابى . دراسة مرقونة قدمت لنيل شهادة الكفاءة للبحث باشراف الاستاذ منجى الشملى . كلية الآداب تونس 1977 — 263 ص .

(55) مذكرات الشابى . الدار التونسية للنشر . 1966 — 91 ص .

(56) رسائل الشابى : اعداد محمد الحليوى . دار المغرب العربى — تونس 1966 — 206 ص .

(57) الخيال الشعرى عند العرب . ص 100 — 101 .

(58) الخيال الشعرى عند العرب . ص 110 .

وقد كان الادب العربي في الربع الاول من القرن العشرين قد اكتشف الآداب الغربيـة . وبدات حركـة الترجمة في مجالات عـدة ـ كالقصـة والمسرحيـة والشعر ... ـ تدخل نفسا جديدا على الكنابات الفنية في ذلك العصر . ولعل الحركة الرومنطيقية هي التي احدثت التغيير الاهـم في مسـار الادب العربي الحديث . وسرعان ما ظهر لها اتباع موهوبون استطاعوا ان يستقطبوا اهتمام القراء وان يتيحوا لادبهم الرواج . وهـو رواج متأت من ضيـق المثقفين باسر الهيئة الاجتماعية وما تتضمنه من عسف سياسي ممثـل في الهيمنـة التركيـة والانقليزية والفرنسية ، وتدهور اقتصادي جسدتـه سيطرة الاقطـاع وغـزو البرجوازية الغربية ، وتناقض اجتماعي متولد من هيمنةالقيم الاقطاعيةالتقليدية وبوادر تعزز القيم الذاتية التي قامت الرومنطيقية بترسيخها في الادب والفكر . وقد كانت الرومنطيقية لسان الفرد الثائر على كل ما يخنقه او يطمس ذاتيته . لذلك راينا موجات الهجرة الى العالم الجديد التي اعقبت مجازر 1860 في لبنان وما تلاها من ظهور أدب يمجد القيم الفرديه ويعمل على تحطيم كل ما يرمز الى المجتمع القديم من دين وعادات وطبقيه .

اننا حين ننظر في « مذكرات الشابي » نجد انها تكشف عن وعي حاد بالمجابهة بين الشعر التقليدي والشعر الجديد ـ وهي مجابهة جوهرية في كتابات مجموعة « الرابطة القلمية » ومدرسة « الديوان » . يصـف الشابي في مذكراته احـد انصار القديم بانه اكثر الحاضرين في المجلس « جمودا وغبـاوة » (59) . لانه كان « يعتقد ان قبادو اشعر الشعراء جميعا وانه اوتي الشعر لصلاحه وانـه لم يجد في العصر الحاضر من يستطيع ان ياتي ببعض ما اتى بـه الاسبقون مـن التواشيح ولا يطرب للشعر الا اذا كان جناسا او تورية وما الى ذلك مـن كلف البديع » (60) .

ومن هنا نتبين صعوبة الانسلاخ عـن النمط الشعري التقليدي في مجتمع ما زال اغلب مثقفيه يرون ان القديم هو المثل الاعلى الذي ينبغي ان يحتذى به . لذلك لا غرابة ان نجد الشعر التجديدي مقطوع الصلات او يكاد بجمهور القراء وفي « المذكرات » فقرة كبيرة الدلالة يصف فيها الشابي لقاء جمع بينـه وبين اديبين من معارفه ، وقد بادره احدهما بالقول : « ان ادبك يا صديقي فن غريب

---

(59) الذكـرات . ص 85 .
(60) م. ن. ص 85 ـ 86 .

لا اظنه يعيش فى تونس [..] واننى أعلى يقين من ان ادبك لا يعهمه فى تونس الا افراد قلائل لا يتجاوزون الاربعة او الخمسة على الاكثر » (61) .

لا شك ان هذا القول على شيء كثير من المبالغة الا انه يصور الهوة الفاصلة بين شعر الشابى وبين الشعر التقليدى المتداول . ولعل الشابى كان ازاء هذه القطيعة او الجفوة امام خيارين : فاما ان يقرب شعره الى القراء بمحاذاة الانماط التقليدية المتعارفة ، وفي هذا انسلاخ عن خصوصية شعره ، واما ان يقرب القراء من شعره بالتصريح بمصطلحاته حتى يسهل آداء الرسالة التى يريد ابلاغها . وقد حاولنا من خلال هذا العمل ان نبين ان وعى الشابى بـ « غرابة » شعره هو الذى دفعه من جهة الى اخراج مصطلحاته من حيز الكمون الى حيز الظاهر ، ومن جهة اخرى الى تفسير هذه « الغرابة » بـ « غربة » الشاعر واختلافه عن غيره من الناس . وفى « مذكرات الشابى » الحاح على هذه القضية يظهر جليا فى مذكرة يوم الاحد 26 جانفي 1930 حيث يقول : « انى شاعر . وللشاعر مذاهب في الحياة تخالف قليلا او كثيرا مذاهب الناس فيها . وفى نفسى شيء من الشذوذ والغرابة احس انا به حين اكون بين الناس » (62) .

ان وعى الشابى بغربته الروحية والفكرية عن مجتمعه قد نمى فيه هذا الاحساس الماساوى الذى انعكس فى نظرته السوداوية الى الواقع والى منزلة الانسان فى الوجود عموما . ولعل التصريح بالمصطلحات الشعرية هو بمثابة الكوى التي يفتحها الشابى من حين الى آخر للتخفيف من وطاة الفجيعة ، ولمواصلة العيش مع الناس والكتابة لهم .

الخاتمـــة :

لقد حاولنا ان نركز هذا العمل على موضوع لا شك انه كان يشغل بال الشابى اثناء كتابته وهو الشعر على الشعر . وقد افضى بنا هذا البحث الى تبين جملة من المصطلحات الجوهرية التى يدور حولها شعر الشابى وهى العاطفة والخيال والطبيعة . وان كنا لا ندعى الاحاطة بالمصطلحات الشعرية التى صدر عنها الشابى فاننا نعتقد ان هذه المصطلحات التى تعرضنا اليها بالدراسة على درجة كبيرة من الاهمية اذ هى بمثابة المفاتيح التى تمكن القارىء من الولوج فى عالم الشابى الشعرى .

---

(61) م. ن. ص 35 .

(62) م. ن. ص 73 .

وقد سعينا ـ خلال هذا العمل ـ ان نبين ان التركيز على هذه المصطلحات له غايتـان :

1) غاية تهديمية : اذ اتخذت هذه المصطلحات لنفض الصورة الصدئة التي ورثناها عن الشعر من عصور الانحطاط . وهو الشعر الذى لا يعدو ان يكون اداة وبضاعة تحتاج الى الصقل والتزويق .

2) غاية بنائية : سعى من خلالها الشابي ان يبرز مثلا اعلى للشعر جديدا . ولتحقيق ذلـك عمد الى ربط الشعر بالانا المبدع فقلص مـن تلك الفجوة التي كانت تفصـل بين الشاعر وبين ما ينظم جاعلا الشعر صورة للانـا في مختلف حالاتها العاطفية .

وبان لنا ان الشابي كان يعمد ـ لترسيخ هذه المصطلحات الجديدة ـ الى تبنى طريقة تدرجية ، جاعلا مصطلحاته في حركة انتقالية من الانغلاق الى الانفتاح . فهو يرسم للشعر حدودا ضيقة (العاطفة ـ الذات ـ الغاب) سرعان ما تتسع وتنسرح متجاوزة كل الحدود المالوفة . انها تقنية ثقب المفتاح الذى يتيح للباب ان ينفتح على العالم الارحب .

ولكن هل نوجد هذه المصطلحات في كل قصائد الديوان ؟ ينبغي ان نشير اولا الى ان مفهوم الشعر يختلف عن القصيدة من حيث ان المفهـوم مجرد امـا القصيدة فهي تحقيق مادى للمفهوم . ومن هنا نجد انه من العسير ان يتحقق المفهوم تحققا شاملا وافيا في القصيدة الواحدة . ونحن حين نتصفح الديوان نجد فيه بعض القصائد التي لاصلة لها بهذه المصطلحات التي بسطنا الحديث حولها ومنها اغلب القصائد الوطنية (63) . فنحن لا نكاد نعثر في هذه النصوص على شعر على الشعر . ولعل ذلك يعود الى ان الشابي في هذه القصائد لا يقطع الصلة بالمفهوم المتداول للشعر . ومن هنا نلاحظ غياب المصطلحات التي حاولنا اثباتها في ديوان « اغاني الحياة » على اننا لا ننكر ما يربط بيـن الرومنطيقيـة والوطنية من صلات تتمثل اساسا في قوة الرفض لكل ما يكبل الفرد ومن توق

---

(63) نذكر على سبيل المثـال : خلـه للموت ص 21 ـ الصيحـة ص 28 ـ الى الطاغية ص 64 قالت الايام ص 92 ـ يا حماة الدين ص 165 ـ سر النهوض ص 193 ـ للتاريـخ ص 228 الى طغاة العالم ص 264 ـ زئيـر العاصفـة ص 280 .

الى التحرر (64) . ولكننا نشير الى ورود قصائد وطنية عند معاصرى الشابى من الشعراء التقليديين .

اننا فى هذه القصائد نشهد انطفاء حدوه الانا العاطفى وصعود نجم الجماعة العاقلة التى تريد التخلص من الاستعمار . ان الشابى يخرج فى هذه القصائد من ذاته ليعبر عن طموح شعبه الى التحرر . وهذا ما يفسر غياب الشعر على الشعر لان الشابى فى هذه النصوص لا ينقض ممارسة قديمة ولا يؤسس مفهوما جديدا . ومن هنا نكاد لا نرى اثرا لتلك المصطلحات . ويصح هذا القول على جل القصائد ذات النفس الحكمى (65) .

ان عملنا هذا يظل مبتورا ما لم يعززه بحث رديف يتناول ملامح التجديد فى شكل القصيدة عند الشابى . ولئن كان « الطاهر الهمامى » (66) و « ص مصلح » (67) قد اعتنيا بهذا الجانب فاننا نظل فى انتظار عمل اكثر عمقا يتناول ثوابت البنية الشعرية عند الشابى لمحاولة استخلاص التجاوز الذى انجزه بالنسبة الى الشعر الذى كان ينسج فيه اصحابه على نمط القدامى فى اعتماد وحدة البحر والقافية وتحديد الطريقة التى اعتمدها الشابى لاخراج هذه المصطلحات الجديدة فى شكل مخصوص .

محمد القاضى

كلية الآداب والعلوم الانسانية

تونس

---

(64) يحضرنى هنا مثال الشاعر الانقليزى الرومنطيقى « لورد جورج بايرون (1788 ـ 1824) الذى مات اثناء ثورة الشعب اليونانى التحررية ضد الاحتلال التركى .

(65) نذكر على سبيل المثال غرفة فى يم ص41 ـ المجد ص80 ـ سر مع الدهر ص 87 ـ ص 175 ـ الناس ص 254 ـ متاعب العظمة ص 255 .

(66) الطاهر الهمامى : كيف نعتبر الشابى مجددا . الدار التونسية للنشر . الشركة الوطنية للتوزيع . تونس . 1976 . 137 ص .

(67) ص مصلح : الشكل فى شعر ابى القاسم الشابى . فكر وفن . ع 29 / 1977 . ص 70 ـ 83 .

مستني أمراض العصر

أحمد فضل شبلول
(الاسكندرية)

ابدا .. حيث يكون البحر ..
وافضي بالسر اليك ..
واجرى ..
أحمل عينيك .. وهمى
انت الواقفه الآن على باب البحر تغنى
تسال :
من هذا الراكض فوق الموج ؟
ومن هذا الرابض تحت الجفن ؟
ومن هذا المفضى بكلام عن عينى..؟

* * *

ابدا .. حيث تكون الهم واجرى
العالم من حولى يسابق ..
انت الواقفه الآن على رمل الشط
تحدق
كل يجرى
وقطارى لا يعرف .. أين محطته ؟
هل يحلم ببلوغ المد

* * *

أبدا حيث يكون الجزر .. ولا اقف
ما زلت أصافح عينيك صباحا
ما زال البحر بداية حلمى
رغما عنى .. أجرى .. احمل همى
هل سألت شفتاك : لماذا ؟
هل مدت كفاك أصابعها لتخفف عني؟

* * *

أبدا من حيث أغنى
عاصفة هبت
وسفائن غارت
وقطارات قلبت
وصواريخ احترقت
وانطمست كل المدن ..
العالم من حولي يصارع ..

من فينا المنتصر ؟
من منا المهزوم ؟
كـل يجـرى ..
يجـري ..
يجـري ..
إلا أنـت
أنت الواقفة الآن على باب البحرتغنين
انظر فى عينيك ..
كيـف تغنيـن وقـد مستنى امراض
العصر ؟
فاصبحت انافق
امسيت أداهن
رافقت لصوص العقل
ونجار الفكر
وأصبحـت زعيمـا لعصابـات
الـوهم
مديرا لجنون الجنس
مشيرا لحروب النفس
رئيسا لمتظلمة الفوضى

* * *

مستنى أمراض العصر
فكيف احدث عينيك ؟
أعرف انى خنت البحر
ولم أبدا من حيث يكون
أعرف أن غناءك من أجل صفاء الروح
التعبى
من أجل نقاء النفس السوداء
ومن أجلى
لا اقدر أن انظر فى عينيك
لا أملـك حق مـرورى فوق شواطىء
خديك
فلقد مستنى امراض العصر .

أحمد فضل شبلول
(الاسكندرية)

تـهـنـئــة

بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم يهنئ « **الفكـر** » قراءها الكرام بهذا الشهر السعيد وراجية من الله أن يعيده على الجميع باليمن والبركـات .

الأطباء والطب في الإسلام

تأليف : سليم عمار

عرض : محسن بن حميده

صدر بتاريخ 1984 مارس في منشورات طبوغي الجزء الاول من كتاب « الأطباء والطب في الاسلام » الذي تولى إنجازه باقتراح من « منظمة المؤتمر الاسلامي » الاستاذ الدكتور سليم عمار الفائز سنة 1966 بجائزة المجمع الطبي الفرنسي وسنة 1973 بجائزة بورقيبة المغربية للطب الاولى وعضو « بيت الحكمة » بمجالسها العلمي ومدير دائرة الطب النفساني وعلم النفس الطبي بالجامعة التونسية وصاحب المنشورات العديدة باللغتين العربية والفرنسية في اختصاصاته والتي وقعت ترجمة بعضها الى الانقليزية والالمانية .

والجزء من الكتاب الذي بين ايدينا هو الاول من أربعة أجزاء تتناول في مجموعها « الأطباء والطب من فجر الاسلام الى عصرنا الحاضر » .

ويشمل هذا الجزء العهد الاول من « فجر الاسلام الى العصر الذهبي » أي الى آخر القرن العاشر الميلادي أعني القرون الاربعة الاولى للهجرة تقريبا .

وهو تعريف شامل صاف لنشأة الطب في الاسلام أصوله وتطوره وأعلامه مع الالمام بجميع العلوم الاخرى وخاصة المتصلة بالطب اذ أن أعلامه في تلك العصور كانوا علماء موسوعيين لا تقتصر اهتماماتهم وثقافاتهم على الطب بل تتجاوزه الى أكثر العلوم الاخرى من لغوية ودينية ورياضية وفلكية وغيرها

ثم إن الاستاذ سليم عمار لم يهمل في عرضه أي لون من ألوان الثقافة الاسلامية بما فيها أصحاب الموسوعات الادبية والفنية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية وعدا مما يجعل الكتاب عظيم الاهمية عام الاشعاع يخاطب لا الاختصاصيين او المؤرخين فحسب بل كل الدارسين والباحثين والمهتمين بالثقافة والعلوم الاسلامية والطبية خاصة مبرزا في عمله الجليل في رصانة وموضوعية دور العلماء المسلمين في الشرق والغرب في بناء الثقافة الانسانية وريادة الكثير منهم وسبقهم في تنمية تلك العلوم بتجاربهم واكتشافاتهم واختراعاتهم وابداعات فكرهم ومهجتهم وواضعا كل ذلك في الاطار التاريخي والسياسي لا العربي الاسلامي فقط بل العالمي أيضا وفي آخر هذا الجزء الاول من الكتاب قائمة للمصادر والمراجع باللغة العربية وباللغات الأعجمية من فرنسية وانقليزية وايطالية والمانية مفيدة جدا وهامة لمن أراد التوسع أو التعمق في الموضوع .

وما من شك في ان الكتاب عند إتمام إنجازه بأجزائه الثلاثة المقبلة سيكون ذخيرة هامة في صورة موسوعة ثقافية طبية كاملة لا غنى عنها خاصة للتعريف الواسع بالعلوم الاسلامية خارج الوطن العربي وضمان إشعاعها عالميا .

ولا يسعنا في نهاية هذه القراءة الموجزة الا ان نذكر للقراء مواضيع وعناوين الاجزاء الثلاثة المقبلة .

فالجزء الثاني سيتناول القرنين الحادي عشر والثاني عشر الى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي أي أواخر القرن الرابع الهجري والقرنين الخامس والسادس وسيحمل عنوانا « الاوج والبلاغ الى الغرب » .

والجزء الثالث سيتناول القرون الخمسة الموالية الموافقة لما سمي بـ « العهد الاسلامي الوسيط » وسيحمل عنوانا « المراكز المتنقلة في عصور الظلام » .

أما الجزء الرابع والاخير فسيتناول القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد أي ما سمي بـ « عصر النهضة » وسيحمل عنوانا « في مفترق الطرق نحو التجديد » .

ونسأل الله ان يمن على الاستاذ سليم عمار بالصحة والعافية والقوة لاتمام عمله الجليل .

أما العزم وبذل الجهد فنحن نعلم يقينا أن الاستاذ مصر عليهما تمام الاصرار .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » والله ولي التوفيق .

محسن بن حميده

• **المجلة العربية للثقافة :**

جاء العدد السادس (السنة الرابعة) من المجلة العربية للثقافة والعلوم الصادرة عن ادارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتى يشرف على تحريرها الدكتور صالح خرفى بمساعده الدكتور محمد صالح الجابرى ، ثريا كالعاده ، متنوعة دراساته ، ومختلفة مناهج تحاليله ، وقد قسمت محتويات هذا العدد الى ثلاثة محاور أساسية التكامل بين أجهزة الثقافة والاعلام ، الدراسات المتنوعة وانشطة المنظمة ، فالباب الاول كان من انجاز مجموعة من اهل الاختصاص في ميداني الثقافة والاعلام ، مصطفى المصمودي ، عدنان بفجاتى محمد رضا النجار الدكتور هادى نعمان الهيتى ، اما الدراسات المنوعة (المحور الثانى) فقد وضعها كل من الدكتور محيي الدين صابر والدكتور رشيد بورويبه وبلقاسم النصيرى • العدد بمحتوياته المتكاملة يعتبر مرجعا لذوى الاختصاص فى ميدان الثقافة بالخصوص •

• **المجلة التاريخية المغربية :**

فى ما يقرب عن 500 صفحه صدر العدد الجديد من « المجله التاريخيه المغربية » (السنة الحادية عشرة – العدد 35 – 36 – ديسمبر 1984) وبين طياته انسابت الدراسات التاريخية المختصة عميقة ، واضحة منهجيتها ، عديده معلوماتها وكثيفة مستنداتها بثلاث لغات هى : العربية والفرنسية والانجليزية ، وقد افتتح موضوعات القسم العربى مدير المجلة ومؤسسها الدكتور عبد الجليل التميمى بدراسة عن تمسك الموريسكيين بدينهم وهويتهم من خلال قراءاتهم لأحاديث الرسول فى مخطوطتين موريسكيتين .

هذا العدد (كسابقيه) خزانة للمعلومات ، ومصدر للحقائق والمستندات ، في تاريخ المغرب العربي الحديث منه والمعاصر .

• طاهر الزمخشري ، حياته وشعره

« الطاهر الزمخشري » شاعر سعودي رائد ، ساهم بقسط وافر في رسم ملامح النهضه الفكرية بالجزيرة العربية ... الاستاذ عبد الله عبد الخالق مصطفى ... حاول هذه الشخصيه الشعرية ليعود راحلته نحو تجاويفها ازاحة للغبار عما غمض منها .. وتحسرا لما وقع السهو عنه من خصائصها ومميزاتها ... ومن الجائز الاعتراف بأنه قد قطع شوطا في الوصول الى هذه الغاية...ولم يتمكن من تحقيق المبتغى بأكمله وقد نعيب على المؤلف اشارته الى الطاهر الزمخشري شاعر المهجر « إيليا أبو ماضي » ... مستشهدا بقصيدة مطلعها .

ساعيش رغم الداء والاعداء واصول في الدنيا بعزم اباتي

في حين أن هذا الصدر من قصيدة مشهورة لأبي القاسم الشابي ...

ساعيش رغم الداء والاعداء كالنسر فوق القمة الشماء

وتأثر الزمخشري بالشابي واضح لا غبار عليه ... في هذه القصيدة وغيرها من القصائد الاخرى وعلى كل فالتأليف في محمله مفيد وثري .

• بيني وبينك :

الصحفي والاذاعي سحنون مختار سحنون أخرج للوجود باكورة ابداعه مؤلفا ... كتاب في طرافة واضعه شكلا ومضمونا ويحمل عنوانا معبرا « بيني وبينك » .. جمع فيه صاحبه مجموعه من الخواطر وضعها دون ترتيب ... تمردا على تقاليد التصنيف والانتقاء .. ألم يعترف في المقدمة بأنه « فوضوى حتى ألنخاع » ؟

المهم أن الكتاب في مائه وخمس وثلاثين صفحة ويقرأ من أوله الى آخره بنفس المتعة التي تغمرنا عندما نكون في الاستماع لخواطر المؤلف الاذاعية .

• الو الاعلان :

في 215 صفحة من الحجم المتوسط صدر كتاب « ألو الاعلان » لجمال الدين الكرماوي وبين دفتيه اجتمعت مجموعة من المقالات كان المؤلف قد نشرها بجريدة « الاعلان » التي يدير تحريرها .

التاليف بمضامينه المتنوعة واشكاله المتميزه ، جاء ليثبت أن الادب الصحفي في تونس قد بدأ يرسم لنفسه ملامح الوجود على الساحة الابداعية من خلال محاولات مجموعه من الصحفيين بمثل أساسا مدرسة جديدة لهـا مقوماتهـا واتجاهاتها وأحلامها أيضا ... ويعتبر جمال الدين الكرمـاوي بكتـاباته من ثوابت هذه المدرسة ، اد هو سعى دوما الى ممارسة شـرعية التصـرف في مخزونات اللغه ... فيداعبها برفق تارة ، ويشد عليها بقساوة تارة أخـرى ، طبقا لتطورات حركه الوعى بالمضمون المطروق .

• العلاقـات الـدولية والتخلـف :

صدر عن جامعه أوبسالا بالسويد ، تاليف تاريخي قيم « العلاقات الـدولية والتخلف » (تونس 1957 ـ 1864) وضعه المؤرخ والباحث الدكتور المازري بديرة أستاذ التاريخ المعاصر بجامعه ستوكهولم سابقا ، والباحث بمركـز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعيه بتونس حاليا .

جاء التاليف في مائتي صفحه من الحجم المتوسط قسمه المؤلف الى ثمانية محاور انصهر بداخلها 74 قسما بمعلومات اضافيه ، ووثائـق ومستنـدات وخرائط بيانية ومراجع قوية السند .

وقد طرح المؤلف انطلاقا من محاوله النهضه التي شهدتها تونس في الفترة الفاصلة بين 1857 و 1864 . قضية التنميه العـربيه في أدق خصوصياتهـا وأعمق عناصرها معتمدا في ذلك على كل أدوات المـؤرخ العلمي المتعمق ، من منهجية ووثائق ونزاهة فكرية .

• حكـاية جنـون ابنـة عمي هنيـة :

عن دار الرياح الاربعة للنشر ، صدرت مجموعة قصصيه للقاص حسـونة المصباحي « حكاية جنون ابنة عمي هنيـة » وقصص أخرى ، كان المؤلف قد نشرها في الصحف والمجلات العربية بتونس وخارجها .. يقول الناشر في تقديمه لباكورة ابداعات حسونة المصباحي : « في هذه القصص التي تنشرها دار « الرياح الاربعه » كل التأثيرات التي فعلت في كتابات حسونة المصباحي، فهو يحب الجاحظ كما يحب هنريش بول وهو يحب الف ليلة وليلة كما يحب فرانسا كافكا . انه ملء بالتناقضات تماما مثل العصر الذي يعيش فيه .. »

... والقارئ المتمعن لقصص المصباحي يسعر بثقل هذه التناقضات . . لكن يبقى السؤال مطروحا ... هل هو التذبذب والاصباغ وعباب المسفر الثابت للكيان الابداعي . أم هو الابحار المقصود عبر سواحل الابداع المتباينة ... سنة الاخذ من كل تيار بطرف ؟!!

• **الرحلـة المقدســـة :**

« حين يتحدث الاستاذ عبد الله . عن هذه المسيره الخيره ، فاني اشعر أن التوفيق قد حالفه . في شمول حديثه عنها . لانه قد غطى النواحي الرئيسيه فيها . وهي الدينيه ، والعمرانيه ، ومختلف انواع الخدمات الاداريه، والامنية، والاجتماعية والصحية ... » بهذا القول قدم الاستـاذ عبد الوهـاب أحمـد عبد الواسع وزير الحج والاوقاف بالمملكه العربيه السعوديه كتاب « الـرحله المقدسة » الذي وضعه بأسلوب الاديب المبدع وشمولية العارف المطلع السيد عبد الله عبد المطلب أبوقس ابن مكه المكرمة والمسؤول بوزاره الحج والاوقاف بالمملكة العربية السعوديه . والتالف بما احتوى عليه من خدمات وبيانـات ومعلومات وخواطر وارسامات يعتبر عملا ثريا ومتكاملا . اطلاع الباحث عليه أكيد . وحاجة الساعي للحج . اليه ضرورية .

• **سنمـا الاطفـال :**

ضمن سلسلة « الثقافه السينمائيه » صدر عن الهيئه المصريه العامه للكتاب تأليف لأحمد فؤاد درويش « سنما الاطفال » .. وضعه في سبعه فصـول (ماهية عالم الطفل · دراسة سيكولوجيه . الفنون ودورها الفيمى . ثقـافه الطفل وكبار المفكرين والفنانين . سنما الاطفال والحكايات الشعبيه ، جماليات سنما الاطفال . ثقافة الطفل بين المسرح والسنما ، الموسيقى وثقافة الطفل ، الاغفال بين التلفزيون والسنما وتطبيقات) يقول المؤلف في تقديمه لمحتويات كتابـه :

« ... كانـت السنمــا ، قـد اضحـت أحـد الملامــح الرئيسيــة المقـرن العشرين ، مما يؤكد الحقيقة التى تقول بأن السنما هي أهم الفنون جمعـا ، وعلى هذا فان عدم الاتجاه نحو دراسة وتحقيق فن سمـانى رفيـع . وفي مختلف نوعيات الانتاج السنمائى هو في تقديـرى « تخلـف حضـارى » . انطلاقا من هذا الطرح الموضوعى تكون هذا التأليف قد جاء ليضيف شيئا آخر لمكتبة الدراسات السنمائية العربية التى ما زالـت تعانى مـن فقـر مدقع في هـذا المجـال .

مصطفـى عطيـه

ندوة القراء

هل يقع الحافر على الحافر بهذا الشكل !

بقلم : عبد الرحيم حذل
(مراكش)

قرأت باهتمام ، قصيدة الشاعر محمد الطوبي « وكان الخريف أميرا » بالعدد 8 السنة 20 من مجلتنا الغراء « الفكر » وقد تأكد لي تعرض قصيدة لمحمود درويش بعنوان « نس حلمي وبس اسمه كان موبي تطبنا » وهي بالمجلد الثاني من أعمال درويش الكاملة الصفحة 271 ، للقرصنة من طرف الشاعر الطوبي في قصيدته تلك

ولايماني – وإيمان الجميع – بالشمولية التي يتصف بها المنهج المتبع في المجلة ، ودفاعا عن حقوق الشعراء والكتاب أبعث بهذا التعقيب .

في دراسة أي نص – والنص الشعري خاصة – تبرز خاصية الكاتب كثمرة لقراءاته المختلفة . ومسايرته لظروف واقعه ، وما تستهدف اليه من تأثيرات هذه الظروف لكن اعترافا كهذا لا يجيز للمدارس التغاضي عن القرصنة المباشرة ، التي تعمد اليها بعض الكتاب . وعلى مستوى الشعر تبدو هذه القرصنة جلاء ، وذلك لتضافر الاستعمالات التي تحاصر المعنى المأخوذ ، والتي يمثل العروض والجو النفسي في القصيدة إحدى أهمها . وهو ما حدا بي الى التعقيب هذا . حول قصيدة محمد الطوبي « وكان الخريف أميرا » بالعدد 8 من مجلة « الفكر » السنة 20 . لتعرضها عن قصيدة لمحمود درويش بعنوان . « نس حلمي وبس اسمه كان موبي تطبنا » بالمجلد الثاني من أعمال الدرويش الكاملة الصفحة 271 وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك

ـ درويش **وصلت أخيرا الى البحـر كان الخريف قريبا من العشب**

ـ الطوبي : دخلـت أخيرا الى البحـر كان الخريف أميرا من الليـل

ـ درويش **لم أسجل تفاصيل هذا اللقاء**

ـ الطوبي لم أحاول عماوين عدا الجموح

ـ درويش **هى السيء أو ضده ، انفجارات روحى**

ـ الطوبي . هى الوقت أو ضده وتراتيل حلم

ـ **درويش : هى الماء والنار**

ـ الطوبي هى العرس والانفجار

ـ درويس **هي الفرق بيني وبيني**

ـ الطوبي وينكسر الوقت بيني وبيني

ـ درويش **انا حامل الاسم أو شاعر الحلم ، كان اللقاء سريعا**

ـ الطوبى أنا راهب العرق أو شاعر العرق ، كان الحريف أميرا

ـ درويش **أنا الفرق بين الاصابع والكف ، كان الربيع قصيرا**

ـ الطوبى أنا العمر بين التحول والوعد ، كانت حياتي انقلابا

ـ درويش **كنت احملها واسمها يتضاءل ، كانت نسمى خلايا دمي**

ـ الطوبي كنت اشهدها ، عدها نتوحد ، كانت مسافرة

ـ درويش **احاول شرح القصيدة كي افهم الآن ماذا حدث**

ـ الطوبى أكابد نار القصيده كي اطلق الروح

ـ درويش **يحمل الحلم سيفا ويقتل شاعره حين يبلغه**

ـ الطوبي نشهر النحر عرسا ويغتال عاشقه حين يعبده

ـ درويش **لكن صدرك صار مظاهرة العائدين من الموت**

ـ الطوبى آخر الحلم صار مراهمه الوافدين من القتل

ـ درويش **كان لقائي قصيرا . وكان وداعي سريعا**

ـ الطوبي · كان اعرافي شبدا وكان اسبهاني كناما

ـ دروش . **كانت تصير الى امراة**

ـ الطوبي : كانت تلوح احتفالا على هيئة امرأة

ـ درويش · **فالتحمت بها وحلمت بها وصارت تفاصيلها ورقا في الخريف**

ـ الطوبي فاشتعلت بها وسكرت بها واضاءت مواسمها وجع الحرران

ـ درويش **ولماذا أنا أتشرد أو أبدد بين الرياح وبين الشعوب**

ـ الطوبي ولماذا انا انكسر أو أتعجز بين احتياري وبين احتراق النوايي

ـ درويش : **تعود العصافير من حالة البحر**

ـ الطوبي تعود النوارس في آخر الموت

ـ درويش **لم نحول حصاها الى لغة**

ـ الطوبي لم أحدد خطاها الى زعتر

ـ درويش **رويدا نفتق جرح المدينه**

ـ الطوبي سهما نمو حرح المرايا

ـ درويش **كنت امتشق الحلم من ضلعها**

ـ الطوبي كنت اعتق الحلم من نهدها

هذا . ولم نشأ عرقلة القصيدة . كبحث في الاستعمالات التي طلت سجينة قاموس درويش ، وما سنوحب القول به ان هـذه ليست أول ولا ثـاني قصيدة لدرويش تمر بما تعرضنا لبعضه الآن . وإن كان بالقارىء الكـريم حاجة الى التأكد من ذلك ، فهناك مجموعة الطوبي « سنده الـطرير بالياقوت » الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنه 1980 . في صفحاتها 81 . 87 90 ... المفرعة أو المولده من الصفحـات 48 73 · 91 . وغيرهـا من ديوان « أعراس » لمحمود درويش .

عبد الـرحيم حـزل

(مراكش)

ردود سريعة

● بلدي : عنوان قصيده بعث بها الينا الصديق : السيد · ت· مقطعة مطلعها :

بلدي كالجنة في الايدي كالطفل الباسم في المهد
قد واجه أخطار الدنيا قد كسر أغلال القيد

بعد جمال هذين البيتين يتدرج الشاعر في البيت الثالث واذا به يقع في الخطأ في آخر الصدر مع كلمه (الصبر) فلو كانت (صبر) لزال الخطأ ومثل هذا الخطأ نجده في (العاسية ـ المنتشر ـ السلم ـ شع) · واذا عدنا الى البيت الثالث نجد في العجز خطأ آخر في (حشدت كد) والصحيح (حشدت كدا) ·

على كل المنطلق الشعري صحيح والتواصل بحاصر الاخطاء وهذا الشاعر واعد بعطاءات شعريه رائقة ·

● **فلسطين الجريحة** : عنوان قصيده بعث بها الينا من بشار ـ الجزائر ـ الصديق أحمد · ب · ح · الملاحظ أن شعره غارق في الصياغات العتيقة والمباشرة مع وجود عدة أخطاء ايقاعية كما في قوله (فالعمى لا يعرفون × قيمة البصر). وغيرها كثير الا اننا نشجعه على التواصل مع الشعر فمنطلقاته صحيحة وفي امكانه التطور والتقدم ·

● **عجائب الحب** : هذا عنوان لوحة نثرية مشحونة عاطفة جياشة راسلنا بها الصديق محمد · د · ص · سيدي بوعلي · الا أن جيشان العاطفة وحده لا يكفي ليصير النص قطعة أدبية من الفن بمكان ، وحسب رأيي أن نصوص الصديق محمد الكثير التي بين أيدينا تشترك في نقص واحد وهو «العمق» والخروج من التهويمات ليتم له التركيز ولعل ذلك يكسب المعاناة صدقها المرجو ·

● **رجع الذاكرة** : قصة وصلتنا من الصديق : شريفي · م · بشار ـ الجزائر · الاسلوب القصصي ملك قلمه هذا لا شك فيه الا ان بعض الاخطاء مثلا (دفيء !) وموضوع القصة العادي الذي لم يتحول الى معالجة قصصية ليرتفع بالمضمون السائد الى حدود الاضافة .. كل ذلك قلل من شأن القصة هذا مع الملاحظ ان الخط الجميل يزيد الحق وضوحا .

● قبـل ان تقـرا :

في صفحة فكر وفن نشرت جريدة « الصبـاح » في عددها الصادر في 20 أفريل 1985 مقالا تحدثت فيه عن « ميدالية الصربون » وتكريم العرب كل العرب في شخص الاستاذ محمد مزالي .. جاء فيه ما يلي :

محمد مزالى ، نال ميدالية الصربون ... فكان بذلك اول عربي يعتلي منبر الصربون ويلقي خطابا أعلن فيه حقيقة الثقافه العربية الاسلامية ، ومساهمة الفكر الانسانى الذى طغى على كل الحضارات بدون تعاون .

وهذه الميدالية التى استحقها الاستاذ محمد مزالى تتجاوز شخصه لتشمل كل التونسيين وتشعرهم بالنخوة والاعتزاز ...

فلم يحصل محمد مزالى على هذه الميدالية لأنه صفق لفرنسا أو لانه أحب الغرب . بل حصل عليها وهو أحد زعماء التعـريب في الـوطن العـربي . وصاحب نظرية الأصالة والتفتح

فانظر اليه ماذا قال أمام جمع كبيـر من العلمـاء والفـلاسفة في جامعـه الصربـون

– يوفانى لسقراط انما أحافظ على وفائى للاصول الحقيقة للثقافة العربية وللحضارة الاسلاميه ، وبما أن بعض الأباطيل لا يمكن القضاء عليها بسهولة فاني أود أن أغتنم هذه الفرصة للتذكير بأن الفكر العربي الاسلامي انما تغذى من الينابيع السقراطيه وذلك من خلال ، افلاطون وخصوصا عن طريق أرسطو. على انه ينبغى الا نبخس حق اسهامه الدائب الطريف الذى لا يجسمـه فحسب ابن سينا وابن رشد المشهود لهما عادة بالفضل بل والفارابى أيضا والغزالى اللذان كان نصيبهما في أوربا الغبن أو النسيان حتى في أيامنا هذه ، في حين

ان معاشرتهما لمن شأنها أن تدرب المرء على ان يبقى الفكر لديه يقظا والعقل وقـادا .

وان هذه الحقيقة بالذات تلقى أحيانا شيئا من الانكـار والمكـابرة من قبل تاريخ الفكر والفلسفة المعاصرة . ومع ذلك فانه ينبغي لنا اذا ما أردنا تفادى عدد من المخاطر الثقافية أن نصل فى خاتمة المطاف الى عدم الرضى بضـروب التفاوت فى تاريخ الفكر والى نبذ عدد من مفاهيم التحيز والحصر والتحديد .

وللجامعة الفرنسية دور كبير فى اعطاء الحـوار بين الثقافـات الغـربيه والعربية بعدا يتماشى مع طموحاتنا البعيده المدى ويتوازى مع موضوع هذا الحوار العميق عمقا قل نظيره . وحسبنا في الواقع اننا نعمل على تواصل سنه لم تمح من الذاكرة ولم تنقطع أبدا . ذاك انه عبر جبال الالب لم ينفك العلـم والفكر العربيان بارزى الوجود وحتى النمط الجامعى العـربى ما زال وارف الظلال فى فرنسا .

ويمكن القول ان العرب اذا هم استفادوا دائما من الغرب الذى فهموه فهما رائعا فانهم بقوا اولئك الذين حملوا تراثا غنـا وخلعوا أفكـارا جعلت أوربـا وبالخصوص فرنسا تسحر بهم من غير انقطاع .

وعلى هذا المستوى الرفيع فى فهم الامور يكون من فضول القول البحث عمن هو المدين للآخر وبأى شيء هو له مدين . وانه لمن حسن الطالع ان يكون الامر كذلك اذ ان دينا مقتسما قسمة عادلة بهذه الصورة هو أكبر ضمان لاقـامة تعاون صادق يمكننا من بناء المستقبل الذى نتوق اليه ، وان فيلسوف الزمن الحاضر حيثما كان ليساهم بدون شك فى تدعيم المعرفة وارادة المعرفة برفضه لاصناف القطيعة والتقسيم وبتنظيمه الخطاب حسب ما يقتضيه الاستمـرار والطابع الكونى للامور .

ان من وراء ارادتى الشخصية داعيا آخر يقينى الوقوع فى خطيئة الخيلاء . وهو داع عظيم الاهمية والشأن .

فقد اراد ديوان الجامعات الباريسية بدون شـك ـ بمنـحه ايـاي هـذا الامتياز ـ أن يشرف البلاد التونسية ويعبر عن اكباره لرئيس الدولة العظيم الذى عينني منذ خمسة أعوام وزيرا أول له . وهو الرئيس الحبيب بورقيبـه رجل الايمان والنزاهة الذى أسس الجمهورية التونسية ورفع مرتبتها عـالية بين الامم المعاصرة .

ذلك ما قاله الاسساد محمد مرالى . وهو بدلك يريد أن يشير الى ان الثقافات الانسانية مساوية ولا وصل على المفافة الغربية فى الثقافة العربية الاسلامية. والعكس صحيح .

ولقد أعاد الاعتبار الى الثقافة الاسلامية العربية فى انصربون وأعطى افضل مثال على حوار الحضارات محاورا بذلك ما قبل بأن تونس أرض روما القديمة .

● **محمد مزالي و « من وحي الفكر » :**

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الدستور » التي تصدر بالاردن في عددها 6356 الصادر بتاريخ 1985/4/26 مقالا بقلم : د. عيسى الناعوري نورده لقراء مجلة « الفكر » بعد التأكيد على ان « الفكر » ما تزال مجلة خاصة وليست رسمية ولا هي شبه رسمية ، كما انها انشئت سنة 1955 لا (كما جاء في المقال : سنة 1957) .

« من وحي الفكر » . كتاب للاديب التونسي المعروف الاستاذ محمد مزالي ، رئيس وزراء تونس اليوم . وأحد قادة الفكر هناك ، ويشتمل على افتتاحيات كان قد كتبها محمد مزالي لمجلة «الفكر» ، التي أنشأها في تونس عام 1957 [!] واصبحت اليوم مجلة شبه رسمية [!] يرأس تحريرها وزير الشؤون الثقافية الاستاذ البشير بن سلامة * ومن عدد المجلة جاء عنوان الكتاب « من وحي الفكر » ، أي (من وحي مجلة « الفكر ») . وهذا الكتاب واحد من مؤلفات مزالي – في طبعته الثانية الصادرة عام 1979 – وقد تفضل الاستاذ البشير بن سلامة باهدائه إلى أخيرا ، في ما تفضل باهدائه إلى من مؤلفاته الشخصية ومن مؤلفات صديقه الحميم القديم الاستاذ مزالي

أما مقدمة الكتاب فمن قلم الاستاذ بن سلامة . وفيها يحاول أن يحلل اتجاه مزالي الفكري باختصار ، من خلال عدد الافتتاحيات القصار لمجلة « الفكر » . ولست أريد أن اعمد الى مثل ما فعله الصديق البشير بن سلامة ، فادخل في محاولة تحليلية فكرية . ولكن في الكتاب أشياء استوقفتني ، لانها مشتركة بين الاستاذ مزالي وبيني ، وأهمها مقالان ، الاول حول مؤتمر الادباء العرب

(*) البشير بن سلامة قبل ان يكون وزيرا للشؤون الثقافية كان رئيس تحرير مجلة الفكر منذ زمان طويل ولعل هذا الواقع هو الذي جر صديقنا الى اعتبار مجلة الفكر شبه رسمية بينما هي بقيت خاصة أما المجلات الرسمية فهي الحياة الثقافية ومجلة الشعر وفنون وفضاءات مسرحية تصدرها (المجلات الاربع) وزارة الشؤون الثقافية .

– الفكــر –

الرابع ، الذى عقد فى الكويت عام 1958 ، والثانى حول مؤتمر الادب العربى المعاصر ، الذى عقد فى رومة عام 1961 .

لقد كنا معا فى ذينك المؤتمرين ، كان هو فى الوفد التونسى ، وكنت فى الوفد الاردنى – فى الكويت – وفى روما كنت ممثل الاردن الوحيد . وهناك التقينا فى المؤتمرين . وكان لقاؤنا الاول وتعارفنا فى الكويت .

يثني مزالى على الكويت وأهل الكويت ، ويقول انهم « أقاموا الدليل على عروبتهم المشعة بكرم الأخلاق ، وطيب السريرة ، والسعي الى الخير ، لا عروبة خفافيش الظلام ، أصحاب المكائد والمؤامرات » . وبعد ذلك يتحدث عن المؤتمر فيقول :

« ثم لا بد لنا من الادلاء بما تفرضه الصراحة ، ويمليه حرصنا على توفير أسباب النجاح للدورات المقبلة ، وهو أن المؤتمر الرابع للادباء العرب لم يحالفه التوفيق الكامل المنتظر بسبب اصرار بعض الوفود على خلط السياسة – بمعناها المنحط – بالادب ، واغتنام الفرصة لاثارة حماس المتفرجين حول شعارات لا تمت الى جوهر الادب بصلة » .

يقول مزالى هذا فى الافتتاحية التى كتبها للعدد الخامس من مجلة « الفكر » عام 1959 ، وكانت افتتاحياته دائما قصيرة موجزة . ولكن هذه العبارة القصيرة تقول شيئا ، ولا تبوح بالذى وقع فى المؤتمر ، وكيف ان الادباء يومئذ كانوا (طراطير) للسياسات المندفعة دون ترو ، ودون تبصر بمصلحة العرب والعروبة . ولقد تحدثت يوما – لا أذكر متى وفى أية جريدة – عما وقع فى مؤتمر الكويت من امور تسم الادباء العرب يومئذ بالسخف والغباء ، والبعد عن فهم الادب وروحه .

كان الوفد المصرى يضم عددا هائلا من الادباء ومن ادعياء الادب ، أعدوا حناجرهم للهتاف بحياة (زعيم القومية العربية جمال عبد الناصر) . وكان الوفد العراقى يضم كذلك عددا هائلا من الادباء ومن ادعياء الادب ، بقيادة الجواهري ، أعدوا حناجرهم للهتاف للزعيم الاوحد ... لا زعيم الا كريم) . وكانت الثورة العراقية بزعامة عبد الكريم قاسم حديثة العهد جدا يومئذ – وراح كل فريق – فى الملقاءات فى المؤتمر ، وفى البيوت ، والمجالس ، وجلسات المقصف – يدعون الى زعيمهم . وانقسم المؤتمر منذ حفلة الافتتاح الرهيبة ... الى قسمين فى قلب قاعة المؤتمرات الكبيرة فى مدرسة الشويخ الثانوية . وبين هتافات (زعيم القومية العربية الاكبر) وهتافات الزعيم

الاوحـد ، ولا زعمم غير كريم) . هاجت جماهير المحفلين بافتتاح المؤتمــر ، وخرجت لتشاجر بالايدي خارج القاعة ، مما أوجب تدخل الشرطة الكويتية.

واستؤنف الشجار فى الجلســه الاولى من اليوم الاول للمؤتمــر ، وكان برئاسة الشاعر العراقى محمد مهدي الجواهري ، وكان خطيبها الاديب العراقى الدكتور صلاح خالص ، وموضوعه «صور البطوله فى أدب العصر العباسى». ولم يجد الخطيب بطولة فى ذلك العصر الا عند القرامطة ـ والمعــروف انهـم شعوبيون ـ فهبت عاصفة من الانتقاد لهذه المحاضرة ، فلم يكن من الجواهري الا أن هب من مكانه فى رئاسة الجلسه ، وهب معـه الوفــد العــراقى كله ، وغادروا القاعة غاضبين فتبعهم وزير المعارف يومئذ الشيخ عبد الله الجابر ، ووكيل الـوزاره الاستــاذ عبــد العزيــز حسين ، وراحــا يطيبــان خاطرهم ويسترضيانهم ، حتى عادوا الى منصة الجلسة .

فى مثل هذا الجو المحموم بدأ المؤتمر وانتهى ، ولم يكن من الممكن أن يعقد مؤتمر بمثل هذا السوء ـ وهو مؤتمر أدباء !!! ـ على الرغم من كــل ما قدمته الكويت من جهد وبذل وكرم لجعله مؤتمرا ناجحا .

ويعلق الاستاذ مرالى على هذا المؤتمر فيقول . « نحن لا نخاف على الادب من السياسه ، بل من حق السياسة ان تخشى على نفسها من الادب . لكن الذى نعنيه هو وجوب التمييز بين الادب فى جوهره ، وفى حرمة المنتسبين اليــه ، وبين الشؤون السياسيه والاحداث الطارئة ، بين أصالــة الخلــق الادبى ... والجعجعه والتصفيق الاجوف والنجاح الرخيص »

فهل اختلفت بعد ذلك اتجاهات مؤتمرات الادباء العرب ؟

أخشى أن اقول ان أغلب الادباء العرب ما يزالون يرفضون باصرار أن يصبحوا « أدباء » ، بل يريدون أن يظلوا « سياسيين فوضويين !.. » ، فلا هم يحسنون الادب . ويدعون بدور القيادة والريادة فى الفكر والحياه .

أما مؤتمر الادب العربى المعاصر ، الذى عقد فى روما عــام 1961 ، وفيــه يقول الاستاذ مرالى

« ولئن وفر هذا الملتقى للمشاركين فيه فرصة التعارف والتواد ، وقــرب بينهم ، فانه اكد من جديد ـ خاصة بعد مؤتمر الادباء العرب الرابع ـ دوامة النزعات والاتجاهات والتيارات والمتناقضات التى تتخبط فيها هــذا الادب ، ولا ندرى هل فى ذلك انعكاس لواقع الوطن العربى ، تتجاذبه قوى المحافظة والتجديد . وتتنازعه المذاهب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فى عــالم

يتساءل الكثير من المفكرين فيه ، هل باع نفسه الى الشيطان ؟ أم هل اننا أمام أزمة نمو لهذا الادب العربي الجديد ، المنبثق عن مجتمع عربي جديد ، أو متجدد ؟ ام هل ان واقع الادب العربي بعكس هذين الامرين معا ؟ » .

مؤتمر روما هذا شارك فيه الى جانب الادباء والشعراء العرب الكثيرين ، عدد غير قليل من المستشرقين من كل مكان في الغرب ، ولا سيما من ايطاليا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، واميركا ، وكان يمكن أن يكون اكثر تعقلا والتزاما بمفهوم الادب والمعاصرة . الا انه ، في الواقع ، لم يكن كذلك تماما ، فلقد كان المذهب المسيطر على الجانب العربي المشرقي ، هو جو مدرسة مجلة « شعر » ومذهب صاحبها الشاعر يوسف الخال ، وقد كان في المؤتمر عدد كبير من أعمدة هذه المدرسة ، وأدونيس ، وجبرا ابراهيم جبرا ، وتوفيق الصائغ ، وبدر شاكر السياب ، وسلمى الخضرا الجيوسي ، وخليل سركيس .

الا أن الخلاف لم يلبث أن دب بين بعض أدباء هذه المدرسة ، حين انبثقت عن المؤتمر مجلة ثقافية دعيت مجلة (آفاق) . فقد أراد يوسف الخال أن يتولى اصدارها مع مجلة (شعر) ، ولكن الاختيار وقع على توفيق الصائغ ليتولى اصدارها في بيروت ورئاسة تحريرها . وقد تم ذلك بعد المؤتمر ، وظلت المجلة تصدر بنجاح ، وكان المعروف ان مؤسسة فورد هي التي تمولها . الى أن راجت اشاعات بأن المخابرات الاميركية هي التي تمولها . فلما تأكد توفيق الصائغ من صحة هذه الاشاعات ، أغلق المجلة ، واعتذر في العدد الاخير منها عن توليه اصدارها وهو يجهل أن الذي يمولها المخابرات الاميركية .

وعلى الرغم من هذا الخلاف الذي نشأ عن تأسيس مجلة (آفاق) . فقد كان مؤتمر روما ، المشترك بين الشرق والغرب ، أحسن حظا من مؤتمرات الادباء العرب في أغلبها ، وقد جمعت أعماله من محاضرات ومناقشات في كتاب ، ظل فترة مرجعا للكثير من الكتاب والباحثين .

هذه ذكريات تعود اليوم الى الذهن بفضل كتاب « من وحي الفكر » للاستاذ محمد مزالي . ويهمني أن أتساءل الآن . هل ترانا نتعلم من دروس النجاح والاخفاق في حياتنا وفي أعمالنا ؟

الا ليتنا نتعلم !

● من أجل قمة عربية للثقافة هل تترجم عمليا ؟؟

دعوة المفكر العربي محمد مزالي من أجل قمة عربية للثقافة ـ متى تسود الثقافة العربية الواحدة والمنطلق الثقافي المتجانس ؟ ـ مطلوب لجنة

عربية عليا لتحقيق التراث العربي ـ ثقافتنا العربية لم تكن في يوم من الايام خارجة من معطف الثقافة الاوربية .. هذه عناوين ثانوية وردت في مقال نشرته جريدة « الرأى العام » بقلم : خيرى عبد ربه نقتطف منه مـا يـلي :

استهلالا ، ننبغي أن نؤكد على ضرورة سياده الثقافة العربيه الواحـده ، والمنطق الثقافي المتجانس ، على امتداد وطننا العربي ، ذلك ان وحدة الوطن ، هي لا شك في وحدة ثقافته ، وفكره ، ومنطقه ، وخارج الثقـافة الواحـدة ، لا أظننا سنجد الوطن الذى ننشد لاننا ـ مع الاسف ـ نكون قد فقدنا أهـم مقومات الوحده العربية .

هذا بالتأكيد يطرح علينا السؤال القديم الجديد . من يصنع القرار ؟«

المثقف العربي ، والكاتب العربي ، ام السياسي »» ومثل هذا الذى يعتمدنا بشكل أو بآخر ، الى قصة البيضه والدجاجه ، ومن الذى أوجد الآخر ، هو في جدليته ضروري وجوهرى ، بقدر ما هو زائد ، ولا مبرر له . فحقيقته لا يجوز بأى شكل من الاشكال ، أن نفصل بين السياسي ، والمثقف أو الاديب ، ذلك ان السياسة ليست حكرا على محترفيها . تماما ، كما ان الثقـافه والفكـر ، ليست وقفا على المثقفين والادباء . والسياسي الاديب والمفكر ، هـو لا شـك السياسي الناجح وهو السياسي الذى يتخذ قراره ، من خلال رؤية شمولية متكامله ، ربما تكون أكثر نضجا من رؤية السياسي . واعتقد ان كثيرين جدا من القاده ، والسياسيين المعاصرين ، لهم علاقاتهم الوطيده مع الكلمة ، والنتاج الابداعي بمختلف اتجاهاته ومدارسه .

« الثقـافة العـربية مستـهدفه ، ومهـدده بأخطـار عديـده صهيونيه واستعمارية ، ومهدده أيضا بالموقع من جهة ، وبتقليد أعمى للغرب من جهة أخرى ولهذا فان السـؤال والجواب هو متى يهتدي الملوك والرؤساء العرب الى عقد قمة لتوحيد المناهج التربوية ، حتى يصنعوا شبانا يتكلمون لغة واحدة ، لان الوحدة العربيه لا تكون ، ولا يصنعها الا جيل جديد من العرب ، يتكلـم لغه واحده ويربو الى قيم عليا واحدة » .

بهذا الوضوح ، يعلن الاديب والمفكر العربي محمد مزالى ، موقفه من الثقافة العربية السائده ، وبهذا التوجه الحار ، نجده يقف لنؤكد بكثيـر من الـوعي والجراه ، ان خللا جسيما ، تعيشه اليوم ثقافتنا العربية ، ذلك كونها مهدده من قبل الثقافه الصهيونيه المعادية ، التى تحاول ان تصبح الثقافة السائـدة وان تأكيد السيد محمد مزالى على اهمية أن تنتشـر الاكتسجـاب الثقـافي

العربى ، على امتداد الرئة العربيه الشابه ، حتى تتحقق وحده الدم العربى ، والتوجه العربى المتكامل والمنسجم يأتى من إيمانه الكبير بصناعة الرجال مقدما ، قالوا : اذا أحببت أن تزرع لسنه فازرع قمحا ، واذا أحببت أن تزرع لعشر سنوات فازرع شجرا ، واذا أحببت ان تزرع لوطن ، ولزمن كامل ، فازرع انسانا ومن هنا يأتى بحث مزالى عن مصانع الرجال ، ومصانع الشباب العربى ولا أظن أن هناك ما هو أفضل من مصنع الثقافة العربية ، الناهضه والمنسجمه .

انه من الجدير بالاهتمام ، ان نقف حقا الى جانب مثل هذه الدعوه .. الدعوه لعقد قمه ثقافية عربية ، لتجاوز مجموعة الفجوات ، التى أحدثتها وتحدثها ، الثقافة المضاده ، والتى تسعى باستمرار ، وبتواصل ، من أجل أن تكون الثقافه الاستهلاكية هى الثقافة السائده ، ولأن يصل الشارع الثقافى العربى الى وقت ، تجد فيه العمله الرديئة قادره ، على طرد العمله الجيده من الاسواق .

فى كتاب للدكتور غالى شكرى « اعترافات الزمن الخائب » نقرأ مثلا :

« وبعد ، فالمسألة بين شعار التغيير ، وشعار البأس لم تكن طويله ، فهل تكون المسافة بين الثوره المضاده والثورة الثقافيه اقصر ؟ » .

هذا التساؤل ، وهذا التطلع الجاد نحو ثوره حقيقيه ، فى الثقافة العربيه ، يصب لا شك فى أقنيه ما ذهب اليه الاستاذ مزالى ، وما ذهب اليه اكثر المفكرين والمثقفين العرب ، الذين يعيشون هما عربيا واحدا ، بعيدا عن الاشكاليه الجغرافية التى يقعون ضمنها ، أو التوجهات الاقليمية التى زرعها الاستعمار فى عقلهم الباطن .

ولا تغيب عن اذهاننا تلك الدعوات التى تشير أو تدعى ، بتبعيه الادب العربى ، والثقافة العربيه ، الى الآداب والثقافة الاوربيين ، بحيث يبدو لغير المطلع ، ان ثقافتنا العربية خارجة من معطف المثقف الغربى ، والثقافه الغربية ، ولذا فهى ـ على حسب ادعائهم ـ ثقافة هجينة ، لا ترتبط بأى جذر أصيل ، ويشير الاستاذ مزالى حول هذه النقطة بالذات ، فى معرض الحديث عن الثقافة العربية وضرورة تأطيرها ، الخاصة بهذه الثقافة وتراثها الممتد لتصعد اجيالنا الى الحياة ، والآفاق الاعلامية التى تحاول انتزاع الحنجرة العربية ، وطمس الملامح والواقع دون أن تمد جذورها العميقة ، فى التربه الصالحة تقول مزالى فالاستعمار كان يعتقد فى القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، ان مركز الحضارة هو أوربا ، وان باريس هى ـ أم الدنيا ـ كما يقول المصريون بالنسبة لمصر ، حتى سارتر لم يتأخر عن القول فى

منتصف الاربعينات وقد كنت طالبا انذاك بباريس : « إن مستقبل الادب الغربى في الدنيا لن ينطلق الا من أوربا » أى انه نفي وجود أدب عربى أو يابانى أو اميركي جنوبى أو افريقي لماذا ؟ لانه تغذى بثقافته الانانية القومية واعتبرنا مجرد مستهلكين .

ان أهم الخطوات التي يجب أن تتخذ من أجل ايجاد ثقافة عربية واحدة ، ايجاد الطريقة المثلى لايقاف ذلك التطلع ـ عند بعضهم ـ والذى تكون فيه التجارة ـ الصفراء ـ والربح السريع ، أهم حافز لاصحاب أغلب دور النشر ، والا فما معنى أن يصدر الكتاب التراثى الواحد عشرات المرات ، وفى كل واحدة من هذه المرات تحت اسم محقق جديد ، ودار نشر جديدة وفى شكل فني جديد ؟؟

ان أهمية ايجاد لجنة عليا للتراث ، ووضعها فى موقع المتابعة اليومية ، والمسؤول فى ذات الوقت ، يحقق العديد من الامور الايجابية التى اعتقد ان أهمها

ـ اختيار الماده التراثية الجيدة التى يمكن تقديمها للقارىء المعاصر ، لما فيها من اصالة وبعد حضارى وعربى وانسانى فى ذات الوقت ، فليس كل ما جاء فى التراث يمكن أن نضعه بين يدي قرائنا .

ـ حماية كنوزنا التراثية من أيدي التجار العابثين بها .

ـ البحث عن السبل الافضل لاعاده ما فقدناه من تراثنا ، وأصبحنا نأتيه زوارا فى مكتبات الغرب ..

ـ اصدار الكتاب التراثى الواحد ، المعمق ، والمحقق بكل أمانة وثقة ، ولتحقيق هذه النقطة اعتقد انه من الممكن ان يصار الى طباعة الكتاب فى القطر العربى الذى تنطلق منه اللجنة لاداء واجبها العومى ، ثم يصار نسخ مجموعة كبيرة من افلام الكتاب « وبلاكات » الطباعه ، لتوزع بعد ذلك ، جاهزة للدخول الى المطابع العربية ، وبهذا نضمن ايجاد الكتاب التراثي الموثق ، والمدروس جيدا .

وكذلك الامر ، بالنسبة لضرورة تشكيل لجنة عربية عليا لثقافة الطفل حيث ان تشوبه الجيل العربى ، غالبا ما يأتى عن طريق تنفس هواء الادب السام ، الذى لا يحمل من قيمنا ما يساعد على انشاء جيل عربى واحد .

وعلى الرغم من أننا نلتقى مع الاديب والمفكر العربى محمد مزالى ، على أرض عربية واحدة ، ننطلق منها لان نحلم أيضا ، بالوحدة الثقافية العربية .. مع ذلك اقف هنا لأسائل وبكثير من الألم :

ـ كيف يمكننا حقيقة أن نهيء لوحدة ثقافية عربية ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، فى الوقت الذى نجد فيه الجسور الادبية ، والابداعية ، منسوفة من الجذور بين المثقف العربى ، والمبدع العربى . ؟!

ـ كيف يمكنني أن أتواصل مع ادب منطقة ما ، دون أن اقرأ ، واسمع ، واتابع عطاءات المبدعين فى تلك المنطقة !؟

للتواصل ، لا شك ، أبجدياته . ولا أعتقد مطلقا أن الحلم ، ومهما كان جميلا ، باستطاعته ان يقودنا الى الواقع ، اذا لم نعمل أدوات الواقع ذاتها ، على نقله من حيز الرؤية الى حيز التواجد الاساسى الحار ، وخارج الحلم ، لا حماة للمبدع والاديب فى هذا الحلم .. خارج الحلم لا وجود لما يسمى بالتطلع نحو الغد الاكثر اشراقا ، والاكثر حيوية ، والاكثر تعبيرا عن واقع ذاتي ، ضمني نعيشه نحن أبناء الوطن العربى من المحيط الى الخليج .

ـ كيف نصنع الثقافة العربية الواحدة ..؟؟

ـ ما هى الاسس التى يجب أن نبني عليها توجهنا ، من أجل صناعة هذه الثقافة ؟؟

ـ من أين تبدأ الخطوة الاولى فى اتجاه مثل هذه الصناعة ؟؟

أسئلة كثيرة ، وكثيرة جدا ، تلك التى يمكن طرحها فى هذا المجال . لكننا وبكل بساطة ، نعود لنشير وبكثير من الاسف الى مجموعة نقاط أيضا اعتقد انه من الضرورى الاشارة اليها ، خاصة واننا نحاول تلمس اطراف مشكلة غياب الثقافة العربية الواحدة .

التراث أولا :

لأسارع فورا واقول : إن التراث العربى، يمكن ان يكون وبكل الثقة المنارة العربية الاولى باتجاه وحدة ثقافية ، تقدم للقارىء العربى المعاصر ، والمثقف العربى ، والاديب العربى أيضا ، ارضية صالحة ليمد فيها جذوره ، وبالتالى ليتجه غالبا ، باتجاه اعطاء الثمر الفكرى والانسانى ، الذى يحمل الكثير من الصحة ، الى الجسم العربى الواحد .

لكن كيف تتعامل أغلبية دور النشر العربية مع هذا التراث ؟

لن أدخل هنا فى تفصيلات أعتقد اننا نعرفها جميعا ، لكننى ، سأكتفى بالاشارة الى انه يكفى أن نقول ، انه لا يوجد حتى الآن لجنة عربية عليا للتراث فى سبيل تحقيق واصدار الكتاب الواحد ..

ان غياب مثل هذه اللجنة التي يمكن أن تنهج قضية عربية تقف في مصاف قضايانا الكبرى ، أدى ، ويؤدي يوميا ، الى تشوهات كثيرة تحدث في تراثنا العــربي .

هنا وهناك ، تحت شعار تحقيق التراث ، او العبرة على التراث ، في الوقت الذي يقود حمله تحقيق التراث ــ كما اشرت ــ مجموعة من تجار الثقافه ، واصحاب دور النشر انصاف الاميين ، باستثناءات قليلة تكــاد لا تذكــر ، أمام ذلك المد الهائل ، الذي تشهده المطابــع العــربيه يومــا ، ومــع ذلــك واينما كنا فاننا نمد تدورنا حلما باتجاه ان يأتي يوم ، وتعقد فيه قمة ثقافية عربية ، كما يقبل الاستاذ مزالي ، يكون أولى مهامها أن تفكــر عــربيا ، وأن ترسم السبل الافضل لمد الجسور بين أبناء هذا الوطن . ونحن اليــوم ، اذ نعيد الى الذاكرة ، ما كان قاله مزالي ، فذلك لايماننا بأن مثل هذا الطــرح ومثل هذه الرؤية ، يجب أن لا تكون في يوم من الايام مجــرد فكــرة أريقت على الــورق ..

● **تكريم رئيس وزراء تونس تكريم للعرب :**

نشرت جريدة « الشرق الاوسط » في عددهــا الصادر في 1985/4/23 حديث لثلاث سفراء عرب عن ميدالية جامعة باريس التي جاءت تكريمــا للعرب جميعا في شخص الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول صدرته بما يلي :

كان منه العطاء والابداع ، فجاءه التكريم والتقدير ورفعت اليه جامعات باريس ميداليتها عن جدارة واستحقاق وكان عملــه نافعا لوطنه تونس ولأمته العربية الاسلاميه فكانت الجائزة العليــا والمتألقة تقديــرا يشرف الوطن ويعترف بعطاء الثقافة العربية الاسلاميه

هذه المعاني أكدها سفراء عرب من منطقة الخليج التقينا بهم في تــونس وسألناهم آراءهم وانطباعاتهم عن اسناد جامعات باريس ميداليتها الى محمد مــزالي المفكر ورجل الدولة التونسي ، وكان أول مفكر مسؤول عربي يحظى بهذه الميدالية التي لم تسند الا الى رجال دول قلائل في العالم .

وقال عباس فائق غزاوي سفير المملكة العربية السعودية :

ــ ليس عجيبا ان تعطي جامعة الصوربون هذه الميدالية لدوله محمد مزالي تقديرا واعترافا بعبقريته الفكرية والانسانية والتي برزت ليس فقط في مجال الفكر والفلسفة وإنما أيضا في مجال الممارسات الاكثر صعوبة وحساسية من خلال دوره البارز الملموس كرجل دوله سار على خطى الرئيس الحبيب بورقيبه واقتبس من مدرسته أحسن اقتباس . لذلك كلــه فليس عجيبــا أن تعطي

الميدالية لدولة محمد مزالي والعجب ان لا تعطى له . فقد حاز مزالي الاعجاب والتقدير مع الاحترام في الشرق والغرب وفي مختلف مجالات الفكر والسياسة والعطاء الانساني في اطار وصفه واحسن وصفه الكاتب ميشال جوبار عندما قال « إنه اطار الغبطة والرضاء الانساني وهو أجمل ما يؤطر أى عمل او عطاء او سلوك .. » .

ان هذا الحدث يشكل مبادرة ايجابية مشكورة من الجانب الفرنسي تدل على رغبته في التفهم والحوار ويبقى على الجانب العربي التونسي بالذات والعربي عموما ان يستغل هذه المبادرة والجو الذي وفرته وأتاحته لمزيد من التقارب والحوار ولن يكون ذلك الا بالتوجه نحو الفكر العربي اتجاها جديا وجديا مع الانفتاح الانساني ليعرفنا الغرب على حقيقتنا وذلك من شأنه ان يحرك ردود الفعل الطبيعية المتجاوبة في اتجاه تفاهم انساني أعمق هو بدون شك الاساس لالوان التعاون المختلفة والمنتجة بين الشعوب .

وقال محمد سعيد المرهون سفير سلطنة عمان :

ـ هذا شيء نفتخر به جميعا . ونهنيء بالمناسبة محمد مزالي الوزير الاول في الجمهورية التونسية .

حقا لقد ارتحنا كثيرا لاسناد هذه الميدالية لأول عربي ، وكان حدثا تونسيا عربيا فرنسيا له وقع خاص وأهمية كبيرة في العلاقات الفرنسية العربية .

وقال مجرن أحمد الحمد سفير دولة الكويت :

ـ اسناد هذه الميدالية الى رجل الدولة التونسي محمد مزالي فيه دلالة على ان الفكر الاستعماري الذي عشش في السابق في فرنسا بدأ يعترف بالحقيقة . كانوا في فرنسا يعتقدون ان المغرب العربي جزء من فرنسا اما اليوم فقد تراجعوا وبدأوا يحترمونه . وجاءت هذه المبادرة من الطبقة المثقفة الماثلة في اسناد ميدالية جامعات باريس الى مزالي .

وفي هذه المبادرة أيضا دليل آخر على ان تونس ثبتت اقدامها امام الاجانب وفرضت احترام الغير لها . والأخ محمد مزالي مثال واضح لهذا الاحترام واشعاع كبير لتونس .

ولا شك فهذا الحدث أعطى أيضا انطلاقة جديدة للقاء الثقافتين العربية والفرنسية .

وعلى الصعيد التونسي ـ الفرنسي فان هذه الانطلاقة الجديدة تشير الى ان التونسيين والفرنسيين مقبلون على أسلوب جديد في العلاقة سواء كانت علاقة شخصية أو دولية .

واعتقد ان الاخ مزالي بما يتمتع به من فكر وحنكة قد أثرى العلاقة الثقافية والسياسية واثرى التعاون التونسي الفرنسي .

● **اكتشاف مدرسة طبية قديمة باليمن :**

في محاضرة ألقاها في المؤتمر التاسع والعشرين لتاريخ الطب المنعقد بالقاهرة يوم 19 فيفرى 1984 وبحضور مندوبين عن أربع وخمسين دولة عربية وأجنبية أعلن الدكتور غالب الحديدى عالم الحضارة العربية الاسلامية . والامين العام للجمعية العالمية لأحياء التراث الاسلامي عن اكتشافه لاول مدرسة طبية باليمن يرجع تاريخها الى العصر السبئي ، وقد اعتبرت مجلة تاريخ الطب « هيستوريا ميديكا » في عددها الصادر بتاريخ 9 جانفي 1985 هذا الاكتشاف « أهم كشف تاريخي طبي تم في عام 1984 » وقد توصل هذا الاكتشاف الى تأكيد وجود مدرسة طبية مشهورة في جنوب شبه الجزيرة العربية في اليمن . وأن العرب قد نهلوا علومهم الطبية من هذا المنبع وليس من اليونان .

● **تونسي يقود بنجاح فرقة موسيقية عالمية شهيرة :**

أوردت وكالات الانباء العالمية في النصف الاول من شهر مارس 1985 خبر تألق فنان تونسي عند قيامه بقيادة فرقة موسيقية أجنبية كبيرة ، ففي مدينة فيلونس عاصمة جمهورية ليتوانيا السوفياتية وضمن أمسية للموسيقى الكلاسيكية قاد الفنان التونسي أحمد عاشور بحنكة ومعرفة الفرقة السمفونية الليتوانية الشهيرة التي قدمت بالمناسبة روائع باخ وموزارت وسهوبن وتشايكوفسكي . وأكد مدير فرقة الفيلهارمونيا الليتوانية في تصريح لوكالة الانباء السوفياتية « ان الضيف القادم من تونس البعيدة يتمتع بروح الاصالة والذاتية في تفهم الاعمال الموسيقية ، ولهذا فان الحفلة التي أجراها عندنا كانت حدثا مشهودا في الحياة الموسيقية لجمهورية ليتوانيا » .

● **ملتقى الكتاب المدرسي والنظام التربوى :**

نظم مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بنزل البلفيدار بالعاصمة في الفترة الفاصلة بين 25 و 30 مارس 1985 ملتقى « الكتاب المدرسي والنظام التربوى » وذلك بمشاركة العديد من الاخصائيين .

● **صالح الحاجه .. وجائزة المنظمة العربية :**

نشر الصديق د. محمد صالح الجابرى في جريدة « الصباح » كلمة عن جائزة (الابداع الادبى) للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي

اسندت هذه السنة الى الكاتب الصحفي المعروف الصديق صالح الحاجه ..

قرات الكلمة فتجاوبت مع ما فيها من معان نريد ان نؤكد تلك المعاني باعادة نشر الكلمة في مجله « الفكر » التي تتقدم اسرة تحريرها باجمل التهاني واصدق التمنيات الى صديقنا صالح الحاجه راجيـة له نواصـل العطاء الابداعي الاصيـل الذي يـرفض كتابـات الضيـاع والاغتـراب والتجارب المهمشة :

« من تقاليدنا العريفه ان نشارك الاصدقاء والاهـل والجيران مناسباتهم المختلفة وخاصه المناسبات السعيدة التي تدخل على الانسان البهجة والفرج ، وتكسر حدة الزمن وقسوته .

وقد جرت العاده ان ننتقل نحن الى مكان المناسبة والى عقر دار المحتفى به لننضم الى اسرته الكبيره ونشعره بمدى المودة التي نكنها له .

ان هذا عين ما فكرت فيه عندما أردت ان أهنىء صديقنا العزيـز صالح الحاجه الكاتب المعروف ، واحد اركان جريدة (الصباح) والمشرف عـلى تحرير جريدة (الصدى) بمناسبة تسلمه جائزة الالكسو في الابـداع الادبـي في حفل أقامته المنظمة العربيه في مقرها وبمحضر ثلة من رجال الفكر ومسؤولي المنظمة وأصدقاء الحاجه .

لقد بدا لي ان من « العيب » ومن الخروج عن التقاليد المرعبه ، ان أهنىء الرجل في بيت عبر بيته وفي اسرة غير اسرته ، وان كنت اعرف مدى تواضعه وربما حرجه في ان اكتب عنه في الصحيفة التي يباشر العمل فيها . والاشراف عليها . ولكن يشفع له ولي ان كلانا صادق فيما يقول ، وفيما يكتب وفيما يواجه به الناس .

فأنا لا اهنئه من اجل سيارة اشتراها او عمار امتلكه او محل للمـرطبات دشنه في أحد شوارع العاصمة أو صفقة تجاريه عقدها مع احدى الشركات العالمية ، وان كنت اتمنى له كل ذلك . وهو زاهد فيه زهد من اقعدته عادة الكتابة وتلبس بالقلم ،ولكنني اهنئه لانه يعذب نفسه بالقدر الاوفى ، ويطير النوم عن عينيه. ويحرم ابناءه وأسرته من ساعة أنس معه، ويشمر على الساعد والساقين ليعدو وراء سراب الحرف العربي ، ويطارد المستحيل سعيا وراء الممكن .

انني اهنئه لانه سعيد بهذا العذاب ، رضي بحاله ، قانع به ، مصر على ان يحياه يوما بعد آخر بلا كلل وبلا فتور ، ويصنبر قدره المحتـوم ، واكسيـر وجوده .

قد نعى جائزة المنظمة العربية اشياء كثيرة وكبيرة بالنسبة اليه ، وقد تعد شركا له بعدم التراجع عن السبيل التي ارتضاها لنفسه ، وقد يجد فيها بعض العزاء والسلوى ، وجرعة معنوية تزود بها افكاره في ساعات الملل والاسترخاء، ولكنها بالنسبة لنا كتونسيين تعني اشياء اكبر واعمق ، لعلها بعض ما دفعني الى هذه التهنئة .

وصالح الحاجة هو اول كاتب تونسي ينال جائزة عربية قومية في مثل سنه ، ولا ينالها لمجرد المجاملة لتونس ، ولكنه ينالها وسط منافسات ومعايير ومواصفات ، وعن عمل من اعماله المنشورة .

وفي مقدمة هذه المعايير ما لا يختلف عليه او حوله ان صالح الحاجة كاتب جاد . يكتب من منطلقات وطنية تزخر بالحب لبلاده واهلها لا يبالي بغضب الغاضبين او رضاء الراضين عنه بقدر مبالاته والتزامه بكلمة الحق والصدق.

وهو لا يستثمر وطنيته في مفهومها الضيق المحدود بل يتجاوزها الى ارحب الآفاق العربية في معالجاته المنصبة للقضايا العربية بحكم ايماناته الحضارية لهذه الامة ، وايمانه بمستقبلها . واصراره على تخطي الخلافات والحساسيات والدعوة الى الوئام والتصالح ورأب الاصداع .

واذا كان تاريخ تونس زاخرا باسماء الصحفيين البارزين الذين تألقت اقلامهم ، وشرفوا وطنهم ، ونذروا اعمارهم مخلصين للمهنة التي كانت تسمى مهنة المتاعب ولا تزال فان قليلا جدا هم الكتاب الذين قدروا على الاستماتة في وجه الاحداث . ومجابهتها بصورة يومية وبملاحقة مطردة .

ان الذين يفتحون عيونهم كل صباح على آخر صفحات جريدة (الصباح) ويطالعون البطاقة اليومية لصالح الحاجة هم وحدهم القادرون على تقييم مثل هذا العمل اليومي المرهق . فالعثور على كل فكرة من الافكار في مزدحم هذه الحياة القلقة المرهقة المستفزة اندر من العثور على نخلة باسقة في صحراء سيبيريا او ادغال الامازون . ولكن صالح بسلطنته المعهودة يختلق كل يوم بطاقته ويخترع افكاره من اشياء حولنا نمر بها ولا نسر فضولنا فيضعها امامنا ، ويولد منها شتى الاعاجيب

انه لكل ذلك ولغيره استحق هذا التكريم واهلنا جميعا لنتقبل التهنئة معه . ونرحل الى قلبه الصغير لنصافحه ، ونأتي الى بيته الدائم جريدة (الصباح) او (الصدى) فنشارك الاسرة الكبيرة فرحها على الطريقة العربية التقليدية .

● **البيان الختامي لمهرجان « الأخلاء » للشعر العربي الحديث :**

تحت سامي اشراف وزارة الشؤون الثقافية ، وتحت شعار (الشعر في

معركة التأسيس الحضاري) نظمت «الاخلاء» بالتعاون مع جمعية النهوض بالطالب الوزري واللجان الثقافية المحلية بكل من توزر ونفطة والمتلوى مهرجان الشعر العربي الحديث في دورته السادسة بالجريد الممتدة من غرة ماي الى الثالث منه ، سنة 1985 وقد حضر هذا المهرجان نخبة من الشعراء والنقاد والصحفيين التونسيين ٠

كان هذا المهرجان في دورته السادسة اضافة حقيقية لدعم المسيرة الشعرية وتطويرها بتونس وذلك بالتزامه بكل المقترحات والمقررات الوارده في البيان الختامي للدورة الخامسة منه. فقد شملت بالفعل هذه الدورة عدة تظاهرات ثقافية وتكثفت فيها جلسات العمل مما مكن الحاضرين من تدارس عدة قضايا حيوية، ومعالجات حضاريه ، وتطارح اهم مشاغل الشاعر وهمومه ، والتحاور حول الاشكال الابداعي الذي قد يعرقل تطور الشعر العربي ويحد من انبثاقه من شرنقه السائد ومن المساهمة في التأسيس الحضاري بكل ابعاده ومستوياته٠

وبعد متابعة دقيقة لكل الظروف والملابسات المحيطه بهذه التظاهرة الثقافية في مسيرتها المحددة سنويا . وهدفها المتمثل في تحدير الشخصيه المتميزة للشعر العربي الرافضه للتهميش باسم التجديد ، الرافضة للانغلاق باسم الاصاله والمؤمنة بان الشعر التونسي لا يكون رافدا قويا يحفر مجراه باتجاه الشعر العربي ـ مغربا ومشرقا ـ اثراء واضافة الا بامتلاك خصوصيته الحق ، كما لا يمكن ان يكون الشعر العربي رافد اثراء وعامل اضافة للشعر العالمي اذا فقد خصوصيته وتهاون بالخطر الذى شكله هؤلاء الذين يعملون على تدمير المعمار الايقاعي للقصيدة العربيه جهلا بجماله او عجزا منهم عن الالتحام بمعاناته مما شكل منهم جبهة معادية لشخصيه القصيدة العربية التى لا يمكن ان تتطور وتتقدم وتشارك في صنع الاضافة وتمثل الحداثة بهذا (النثر البدعي الشعر) ٠

بعد تلك المتابعة تؤكد «الاخلاء» المساهمون فى هذا المهرجان :

1 ـ التمسك الشديد بشخصيه القصيدة العربية والالتحام بمعمارها الايقاعي وتطويره من الداخل ٠

2 ـ اعتبار الحركة والسكون هما الوحدة الايقاعيه للشعر العربي وما التفعيله الا قياس يمكن للشاعر ان يتجاوز شكلها الخليلي ولا يمكن للشعر ان يتنصل من التحرك بمقدار والسكون بمقدار لكون الحركة والسكون هما من ماهية اللغة العربية اذا اردنا ان نكتب شعرا عربيا لا ترجمة ولا نثرا ولا نظما ٠ كما انهما المركز الحقيقى لموسيقى الشعر العربي ٠

3 ـ العمل على تطوير القصيدة العربية مضمونا ينهل من واقعنا وقضايانا ويعبر عن هموم جماهيرنا صامدا في مواجهة تحديات العصر ملتحما بطموحات الانسانية نحو الخير والحب والحرية والسلام ٠

4 ـ اعتبار الفن عموما والشعر خصوصا احد مقومات البناء الحضاري على كل المستويات ، على ان يكون هذا الشعر نافرا بذاته من شبكة الرتابة والتكرار ومن حلبة الدوران في التجارب المستوردة ، ملتزما بالاضافة المبدعة التي تساهم في رقي المجتمعات وفي الدفع الحضاري ٠

5 ـ اعتبار ان الاديب الحق ـ وليست المجامع اللغوية ـ هو الامين والحافظ والمطور للغة العربيه وان الاديب هو القدوة للمثقف في كل العمليات الابداعية

6 ـ الاصرار على التمسك بهويتنا العربية المؤمنة بحوار الحضارات على منبر المساواه والايمان بمساهمة الحضاره العربية ايجابيا في التقدم الانساني وبقدرة الانسان العربي الحديث على المشاركة الفعالة في التقدم العلمي بوطنه العربي خاصة ووطنه الانساني عامه

7 ـ المناداة الحاره بمواصلة التعريب الشامل والكامل بكل مراحله ومظاهره باعتبار ان اجيال العطاء والابتكار والخلق والابداع تكون اقدر على المساهمة في البناء الحضاري العالمي اذا كانت متجذرة في لغتها الام اذ بدونها لا تكون خصوصية الاضافه وبالتالي تكون الاضافة العلمية المتميزة غير موجودة حتى اذا وجدت تكون الى حساب اللغة الاجنبيه على حساب لغتنا العربية ٠

8 ـ توظيف التجارب الابداعية لخدمة الانسان العربي في جميع الفنون الجميلة وفي الشعر خاصه باعتباره ديوان العرب الذي يجب ان يتحول فيه الشعر الى قبسات نور وتفاؤل وامل في الحياه ، لا ابواق دعاية وشعارات وتهريج ، أو عبوات ناسفه من التشاؤم والخوف والانطوائية ، وتقوقع الشاعر على ذاته بدعوى ان يعيش معاناته منفردا اذ المعاناة تظل سطحية ما لم تلتحم بالفعل الارادي الواعي ويظل الشاعر هامشية تنوس على قارعة المجتمع ما لم يكن متخللا ناسه في جميع مجالات الحياة مؤمنا بالفعل ، فاعلا لما يقول ، داخلا في منطقة التنفيذ لرؤاه ورؤياه ، ليقظة حلمه ، وجنون واقعه ٠

9 ـ العمل على الانبثاق بالشعر الى آفاق ارحب والخروج به من «منعطف الشابي» شرقا ومن جبه العربية غربا بمد جسور التواصل بين المشرق والمغرب نشرا وتوزيعا ، وبنقل الاشعار التونسية الى لغات العالم ونشر تلك المنقولات في اوسع الشريات انتشارا لضمان وصولها الى اقاصي الدنيا ٠

10 ـ رعاية المواهب الشابة ذات المنطلقات الصحيحة في كتابة القصيده العربية ، وتتبع خطواتها في المجلات والجرائد التي تنشر لتلك المواهب ، ودعوة الشعراء الشبان للمشاركة في مهرجان الاخلاء للشعر العربي الحديث في دوراته المقبلة وتخصيص امسية شعرية لهم والتعريف بانتاجهم وتشجيعهم

بالنقد البناء ... مع تمكين من ينشر منهم ابداعاته نثرا من التمرس بايقاع القصيدة العربية ودراسة كل مقومات الشعر العربى .

تـوصيـات :

يوصى المشاركون فى مهرجان «الاخلاء» للشعر العربى الحديث :

- بالعمل على تطوير التظاهرة وتوسيعها وتوغلها داخل الجمهورية وتحويلها الى نظاهرة قومية عربية انطلاقا من المغرب العربى الكبير باعنبارها التظاهرة الشعرية الوحيدة النى فرضت وجودها على الساحة منذ ست سنوات بالجمهورية التونسية .
- بمد كل المشاركين بنسخة من الدراسات النقدية قبل شهر على الاقل من انطلاق المهرجان .
- بتنظيم الدوره السابعة للمهرجان تحت شعار : (الشعر فى دعم الفعل) .
- بان تكون ندوة الدورة القادمة ملتزمة بالموضوع التالى : «دور الاخلاء فى النهوض بالشعر التونسى» .
- بان تكون الدورة القادمة فى زمن يسمح للادباء بالحضور المكثف (عطلة الربيع المدرسية ـ مثلا ـ) .

مـقـررات :

قررت الهيئة المديرة لمهرجان « الاخلاء » للشعر العربى الحديث رفع جائزة « الأخـلاء » للنقد الادبى الى ألفي دينـار مع اسناد جائزة قيمتها 500 دينار للموسيقار الذى يختار من المجموعات الشعرية التى صدرت عن « الأخـلاء » قصيدة ويلحنها ويذيعها بصوت من الاصوات الشابة .

خـاتـمـة :

تتوجه المشاركون فى الدورة السادسة لمهرجان «الاخـلاء» للشعر العربى الحديث المنعقدة بالجـريـد فى هذا البيان الختامى بجزيل الشكر وصادق الامتنان الى كل الاطراف التى عملت على تنظيم هذا المهرجان وبرمجته وتنفيذه ومتابعته حضورا واعلاما..تمويلا ودعما أدبيا وماديا وبالاخص وزارة الشؤون الثقافية وعلى رأسها الاستـاذ البشيـر بن سـلامه ويرجون مواصلة الدعم والشعر الغاية والمنطلق . والله الموفق .

● **الفائزون بالجائزة لسنة 1985 :**

قدمت تسع دراسات لنيل جائزة «الاخلاء» للنقد الادبى وقد تحصل عليها ثلاثة من النقاد الشبان وهم حسب الترتيب : **خميس جا بالله، التهامى الهانى، عبد المجيد بني عمر** .

وقدمت ثلاث جوائز بالتساوى لكل من البشير المشرقى والحبيب رحومه وجمال الدين حشاد . كما نال الناقد المصرى المعروف : أحمد فضل شبلول شهادة تقدير .

الفهرس

الصادق شرف
(سكرتير التحرير)

نعيمه الصيد
(مكلفه بالادارة)

صدر عن الدار العربية للكتاب

محاولة عيش

محمد زفزاف

الرواية صورة باحدى خلفيات المجتمع المغربي ، ونموذج حي من واقع أولئك المسحوقين فيه ، الذين أثقلت كواهلهم وطأة الحياة ، فظلوا في رحلة الضياع ومنازعة البقاء يصارعون الهمم والأحزان ويغالبون مشاكل التخلف والحرمان .

ضمن سلسلتهاالمنوعة للأطفال (19 × 19) ، التي اكتشف فيها القارىء ما يلائم ميوله ونفسيته من مواضيع شيقة : علمية ، فكاهية ، مسرحية .. صدرت العناوين الجديدة التالية :

الأمير ذو القرنين ، لماذا تتلون الحرباء ؟ وماتت القطة ، القط سرور ، مدرسة الشجاعة ، فأر يغلب أسدا ، القنفذ والحية ، عم مصباح ، جحا والناس ، مملكة الأرانب ، أرنوبة ، دهاء بنت البادية ، المارد في القفينة ، في عيدك يا أمي ، الكلب الصغير ، القطة ووردة ، الحمار الكسول ، رفاق الحياة ، الكنز ، نجمة الراعي ، حكاية بحر .

تصدر بتونس شهريا

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تلفون : 260.237
الحساب الجاري : 337.69 ـ تونس
العنوان : ص. ب : 556 تونس 1025

● تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة وتحتجب في شهري أوت وسبتمبر .

● قيمة الاشتراك السنوي :

الاشتراك العادي بتونس والبلاد العربية 6 دنانير .

الاشتراك بالخارج : 7 دنانير .

اشتراك الانصار : 12 دنانير .

● الاشتراكات يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة او يصب في حسابها الجاري : 337.69 ـ تونس .

● الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر .

● المراسلات تكون جميعا باسم :
مدير مجلة « الفكر »
صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

العدد 10 ـ جويلية 1985 السنة الثلاثون

EL-FIKR Revue Mensuelle Culturelle - 30ᵉ Année - N° - 10 JUILLET 1985

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم ـ تونس
تحت رقم 616 /1985 الايداع القانوني 3 / 1985

« ورق الفكر » من انتاج « الشركة القومية لعجين الحلفاء والورق »

ثلاثمائة عدد وثلاثون سنة

بهذا العدد تكون مجلة « الفكر » قد انهت سنواتها الثلاثين منذ ان اصدرها في اكتوبر 1955 الاستاذ محمد مزالي وأتمت بذلك حصيلة من الاعداد تبلغ الثلاثمائة بحساب عشرة اعداد في السنة لم يتخلف عدد واحد عن ميعاده في غرة كل شهر . وهو رقم قياسي لم تبلغه اية مجلة في تونس سواء من حيث العدد او الاسترسال في الصدور خاصة وانها لا تصدر عن اية جهة او هيئة رسمية بل هو مشروع خاص يرتكز على همة باعثة أولا وبالذات وحماس ثلة من المؤمنين بالثقافة في أسمى معانيها تجذرا في الوطن وتفاعلا مع الغير وتجاوبا مع الفعل وتناغما مع أبعادها الفنية والجمالية الخلاقة وبكلمة أدق توافقا مع القيم الخالدة التي هي أساس التربية الحقيقية ومحركها الذي لا بديل عنه .

واذا كان من الواجب ان نؤكد ذلك في هذه الصفحة التي تتصدر العدد الخاتم للسنة الثلاثين فان فروض التقييم وواجبات الشكر لكل الاطراف التي عملت على سيرورة المشروع تتجاوز هذه الصفحة ولهذا نترك هذا العبء الثقيل الى اللجنة الثقافية القومية التي أعدت لأوائل شهر أكتوبر القادم برنامجا ثريا للاحتفاء بهذا الحدث وإعطائه الابعاد التي يستحقها .

ولقد صادف ان كان هذا العدد يحتوي على ملف يتضمن عدة مقالات ودراسات وقصائد تهم التربية والشباب في ارتباط هذين الفرضين بالطبيعة والوطن (قصائد ، لثلة من الشباب في التغني بتونس) وعلاقتهما بسائر البشرية وضربهما في المستقبل الذي يتجاوز الماضي والواقع .

فعسى ان يكون هذا العدد من « الفكر » منطلقا الى حقبة اخرى نتوصل فيها الى « الحديث » الذي يفضي الى « الفعل » للانتقال بوطننا ـ على أساس القيم الخالدة ـ من المرحلة التي وصل اليها الى مرحلة اوفى واشمل تقدما في العلم وتمسكا بالذات وتطلعا الى ما هو افضل في الحضارات والثقافات الاخرى تفاعلا معها ومساهمة فيها .

البشير بن سلامه

إلى القارئ

من بلاد الصين الى اليابان

بقلم : البشير بن سلامة

في غضون شهر جوان زرت الصين الشعبية واطلعت عن كثب على بعض جوانب الحياة فيها وتمكنت من التحول الى عدد من مدنها (بيكين ، تيان تشين ، شنغاي ، شوسو) وحصلت لي بعض الانطباعات التي وإن كانت غير مكتملة نظرا الى ضيق الوقت وعدم معرفة اللغة فانها يمكن أن تكون منطلقا الى افكار لا تخرج في الواقع عما كتب عن الصين في هذه السنوات ولكن ليس الخبر كالخبر .

إن من يطأ أرض الصين ، يشعر انه في بلاد عظيمة أثقلت القرون تاريخها وافسحت لها من المجالات ما لم تعرفه بلاد اخرى في الدنيا ، شساعة في المساحة وضخامة في عدد السكان وخطورة في صنع الاحداث والتأثير فيها .

فلقد تضخمت الصين مساحة بما خاضته ، طيلة قرون من أول التاريخ على يد اباطرة عديدين ، من المعارك الطاحنة والجولات الدموية المثيرة لاثبات الكيان الصيني كحدود قارة أولا وحضارة متميزة ثانيا رغم حكم الدخلاء الاجانب في فترات عديدة ومحاولة جر البلاد الى هويات مختلفة .

ولقد تجلى هذا الحفاظ على أرض الوطن في هذا السور العظيم الذي بني لرد الغزاة ودحر الطامعين وخاصة الامم الضاربة في البداوة فكان عملا جبارا امتد من القرن الرابع قبل المسيح الى القرن السادس عشر بعده وطوله حوالي 2300 كلم على خط مستقيم وما يقرب من 5000 كلم في الواقع بما احتواه من تحصينات ملتوية ومتماشية مع وعورة الارض وتعرجاتها . وهذا السور

العظيم الذى يصل فى بعض الأماكن الى علو يقرب من ستة امتار وعرض يتراوح بين الخمسة والستة امتار يحتوي على ابراج للرصد قائمة على اسوار مسننة تلتوي مع تضاريس الارض . وقد ساعد هذا السور العظيم على ملاحظة كل تحركات الأعداء وحماية الصينيين من الهجومات وتسهيل التنقل بين شرقى الصين وغربيها .

وإن صعودي لما يقرب من ست مائة متر من هذا السور على بعد مائة كلم من بيكين ابان لى عظمة هذا الانجاز وما يرمز اليه ـ بشموخ تحصينات أعلى قمة فى الجبل ـ من معانى الاصرار على بناء حضارة شامخة تميزت على مر الدهور بخصوصيتها وعمق ابعادها وطرافة روافدها .

وليست عظمة السور باقل وقعا فى النفس من اثر ضخامة عدد السكان . إذ لا يمكن لأى متجول فى مدينة من مدن الصين وخاصة بيكين ان لا يشعر بان هذا السيل الجارف من المارة ـ إما على الدراجات او على الاقدام ـ سيل لاينقطع ممتد كامتداد سور الصين ثابت رغم تحركه كثبوت التحصينات : إنه اكثر من مليار نسمة يصنعون الصين الجديدة كما صنعها الذين بنوا الأسوار واخترعوا البارود والورق وافتنوا فى ضروب الفنون والمرافق .

وإنه ليس بخاف عند مشاهدة هذا السيل العظيم من البشر وكذلك اذا ما توغل الباحث فى تاريخ الصين وتتبع بكل إعجاب الفنون التى ما تزال متوارثة من رسم وتطريز وتخريم ونسج على الحرير وغيره وموسيقى وصنع خزف وبرنز ومعمار وتفنن فى إقامة الحدائق ، إنه ليس بخاف ان هذا الشعب يعتز بذاته ويتمسك بهويته ولكنهما هوية وذاتية لا تشبهان ما درجنا فى هذه السنوات على إعطائهما مفهوما غربيا بل هما ملتصقان بحكمة الشرق التى لا تنفصل عن الواقع المعيش وعن الوجود المتلبس به والتى لم تعرف مفهوم « الكائن » الذى ابرزه ديكارت وادى الى الفردية او قتلها فى الانظمة الكلاتية وجر العالم الغربى الى التسليم كما قال ليفي ستروس بحدوث كسر بين الماضى والحاضر وبناء المجتمعات على اساس إيديلوجيات وافكار مجردة ادت الى الصراعات والازمات المتواصلة .

وليس بخاف ايضا ان الصين كادت ، اثناء الثورة الثقافية التي اوانها كل الصينيين الآن واعتبروها وصمة في جبين الحركة التحررية التي بدأت سنة 1949 وفترة تاخر لا يمكن تلافيه الا بالجهد والعناء الكبيرين ، إن الصين كادت اذن ان تقع في الأحبولة التي وقع فيها الغرب وهو يجهد الآن ان يخرج منها والتي يغرق فيها بعض القادة في العالم الثالث تطبيقا للثورة الثقافية المجهضة ، غرورا او جهالة او خضوعا .

ولهذا فان الحكمة الصينية قد تغلبت واصبح الشعب الصيني الآن يشق طريقه نحو تفتح رصين للتمكن من حذق كل ما لدى الأمم ، كل الأمم ، من تقنية وتكنلوجيا وحتى الفنون مهما كانت : نعم الحذق الى حد التقليد ولكن الحفاظ على التقاليد الصينية وعلى الحكمة الشرقية التي تقول بالتضامن والوفاء والقناعة وبالجد في العمل وبكلمة ادق بالمحافظة على القيم الخالدة التي تستوجب لغرسها في النفوس التربية الحق القائمة على حسن السلوك والانضباط وحب الوطن .

والحق يقال: إن شعبا مثل الصين في كثرة عدد سكانه وفي عراقة حضارته لو لم يقم بثورته التحررية في سنة 1949 ولم يمض على النسق الذي ذكرته لما أمكن له ان يقطع اشواطا كبيرة لقهر الجوع والمرض والجهالة والجمود ، وهو بهذا حقيق بالاعجاب والتنويه .

إن شعور المسؤولين في الصين حاد بجسامة العبء الذي يتحملونه لجعل الشعب الصيني يصبح في اقرب الاوقات في عداد الامم المتقدمة وبهذا فان قرارات اللجنة المركزية المنعقدة اخيرا حددت الطرق والوسائل الكفيلة بالتغلب على كل مظاهر التخلف وكسب رهان التقدم من دون الوقوع فيما تردت فيه المجتمعات الغربية من مادية مفرطة وفردية مقيتة وسيطرة على الطبيعة مخزية ونظرة الى المستقبل كانه صورة من الحاضر او ذيل من الماضي.

وإنني على يقين من ان الصين هي سائرة في الطريق التي سار فيها اليابان منذ اوائل القرن الحالي ولكن مع فارق كبير هو ثقل وطأة حضارة الصين وحكمتها وتشبثها بالقيم وحذرها من الافراط في الاقدام على النمط الياباني او التفريط في سر التقدم الذي عرفه اليابان .

نعم إن هذا التقدم الذى احرزه اليابان فى جميع المجالات برز فيما رايته فى المعرض الدولى بتسوكوبا (على بعد 30 كلم من طوكيو) وهو معـرض اراد ان يظهر فيه اليابان بمظهر الـدولة التى كسبت الرهـان فى مجـالى العلـم والتكنلوجيا . وقد شارك فى هذا التجمع العالمى الممتاز سبعة واربعون بلدا وسبع وثلاثون منظمة علاوة على اليابان وثمان وعشرين شركة يابانية . وكان الشعار هو : السكن والمحيط والعلم والتكنلوجيا فى خدمة الانسان .

وقد خصص الجناح اليابانى لمعالجة غرض : الارض والشمس والمـاء . فقد برزت استعمالات الطاقه الشمسية فى الفلاحة وفى طريقة خزن هذه الطاقة وإمكانية استغلال الماء والطاقة الشمسية والاسمدة فقط من دون استعمـال الارض للتحصيل من غرس واحد للطماطم على عشرة آلاف وحدة هذا علاوة على ما عرض من تكنلوجيا الفضاء ومن آلات تمكن من رؤية العـالم بمنظـار الحيوانات ومن ترصد الزلازل .

ولكن اليابان لم يقتصر على ذلك اذ خول لكثير من شركاته فتـح اجنحـة خاصة أبرزت احدث ما لديها من اختراعات : ففى مجال المســرح تـم ضبط مسرح دائري له اربعة ركوح وبامكانه توزيع التذاكر والسمـاح بالدخـول بصورة آلية وكذلك ابتكر مسرح يخلق ناظم الآلة أشخاصه وديكوره .

وهمن على كثير من الاجنحة شبح الانسان الآلى (Robot) فعرض أعظم نموذج له كما عرض إنسان آلى قادر على رسم صورة لاى شخص يجلس امامه فتراه يرسم بعد التامل صورة قريبة للشخص .

ونمكنت من التعرف الى استعمال الـلازر (Laser) فى مجال الرسم والى اختراع يمكن من صورة أنصع على شاشة التلفزة وابتكار آخر للسنمـا ذات الأبعاد الثلاثة واحكام آلة جديدة للترجمة اذ اصبح من الممكن الآن التحصيل على ترجمة فوريه بين اليابانية والانقليزية ولكنها ليست مطابقة تماما ولكن بعد سنوات قليلة سيكون فى امكان الانسان ان يتجول فى اى بلد فى العالم بدون مترجم وان يحضر الندوات باستعمال هذه الآلة .

والحديث يطول لو تتبعنا الاختراعات الموجودة فى اجنحة البلدان الاخرى كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتى وفرنسا وايطاليا وغيرها . مع

الملاحظة أن تونس تكاد تكون البلد العربي الوحيد الذى حضر هذا المعـرض الدولي واثبت فيه وجوده كحضارة عربية اسلامية تخدم الانسان وتحاول أن يكون العلم والتكنلوجيا غير مغيرين بسببها للمحيط والسكن .

وعلى كل فان الشرق الاقصى وخاصة الصيـن واليابـان قد أوجد لنفسه طريقة تمكنه من حل مشاكله والفوز بالسبق فى عدة مجالات بهذه العزيمة التى مكنته من سن نظام للتربية ولا أقول للتعليم يرتكز على القيم أولا وبالذات هذه القيم التى تخول أن يتشبث الطفل والشاب بوطنه قبل كل شىء وأن يتعلم التضامن مع غيره وينبذ الانانية ويقبل بجد وعناء على حذق أحـدث ما هـو موجود عند الامم الاخرى من علم وتكنلوجيا .

ولعل الصورة التى لخص بها وزير الثقافة الصينى التمشي الذى ارتضته الصين اليوم خير ما يبرز هذا المنحى اذ قال : إننا فى حاجة الى الهواء النقي ولهذا فمن الواجب أن نفتح النوافذ ولكن مع الهواء النقي تدخـل الحشـرات وما شاكلها فنحن نتصدى لها بالمبيدات ويعني بالحشرات : المادية المفرطة التى تستثني كل ما هو روحانى ومتصل بالقيم .

بهذه اللمحة الخـاطفة عن هـذين البلـدية العظيمين أردت أن أبسط الى التونسيين والى قراء هذه المجلة من الأشقاء الى انـه من واجبنـا أن نراجـع أنفسنا ونقلع عما دأبنا عليه منذ نهضتنا الاولى من أنماط التفكير التى لم تجرنا الا الى ما نقاسيه اليوم من تشتت وفرقة وصراعات دموية وتاخر وإغراق فى مظاهر التخلف والجمود وتشبث برواسب عصور الانحطاط عوض الاقبال على ما تقبل عليه الامم الاخرى من إذعان للواقع ونظر الى ما يتقدم بنا وينهض بشعوبنا من دون تحد وعنتريات ومن دون المرور بالتجارب التى مـرت بهـا بعض الدول وأقلعت عنها.ولعله من الواجب أن نقبل قبل كل شىء على مراجعة أنظمتنا التربوية على أساس ما ذكرت وأن نولي أيضا الثقافة دورا يتوازى مع تلقين المعارف لان تعليم الفنون والبرامج التثقيفية هى التى تصنع الخـلاقين القادرين على الانصهار فى الواقع وفى الطبيعة وتجاوزهما لما فيه الخير للبشرية مستقبـلا .

البشير بن سلامة

أيها الشباب

شعر: الشاذلي عطاء الله

تهيّأت الأسبابُ وانقطع العُذْرُ .. ولم يبقَ إلاّ الجدّ والعَمَلُ البِكرُ

فشمِّرْ أخي عن ساعديكَ فإنما الحيا ةُ كفاحٌ منْ مُعدّاته الصّبْرُ

عليكَ عقَدْنا كل آمالنَا فلا تُخيِّبْ رَجانا أيُّها البَطَلُ الحرّ

فجاهدْ وكُنْ في مُستوَى أملٍ عَليْـــكَ عقدناهُ لكي يُضْمَنَ النَّصْرُ

لكَ السَّاعدُ المفتولُ والعصَبُ الّذي تصلّبَ حتّى لا يُفتّتهُ الصّخْرُ

(تنامُ بإحدَى مُقْلتَيْكَ وتتّقي بأخرى الأذى) كي لا يفاجئك الدهر

وفي الشرايينِ فَيضٌ من دمٍ محْرقٍ به لذْعُ نارٍ ليسَ يشبههُ الجَمْرُ

فلا قوّةٌ في الأرضِ تقْوَى على قُوى الشبابِ إذا لم يُفنها الضّرّ والعمرُ

عرفْناك صُلبــا لا تَلينُ قَنَاتُهُ ولا ينحني حتّى إذا مسّهُ الضّرّ

فكنْ درْعَ هذا الشعبِ واحم كيانهُ إذا اشتدّتِ الأهوالُ أو غدر الغيرُ

فإنكَ للخضراءِ أيقظُ حــــارسٍ يقيهَا طوالَ الدهرِ إن لزِمَ الأمرُ

وأنتَ سمادُ الأرضِ تُنمي غِراسها بجهدٍ جهيدٍ لا يضيقُ به الصّدرُ

عهدناكَ حرّ النفسِ لا تَستَملك النّوازعُ أو يقــوَى على قهرِكَ الدّهرُ

حياتُكَ كنزٌ للبــلادِ تُعــدّهُ لأيّامهَا السّوْداءِ وهوَ لها ذُخْرُ

تُنمّيه بالسّعي المُفيدِ إذا تــوا صَلَ جدّيًا وينمو بــه الخَيْــرُ

إذا أنتَ سايرْتَ الحيَاةَ وَجدْتهَا تُريدُ شُجاعا ليْسَ يعْوزُهُ الصّبرُ

يشقّ الطريقَ الوعرَ ليستْ تُخيفهُ مَسَالكها الكأداءُ ولا المهمهُ الوعرُ

إذا كانت الغايَاتُ من همّةِ الفتَى فليستْ لتُقصيهِ متَاهاتُها الكُثْرُ

يهُونُ عَلَيْهِ كُلّ صعْبٍ ولا تُنهْنِهُــهُ الأهْوَالُ والمَهمهُ القَفْرُ

ويشربُهُ مـرّا زُعـافا وَعَلْقَمـاً   وَيُطْعِمـهُ حُلْوا وَمَطعَمهُ الصَّبرُ
كذا فلْيكُنْ شأنُ الشّجاع إذا   تأزّمتِ الأحوالُ أنجدَهُ الفكرُ
وَأبلغَهُ غاياتِه لمّ لمْ يَـزَلْ   يُصاحِبُهُ حتّى يُفارِقَهُ العُسْرُ
خِلالٌ عليها عاشَ ذُو مرّةٍ ولَمْ   تُفارِقهُ ما استأنّى وَطالَ به العمرُ
فأنتَ مَلاذُ الشّعبِ في أزمَاتِـه   إذا اربدّ وَجهُ الدّهرِ واختلط الأمر
وَأنتَ لهُ درْعٌ تقيه كَـوارِثـا   إذا مَا العِدا هَمُّوا بِه وبه أغْرُوا
تُلقّنُهمْ درْسا يُحطّمُ مَا بنَوْا   فيَغدُو هشيما ما لهُ في الورا ذِكرُ
إذا أُمّة لم تحمِها من عَـدُوّهَـا   قوىً من بنيهَا عاثَ في أرضها الغيرُ
ونحنُ بحمدِ اللهِ يَحْمِي شَبَابنَا   حِمانَا فلا يُجتَاحُ من أرضِنا شِبرُ
ولن نستسيغَ الذّلّ حتّى ولو بدتْ   حلاوتُهُ أوْضاع مِنْ نشرهِ العِطرُ
كَرَامَتُنَا تَـأبَى علَيْنَا خُضُوعنا   لمن خال أنّ النقصَ يُكمِلهُ الكبر
عهدناكَ يا سيفا من العزمِ مُصْلَتا   على هام من لم يصف من حقدهم صدر
فلا تغفِ عينا وانتبِـهْ لمُـراوِغٍ   تسلّلَ حتّى ظنّ أن الدّجى ستر
من الحزم أن لا تأمن الريحَ إن هفتْ   رُخاء فما الإعصارُ إلا ابنها البِكرُ
إذا انتَ لم تأمنْ عَدُوّا وإن بَـدَا   صديقا أمنتَ الغدرَ واقتربَ النّصرُ
فأمضى سلاحٍ في الحياةِ تَيَقُّـظٌ   وحزمٌ وتدبيرٌ بها يسهُلُ العُسْرُ
فلا تُضِعِ الوقتَ الثّمينَ فَـإنّـهُ   إذا فاتَ لمْ ينفَعْكَ في فوتِه العذرُ
ولا تخشَ صعبا يضعف العزمَ فالحيا   ةُ صعابٌ والجبانُ هوَ الغِمْرُ
ولولا ابتعادُ النفسِ عنْ مُغْـرِيَاتها   لما كانَ فوزٌ في الحياةِ ولا ظفرُ
عهدْناكَ لا تَغترّ بالصّـوَرِ الّتـي   تُبادِيكَ حتّى لا يُخادِعَكَ السترُ
وحزمُ الفتَى المقدَام لا تستفِزّهُ   المظاهرُ أو يثنيهِ عن قصدهِ شكرُ
ولوْلا مضاءُ العزْمِ لم تمتلِئْ صَحا   ئفنا الغرّا ولم يخلُدِ الذّكرُ
وهَا هيَ أسفَارُ الأُباةِ مَليئةٌ   وما بينها سترٌ لمن فاتَهُ الفخرُ
فلا تحنِ ظَهْرا للمصاعبِ إنّها   تمرّ وعسرُ الدهرِ يَعقُبُهُ اليُسرُ

الشاذلي عطاء الله

من الأبعاد الحضارية للسنة الدولية للشباب

بقلم : محمد الصادق دمق

ان الحديث عن الشباب في سنته العالمية التي هي تحت شعار : « المشاركة التنمية ، السلم » ستلزم منا ان نبحث في العناصر المرتبطة بشخصيه كل شاب وهي العنصر البدني والعامل النفسي والعوامل الاجتماعية والثقافية .

وبالرغم من ان لكل شاب شخصيته التي تميزه عن غيره حيث يقول الفيلسوف ـ فيللو ـ : «الشخصية هي التشكيلة الفريدة المتميزة التي يتخذها الفرد من مجموع العوامل المسؤولة عن سلوكه» فان هناك العديد من العناصر التي تجمع بين الشباب بحكم الاشتراك في هذه المرحلة من العمر ضمن اطار حضاري له سماته التي تميزه عن غيره .

العنصر البدني :

ففي العنصر البدني نجد للشباب قوة الاندفاع والميل الى اظهار القدرة البدنيه ، ومن هنا جاء ميله الى القيام بأخطر المهام وركوب متن المغامرة دون وجل أو خشية ، فكان لتوجيه التربية البدنية قيمة هامة في استغلال تلك الشحنات من القوه والقدرة لصقلها وتهذيبها وصرفها في ما ينفع الفرد والمجتمع .

العامل النفسي :

اما من الناحية النفسية فان البحوث قد أثبتت العديد من مميزات هذه المرحلة العمرية من حياة الفرد ، فمرحلة الشباب تتميز بميلاد الميل الشديد

الى استقلال الشخصية حيث يتخلص الشاب من فكـرة التبعية السلـوكية وخاصة الابوين • وهذه الشخصية المستقلة تولد امامه ضرورات جديدة لم يكن يفكر فيها من قبل وهى الاعتماد على النفـس والتفكيـر في المستقبـل واثبات الذات وتحدى العراقيل التى تعترضه والتشبث بقيم اخلاقية معينة ومحاولة فهم غوامض الامور والتعمق فى أسباب الظواهر الطبيعية والاجتماعية والاهتمام بالنتائج والافرازات التى تفرزها المذاهب العقائدية ، ومن هنا جاء الاهتمام بهذه المرحلة من العمر والسعى الى تاطير الشباب ضمن اطار سليم ينمى فيه الميل الى التفكير المنطقى ويعمق فيه الروح العلمية والتفكير الرياضى حتى ينتهج فى حياته منهجا تجريبيا عقليا يمكنه من ان يكون موضوعيا فى مسيرته الحياتية •

العوامل الاجتماعية والثقافية :

لاحظنا فى العنصرين السابقين مدى ترابط العـوامل الجسمية والنفسيه عند الشباب مع التركيبة الاجتماعية التى يعيش فيها • فلكل مجتمع ثقافته التى تميزه عن غيره • والانسان مدنى بالطبع كما ذهب الى ذلك ابن خلدون وهو بالتالى لا يستطيع العيش خارج اطاره الاجتماعى والثقافى • ولا يستطيع أن يتخلى كليا عن القواعد المعينة للسلوك المتفق عليها • وما الثقافة حسب رأى ـ رالف لنتون ـ : «الا مجموعة منظمة من انمـاط السلـوك ، وهـذه النماذج والانماط هى عادات اجتماعية لها طابع الزامى» •

والطابع الالزامى هذا له وقعه الخاص على الشاب الذى يمر بمرحلة المراهقة التى تجعله جسميا ونفسيا يميل الى التعبير عن الذات بكل تلقائية متحديـا بعض المعايير الاجتماعية التى اقرها المجتمع ، وبذلك تنشأ له صعوبات مردها الصراع القائم بين فكرة التأصيل التام والتجذر الكلى وبين التفتح على التيارات المعاصرة التى قد لا تتماشى بعض مقوماتها مع ما للمجتمع من مثـل وقيـم اخلاقية أصيلة •

الترابط بين الخصال وتكييف السلوك :

ان الربط بين خصائص شخصية الشباب ودوره فى الحياة لـه اهميـة قصوى فى اعداده للاضطلاع بدوره الفعال فى حماية الذات والوطن والانسانية

وقد أدرك الزعماء والفلاسفة والمصلحون الاهمية القصوى لهذا الترابط بين خصال الشباب وتكييف سلوكه ، فركزوا عليه تفكيرهم وانتهجوا فيه مناهج قد اختلفت في المسلك ولكنها تقاربت في الاهداف ، ومن ذلك ما ذهب اليه المجاهد الاكبر فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة حيث يقول : «الشباب في نظرنا عقلية وطاقة ورهان مستقبل» .

فهذا التعريف ياخذ في الاعتبار الخصائص الجسمية والنفسية التي يتميز بها الشباب الا انه يسمو بها الى أعلى درجات الاعتبار الانساني ، فالعقلية المتحررة هي التي توظف الطاقات التي يمتلكها الشباب الى الخلق والابداع والعطاء من أجل تحقيق خير المجتمع بعيدا عن النظرة الضيقة النفعية وهذا لا يتم الا بتكوين العقلية العامة للمجموعة البشرية المتعايشة عن طريق البرامج التربوية والثقافية الواعية التي تفسح المجال امام التفكير الحر الموضوعي الذي ينطلق من أصالة الشعب وجذوره التاريخية والحضارية .

واذا كان الشباب عقلية فهو طاقة خلاقة لا تعرف التهيب والتحرز كلما اتضحت أمامها المسالك وآمنت بما هي قادمة عليه من تغيير واصلاح واجتثاث لعناصر التزمت والتخلف والتعصب حتى تغرس مكانها التفتح المتزن والتقدم الواعي والتأقلم مع مقتضيات المثل الانسانية الراقية ، ومن هنا جاءت قدرة الشباب على الاضطلاع باعباء أهم الثورات التي غيرت مجرى التاريخ في العالم وجعلت الانسان يتبوأ منازل رفيعة في مدارج التحضر والتمدن .

ثم ان الشباب رهان مستقبل لان خصاله ونفسيته وطاقاته تجعل منه رصيد الشعوب لمواجهة حاجات الاستمرار والتجديد وتحقيق الاهداف المستقبلية .

وهذا لا يتم الا بافساح المجال أمامه للتدرب على تحمل المسؤولية لان الخصال تتطلب الصقل والتهذيب والتدريب حتى تكون لها جدوى وحتى تحافظ على جوهر الحضارة ورصيدها الذي ساهمت في تكوينه الاجيال المتعاقبة عبر العصور المتتالية .

المدلول الوطني لشعار السنة الدولية للشباب

ان الشعارات التي لها مدلول انساني شامل لابد أن تقع مسايرتها لكل الانظمة في العالم بعيدا عن الهيمنة والتبعية .

فالمشاركة بالنسبة لتونس لها بعدان يتمثل الاول فى ادراك أهمية الدور الذى يمكن أن يقوم به كل شاب ، والثانى فى نوعية المشاركة التى يجب أن تكون منطلقة من الارضية التى ضحى الشعب من أجل توفيرها ٠

فالشباب مدعو الى المشاركة التى تضمن ديمومة الذاتية القومية عـزيـزة الجانب حاملة لمقومات صلاحية العيش ضمن التيارات العالمية المختلفة ٠

فالبورقيبية من الانظمة التى لها قوة الدفع الدائم نحو ارتيـاد مجـالات جديدة تتكيف مع الضرورات الحتمية للعصر فهى تفسح المجال أمام الفـرد ليدرك وضعيته وبالتالى تمكن الشباب من ادراك مدى مساهمته فى اثراء الواقع لانها تدعوه لاعمال العقل والسير حسب المناهج العلمية المضبوطة .

فالمسيره التحريرية التونسية اقامت الدليل على ان الطاقات الشبابية لها قيمتها فى تغيير واقع لم يكن يتضمن مقومات الشخصية الوطنية المتماشية مع المبادىء العربية الاسلامية ٠ وكان ذلك العمل متسما بخصائص تونسية نابعة من الواقع والشخصية القومية ٠

ثم ان مشاركة الشباب التونسى هى مشاركة الروح العلمية المتوثبة الى المستقبل ، الحاملة لعناصر الكشف والاخـتـراع والريادة بعيدا عـن الخنوع والتعصب ولا يتم ذلك الا بالتخصص الدقيق فى مختلف المجالات العلمية حتى يكون الفكر التونسي خلاقا ميدانيا مبتكرا لأروع مظاهر الاكتشاف والاختراع عندما تتوفر الظروف وتتيسر الامكانات الضرورية ٠

انها المشاركة الرائدة فى الرفع من مستوى الانسان عن طـريق تطبيـق المناهج العلمية وعقلنة السلوك والتفكير لضمان الوحـدة القـومية حـاليـا ومستقبلا لانها الاطار الاجدر بتحقيق ما وطننا العزم على اخراجه من ميـدان الامكان الى ميدان الفعل .

ولعل المشاركة ترتبط مباشرة بالتنمية ، والتنمية ليست فقط ما يتبادر الى الذهن من نمو للانتاج القومى ، وانما هى أبعد مدى واشمل مجالا فهى تنمية القدرات العلمية وهى الرفع من مدارك الانسان وهى السمو به من الانا الضيق الى أرحب مجالات الاشعاع وهى بالتالى تخليص الانسان من عوامل التثبيط والاحباط الى منزلة الخلق والانتاج بكل جدارة وفاعلية ٠

فالانسان هو الغاية وهو الوسيلة فى المنهج البورقيبى وهذا ما جعله أهم عنصر من عناصر التنمية فى المسيرة الحضارية فهو عنصر حى قادر على التأقلم مع الظروف ومجابهة التحديات وتحقيق ما كان يعتبر من قبيل المعجزات فقد أعلى السدود وبعث المصانع وطور الانتاج الفلاحي وركز مؤسسات اجتماعيه وثقافية كان لها قيمتها فى توفير الظروف لضمان قدرة الشباب التونسى على مواصله رسالة المساهمة فى تطوير المسار التنموى العام ٠

ولم يكن لهذه الامور أن تحققها هذه الطاقات البشرية الهائلة التى هى ذخيرة هذه الامه لولا تحقيق مبدا الوحدة القومية التى نراها مظهرا من مظاهر السلم ٠

فالسلام لا يمكن أن يتحقق عالميا اذا لم تروض النفوس على نبذ الحقد والضغينة والاستعلاء والميز العنصرى والانتماء الطبقى ٠

وتحقيق السلام رهين بما يسمح به التربيه الوطنية من تهذيب للنفس البشريه وجعلها ترى فى السلام وجودها وفى التضامن كيانها وفى التعاون الحر النزيه مستقبلها ٠

ان السلام هو فى التوفيق بين المصالح الشخصيه ومصالح المجموعة الانسانية ، هو فى قهر نوازع الهيمنة والتسلط واقرار ميول المحبة والتعاون محلها .

والسلام هو جدلية تتطلب طرفين متفاعلين متلازمين هما احترام القوي للضعيف وتعاونه معه على قدم المساواة من أجل خير الانسانية .

وهكذا فان جعل هذه السنة تحت شعار السنة الدولية للشباب له مضامينه ومدلولاته العميقة الغور الفسيحة الآفاق . فيه توظيف لنوازع الشباب الخيرة من أجل تحقيق مجتمع انساني أفضل .

وتونس بنظامها القائم على المبادىء الانسانية النبيلة من حرية وديمقراطية ونظام لها القدرة الكافية للمساهمة بطاقات شبابها الواعي المثقف المتحضر فى اقرار نظام دولى يأخذ بعين الاعتبار مصالح التركيبة الدولية بعيدا عن الهيمنة والسيطرة واخذا بأسباب التضامن والتعاون والسلام .

محمد الصادق دمق

قصيدة من البحرين

تونس الحبّ.. تونس الياسمين..

شعر: عبدالله مالك القاسمي

قفوا أيّها الشعراء قليلاً قصائدكم لا تروم الرحيلا
مكبّلة باغتراب المعاني كبوصلة قد أضاعت سبيلا
فهذا الغمام كثيف وذاك المدى ممكن، إن بدا مستحيلا
إذا ما عشقتم صباحا جديدا فليلكم لن يكون طويلا
إذن عانقوا دوحة ظلّلتكم وضمّوا إليكم ترابا أصيلا
لنا في الشمال طيور تغنّي وعشب وماء جرى سلسبيلا
لنا في الجنوب جريد تعرّى لشمس سناها يغطّي النخيلا

* * *

أحبّك قرطاجة.. الياسمين تدفق في القلب حلما جميلا
ولا تسأليني.. فما ينفع العشق إن لم أكن قاتلا أو قتيلا
فلي جسد طافح بالهوى لا يميل ولو حاولوا أن يميلا
ومهما عشقت ومهما تبدلت لن أتخيّر عنك بديلا

* * *

على ظمإ يلهثون وأبقى أنا أتفيّأ كرما ظليلا
ينامون مثل السّكارى ويصحو الذي قد هوى.. أصطفيه خليلا

خليلي عشقنا معا .. وارتوينا معا .. يا ترى هل شفينا الغليلا ؟
يُضَمِّخُنَا مطرٌ قد همى فانتهينا على ربوةِ الحبِّ غُصْنا بليلا
أيا تونسَ الحبِّ نحن نُنَاديكِ هلاّ سمعتِ نداء صهيلا
فإن تركض الخيل في دَمِنَا يصهلِ الحبّ فينا طَويلا
وإن شرّدتنا الرّياحُ زمانا ونِهنَا زَمَانا .. فكوني الدليلا
سنأتيكِ بالأغنياتِ وبالشهواتِ لنرسمَ وقتا بديلا
وعذرا إذا جفّ نبعُ الكلامِ فنهرُ الغرامِ اشتهى أن يسيلا

ع. م. القاسمي

من مؤلفات الاستاذ محمد مزالي

- الديمقراطية
- مواقف
- من وحي الفكر
- في دروب الفكر
- حديث الفعل

الطفل في البيئات الثلاث

بقلم : عبد الحفيظ الهنشيري

ان كلفة الحياة ما انفكت تزداد وتكبر وقيمتها لم تتراجع عن الصعود او هي لم تستقر ولا ينسحب هذا على الجانب المادى فقط بل يشمل ايضا النواحي الاخرى بمختلف وجوهها : الاجتماعية والثقافية والعلمية .. الخ والتربية لم تشذ عن القاعدة فغدت تتطور وتتحول وهذا طبيعي فالنظريات تتقدم وعلم النفس التربوى وعلم نفس الطفل .. وبقية العلوم تزحف يوما بعد يوم الى الامام مخلفة وراءها مقاييس جديدة ومعايير طريفة ونتائج غريبة . فأصبحت مسؤولية الاسرة أكبر ودورها اعظم ولم يعد عمل الابوين مقتصرا على الانجاب حفاظا على النوع واستمرار الحياة ، بل اصبحا مطالبين بالسهر على التربيه والتوجيه .

وقد يتهاون احدنا بهذا الدور ظانا ان الطفل صغير معتقدا ان سنوات المدرسة ستزيل ما يعلق بذهنه وسلوكه من ادران مستبسطا تلك الاحداث التى يعيشها ابنه قبل السنوات الست وهذا لعمرى أكبر خطا وقع ويقع فيه الكثير الكثير من الاولياء حتى هذه الساعة وهم لا يضمون مثل هذا التصرف فى باب التنصل من المسؤولية فالبعض يلجأ الى الجهل والآخر يتذرع بضيق الوقت والآخر يأبى ان يقوم بدور المدرسة قبل أوانها .. الخ . ان هذا الهروب من المسؤولية فى اجلى مظاهره لخيانة للمجتمع تحت قناع زائف وضرر بالنشء فالطفل يفتح عينيه فى البيت ويبقى فيه مدة ليست بالقصيرة ثم يخرج منها فيجد نفسه فى الشارع وبعد سنوات يحمل الى المدرسة حيث يقيم يوميا الساعات والساعات ولا بد أن تخلق كل واحدة من هذه المحطات اثرها الذى سيكون له أى دور فى مستقبل الحياة ومن البداية لا بد ان نبين قيمة البيئة الاولى لعدة عوامل لعل أكثر الوالدين يتناسونها ويهملونها وهى لا تقل قيمة عن غيرها من الفترات الاخرى .

في البيـت :

يولد الطفل ويقضي فترة طويلة من عمره معتمدا على افراد أسرته وخاصة امه وهذا العجز حكمة من الخالق وليس عيبا او عقابا أنزله به فلم يكن الوليد البشري كبقية الحيوانات سريعا ما يعتمد على نفسه . وكلما احترمت العائلة تلك المدة وساعدت طفلها على تجاوزها بكل يسر دون ان تحاول حرق المراحل او دفعه دفعا الى عمل لم يحن اوانه كلما استفاد ابنها من هذه المرحلة الزمنية واستغلها احسن استغلال .

الا فليعلم كل أب وكل أم ان شخصية ابنهما مرتبطة اشد الارتباط بدورهما وسلوكهما عندما كان طفلا صغيرا . فاما قوي الشخصيه قوي العزيمه ، شجاع ذكي ، اجتماعي ، يقبل على المشاكل فلا يهابها ، ينضم الى المجموعة فلا يخذلها يعتمد على نفسه فلا يحتقرها ، يحترم فرديته في دون كبرياء ، يحب مجتمعه ويذوب فيه في دون احتقار لذاته . واما ضعيف الشخصيه ، ضعيف العزيمة ، جبان ، بليد ، انعزالي ، يخاف من المشاكل يكره المجتمع ، لا يعطي قدراته حق قدرها . . الخ نعم ان مستقبل غدا الان مرتبط أشد الارتباط بسلوك وتصرفات الابوين في السنوات المبكرة الاولى ، نعم ان الطبيعة ارادت ان يكـون الطفل طفلا فلماذا تعارضها الوالدان فيحملان الطفل على المشي قبل أوانه أو على الكلام قبل وقته أو على الانصياع في فترة بروز الشخصية أو على امكاناته بعنف عندما تظهر مرحلة السؤال . . ففي السنوات الثلاث الاولى تتكون (او هي بقيد التكوين) شخصية الطفل ، ففي السنتين الاوليين مثلا تظهر دوافع بيولوجية بدائية ضرورية - لابد منها - للبقاء ، حب اطلاع ، عدائية ، خوف . . الخ . وفي السنتين الثالثة والرابعة تنظم وتستوي تلك الدوافع تحت مراقبة العزيمة والارادة وفي هذه المرحلة بالذات توضع أسس بناء الشخصية والمطلوب ان نرضي ونلبي نداء ذلك الشعور بالمتعة فلا نعتبره عيبا يحسن التخلص منه وبسرعة وذلك نجعله مطمئنا في حياته لا يخشى شيئا ولا يشعر مرة انه في خطر . في السنة الاولى نبدأ تمرينات العضلات والسيطرة على بعض اجزاء البدن فنراه يحرك اطرافه ، يقلب رأسه . فلا ينبغي ان ننظر الى ذلـك وكأنه عبث الطفولة او الطبيعة انه يستعد للقفص للوقوف ، للمشي . . الخ . عندمـا يجد نفسه في نحو سنته الثانية حتى يرمي بنفسه للقاء الاشياء والاشخاص فقد غادر محطة الراحة والهدوء ودفع بنفسه - عن رغبة - في حركة حتى يجلب الانتباه اليه ، ومن الخطأ الفادح والخطر ان نحول دون هذه الرغبة يجب ان نشعره أننا ننظر اليه ونهتم بأعماله ونحب مشاركته فان لم نفعل ذلك بحث هـو عن هذا الاهتمام وهذه المواقف داخل ذاته فيصبح ضد المجتمع لانزوائه وكثير الغضب

لانطوائه يريد ان يفخر بنفسه ويعرض ما عنده بما ان الآخرين لا يولونه نظرة . وبداية من السنة الثانية هذه بعد ان يطلب انتباه الآخرين يوجه انتباهه هو الى الاشياء الى خارج ذاته . ويعينه على ذلك قدرته على المشي فـادا حلنا دون اكتشافاته للكون بدعوى انه صغير او خوفا على ما يحيط بـه فقد لـذة الحياة وانتابه القلق ولعله يتأخر في نموه ويتراجع الى الوراء كما انـه يبقى ملصقا بثياب أمه لا يتجاسر ولا يبادر وقد نرى اصبعه في فمه الوقت الكثير والمطلوب اذن هو توفير ما يمكن توفيره من لعب وأشياء ليشبع حب الاطلاع هذا او الرغبة في الاكتشاف تلك . انها فرصة ذهبية لابد من استغلالها في التربية والتعليم .

اما التقليد فهي نزعة غريزية لأننا لا نعلمه للطفل فهو يكتسبه طبيعيا . واذا كان التقليد يبدأ بعد أسابيع من الولادة فانـه لا يشتد الا بيـن السنة الاولى والسنة الثانية . انه نعمة الخالق فبواسطته يتأقلم الطفل ويتكيف والمواقف التي ستعترضه والتي لم يكتسب لها حلولا غريزيا ، فلماذا يحول أحدنا دون التقليد ؟ لماذا يغضب الكهل وتثور ثائرته عندما يلاحظ ابنه يقلـده ؟ فكيف سيتعلم اذن وهو الضعيف وكيف سيجابه الحياة وهو الاعزل ؟ على الوالدين ان ينميا تلك النزعة بل ويوفرا لها أسباب النمو وقد يلجأ بعضنا الى التبرم الى الكلام وهذا لا يجدي نفعا فالطفل لا يهتم بما نقول بل بما نفعل ، فلنعطه المثل الصالح واذا اردناه أن لا يقلد ما نكره فالحل الاسلم بل الوحيد ان لا نفعل أمامه ما نريد ان ننهاه عنه . ويلاحظ الكثير من الآباء والامهات ان العامين عمر العناد وتشتد أزمة الشخصية في سنته الثالثة حتى الخامسة تقريبا فتكثر معارضته وتكثر كلمة « لا » باستعمالها كثيرا ويتمسك برأيه في أغلب الحـالات ومن لا يقبل هذا يكون كمن لا يقبل الطفولة عند بني الانسان فهـل نمنعه ؟ هـل نحتار ؟ طبعا لا ان الطبيعة التي جعلته يعيش في تبعية مطلقة في مدته الاولى تنقله اليوم الى ابراز ذاته ، فليعلم الجميع انه موجود يريد فيفعل . فمن يلجأ الى الخوف والعقاب عليه الا يحتار ويتألم عندما يكون ابنه في المستقبل ضعيف الشخصية ، سهل التأثر دون عزيمة قليل المبادرة . فعوض العقـاب ينبغي ان نتركه يعبر عن رأيه واذا أراد شيئا خطيرا نعلمه كيف يفعله عن فهم ودراية فسيعرف ـ ولو بعد حين ـ ماذا يفعل وماذا لا يفعل اما اذا كان الامـر يتطلب منعا باتا ومطلقا والحياة لا تخلو من الممنوع يجب ان نكون حازمين فلا تراجـع ولا تساهل في تلك الاشياء القليلة جدا التي منعناه عنها لأنها اذا كثرت غدت الحياة كلها موانع فلنترك لهذا الباب ما قل وندر . واذا أردنا أن تكون لـه عزيمة فولاذية فليعرف معنى كلمة « لا » عندما نستعملها نحن الكهول ولا داعي حتى للشرح شريطة أن لا نلجأ الى هـذا الصنيـع الا نـادرا دون أن نقبـل المساومات وانصاف الحلول بعدها عندما نأمر لا بد أن نطاع لأننا نربي .

يبلغ الاربع سنوات فتتكون شخصيته فلقد تكونت عنده الأنا العليا نتيجة احتكاكه بوالديه او الآخرين كان عاجزا يشعر بالتبعية الى حد الآن فهو يحس باستقلال وتحدثه نفسه بالاستغناء عن ابويه لأن شخصيته بدأت تظهر وتفرض نفسها بكل وضوح فسلوكه قصدى وتصرفاته هادفة يوجه كل طاقاته نحو هدفه لا اتجاهات او غرائز بدائية بل غايات فهو بدأ يحكم على الاشيـاء ويفكر فيها ويريد ان يعرف كنهها فهو فى عمر السؤال فالمطاوب ان لا يغضب ويقلـق الابوان بل يجب عليهما ان يجيبا قدر المستطاع على الاسئلة التى يريانها فى غير محلها او غير نافعة .. انه على ابواب فترة انتقالية سيعتمد على نفسه فلا بد ان يسال عن هذا العالم والا فكيف سيخوض غماره وكيف سينشجع ويعول على مجهوداته الخاصة اننا فى عتبة مرحلة الفردية التى تمتد بين أربع وسبع سنوات والفردية هذه تبدو فى حبه للتطور فى نمو الاحساس بالقوة فى فرض ذاته فهو يستعمل ما يجده امامه لتثبت قدرته وقوته وليس ذلك بدافع شر وإنما الغاية نفسية فى ذاته حتى يمنع الجميع أنه قادر قوي موجـود ، ثـم تنتابـه فى تلك الفتـرة ظاهـرة الثقـة بالنفس فيـراقب حركاتـه ويتحكـم فى بعض دوافه ويبعد عن تلك الازمـات ازمـات الصيـاح الطفليـه البحتـة لكـن فرديه هذه لا تمنعه من التعامل مع اترابه وخاصة فى العـائه ، وطبيعى لكى يبرزها لا بد من اشخاص حوله يحاول ان يتفوق عليهم ان يوجههم أن يقودهم وحتى ان عبر عنهم فيتركهم ويلتفت الى ناحية أخرى ليواصل نشاطه. فالمطلوب ان نساعده على تجاوز هذه المرحلة لا بالعقاب والزجر لا بالفرض والمبالغة فى التوجيه بل بحسن المعاملة باستغلال النشاط الزائد بتوفير جو الاصحاب حتى يكون الطفل اجتماعيا محبا للغير .

فى الشـارع :

ان الخروج من البيت لابد منه وكل من يحول دون طفلـه والشـارع لملاقاة الاتراب يكون قد ارتكب خطأ جسيما فالحياة لا تقتصر على ما يجرى فى البيت فقط وعوض ان نحرص على هذا الفصل يكون من المفيد توفير البيئة الطبيعية التى يسمع فيها ابنك الكلمة الحسنة ويجـد فيها المعاملة الحسنة حـتى يكره الكلام البذيء والقذر الذى تعج به بعض الشوارع سيخالط أصحابا ليس من العيب فى شيء ان يشاطرهم نشاطهم والعابهم، ففى هذه السنين الاولى لا يدخل بالمرة عامل الجنس واللون ولا المستوى الاجتماعى انها البراءة بعينها فلو نتركه عليها ونعلمه اياها طيلة حياته وحمله على المحافظة عليها حتى لا يجرفـه تيار الكبرياء فى الشارع ليكتسب فى كل مرة تجربة وسيتعلم فى كـل يوم شيئا جديدا وتزداد خبرته وسوف لا يقتصر هذا التطور على ناحية واحدة بل سيشمل

جسمه الذى سيجد الفضاء الرحب الواسع والاشياء المختلفة الاحجام والانواع فيحرك يديه ويجرى ويميل يمينا ويسارا فتتدرب عضلاته وتنمو ويشتد عوده وسيشمل ذهنه فيتعامل مع اشياء وأشخاص فيعرف الليـن والصلـب المرن والخشن الثقيل والخفيف الحار والبارد الجمـل والقبيـح .. الخ. ثـم الوديـع والشرير الصديق والعدو الكريم والبخيل .. الخ . ثم السهل والصعب، الحلو المر النجاح والفشل .. الخ . وقد يجد بعض هذا فى البيت لكن تجربته تبقى ناقصة اذا لم يكملها الشارع الـذى ينبغى ان تتآزر جهود الجميـع لتنظيفه ولتنقيته .. فى الشارع يمارس الحياة الممارسة الحقيقية فتنمو شخصيته نموا متوازنا متناسقا والام الحاذقة المربية او الاب العارف المربى يستغـل الشارع ليتعرف على ابنه على مختلف جوانب شخصيته . الا يلاحظ الكثير من الوالدين ان طفلهم هادىء فى البيت مهرج فىالشارع ثرثار فىالبيت قليلالكلامخارجه يحب السيطرة بين أفراد أسرته خانع مستسلم بين أصحابه..والعكسصحيح فمثل هذه الظاهرة التى تظهر تناقضا ليست طبيعيـة ابدا يجب البحث عن أسبابها والاسراع بعلاجها الم ينح لهم الشارع فرصة ثمينة لمزيد التعرف على الابن فلماذا اذن نتهم هذه البيئة بشتى التهم ؟ لا نـرى منهـا الا الجـانب السلبى . نعم الشارع يزخر بأنماط واشكال وانواع مـن الاطفـال تتضـارب مشاربهم وأهواؤهم وتعارض رغبانهم وميولاتهم .. لكنه على كل حال جزء من المجتمع جزء من الحياة اذا اتفقنا على عدم قبوله على علاته فانه يتكون منا نحن من اعمالنا من تصرفاتنا انه نتيجة تربيتنا فاصلاحه أولى من حرمان الطفل منه ومعالجته افيد من عزل هذا الطفل عنه حينا من الزمن ولو فعلنا لكان طيلة حياته منزويا منطويا على نفسه غير اجتماعى يغرق فى أبسط المسائلالاجتماعيةيحار امام اول صعوبة يعجز عن الحديث فى الجماعه يكره المكافحة والمناظرة يخشى من أحكامه يسيطر عليه مركب نقص..الخ.فما يوفره الشارع لا يوفره البيت.

فى المدرسـة :

المدرسة خلية حية لكنها خاصة لها مميزاتها وخصوصياتها شكلها يختلف عن شكل البيت ونظامها يبعد عن نظام البيت والمترددون عليها لا تربطهم نفس الروابط الاسرية فى كثير من الحالات .

لكن من المفيد ان نعرض ما يميز به الطفل من عامه السادس هذا حتى سنته الثانية عشرة .

التطور الجسمى : ان النمو الجسمى يفقـد تلك السـرعة التى ظهـرت فى فترات من الطفولتين السابقتين ويتجه التطور الى العضلات الصغيرة فيصير

يتحكم في الاعمال الدقيقة بعض الشيء اما من ناحية المخ فيعتقد انه بدأ يكتمل يتغلب النمو الطولى على النمو العرضى .

التطور الذهني : بما أن المخ بدأ يصل مرحلته النهائية فانه من الطبيعي ان يكون النمو الذهني سريعا نسبيا فحتى المراكز العصبية الاخرى ترتبط ببعضها وبالمخ . وإذا كان الانتباه لا اراديا فيما مضى فانه في هذه السن ارادي طويل المدة وتأخذ الملاحظة في التدرج نحو الدقة . ان الطفل لا يزال تفكيره بعيدا عن المستوى التفكيري للكهل وقد اصبح يعرف ويفهم المدركات الحسية كالالوان والاشكال .. وغيرها . النمو اللغوي الكبير يساعد على تنمية قدرته على التصور والتخيل لكن هذا الخيال يبقى ملتصقا بالواقع فهو عاجز عن الابتكار الخيالي على الاقل في بداية الطفولة الثالثة هذه لانه في حاجة الى الملموس الى الواقع وقد يصل التذكر درجة قصوى على حد تعبير بعض المربين لكن هذا لم يجمع اتفاق كل العلماء وليس الانتباه والملاحظة والتذكر .. الا عوامل بل مكونات التفكير بصفة عامة هذا التفكير الذي سيتخلص من الانانية والمحاكمة النقلية و ... لذلك لابد من التدرج من المحسوس الى المجرد شيئا فشيئا اعتمادا على المناظرة والمحاكمة والمحسوس فصوره فالمجرد بالموازاة مع السن .

التطور الاجتماعي : للمدرسة دور كبير في النمو الاجتماعي في هذه المرحلة فموقف المربي وسلوكه وتصرفاته وأقواله ونوعية الاطفال الذين يضمهم فصل واحد له الدور الكبير في توجيه هذا النمو .

- اصبح له رصيد اجتماعي كبير فيعرف انه شخص يتميز عن بقية الاشخاص له حقوق وعليه واجبات تجاه المجموعة ← فتتقلص انانيته .

- تبدأ تتضح الظروف الجنسية في علاقته ← كل جنس يميل الى جنسه خاصة في أواخر هذه الطفولة .

- يستطيع أن يتصل بغيره اتصالا مرضيا معهم ← تطور رصيده اللغوي.

- يميل الى العمل ضمن فريق يختار عناصره خاصة اذا كان الامر يتعلق بالبحث والتنقيب والجمع وتبرز في هذا المجال القيادة عند البعض فيستجيب له اصحابه اذا توفرت فيه الصفات اللازمة وادركوها حدسيا . يلج الفصل فيجد نظاما لم يعهده وحالة لا عهد له بها لقد ولى عهد تمييزه على غيره وانقضى زمن يؤثر فيه الكهول (امه او ابوه) بالمحبة يكتشف انه احد افراد مجموعة لا يمتاز عليهم الا اذا عمل واجتهد احسن منهم وانه يحترم اذا انضبط وأحب غيره ويعلم ان الحقوق تقابلها واجبات .

اهواؤه لها حدود لا ينبغي ان يتجاوزها يوما يتحقق انعلبه انيتنازل طائعا عن عديد الميولات ويكبح جماح الكثير من الاندفاعات والفعاليات ويطوع ارادته لخير الجميع حتى يقبلوه اما اذا حدثته نفسه بقيادتهم فلا بد انه يجمع صفات عديدة كالجرأة والقدرة على التبليغ وكسب العطف وقوة التأثير .. الخ . لكل هذا على المربي ان يتحلى بما ينبغي من خصال . كسعة الصدر بحبه للاطفال ، وان يكون عادلا بين تلاميذه صادقا في اقواله التي لا بد ان تطابق افعاله رزينا في تدخلاته هادئا في طبعه حتى يكون القدوة الحسنة لمطوريه الذين يرون فيه المثل الاعلى واحسنهم واكثرهم حظا من يفوز برضاه والشخص الذي يتمثل به مجموعة من الاطفال في هذه السن بعد الوالد هو المربي ولا احد يحظى بهذه القيمة الا نادرا فيجب عليه اذن ان يكون اهلا لهذه المنزلة فيكـون الأب والام والاخ والصديق في نفس الحين وهي لعمري من اشق المهمات لكن ذلك قدره والامر في المدرسة ليس تعليم معلومات وتلقي افكاره وتحفيظ آراءه وقد اصبح هذا لايحتاج الى تدليل ودور المدرسة ليس الحصول على الطاعة وحمل الاطفال على الاستماع وهذا لم يعد موضوع نقاش وبالاختصار لا ينبغي ان نراه طفلا في البيت والشارع وتلميذا في الفصل فلماذا هذا التغير في السلوك والتبدل في التصرفات لو وقعت مراعاة نفسية الطفل والجو الذي كان يعيش فيه فمن واجب كل مرب ان يسهل الانتقال ويساعد هذا الكائن على التكيف في هذا الجو الجديد نظام الفصل لأنه اذا اصطدم بحدة في الخطاب وتوتر في العلاقة وصلابة في المعاملة واحتقار في الاسلوب لم يعهده من قبل أبدا كره المدرسة ومن فيها والمربي وما يعلم والمجتمع وما يحترم .

ولقد ثبت اليوم للعيان ان المدرسة التي تكتفي بالمعرفـة وشحنها وتنظـر للطفل وكأنه وعاء معلومات ، فاشلة ولا تخدم المجتمع الذي أنشأها في شيء اما المدرسة التربوية الحقيقية والصالحة فهي تلك التي تقرأ حسابا المجسم ، للعمل للعاطفة ، للوجدان أي في عبارة واحدة تأخذ بعين الاعتبار شخصيـة الطفل بكل جوانبها حتى تنمو في اتزان وفي يسر وهذا يتطلب مـن المربين اطلاعا على اهم أسس علم نفس الطفل على الاقل فيعطون لليد على قدر ما يعطونه للعقل ويقسمون بالعدل بين مكونات الشخصية بصفة عامة) ولا يتغلب النظري على العملي ولا تنمو الذاكرة على حساب التفكير ولا يطغى الانصات على الحوار ولا يفرض السكون فلا تبدو حركة ولا يغذى العقل وتجوع العاطفة فمن الاولى اذن الا يكلف بتربية وتعليم اجيالنا المتعاقبة من سدت في وجهه الابواب وعجز عن القيام بامور الدنيا في ميادين اخرى فاعتقد جازما ان وظيفة المربي توكل لسقط المتاع او لمن خانته الشهائد العلمية فلم تستجب لتوسلاته او لعابر

سبيل أوقفته الظروف في هذه المحطة وسينسنقل أول قطار حتى وان كان لا يعرف وجهته ولا تذكرته التي سيدفعها اطفالنا الابرياء الذين لا حول لهم ولا قوة . ان التربية شريفة والمربي اشرف لانه هو خالقها وصانعها ان المدرسة مقدسة والعلم اقدس لانه هو النور والحياة وباني عماد المجتمعات المتحضرة فمن لا يعتز بمثل هذا فليصدق مع نفسه وليترك الساحة لمحبيها وعارفيها وكفى المجتمع ضررا .

والاطفال الذين يأتون من كل صوب وقد ورث بعضهم عن آبائهم وأجدادهم فاحتفظوا بهذه الصفه أو ذلك المزاج أو هذه القدرة الذهنية وبعضهم الآخر ترعرع في بيئة متواضعة ان لم تكن فقيرة فعظمت أمامهم المدرسة وكبرت عندهم متطلباتها فبدت الادوات غريبة والانشطة صعبة والقاعة موحشة فكل من فيها يخيف ولا يبعث على الاطمئنان. اذن الفروق الفردية واضحة والمدرسة لا تتناسى ذلك أبدا فقد ساهمت هي نفسها في اكتشافها فسهل عليها الدواء الى حد قد يبعد ويقصر فتجتهد في تقديم الغذاء الذي يناسب الجميع تقريبا ولا يكون ذلك الا اذا كف المربي عن التدخلات المطولة وخلق في المربى الرغبة في النشاط ودفعه الى الاعتماد على النفس وروضه على مجابهة الصعاب وتدربه على استعمال العقل في كل حين وربط النظرى بالتطبيقي والذهني باليدوى وباختصار يستنجد بالطرق النشيطة التي تجعل الطفل مركز اهتمامها لا المادة . العيب كل العيب ان تريد المدرسة في توسيع الهوة بين المتعلمين معرفيا واجتماعيا ووجدانيا .

في المجتمع :

قد يقول احدهم اليس المجتمع المدرسة والشارع وهذا راى صائب لكنه يبقى دون الكمال فالشارع لا يمثل المجتمع تمثيلا صادقا انه جزء منه لا يظهر حقيقة الحياة الاجتماعية على حقيقتها ولا المدرسة وكم من شخص ابهره نور المجتمع عندما خرج اليه من الشارع وهذا طبيعي وبديهي فعدد الاشخاص اكبر والتجارب التي تمر امام العينين اوفر والخبرات التي يعيشها الانسان اغزر ودراسة الحياة اعمق فمن يبقى سجين فناء المنزل وما أمامه يعيش كمن يطل على الدنيا من نافذة مشبكة يرى ويتصور ولا يتفاعل مع الواقع ولو تخلص من هذا القيد لاصطدم في البداية بمتناقضات هي صلب الحياة لكن لابد منها بتعقيدات هي ذات التفاعلات بين البشر ومن يقرأ قصة ليس كالذى يحيا اطوارها وليس من يشاهد تمثيلية كالذى يعيش فصولها فعلا ، لذا ان المجتمع ليس كالمدرسة

والشارع فقط والطفل الآن اصبح شابا قادرا على استيعاب معارف وافعال اكثر من قبل . المجتمع هو تلك العادات تلك التقاليد تلك الافكار التى يكاد يتفق فيها المجتمع تلك المحرمات والممنوعات تلك المبيحات والمسموحات وهذا ليس بالشيء الهين فلا الشارع ولا حتى المدرسة يقدران عليه بسهولة ان المجتمع هو المدرسة والشارع وشيء آخر نختلف اليوم فى تسميته لكننا نتفق على مضمونه وقد سبق عرضه .

واذا تحدثنا عن المجتمع يجب ان نكون ملمين بفترة الشباب وما يميزها فبداية من الثانية عشرة يشرع الطفل فى الدخول فى هذه البيئة الكبرى والاخيرة. مرحلة الشباب يضعها العلماء عادة بين الثانية عشرة والثامنة عشرة الا ان بعضهم يقسمها كما يلي : (هذا هدفليد) .

ـ المراهقة ـ 12 ـ 14 سنة يميزها : روح العصابة والنمو السريع للوظائف الجنسية الفيزيولوجية .

ـ مرحلة تحول : 15 سنة . يميزها تنقل الطفل بل الشاب من الميل الى نفس الجنس الى ميل الى الجنس الآخر .

ـ مرحلة الشباب الحقيقية 16 ـ 18 . يميزها محبة الجنس الآخر والمثالية . والشائع عند عامة الناس ان الشباب ثائر لا يعجبه ما هو كائن لا يرضخ الى السلطة سلطة الاب او الام (الكهل بصفة عامة) وحتى القانون وهذا لا يعد تنطعا او ثورة بل هو فترة لابد منها لانه يريد ان يكون لنفسه رأيا فى كل موضوع يعترض عليه وفى كل رأى يعن له والدواء لا يحقن فى هذه المرحلة فالعلاقة بين الشاب ووالديه الآن رهينة علاقتهما به عندما كان طفلا صغيرا . هل يعد ذلك التصرف كرها للابوين او غيرهما . لا طبعا . الا ينبغي ان يشعر باستقلاليته وهي اغلى امنية ينتظرها من أمد وقد اصبح يمقت التبعية حتى لافراد أسرته .

إن الشاب فى المعهد الثانوى مثلا يغيب فى العدد الهائل من امثاله فلا يلتفت اليه احد لذا فلا بد ان يجلب الانتباه بأعمال تبهر الجميع وتخرج عن المعهود وتحيد عن المألوف حتى وان ظهرت فى اعيننا فى غير محلها او حتى سيئة ومن هنا يبدو لنا عدم انضباطه . ان الشاب يجب ان يتحمل المسؤولية فهو يلبى اوامر والديه او غيرهما تلك الاوامر التى يشعر عند انجازها انه يقوم بعمل لفائدة الغير انه بمثابة الكهل الذى يعول عليه ان كتفيه تصمدان أمام العبء انه يتحمل المسؤولية . اما من لم يشعر فى طفولته

بالامن والاستقرار فهو يهاب هذه المسؤولية ويخاف مثل ذلك العمل كما ان الذى عاش فى دلال مبالغ فيه تمتد طفولته فترة طويلة ـ ان لم يعش طفلا كامل حياته ـ فلا يستطيع ابدا ان يقوم بعمل ذى بال ولا يجرؤ على مجابهة الصعاب وتبوؤ الصدارة فى الافعال والمواقف.انه بدأ يدخل عالم الواقع فهو لذلك يحبذ الاعمال التطبيقية على النظرية يريد ان يعالج الاشياء بيديه لا بعقله فقط يحسها بأنامله لا يشعر بها فقط ولابد ان نذكر ظاهرة اخرى يختص بها هذا العمر وهى لا تكاد تنفصل عن الخصوصيات السابقة . روح المغامرة . فليثبت استقلاليته وقدرته على ذلك وحبه للمسؤولية وقدرته على ذلك وخروجه من طور الطفولة الى طور الكهولة فلا مهرب من خوض غمار مغامرات تصعب وتسهل خطيرة حينا سليمة حينا آخر .. الخ فتراه يعرض حياته للخطر ويرمى بنفسه فى المهالك وخاصة بحضره الآخرين اما اذا كان بمفرده فلا يسلك نفس الطريق اما ان حكى عما فعله فهو يبهرك بشجاعته وكيف هانت نفسه عليه فيختلط الواقع عنده بالخيال لا يريد من ذلك سوى اثبات ذاته فلننصت اليه دون ان نجرح شعوره ولنناقشه دون ان ننتزعه من واقعه أو نشعره بتكذيبنا له . كما انه يحسن ان نوفر له فرص المغامرة المفيدة والآمنة . المكان ، الزمان كالتجول مثلا .

فهل توفر المدرسة وحدها او الشارع وحده او الاثنان معا البيئة اللازمة لينمو الشاب وتجد تلك النزعات جوها الملائم ؟ ان المجتمع الذى لا يقرأ حسابا لنفسية الشاب ولا يعرف نزعاته واتجاهاته وخصوصياته يدفع بنفسه قدما الى الفناء ويموت على نفسه فى كل حين الفرصة ليبنى كيانه على اسس متينة . على ان مجتمعا يقوده شبابه فيتساهل معه يقبل منه تجاوزا للأخلاق المألوفة وتحديا للقيم المعروفة وتهاونا بالنواميس التى يحترمها عامة الناس واحتراما للقوانين التى يرضخ لها كل المتعايشين مع بعضهم البعض لمجتمع دب فى جسمه المرض وبدأ يأكل لحمه الهلاك ونخر عظامه السوس فالطاعة فى دون خوف ضرورية والحفاظ على الثوابت الصلبة فى دون تعصب واجب فهل تحجب عنا التقدمية اصالتنا ؟ وهل تشوش علينا البدع استقرارنا ؟ لا يمكن أبدا أن ينقلب التطور الى انبتات ولا التحضر الى تفسخ وتميع وانحلال فبقدر تفهم المجتمع لشبابه والتسامح معه بقدر وقفته الحازمة ضد تياراته الجارفة التى يستلهمها من قصصه وافلامه ومحادثاته وعسى أن نرى فى الحاضر خير شاهد.

عبد الحفيظ الهنشيرى

قصيدة البحر ..

تونس الحب .. تونس الياسمين

شعر : يوسف رزوقه

... وحاولت أن أدلهم قليلا ... ولكن حبك ظل الفتيلا
أحبك تونس ، إني فتاك ... هوى فانتهى في هواك قتيلا
أنى النبع في كل وجه ، فصفق ... في الكلمات الحمام ، هديلا
ولم يبق لي غير حلم يتيم ... تشكل عبر الرؤى : أرخبيلا
أنا آخر الشعراء اشتهاء ... وأولهم : نجمة وصهيلا
تدلى دمي من كلامي شموسا ... تضيء لمن جاء بعدي السبيلا
توزعت في مهمه لا يسمى ... وفي الياسمين وجدت الدليلا
جرى الله في وردة لا تشم ... فدك الدواخل : عطرا جزيلا
وأينع في القلب جرح عظيم ... فلم أشك إلا عذابا جميلا
ولم أر فيما رأيت جبالا ... يغالبها العشق حتى تسيلا
أحبك .. هلا مضيت : يدي في ... يديك ، لأطوي بك المستحيلا
فلا تقفي .. نحن بتنا رفيقين ... نفتتح بالحبر بحرا بديلا
ونرحل عمقا من الضوء ، حتى ... يرانا المدى : قمرا ونخيلا
أحبك تونس ، إني غريب ... وأشقى إذا غبت عني قليلا
تجليت لي في المرايا فغنى ... دم في الخلايا وصل طويلا
تناسلت فيك وأصبحت شعبا ... يبيد التماثيل : جيلا فجيلا
لماذا تعريت إذ فاض بوحي ... فقيل كلام ولغو وقيلا ؟ ..
فما نلت عبر السلالات تاجا ... وما كنت يوما نجيلا دخيلا ..
ولم أمض في أي وهم سخي ... ولم ينتخبني الغراب عميلا
أنا موثق بهواك شديدا ... ولو في النهاية رمت الرحيلا

حول أزمة المراهقة

بقلم : وداد الصالح

هناك بعض الحقائق التى اريد أن أدرجها فى مقالى البسيط هـذا الـذى ضمنت فيـه بعض افكـار راودتنى ، عنـد اطـلاعى على مقـال حـول هـذا الموضـوع (*) فكبحتها لكنها ابت الا أن تظهر فى هـذه السطـور التى أود صادقة أن تلقى صداها لدى الذين عاهدوا الله والنفس على البناء والتغيير الجدى رغم الاعاصير وان كنا فى أغلب الاحيان نحن الاعاصير نفسها .

وانه لمن دواعى الغبطة ان يتواجد بيننا من الشباب من ينطوى على نيـة جدية فى البلورة والتحوير لا فقط باعتناق آراء علميـة وانمـا بالعمـل على تطبيقها ايمانا بانها آراء سديدة نحتاجها لننتقل من هوة الجهل التى وقعنـا فيها ولست هنا فى مجال بيان أسباب ذلك ولكن منها نظرتنا الى الطفل على انه انسان ناقص او وعاء لا يجب ان يحتوى غير ما نضعه فيه أو صفحة بيضاء نحن الذين نختار أن نرسم عليها ما نشاء من حياتنا بمـاضيها وحاضـرها ومستقبلها فنقضى على أول حق لهذا الطفل فى الحياه المستقلة ونكون قد اعتبرناه صورة منا نحن ، تواصلا وامتدادا لنا وتنتقل بذلك جميع عاداتنـا اليه بجميلها وقبيحها ولا نترك فرصة ازالة ما نبغضه منها بافسـاح المجال للطفل للخلق ولتوسيع رقعة استقلاليته . فنقع فيما نحن فيه من اشكالات وتمزق بين نزعتى التواصل والاستقلالية بين الوالد والمولود ، بين المـربى والمربى بين المراهق والراشد .

نأخذ مثلا المراهقة على حدة كأخطر مرحلة فى حياة الطفـل ذلك الرجـل الصغير سنجد انه يمكن لنا تحديدها بين سن الحادية عشرة والرابعة عشرة

(*) انظر « الصباح » بتاريخ 1984/8/II بقلم : جمال ابراهيم عليوه (كلية الطب بصفاقس) .

وعلى الاصح بين نهاية الطفولة وبداية المراهقة ويعرفها الدكتور مصطفى فهمى فى كتابه سيكلوجية الطفولة والمراهقة « هى التدرج نحو النضـج البدنى والجنسى والعقلى والانفعالى » .

لو عدنا الى مفهوم المراهقة عند الآباء لوجدنا أن الاغلبية تنظر للمراهقة على انها تحورات وتغييرات تطرأ على الطفل جسديا فينتقل على اثرها من الطفولة الى الرشد ويهملون الناحية العقلية . لكن هذا المفهوم يتضارب مع المفهـوم الصحيح للمراهقة أو على الاصح هذا هو مفهوم البلوغ كما هو وارد على لسان الدكتور فهمى : أما معنى كلمة بلوغ تكاد تقتصر على ناحية واحدة من نواحى النمو وهى الناحية الجنسية ونستطيع ان نعرف البلوغ بانه نضوج الغـدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فتـرة الطفولة الى فترة الانسان الراشد (*) .

اما اذا رجونا من المراهقين أنفسهم أن يعرفوا لنا المراهقة فانهم يقتصرون على الناحية الاجتماعية بناء على احساسهم الشديد بالقوة فى المجـال العقـلى وهذا يخول لهم حسب اعتقادهم مجابهة الوسط الاجتماعى دون معونة الآباء .

واعتقد ان كلا من الآباء والابناء على حق فى كلتا الحالتين بحيث لو جمعنا المفهومين نجد أن المراهقة مجتمعة فى النواحى الثلاث : الجنسية ، العقلية ، والاجتماعية ولا ننسى أن تفتح شبابنا على كل ما تهب به ريح الغرب جعله يطلع على وضعية المراهقين الغربيين والتى تختلف قطعا عن الوضعية العربية ومرد ذلك الى أن الآباء الغربيين يمنحون لابنائهم أكثر ثقة رغم الاباحية المطلقة وانعدام ما نسميه نحن : الاخلاق . وهذا بدوره مرده الى ان الطفل الغربى يحيا طفولته بأكثر ثقة فى النفس وروح الاستقلال خاصية فيه مما يجعله قادرا على فرض احترامه ، واحترام ميوله ورغباته وآرائه واختياراته بدون عقد أو مركبات بينما يظل الطفل العربى فى تبعية تامة للآباء لانه تواصل لهم وامتداد فـلا يقبل ولا يرفض الا ما يقبلون وما يرفضون وعندما يكون مراهقا ستتواصل الحالة تلك ولكن هنا فقط يشعر بانه قادر عقليا وجنسيا على أن يختار بنفسه وتنبت بذرة روح الاستقلال ولكن هل يقبل الآباء هنا أيضا هـذه البـذرة فيساعدون على نموها بريها ورعايتها لانها ما زالت نضرة ؟ هذه هى شرارة الازمة التى اذا ما أنطلقت لا تعرف لها هدفا لانها لم تنبت فى أرضية خصبة . هذه هى الازمة ذات الاسباب البعيدة التى لا نعرف أن نعود لها لنقضى عليها

(*) ص : 207 سيكلوجية الطفولة والمراهقة .

ونبنى من جديد صرح شعب حر مستقل ذاتيا . ماذا لو تخل الآباء عن بعض الحقوق المشروعة لابنائهم ؟ هذا يعود الى ان الأب الذى يحـرم نظـرا لبعض الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية او السيـاسية ينظـر لابنـه كصـورة ، كطموح ، كغد بديل لنومه وماضيه ، لهذا لا يرضى الا ان يكـون امتـدادا فيعيش الابناء منذ الوهلة الاولى محرومين من امنع احسـاس فى الوجـود . انهم احرار فى ان نفكروا ، فى أن يحيوا حياتهم ولا ينتظرون من يفكر لهم أو يعيشون حياة الآخرين .

هذا وجه للازمة . اما الوجه الثانى فالسبب الرئيسى فيه هو غيـاب العنصر النسائى ان لم نقل موته . وهذا الغياب جميعنا مسؤولون عنه ، المرأة مسؤولة بدرجة اولى ، لانها لا تحاول أن نحضر ونفضل حالة الحاضر الغائب فترضى بتقارير الرجل لها . وننسى أن الرجل الذى عهدت له بالتعرير نيابة عنها يضع فى اعساره عدة محلفات اولها نشوؤه على فكرة أن المـرأه عضـو ناقص بدون الرجل ثم استمرار عشه فى وضع اقل ما يقا لفيه : انه متخلف فكريا ومحط ثقافيا نطغى عليه آراء عليلة لا تخدم المرأة بل على العكس تنزل بها الى رتبة العبيد والاطفال العاصرين .

ومى محاولة بسيطة منا لجنى نتائج مفاهيمنا المتضاربة مع المفهوم القويم للمراهقه ننسى ان المراهقين الذين لا نهتم بهم ولا نهتم بأن نكون معهم على وفاق ، هم فى نهاية الامر التلاميذ والطلبة . الفئة الام فى مجتمعنا والتى نعول عليها فى بناء مجتمعاتنا الآتية فتزيد فى شعورهم الملح فى رفع القيود والرقابة الادارية المعهدية والنظرة للمسؤوليين نظرة عداء وكراهية مع تطور واضح فى الرؤى والمواقف فنصبح حليا أن طلائع المجتمع تتسم بالعدوانية والرغبة فى العنف ونحكم على آرائهم ومواقفهم الادىلوجية والسياسية مجرد رد فعل لمرحلة المراهقه . والحقيقة وان كانوا يحملون بقايا هذه المرحلة الا أنهم اما سيحاولون السير لتدعيمها أو كبح انفسهم للسمو بها خصـوصا أنهـم يحملـون من الوسائل ما تخول لهم أن يكونوا أصحاب مواقف قد تكون معادية للمواقف الاسرية . وليس هذا فحسب بل انا حلمنا جيلا جائما جنسيا والسبب فى ذلك طبيعة الشاب العربى واعنى بذلك العوامل المناخية والبيئية اللذين يؤثران فى الهياكل الجنسية لكـلا الجنسين وورث شبابنـا الى جـانب كل هـذا من المجتمعات الراقية النزعة الفردية فاصبح شبابنا انانيا لا يفكر الا فى نفسه ولا يؤمن بالغيرية ولكن هل تساءلنا عن المسبب فى هذه الحالة الشائعـة .

السبب هو انعدام الثقة بين أفراد المجتمع الواحد والمتسبب بدوره فى هذه الحالة وفي هذا الشعور بانعدام الثقة : شيوع ظاهرتي الجشع والاستغلال لدى العامة والخاصة فى مجتمعاتنا وخلاصة القول : ان الازمة تعقدت نسبيا ولا مفر لنا من الاهتمام بهذه الاسباب النفسية والاجتماعية والتربوية والسياسية والحل يكون باللجوء الى الحوار الديمقراطي البناء البعيد عن كل موقف سلبي.

ونحن كغيرنا من شعوب العالم نطمح الى تحقيق الحرية فى تعاملنا لكنها باتت الفوضى ولا شيء غير الفوضى . والكبت الذى شمل مختلف المستويات هو الذى تسبب فيما نحن عليه من تفسخ وانحلال وتدن على المستوى الفكرى والاخلاقى والاجتماعي والسياسى فالى ماذا صرنا ؟ شعب مطموس الهوية يخلق شيئا فشيئا جيلا بلا هوية هو الآخر بناء على أن فاقد الشيء لا يعطيه . شعب لا يؤمن بالطموح الذى يحل العقدة : لا حدود ولا اقليمية وارتمى فى احضان الفرقة حتى بتنا نحن أنفسنا الوسيلة التى يستخدمها اعداؤنا لطمس ثقافتنا وسلب هويتنا ونجحوا فى انْ بعكوا كل عضوية كانت تربطنا واعتلتنا أقليات سلبية لا تعير مصلحتنا أية اعتبار وهذا هو حالنا ، انفصام روحى الى ذوبان شخصية انتهت بنا الى أن ننظر نظرة امتعاض الى الماضى الذى يندثر ولا يتجدد .

ثم ماذا غير السقوط في جب التمزق الى ما نراه من كتل وأحزاب يناوىء بعضها البعض ننتظر الجراح الماهر الذى سينجح فى عملية جمع شمل هذه الاشلاء الممزقه بقنبلة فجرنها عدة أزمات كأزمة المراهقة لكننا تجاوزناها فكانت نتائجها أسرع منا فالتحقت بنا ثم تجاوزتنا .

وداد الفالح

ننشر فى الأعداد القادمة

• دراسة بقلم : محمد عبازه عنوانها :

الرسم بالكلمات ..

قراءة فى لوحات البشير بن سلامه القصصية

قصيدة البحث

تونس الحب .. تونس الياسمين ..

شعر : البشير المشرقي

آجيء لأروي لديك الغليلا   وأغفو على شاطئيك طويلا
أنا متعب يا بلادي فأين ال   مرافيء .. أم أطلب المستحيلا ؟
أنا خافق شاعر يستريح   على ربوة الحرف إن هو قيلا
ولكنه تائه فاعذريه   ولا تطلبي منه أن يستقيلا .
فكل المواجع مهما استبدت   أراها بعينيك كونا جميلا
فقرطاج مائلة في عيوني   وبنزرت عن حبها لن أميلا
أرى في بلادي الشواطيء تغفو   وألمح كثبانها والنخيلا
تميس الظلال على كل درب   تعانقه بكرة .. وأصيلا ..
أحبك يا وطني .. ألف شوق   على شفتي يستلذ الرحيلا
أحبك أغنية لم أقلها   وكونا من السحر حلوا .. ظليلا
أحبك رقرقة في المجاري   ونورا يضيء لظل السبيلا
أحبك تونس مهما نأيت   فحبك كان لنا سلسبيلا
فأنت الحبيبة .. أنت المقيمة   ة في خافقي مذ أضعت الدليلا
فبالحب صممت فيك الزوايا   وهندست حجمك ميلا فميلا
فهل تهبين لقلبي المرآ   ء كي يستريح فؤادي قليلا .
فإني تعبت .. ومازلت أجري   فعنك أنا لا أريد البديلا
أنا شاعر علمته عيون   ك كيف يموت .. فكان القتيلا
ستروي الجداول ما كان بيني   وبينك ترويه جيلا فجيلا ..

وسائل الاعلام ومستقبل الطفل العربي

بقلم : د . عبد العزيز شرف
(القاهرة)

فى ذهن كل انسان تثور عدة تساؤلات حول دور وسائل الاعلام فى تكوين الطفل بعامة ، والطفل العربى بخاصة ، سيما وان سبل الاعلام وقنواته ، تتغير تغيرا ملحوظا حسب البيئة ، كما تتغير بالنسبة لسرعة النشر ، وحسب طبيعة المضمون ، والوسائل الفنية المستخدمة فى النشر . فضلا عن أن حجم المعلومات المتداولة وتكرارها لا يكونان أبدا على وتيرة واحدة ، لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان (الصحافة ، الاذاعة المسموعة والمرئية .. الخ) . وعلى هذا تعتبر التربية عاملا أساسيا فى تنمية الموارد البشرية . فهى تستطيع ان تلعب دور الوسيط الموصل للمعلومات السياسية منها او الاقتصادية أو الاجتماعية او العلمية أو التقنية او الثقافية ، ولكنها لا تستطيع ان تلغى دور الاعلام ، كما أن الاعلام لا يستطيع الاستغناء عن التربية .

فوسائل الاعلام توجد نوعا من البيئة الصورية بين الانسان والعالم الموضوعى الحقيقى ، ولهذه النظرة معانيها الهامة عن دور وسائل الاعلام تجاه الطفولة بوجه عام .

ولذلك فانه ينظر الى وسائل الاعلام احيانا على انها تغلف الانسان الحديث بنوع من الواقع البديل .. فالمجتمع يوجد عن طريق عملية انتقال أو تحويل ، الى حد تعبير « جون ديوى » « وهو فى هذا على قدم المساواة مع الحياة البيولوجية . ويتم الانتقال او التحويل ، عن طريق انتقال عادات العمل ، والتفكير ، والشعور من الاكبر سنا الى الاصغر ، وبدون هذا الانتقال أو التوصيل للمثل العليا ، والامال ، والتوقعات ، والمستويات ، والاراء من أعضاء المجتمع الذين يوشكون ان يختفوا من حياة الجماعة الى من يدخلون نها ، لن تبقى للحياة

الاجتماعية أن تستمر في البقاء .. ولو كان الاعضاء الذين يتكون منهم مجتمع ما يعيشون الى الأبد. لسنى لهم أن يربوا حديثي الولادة، ولكنها تكون عندئذ مهمة يوجهها الاهتمام او المصلحة الشخصية اكثر مما توجهها الحياة الاجتماعية أما الآن فهي عمل تمليه الضرورة » .

وتمشيا مع الافكار التي نساها وزراء التربيــة والوزراء المســؤولون عــن التخطيط في الدول العربية (المغرب ، يناير (كانون الثاني) 1970 م) ، والتقاء مع قرارات الدورتين الخامسة عشره والسادسة عشرة للمؤتمر العام لليونسكو، يتعين ربط مختلف انواع ومراحل التربية ، داخل اطار التربيــة المستديمة ، بتنمية وسائل الاعلام ، وعلى هذا يتحتم انشاء قنوات اتصال بيــن المؤسسات وبين الجماعات . والأجهــزه الادارية ، واتحادات العمــال ، والتعاونيــات ، والمؤسسات التعليميه والثقافية .. الخ . كذلك تستطيع التربية المستديمة اذا استعانت بنفس وسائل الاعلام ، ان تعمم في كل مكان وبانتظام وباقل التكاليف اثناء او خارج او بعد مختلف مراحل التعلم والتدريب التجديدى ، وباستخدام وسائل الاعلام هذه على يد أحسن الخبراء الذيــن توفرهم الظــروف ، ســوف تحسن نوعية المضمون وتؤمن المساواه على نطاق واسع بين جميع أجزاء البلاد فاذا انتشرت التربية المستديمة في المجتمع ، اصبحــت ـ كما يقــول تقريــر اليونسكو عن استخدام الفضاء (I) ـ اصبحت بمثابة الخامة الفكريــة لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

« وتعتبر التربية المستديمة القوة المحددة الرئيسية للتنمية الثقافيــة التي تتحكم في التقدم الاقتصادي والاجتماعي.وعلى عكس الانظمة التعليمية التقليدية التي تركز على ترقيه الافراد وخلق مجالات التنافس فيما بينهــم ، تنطوى التربية المستديمة على ترقية الجماعات وتبدو الحاجة في هذا الشأن الى وسائل الاعلام لضمان اشتراك كل الطبقات الاجتماعية في عملية التنمية » .

الاثــر التربــوى للاعـــلام

وهنا نطرح مشكلة الاثر التربوى للاعلام . وهو اثــر غير مباشــر يحوطــه الغموض ، ولا يمكن للتربية أن تنسبا به الا جزئيا ، فالاعلام المتصــل بالبيئــة الطبيعيه والبشرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والــذى يعنى بالمسائل العملية ، ينطوى على نوع من التربية التي تهتم بتحليل الاشياء الطبيعية والتقنية والثقافية وبهذا تقترب من المواد الدراسية التقليدية . ويــؤدى التكامل بيــن

الحياة اليومية والمعرفة الى مفهوم للتربية يستطيع بمقتضاه كل من الأطفال والمراهقين والكبار من رجال ونساء (كالآباء والعاملين والمواطنين) في المدن والريف على السواء ، أن يتكشفوا معنى ومتطلبات الوظائف والمواقف التي يتعين عليهم اتخاذها والقيام بها باعتبارهم مواطنين وأصحاب مهن وأرباب اسر .

ورباط يربط بين الجميع ، وهو الثقافة ، أى الشعور الداخلي بالانتماء الى نفس الخط في الحياة والعمل والفكر ، يقوم على أساس ماض واحد وقيم وأهداف مشتركة .

ان استخدام وسائل الاعلام ، وخصوصا التليفزيون ، نتيح الفرصة لأول مرة لكى نتفاعل مع البيئة الاجتماعية ، باعتبار المدرسة عنصرا من عدة عناصر لبناء واسع كبير هو التربية المستديمة .

ان ضرورة التعليم والتعلم لاستمرار وجود المجتمع من الوضوح بحيث يبدو ان ذكرها تحصيل حاصل .. ولكن تبرير ذلك مصدره ـ كما يقول جون ديوى ـ ان « هذا التأكيد انما هو وسيلة للافلات من المعنى المدرسى الصورى للتربية » فالمدارس فى الواقع سبيل هام للتحويل أو النقل الذى يشكل استعدادات غير الناضجين . ولكنها سبيل واحد . وسبيل سطحى نسبيا اذا ما قورن بالعوامل الاخرى .. ولن نتأكد من وضع الطرق المدرسية فى سياقها الصحيح الا اذا ادركنا ضرورة سبل للتعليم أوفر حظا من الدوام والأهمية .. ان المجتمع لا يكتب له الاستمرار عن طريق الانتقال او التحويل او الاتصال فحسب ، بل يجوز القول انه يوجد في الانتقال او التحويل .. وفي الاتصال ، فالصلة اكثر من لفظية بين كلمة « مشترك » و « مجتمع محلى » و « اتصال » وهى فى الانجليزية من مادة واحدة لغويا ، (وهى فى العربية ترتبط بالبر والتودد وعدم الجفاء كما لو كان يصل رحمه وقرابته والمؤمنين) . فالناس يعيشون في مجتمع « محلى » بفضل ما بينهم من اشياء « مشتركة » والاتصال هو الطريقة التى بها يتملكون الاشياء المشتركة . وما لابد ان يكون مشتركا بينهم لتكوين « مجتمع محلى » أو أى مجتمع على العموم هو الاهداف والمعتقدات والمطامح والمعرفة ـ اى الفهم المشترك ـ مثل التماثل العقلى كما يقول الاجتماعيون .

« وهذه الامور لا يمكن نقلها بدنيا او ماديا من شخص الى آخر كقوالب الطوب .. ولا يمكن التشارك فيها على نحو ما يتشارك الناس فى فطيرة

باقتسامها قطعا مادية . فالاتصال الذى يضمن المشاركة فى الفهم المشترك انما هو اتصال يضمن الاستعدادات الانفعالية والذهنية المتماثلة .. مثل طرق الاستجابة للتوقعات والمتطلبات او المقتضيات » .

ولفظ التربية يعنى فى اصله اللغوى عملية التنشئة ، ولكن حينما نقصد حاصل هذه العمليه،فاننا نعنى بالتربية التشكيل والصياغة للطفل فى صورة نمطية من النشاط الاجتماعى .

وهنا يلعب الاعلام دورا كبيرا فى تحويل نوع أو كيف الخبرة حتى تشارك فى الاهتمامات والاغراض والمثل العليا الجارية فى الجماعة الاجتماعية . ولكن مشكلة الاعلام هى اكتشاف الطريقة التى يمثل بها الصغير وجهة نظر الكبير او التى يمكن بها الكبار من جعل الصغار يماثلونهم عقليا .

وتاسيسا على هذا الفهم ، يمكن القول ان اصدار حكم قاطع فيما يتعلق بوسائل الاعلام من حيث ضررها او صلاحيتها للاطفال امر عسير ، ونذكر هنا قول الجنرال « دافيد سارنوف » فى الكلمه التى ألقاها بمناسبه منحه درجة علميه شرفية من جامعة نوتردام . « اننا نميل كثيرا الى اعتبار الادوات التكنولوجية كبش فداء الأخطاء التى يرتكبها أولئك الذين يستخدمونها ، ان انجازات العلم الحديث لا يمكن ان تكون خيرا أو شرا فى ذاتها ، إن طريقة استخدام هذه الانجازات هى التى تحدد قيمتها » .

فهناك من البرامج ما يكون له اثر ضار على بعض الاطفال فى بعض الظروف ولكن بالنسبة لاطفال آخرين ، وفى نفس الظروف السابقة او بالنسبة لنفس الاطفال فى ظروف مختلفة ، قد تكون هذه البرامج نفسها ذات اثر طيب .

اثـر التليفزيـون على الاطفال

يقول وليور شرام وزميلاه فى دراستهم عنالتليفزيون واثره فى حياة الاطفال « انا حين نذكر شيئا عن أثر التليفزيون علىالاطفال فاننا فى الواقع نستعمل عبارة ذات حدين : « احدهما يتعلق بالأطفال والآخر بالتليفزيون » وعلى سبيل المثال اذا قلنا عن احد البرامج انه ممتع ، فاننا نقصد ان ذلك البرنامج ينطوى على ميزة خاصة يستجيب لها الاطفال بطريقة ما ونطلق عليها صفة الامتاع . ولو قلنا ان ذلك البرنامج يبعث الرعب فى النفس فاننا نعنى بذلك ان بعض الخواص تثير بالبرنامج فى الاطفال انفعالا آخر هو الخوف .

« وقد نظن من استعمال كلمة « اثر » ان التليفزيون هو المؤثر والطفل هو الذى يقع عليه الاثر ، اى ان الطفل يأخذ الجانب السلبى ويكون الضحية بينما يكون للتليفزيون الاثر الايجابى كانما هو المعتدى على الطفل ، لكن ما ابعد هذا القول عن الحقيقة .

ان الاطفال فى علاقتهم بالتليفزيون فى غاية الايجابية فهم الذين يستعملون الجهاز كيفما شاءوا ، حقا إن برامج التليفزيون بها كثير من قصص الخيال ومواقف العنف ، وان التنوع بين مختلف البرامج ضئيل فليس امام الطفل الا ان يتقبل ما يقدم له من برامج ، ان طبيعة التليفزيون ان يقتل بقدر الامكان من التنويع بين البرنامج ولكن من طبيعة الانسان أن يعوض هذا النقص وخاصة من جانب الاطفال » .

ان ما يقدمه التليفزيون من مختلف البرامج للاطفال ـ كما يوضح شرام وزميلاه ـ لا يختلف فى اساسه عن البرامج المذاعة بالراديو « وكذلك لا يختلف عما يشاهد الاطفال من القصص السينمائية ، ولكن تأثر الاطفال بالتليفزيون والوسائل الاخرى هى التى تختلف اختلافا كبيرا ، فالطفل عندما يدير جهاز التليفزيون يفعل ذلك ليرضى حاجة نفسه ، ويجد فى البرامج بعض الخبرات يفيد منها فيما بعد . وتؤكد دراسة شرام وزميليه ، أن الاطفال يختلفون فى مشاهدتهم للبرنامج التليفزيونى الواحد، ولكن نتيجة لعمليات الاختبار تحدث دائما زيادة فى خبراتهم المختزنة ، وبالتالى تنضج ما لديهم من مفاهيم وقيم ومظاهر السلوك ، ففى بعض الظروف قد يؤدى اختيار بعض البرامج التليفزيونية الى اتجاه الطفل نحو الجريمة او العنف او ضعف الخلق ، وفى ظروف اخرى تساعد برامج من نوع مختلف على انماء مفاهيم صحيحة عن حياة الكبار والقيم الديمقراطية ، وفى ظروف ثالثة قد لا يكون للبرامج أية آثار على الطفل سواء كانت ضارة أو نافعة :

« ان فى طبيعة الاطفال ما يجعلهم يلمسون فى برامج التليفزيون خبرة خاصة نكون جديدة على حياتهم وتأخذ مكانها ضمن خبراتهم السابقة التى هى مجموعة من القيم المتعارف عليها بين الناس والعلاقات الاجتماعية الى جانب الحاجات النفسية الملحة وهى جزء لا يتجزأ من حياة كل طفل ، ونتيجة لذلك يتأثر ما لدى الطفل من خبرة أصلية فيطرح بعضها جانبا ويختزن بدلا منها خبرة جديدة . وقد يصدر عن الطفل سلوك ملحوظ نتيجة لمشاهدته بعض البرامج ، هذا ما نقصده عند الحديث عن « أثر وسائل الاعلام » .

يتساءل (شارلز سيجان) : هل التليفزيون وسيلة لتخدير عقول الجماهير ام ان له اثرا هاما على ثقافتهم؟ذلك انه كان هناك أمل فى أن يصبح التليفزيون فى كل منزل وسيلة للمعرفة والتربية بما يفتحه من نوافذ على الآفاق البعيدة من العالم وبما يقدمه من الأنباء والافكار الجديدة وشخصيات العظماء للاطفـال .. ولكن من ناحية اخرى لوحظ ان أضعف الاطفال تحصيلا فى المدرسة هم اكثـر الاطفال اقبالا على برامج التليفزيون . وان كان ذلك لا يعنى ان التليفزيون هو السبب فى ضعف مستواهم العلمى .

لقد قال « بول وينى » فى مؤلف لسنة 1954 م ، ان التليفزيـون يقلل مـن اقبال الاطفال على القراءة ، ثم عاد فى سنة 1959 م ، فذكر ان ذلك غير مؤكد. وذكر مؤلف آخر هو « ريمون » انه عند استطلاعه أراء المراهقين وجد أن اثنين من خمسة اعترفوا له بأن التليفزيون يعطلهم عن أداء اعمالهم المدرسية وان كان تقديرهم لذلك متفاوتا على نحو ما والى درجة كبيرة . والـذى لاشك فيـه ان الاطفال يتعلمون من التليفزيون .

ولكن (ارثر سليزنجر يذهب الى ان التليفزيون ينافس الوسائل الترفيهية الاخرى فى انه ينحدر سريعا بذوق الاطفال ، بينما يقول « لويس كوهن » : ان كثيرا من برامج التليفزيون تشجع الاطفال على اكتساب مستـوى منحط مـن الذوق لا يليق بالحياة الاجتماعية السليمة .

ويتساءل « جويف كلابر » : هل يساعد التليفزيون على انضاج عقليـة الطفل قبل الاوان ؟

يقول « ان الاطفال يقضون معظم الوقت امام التليفزيون فى مشاهدة البرامج التى اعدت خصيصا للكبار وغالبا ما تكون مليئة بالمشاهد والمواقف التى تتميز بالصراع العاطفى . ويظن بعض علماء النفس ان استمرار مشاهدة الطفل لمثل هذه البرامج يحدث انطباعات عميقة من حياة الكبار على تفكيره وتدفع به الى حالة من النضج سابق للأوان من صفاتها الملحوظة الحيرة وعدم الثقة بالكبـار والاهتمام بمشكلاتهم اهتماما سطحيا . وقد يصل الأمر بالطفل الى عدم الرغبة فى اللهو ليكون كبيرا » .

ويضيف « كلابر » الى ذلك إن الاطفال فى مراحلهم الاولى كثيرا ما يلتمسون النصح والمشورة عند الكبار فيما يختص بمواقف يشاهدونها ضمـن برامـج التليفزيون ولكنهم يفاجؤون بعجزهم عن تقديم المعونة المطلوبة . ومثل هـذا

العجز من جانب الكبار يكون له فى نفس الطفل أثر أعمق مــن أثر الصورة غير الواضحة لحياة الكبار التى يراها الطفل فى مشاهد التليفزيون .

ويذهب « شرام وزميلاه » الى أن النليفزيون أحدث تعديلا كبيرا فى أوقات مراغ الطفل وخاصه فيما يتعلق بالمدة التى يقضيها فى اكتساب المعرفة من وسائل الاعلام مثل الرادىو والنليفزيون . لقد قل معدل الرمن الذى يخصصه الطفل لقراءة المجلات المصورة عما كان عليه فى الماضى . كما انــه يسمع من الراديو الى الممثيليات أقل ويذهب الى السينما مراب اقل ، ولكنه يشاهد عددا كبيرا من التمثيليات فى التليمزيون ، وقد يسمنع الطفل بالموسيقى الشعبية من الراديو ولكنه يسطيع أن يحصل عليها من النليفزيون . ومن الواضح كذلك أنه قد حدث تغيير فى المادة النى ستقبلها الطفل عن طريق الوسائل الثقافية اذا قورنت بمثيلتها قبل ظهور النليفزيون .

ولعلنا نستطيع ان نخلص مما تقدم ، الى ان طريقة استخدام وسائل الاعلام هى التى نحدد قيمتها بالنسبة لمستقبل الطفل .. فوسائل الاعــلام ـ حيــن نحسن استخدامها ـ يمكن أن تؤدى عدة وظائف :

الطفـل وعــادات اللغـــة

فوسائل الاعلام من خلال الاتصال اللغوى تتيح للطفل تمثل العادات اللغوية ذلك أن استخدام اللغة لتوصيل الافكار واكتسابها ـ كما يقول ديوى ـ انما هو امتداد وارتقاء للمبدأ القائل : ان الاشياء تكتسب المعنى عن طريق استخدامهــا فى خبرة مشتركة أو فعل مشترك ، وانه لا ننتهك هذا المبدأ بأية حــال من الأحوال . وعندما لا ندخل الكلمات كعوامل فى موقف مشترك ، امــا صراحة أو بطرق الخيال ، فهى اذن منبه مادى محض . ليس ذا معنى ولا قيمة فكرية ، ولكن طرق الكلام الاساسية وكتلة المفردات ، انما تشكــل باتصالات الحيــاة العادية ، والتى تعرضها وسائل الاعلام ، فالطفل يكتسب لغة الام بطريق مباشر وبطريق غير مباشر من وسائل الاعلام . فقــد اظهرت الابحــاث ان الملاحظــة البسيطة للآخرين يمكن ان تكون لها تاثير قوى فى تغيير بعض جوانب السلوك الاجتماعى مثل استعداد الطفل لمعاونة الآخريــن وقدراته عــلى اظهار سيطــرة ذاتية ، وتعلمه لقواعد اللغة .

وهنا يمكن ان تصحح وسائل الاعلام بطريق غير مباشر عادات الكلام التى تكتسب من قبل . فالطفل يلاحظ ويتذكر اسلوب الكبار فى الكلام والتعبيرات

التي يستعملونها والطرق التي يقدمون بمقتضاها المساعدة ، ويكتسبمعلومات مما يراه ، اي ان التعليم بالملاحظة يحدث في هذه الحالات .

« ان وسائل الاعلام ، تلعب دورا اساسيا في تزويدنا بالمعلومات والاراء التي تبني بفضلها صورة للعالم المحيط بنا ، وانها توسع عالمنا واطارنا الدلالي وتجعلنا نهتم بامور لا نستطيع أن نعرفها بالتجربة المباشرة . لذلك يقال دائما إن أكثر من ٧٠٪ من واقع الفرد في المجتمع الحديث مستمد من وسائل الاعلام » .

وسائل الاعلام وآداب السلوك

يذهب علماء النفس الى ان الطفل عندما يبلغ الثانية او الثالثة من عمره لا يعي من آداب السلوك الا القليل ، بل انه لا يعرف ماذا تعني هذه الآداب .

ولقد ظهر ان ملاحظة الاطفال للأطفال الاخرين في فيلم ما ، تحدث مستوى مرتفعا من التعلم للسلوك غير المالوف وتزيد استعداد الاطفال للمشاركة وتقلل ردود الفعل التي تنطوي على نفور او خوف بشكل كبير .

وتقول (دوروثي و. باروخ) إن افضل طريقة هي ألا نطالب الطفل بعبارات المجاملة ، لان كل عبارات المجاملات والتحيات ، لا تحمل للطفل الصغير من المعاني الا القليل . ان الطفل قد يقول مع ذلك كل هذه المجاملات والتحيات بطريقته الخاصة ، فقد يقول « صباح الخير » أو « من فضلك » أو « اشكرك » بابتسامة جذابة ، أو نظرة معبرة أو لمسة من يده تحمل الود والصداقة او حتى بوساطة تعبير او افصاح عن الرضا . فان هذه كلها رسائل اتصال صادقة نابعة من القلب . وبدلا من ان تعرض عليه هذا اللون من السلوك ، فان الافضل ان نسلك نحن هذا السلوك معه ، فنقدم له صورة دقيقة لآداب السلوك بأن نكون مثلا يحتذى ، وبذلك نبيح له حرية اختيار انواع الآداب التي يرغب في محاكاتها ، فاذا ترك وشانه فانه سيقتبس تدريجيا الآداب التي تناسب مرحلة نموه الخاصة ، ويشرع في ان يقول « من فضلك » او « اشكرك » او « صباح الخير » .. الخ . كما يستعمل هذه المجاملات والتحيات بصورة لبقة طبيعية ، وسرعان ما تصبح هذه العبارات تعبيرا عن نفسه ، لا صورة لا معنى لها فرضت عليه فرضا ، غير انه يحتاج الى وقت حتى يصل الى مرحلة الآداب التي يتحلى بها الكبار ، اذ أنه لا يصل الى هذه المرحلة دفعة واحدة . ان الطفل سوف يتعلم

الكثير من هذه الآداب والمجاملات على أحسن وجه اذا ما انتظرنا حتى يكـون مستعدا لتعلمها مهيئا لممارستها . واحتمال اكتساب السلـوك الجديد لـدى الطفل ، بدون ممارسته أو الاقدام عليه مباشرة ، له نتائج هامة فى فهم تأثير التليفزيون وفرص التعلم الاخرى بالملاحظة . فاذا تعلم الطفل سلوكـا جديدا يصبح فى مقدوره الاقدام على ذلك السلوك حينما يجد نفسه فى ظرف يكون فيه ذلك السلوك مجزيا او يخدم أهدافه الخاصة ، وبهذا ، بالرغم من أن التعلم قد لا يدفع الفرد بالضرورة الى القيام بعمل ما ، الا انه يجعل فى الامكان القيام باستجابات اجتماعية قد لا تكون متوافرة لديه لولا هذا التعرض . معنى هذا أن التعرض لدلالات جديدة (عنيفة) قد يغير شكل السلوك المحتمل الذى قد يقدم عليه الطفل حينما يثار او يتعرض للضغط .

فمما لا شك فيه أن الأطفال سوف يتعلمون أشكال السلوك الجيدة ـ كلمات وتصرفات ـ مـن مجرد مشاهدة الآخرين ، لذلـك فهـو يتعلم العدوان مـن التليفزيون كما يتعلم الأشياء الايجابية .

وهنا يمكن ان تلعب وسائل الاعلام دورا اساسيا فى آداب السلوك من خلال تقديم القدوة ، التى تعتبر أقدر من الموعظة فى هـذا المجال ، فآداب السلـوك الحسنة عـلى حد تعبير ديوى نتاج التنشئة الحسنـة ، أو مـن باب أولى هى التنشئة الحسنة . والتنشئة تكتسب بالفعل الذى تحول الى عادة ، استجابـة الى تعود منبه معين أو بالتلقين . ورغم التعليم والتصويب المقصودين بلا انقطاع الا أن المناخ والروح الاجتماعية ووسائل الاعلام فى البيئة المحيطة بالطفل هى فى النهاية العمل الاساسى فى تشكيل آداب السلوك ، وآداب السلوك ليست سوى الأخلاق الصغرى ، أما فى الاخلاق الكبرى ، فالتعليم المقصود أحرى الا يكون فعالا الا بمقدار توافقه مع سير وسلوك من تتكون منهم البيئة الاجتماعية للطفـل .

ويذهب الدكتور فردمان المتخصص فى دراسة الانحراف الى انه « لم يتضح من أية دراسة نفسية يعتمد عليها أن اعراض الشخصية الانشطارية قد زادت بين الاطفال منذ انتشر استعمال التليفزيون ، وكذلك لم يثبت بالبحث الدقيق ان هناك صلة ما ، بين ارتفاع نسبة الانحراف بين الأحداث وبرامج التليفزيون أو عملية مشاهدتها .

ويقول : « ان مدى استجابة الطفل لبرامج التليفزيون ومغزاه النفسي ، هو المقابل لما يحققه من ارضاء حاجاته في مجتمع اسرتـه ومدرستـه واصدقائه ، ويمكن التنبؤ بأن الأطفال الأقل ذكاء ، والاكثر قلقا والذين على غير وفاق مع عائلاتهم واصدقائهم هؤلاء جميعا يحتمل أن يستغرقوا فيمشاهدة التليفزيون كنوع من الهرب أو بقصد اثارة عواطفهم. أما الاطفال الاذكياء والمتزنين والذين على وفاق في علاقاتهم مع اسرهم فهؤلاء لا يتأثرون بمشاهده برامجالتليفزيون».

هذه الخواص تكون كامنة في كل عمليات المشاركة في المشاهدة سواء كان ذلك بالنسبة للرياضه أو الفن او القراءه ، ولكن الشيء الهام الذي يتميز بـه التليفزيون هو ـ كما يقول شرام ـ انـه يلتقي مـع المشاهديـن في جميـع المستويات العمرية فمشاهده الاطفال في سـن 5 سنوات ، 3 سنوات وحـتى الاطفال من سن السنتين يرون برامج التليفزيون ، وفي هذه السنـة الاخيرة يكون التليفزيون مجرد بديل عن الام ، وهذه الحاجات التي يحس بها الطفل تنمو وتكبر وتتطور علاقته بامه . ان هذا النمو في الحاجات يتوقـف أساسا والى حد كبير على موقف الام من الطفل وتشجيعها له على القيام بأعمال النشاط وعلى الاعتماد على النفس . وان من أعظم الأمور اهمية في تكوين شخصية الطفل انه يستطيع في تلك السن اشباع كثير من رغبـاته وحاجـاته عن طريـق التليفزيـون .

وقد توصلـت « هيملوايت » الى ان الاطفال الذيـن يحصلـون الخبـرات التليفزيونية على حساب الحياه الواقعيه ، اذا تركت لهم حريه الاختيار ليسوا الا عددا ضئيلا ، ووجدت أيضا ، كما وجد شرام وزميلاه بالمثـل أن الاطفال لا يملون أبدا مشاهـدة التليفزيون ويميلون الى مشاهـدة ألوان مختلفة مـن البرامـج .

الذوق السليم والتقديـر الجمـالي

وتستطيع وسائل الاعلام حين تصافح العيون أو الآذان،أن تقدم موضوعات للرؤية او للاستماع ممتعة ، وذات أناقة في الشكل واللون والايقاع ، وحين تفعل ذلك تجعل الطفل ينشأ لديه مستوى أو معيار للذوق .

وقد اثبتت دراسة شرام وزميليه ، ان الأطفال في أعـلى مستويات الذكـاء وأدناها من الذين يشاهدون التليفزيون يلتحقون بالمدرسة وعندهم حصيلة من

المفردات الجديدة تعدل ما يمكن تحصيله فى سنة بالنسبة لنظرائهم من الأطفال فى المجتمعات التى لم يدخلها التليفزيون ، ويضاف الى ذلك أن طول المدة فى مشاهدة التليفزيون تساعد على زيادة حصيلة الطفل من المفردات .

ويحتمل أن تكون فاعلية وسائل الاعلام بوجه عام فى استثارة اهتمام الطفل بمعارف جديدة ، وفى زيادة اهتمامه بما هو موجود فعلا ، أكبر منها فى استثارة الطفل نحو القيام بنشاط خلاق .

وبقدر ما تعمل وسائل الاعلام على تنمية ادواق الاطفال ، يمكن أن نفترض مع شرام انها تدعم نوع الذوق الذى يكتسبه الطفل اثناء القراءة أو الاستماع او المشاهدة . فاذا كانت البرامج والمواد منوعة بحيث تكفى احتياجات الذوق فى مستوياته المختلفة ، وبحيث تعطى الطفل مجالا كبيرا للاختيار ، فلن يكون هناك داع للقلق ولكن ليس هناك اختلاف كبير بين برامج التليفزيون مثلا كما انها معدة على مستوى تتقبله الغالبية الكبرى من الجماهير .

وهذا الموقف يؤدى بنا الى البحث فى مشكلة تنمية أذواق الاطفال عند التعامل مع وسائل الاعلام وكيف يتم ذلك ، ويلفت أنظار الآباء والمربين والمفكرين ، الى توجيه الاطفال لاختيار ما يناسبهم من مختلف الوان البرامج فى التليفزيون . ذلك أن وسائل الاعلام تعمل على تكوين الاتجاهات والميول والآراء وتغذيها بشكل مستمر .

د. عبد العزيز شرف

قصيدة العدد

تونس الحبّ .. تونس الياسمين ..

شعر : الصادق شرف
(أبو وجدان)

أُحِبُّكِ تونس، والحب ،قيلا : يُحَقِّقُ مَا قَدْ بَدَا مستحيلا
بِحبّكِ إِنّي أُحَقِّقُ حُلما هو الحبّ ما كان حلما جميلا
وأجمل منه انتصار فسيح على مَنْ على الشعر كان الدخيلا
تمازجَ فينا الهوى فاستَوَيْنَا فما كان فرعا يصيرُ أصيلا
وما كان أصلا تَنَامَى زياتين يَغْسِلُنَا الظلّ منها غسيلا
زياتينُ تَنْبَعُ دِفْءا وريحا تمدّ الرّيَاحينَ ميلا فميلا
أحبكِ زيتونة .. برتقالا .. حزاما من القمح .. ضاهى النخيلا
من الياسمين نسجنا لك التاجَ ، والصولجان ، وعرشا جليلا
ألا فاجلسي يا أميرةُ .. قلبي لِعَرْشِكِ - إن شئتِ - كان البديلا
إذا ما جلستِ جاسنا .. وليس لغيرِكِ نحنُ وقفنا طويلا
فحين تسيرين .. خلفكِ نمضي لَوَ انّا سَبَقْنَا أضعنا السبيلا
رأيناكِ يقتلكِ العشقُ .. جئنا نخفّفُ عنكِ فصرنا القتيلا
فنحنُ امتلانا بعشقكِ حتّى لَيَشْتَدّ ما كان فينا نحيلا
يجودُ بنفسهِ كلّ حبيب .. وكم كان بالنزر حيناً بخيلا !

هو الشاعر الفذ مَن في سواه بشعره قَدْ عَاشَ دهرا طويلا
وأفنى أنا في سواي .. لأنّي من الشعراء أُوَسَّسُ جيلا
إذا قيل : مَنْ ذا ؟ ومن ذي ؟ تُجيبُ الخليلةُ لم أر إلا خليلا
فلا تستميلي فؤاديَ أكثر .. أخشى من الميل يغدو ضليلا
فلو كنت ريحا وقلبيَ غصنا تَكَسَّرَ لَوْ مَالَ عنكِ قليلا
تَكَسَّرَ لو مالَ نحوكِ أكثر لمْ يَبْقَ إلا ... بأن لا يميلا
ولو كنتِ نهرا وكنّا عطاشى وَيَنْقُصُ إنْ نُروِ منه الغليلا
نموتُ عِطاشًا .. ونحيا عِطاشًا ولا نقبلُ النقصَ فيكِ فتيلا
أحبكِ تونسُ والحبَّ مَوْجي وأعشقُ بين العطاشى الرحيلا
أنا البحر والعاشقون زوارق في ساحلٍ خلتهم أرخبيلا
فكم زورق للهواء عميل .. ! ولست لغير هوايَ عميلا ؛

8 / 6 / 85

الصادق شرف

تـوأمة شعرية

تونس الحب .. تونس الياسمين ..

بنفس هذا العنوان وفى نفس الموضوع وعلى نفس القافية ننشر مستقبلا قصائد البحر المتوأمة لشعراء آخرين نذكر منهم .
سمير الحيارى ، عبد الرؤوف بوفتح ، أحمد صنديد ،
الحبيب الهمامي ، الحبيب بن فضيله ... وغيرهم
فليراسلنا الشعراء الشباب بقصائدهم

أدب "الفعل" وأثره في التربية الحضارية

بقلم: خميس جاء بالله

تعتبر التربية عاملا رئيسيا من عوامل تحقيق الشخصية القومية . فهي «فن صناعه المواطنين على رأى بعض الباحثين» . (1) وبالتالى فهى القناة الاولى لتعليم الاجيال وتوجيهها . واما «ادب الفعل» فهو الادب الذى يدعو الى تبنى الفعل والعمل به . فهو عنصر توازن للشخصية لان هدفه الاوحد يتمثل في ايجاد تعادليه بين القول والفعل . وبالتالى فهو أداة حضارية خطيرة واجبة الوجود لان تحقيق هذا الهدف هو الطريق السوى الى خلاص الوطن والامة قاطبة من براثن التخلف والقهر من جهة والى بناء الحضارة وكسب الرهان من جهة أخرى . وهذا الادب هو بالتالى أدب هادف لانه تربية . «فالصورة الحقيقية للادب الهادف هو الريادة ، والتوجيه حيث يكون الادب مواكبا وفى نفس الوقت رائدا وموجها .. وهذا الادب ، يكون مطلوبا وضروريا في حالات التحول الثورى التى تشهدها المجتمعات الانسانية بعد تعرضها للكبت والجمود والاستغلال»(2) والاقتناع «بالفعل» ينتج عن تربية ودعوة ملحة ومنظمة الى «الفعل» من قبل السلط . فيصير هذا الاقتناع أحد سمات الشخصية العربيه . ولذلك تعتبر التربية عاملا رئيسيا من عوامل تحقيق الشخصية القومية لانها تصنع المواطن المتزن وتخلق لديه وعيا اجتماعيا يؤلف بين القول والفعل .

---

(1) أطروحة علمية دكتوراه دولة في «فلسفة التربية» ـ جانفي سنة 1974 كلية التربية . جامعة المنصورة ـ القاهرة .

(2) بحث بعنوان «الادب بين الرياده والمواكبة» ـ للاستاذ الطيب برغوث . مجلة الثقافة . عدد 32 . أفريل ـ ماى 1976 .

وكما يكون الفعل عنصر بناء ودعم للشخصية الوطنية للجماعة فانه يمكن ان يكون عامل هدم وتخريب اذا كان سلبيا وغير موجه · وهنا يـأتي دور التربية في توجيه «الفعل» نحو الافضل · ومن هذا المنطلق «كانت التربية عاملا أساسيا في تحرير الشخصية الانسانية للجماعة وازدهارها واكتمـالها واكتسابها كرامتها الذاتية» (3) ·

وقد كان الوعي بعنصر «الفعل» والدعوة الى تبنيه أحد مرتكزات حضارات متعددة · ولا شك أن البلدان المتقدمة في عصرنا اليوم مـا وصلت الى مـا وصلت اليه الا بفضل العمل والمثابرة · ولو نأخذ مثالا على هذه الدعوة بلدا قصيا لا نعرف عنه الكثير لكنه استطاع غزو العالم تكنولوجيا بدافع البحث والغلبة والسياده · انه الصين ، بلد الجد والجهد والكد ·

للحضارة الصينية أهميتها ومكانتها بين الحضارات قديما وحديثا ، فهي من أقدم الحضارات واشدها ايغالا في الزمن البعيد ، ونظرا لبعدهـا الجغرافي وانغلاقها النسبي على نفسها طيلة عهود طويلة فان الاسرار تكتنفها في كل مجالات الحياة وبالتالي فان كل حديث عن الصين يكتسب أهميته في التعريف ببعض نشاطها ومن خـلال اطـلالة على الادب الصيني سنتابـع قصيدتين كتبهما الزعيم الصيني « مـاوتسي ‹ونـج » منذ عشرين سنة خلت ، الاولى هي بعنوان «عودة الى جبال جينجقانج» واما الثانية فعنـوانها «حـوار بين طائرين » ، وقد كان لهاتين القصيدتين وقع كبير في نفوس الصينيـن الذين ردّدونهما باستمراره والواقع ان الادب بصفة عامة وخاصة الشعر والرواية هو رهين للأحداث السياسية في البلاد وهذا الادب يقيم بصفة مرحلية وبالاخص في ضوء الثورات الثقافية المتجددة التي تحدث في الصين منذ عام 1978 . ويمكن القول ان التراث الصيني يخضع دوما الى مقاييس سياسية داخليـة . ويمكن تقديم مثالا على ذلك . فقد جرى تقييم وحديث طويل حول رواية صينية طويلة عنوانها « أبطال على شاطىء البحيرة » والصينيون يعتبرون هـذه الرواية من التراث وتنتمي أحداثها الى أسرتي «سونج» و «مينج» اللتين حكمتا الصين لمدة طويلة (960 و 1167 م) · ولنا أن نتساءل عن سبب هذا التقييم وعن اهدافه ولماذا وقع في فترة معينة وليس في فترة أخرى ؟ وقد أجاب الزعيم الصيني الراحل « ماوتسي تونج » فوصف الرواية بقوله : « ان هذه الروايـة هي ذات

---

(3) د· الهادي عفيفي «في أصول التربية» · القاهرة سنة 1971 · ص 9 ·

نفع ، لأنها تصف الاستسلام .. كما أنها مادة دراسية أدبية سلبيـة تساعد الشعب على معرفة اعدائه ، وهى روايـة خدمت طبقة الاقطاع وكانـت ضـد الفلاحين والمناضلين» • ومن ثم وجبت قراءتها ومناقشتها لانها ـ كما يقول الزعيم الصيني ـ « ان اى خطأ ، او وجهة نظر خاطئة يجب كشف النقاب عنها وكشف النقاب عنها لا يجوز أن يكون لقلة قليلة من الناس فقط ، بـل يجب جعله واضحا لدى الجماهير الغفيرة » . وهذه الرواية هى عينة فقط بالنسبة لأعمال تتسم بالسلبية فى اطار الثورة الثقافية المتجددة .

واما الادب الايجابى الهادف، فالقصيدتان اللتان ذكرتهما تعبران بوضوح عن هذا الادب الذى يحض ويدعو الصينيين الى العمل والانتاج . وهـو كما يقـول « أحمد أبو كف » : يدعو الى رفع شأن الصين واسمها بين الدول ، وهو أيضا الادب الذى ينعكس بصدق حركة المجتمع الصينى فى الانطـلاق ، لتصبح دولة كبرى » .. ويواصل احمد أبو كف بقوله . « فالصينيون يعبرون أنفسهم دولة نامية ، تنتمى الى العالم الثالث ، وهو ما اعتقد أنه تواضـع صينى منبثق مـن الادب الصينى الجم ، المعروف » .

1 ـ قصيدة «عودة الى جبال جينجقانج» •

لقد انتهى الزعيم الصينى من كتابة هذه القصيدة فى ماى 1965 . وهى ـ كما سنرى ـ دليلا واضحا على ايجابية الادب الصينى الحديث ، نقـول ترجمتهـا النثريـة :

طال شوقى الى امتطاء السحاب
اصعد فى جبال جينجقانج من جديد
من بعيد جئت التقى بربوع الماضى
تغيرت الملامح القديمة وبدا وجه جديد
فى كل مكان تغنى البلابل وتتراقص
السنونو
والسواقى تنساب مرنمة
والطرق تصعد فى عنان السماء
بعد ممر هوانجيا نفجيه
لا مكان لخطير يستحق التفاتة
دوى الرياح والرعود
تواكب الاعلام والرايات

هذا هو عالم البشر ..
ثمانية وثلاثون عاما مرت
كأنها فرقعة أصبعين
نستطيع قطف القمر من أعالى السماء التاسعة
والقبض على السلحفاة من أعماق المحيطات الخمسة
ونعود بين اهازيج النصر وضحكات المرح
لا مستحيل فى الكون
لمن يجرؤ على صعود القمم .

ان هذه القصيدة لتعبير صادق التعبير عن قوة الارادة حقا. وقوة الارادة هذه تنجلى بوضوح فى كل كلمة بذكرها الزعيم «ماو» ، «فامتطاء السحاب» رمز الى بعد النظر وكبر الطموح ، ورنو الى الفوق ، وفعل « أصعد » يعنى القدرة على الفعل والايمان بالصعود نحو الأعلى . و « الصعود » فى عنان السماء لا يخرج أبدا عن الاتجاه الذى رسمه الزعيم ماو الى أبناء وطنه ، ثم ان هناك شعور بالاطمئنان فى هذه المسيرة نحو الافضل وهو شعور الراضى عن نفسه وعن عمله ، وقد عبر عن ذلك الشاعر الزعيم بقوله : «لا مكان خطير يستحق التفاتة » . وأما فى المقطع الثانى فاننا نلاحظ بجلاء البعد السياسى لقصيدته . انه يعدد السنوات التى مرت حافلة بالفعل والعمل الدائبين انها « ثمانية وثلاثون عاما » بكاملها ولكن رغم طولها فقد مرت « كأنها فرقعة اصبعين » لا يكاد المرء يشعر بمرورها . والتعبير عن هذه السرعة يعنى أن الصينيين انشغلوا بالعمل المؤسس عن نعداد الساعات التى تطول بطبعها للقاعدين الواهنين . ونتيجة لهذا الفعل المؤسس الدؤوب فقد قدر أبناء الصين على تحقيق ما يطمحون اليه . واستطاعوا بذلك « قطف القمر من أعالى السماء التاسعة » . و « القبض على السلحفاة من أعماق المحيطات الخمسة » .

ومن خلال تتبع أفكار الزعيم « ماو » يمكن أن نستخلص خطوطا عريضة يمكن أن تكون الخطوط العامة للثورة الثقافية التى قادها الزعيم ، ولنكون أشد دقة يمكن القول : انها أساس الثورة فى الصين وأساس المبادىء التى أراد « ماو » أن يتحلى بها كل صينى كفرد . وبالتالى فهو يتوجه الى المجتمع ككل والى الافراد المكونين لذلك المجتمع ، وهذه الاسس تتمثل فى ما يلى — من خلال القصيدة :

1 — قوة الارادة .
2 — بعد النظر .

3 ـ القـدرة على الفعـل ..

4 ـ الاعتداد بالنفس والايمان بها .

5 ـ عدم وجود المستحيـل .

1 ـ **قوة الارادة** : هي عامل نفسي لابد من توفره لأنه منبع الفعـل ، فمنـه ينطلق الخلق ويكون الحركة والابداع ، ووجود الارادة على النطاق الفردي يحدد المسار الذي سمعه الفرد . فاما أن يكون الفرد محصرا ، منوثبا واما أن يكون فاقد الاراده حاليا من كل قدره على الخروج من عالمه الضيق المميت . ومن ثم تتلون أحواله بقدر قدرته وارادته ، والانسان لا يولد قوى الارادة أو ضعيفها وانما تتربى فيه وتسمو بحسب محيطه . وبحسب درجـة تعلمه ووعيـه بهذا المخزون الهائل الذي يحويه . وقد تخرج الاراده عن دائرة الخمول والسكون لفترة قصيرة وبمناسبة معينه ثم تهجع وتسكن ومثال ذلـك : الانسان الـذي يجوع ، انه يخرج عن ركوده من أجل سد رمقه ثم يعود الى حاله وهكذا. والزعيم «ماوتسي تونج» عرف ما لوجود الارادة من أهمية فعمل على التحريض وعلى «تحريك السواكن» وزرع هذه القدره الطيبة المعطاء حتى يكتسبها كل صيني فكانت المناقشات والاجتماعات المتعدده لعصيدته دليـلا على المضي قـدما في تحسيس أبناء وطنه بهذا الحوار الذي لم يحتر أن يتحلى به الا القليل النادر من الصاد ان الاراده تحدد نمط الحياه ونمط السلوك وما وجـود الغني والفقير والذكي العبقري والبليد ذهنيا الا لأن الارادة قد توفرت في الغني والعبقري واختفت أو هدأت في نفس الفقير والبليد .

2 ـ بعـد النظـر :

واما بعد النظر فهو يكون بدوره أحـد مقومات نظره الزعيـم الشاعر فهـذه النقطه تمثل حلقة لابد منها وهي تعني الامتناع عن التوقف عند هدف قريب لا قيمه له بمقارنته بالاهداف المتعددة التي تتولد عنه بعد فترة زمنية قد تطول وقد تقصر . فهي نتيجة لعملية تقييميه تنتج عنها اختيارات . وتتمثل العملية هذه في رسم أهداف ممكنة بعد دراسة الوضع العام والطرق التي يمكـن أن تؤدي الى تحقيق تلك الاهداف المخطط لها بهدوء وثبات . ومن هذا المنطلق نرى « ماوتسي تونج » يرنو الى السماء بعد مرحلة المفسر التي لاحظها وهو يعود الى قريته . ان بعد النظرة يساوي الاستراتيجية .

3 ـ القـدرة على الفعـل :

اذا عدنا الى القصيدة رأيناها تنتهى بقوله :

لا مستحيل في الكون

لمن يجرؤ على صعود القمم •

بهاتين البيتين عبر « ماو » عن القدرة على الفعل ، اننا نعنى بالفعل القدرة على النفاذ والتنفيذ ، فالفعل يحول الكلمة ويصنع الاشياء ويوجه التـاريخ ويرسم للأنسانية الطريق ، وقد يكون الفعل سلبيا فيـؤدى الى خراب الكـون وافلاس الانسان ، أما اذا كان ايجابيا فعالا فينتج عنه الرقى الاقتصـادى والاجتماعى والثقافى وعـن أهمية الفعـل وقدرته تحدث شعـراء تونسيـون واستطاعوا الاهتداء الى معرفة منزلته بالنسبة للفرد وللانسانية قاطبة . فقد قال الشاعر أبو القاسم الشابى :

لا ينهض الشعب الا حين يدفعه ٭٭٭ عزم الحياة اذا ما استيقظت فيه

ان العزم هو الفعل والحـركة نحـو الافضـل ، وأبـو القـاسم تحـدث عن الشعب الذى خمدت فيه الروح بسبب الخمول الذى أصابه فأقعده فريسة للركود والموت ، فالنهوض يبقى رهين عودة العزم من جديد الى الشعب الذى استسلم الى المستعمر ، فتركه له المتاع واحتلى بنفس واهنة لا تقدر على الحراك والفعل الذى تخلص المستضعفين • وذلك ما يعنيه بوضـوح فى قصيـدة «**ارادة الحياة**» حين قال ·

ومن لا يحب صعود الجبـال ٭٭٭ يعش أبد الدهر بين الحفر

وقال أيضا شاعر الفعل الصادق شرف فى قصيدته (**لحبيبتنا الاولى** •• سنغنى) وردت فى ديوانه « وأحهش بالغضب » ص 60 .

اخطأنا القول أيا وطنى ..

فارددنا لصواب الفعل فان القـول

بـلا فعل يبقى مشلـولا

اخطـانا القول طويـلا ..

اخطانا الفعل طويلا •• اطول

كنا الفاعل هل نغدو المفعولا ؟

وقال أيضا فى قصيدة بعنوان « شاعر .. والفعل أعشقه » (4)

آمنت بالفعل عشقا يرفض القولا والمؤمنون ـ نعم ـ بالرفض هم أولى
العقل حق ، وكم يقوى ! اذا التحمت به الفعال لنا قد يركع الاعلى

أما فى قصيدته « نحن الموكب .. لو نتحرك » (5) التى كتبها بتاريخ 4 / 2 / 1969 فالدعوة الى « الفعل » عنيفة اللهجة .. سنلقى الحجة من التاريخ ضد الذين يتحرقون الى عزة الموكب العربى والمجد الحضارى ولكن فى سكون قاتل ، فلنستمع اليه يقول

موكب نحن .. ولكن «هلاكو» ساكن فينا .. الا ويح المساكن !
كم تحرقنا من الداخل والخارج لكن ..!
لم نحرك أى ساكن !
لو تحركنا لحركنا السواكن ...
شنقنا الزمن المسبوه فى كل الأماكن .

ويجدر الاشارة هنا الى المحاضره التى القتها فى « مهرجان الشعر العربى الحديث فى دورته السادسة بالجريد » وعنوانها « فلسفه الفعل فى شعر الصادق شرف » التى قدمت فيها مسحا للفعل فى شعره .. ولا يمكن أن يكون ذلك المسح شاملا باعتبار ما للفعل من وجود متجذر فى كل دواوينه اذ تكاد لا تخلو أية قصيده من رائحه الفعل لذلك أسميه :« شاعر الفعل » المؤمن بنفسه المعتد بعقله .

4 ـ الاعتداد بالنفس والايمان بها :

هو عنصر نفسانى سربى فى الانسان كالخير والشر تماما ، **وهذا العامل** النفسى يزهر فى نفوس الذين عاشوا على نمط اجتماعى راق ، وكذلك فى نفوس الذين اكتسبوا رصيدا ثقافيا وعلميا هاما . **ويبقى هذا العنصر رهين** العناصر الثلاثة التى سبق ذكرها .

---

(4) الفكر عدد 4 س 30 جانفى 85 ص 134 .
(5) شواطىء العطش ـ ص : 24 .

5 ـ عـدم وجود المستحيـل :

هل يوجد المستحيل أم لا يوجد ؟

ان الاجابة تتطلب معرفة الشخص الذى أنت سائله • فان كان قوى الارادة، بعيد النظر ، قادرا على الفعل مؤمنا به ومعتدا بنفسه فهذا هو الانسان الذى سيجيبك قطعا :

لا مستحيل فى الكون ••

وخلاصة القول فى هذا المجال : ان قصيدة «ماوتسى تونج» تمثل بجلاء ما ينبغى أن يكون عليه الادب الهادف البناء فى الصين . ولو نضع القصيدة فى موضعها التاريخى فاننا سنجدها «ترتبط ـ كما يقول أبو كف» ـ بتـاريخ الكفاح لثورة الصين وتاريخ «المسيرة الكبرى» لها • فالرئيس «ماو» جاء الى منطقة الجبال فى عام 1927 مع أتباعه ، وخاض معهم معركة فاصلة تعرف باسم «معركة «هوانجيا نفجيه» ضد الكومنتانج وهذه المعركة كما يجمع المؤرخون ، كانت من المعارك الفاصلة التى حققت انتصارا فى الحرب الشعبية الصينية».وبعد سنوات طوال يعود الزعيم ماو الى جبال جينجقانج فى 1965 فيجد ما عبر عنه فى قصيدته من تغيير . ومن خلال قرية معينة يمكن سحب هذه الصورة على كل شبر فى الصين لان ما حدث فى هذه القرية هو رمز لما حدث من تغيير وتطور فى االصين .

2 ـ قصيدة : « حوار بين طائرين » .

يقول الزعيم «ماوسى تونج » فيها :

نشـر الرخ جناحيـه
فارتفـع تسعين الف « لى »
مفجـرا اعصارا هائـلا
نظر الى تحت يحمل السماء الزرقاء فوق ظهره
الأسـوار فى كل مكان فى الدنيـا
نيران المدافع تمـزق السماء
والقنابـل تدك الارض
من الخوف تسمر « دورى » فى ايكتـه
« يـا ويـل !

آه .. علي ان اطير بعيـدا »
اسالـك : ايـن تذهب ؟
اجاب « الدوري » :
« الى قصر المرمر في جبل الجن
الا تعلم أن معاهدة ثلاثية قد عقدت قبل سنتين
في الخريف القمر الوضـاء
هنـاك ايضا الطعام الوفيـر
البطاطس المقلية
مع العجـل المحمـر » .
« كفـاك هـراء !
انظرا .. ان العالم ينقلب راسا على عقب » .

وكما هو واضح فطائر الرخ يرمز الى المسيرة الكبرى للصين التي استطاعت ان تزيل كل العقبات وكل الذين وقفوا في طريقها « فالدوري » طائر في الصين ترتعد فرائصه رعبا حين ينشر الرخ جناحيه . ونلحظ أن الرئيس الشاعر يستعمل أسماء مألوفة في الصين «كقصر المرمر» و «جبل الجن» و «الـرخ» و « الدوري » . وبذلك يكون من الواضح أن الفكر الصيني يستخدم كل ما هو متاح من التراث . واخيرا نورد رأي أحمد أبو كـف في صـدد الحركة الفكريـة النشيطة في الصين « والواقع أن التجربة الصينية الفكرية في حاجة الى القاء الاضواء ، وهي تجربة تشمل فصلا على الادب والرواية والمسرح والسينما ، كل وسائل الاتصال في هذه القارة الهائلة .. وداخل ذلك الانفجار السكاني الرهيـب » .

★ ★ ★

وخلاصة القول انه لا حضارة لقوم لا يؤمنون «بالفعل» ، ولا فعـل بلا تربية ، ولا تربية بلا تخطيط ، ولا عزة لقوم في غياب الفعل وصولة القول .

إن الوطن العربي في حاجة اكيدة اليوم الى زرع بذرة « الفعل » ـ بفضـل التربية ـ في نفوس الجيل القادم حتى يقدر على التصدي لمحاولات الامتصاص والتصنيع . فالقول وحده افقد العالم العربي مصداقيته ولا مناص من البحث عن التوازن حتى يثبت التوازن في عالم ياكل القوي فيه الضعيف .

خميس جاء بالله

الأزمنة الأولى

فصل من رواية : حاتم النفاطي

استقامتك لا تهمني ...
كوني جميلة وكوني حزينة وكفى
فان الدموع تزيد في بهجة المحيا
كما يزين النهر منظر الطبيعة
وكما تزيد العاصفة في بهجة الزهور
احبك ... خاصة ... حين يفر الفرح
من جبينك المحطم
ويغرق قلبك في الفظاعة

بودلار

فسح عننه على أسوار الخداع والموت ونورد رحيقه من فرط آلامه .

على سريره الشوكي كان مستلقيا وابهام يده اليسرى في فمه يغترف من رحيقه علقمه وبشرع في الامتصاص حتى يسل من ابهامه المسكر فيسقط في غيبوبته .

ويبدأ في سرد متاهاته . ذاكرته هي المخزون المتحرك يشدها ويجأ بها ساعة الامتصاص ... كل شيء فيه يوحي بالحبر والكشف ... هو بعلامة النبوءة المتقاطره من عينيه ... هو بمسحة الزهد المنتشره على محياه . الحبر عنده والكشف من عمق عمقه يخرج ساعات امتصاص العضة .

تململ ـ شفاف ـ على شوك سريره واستقام رأسه على الوسادة ، امتص ابهامه بعنف فيضاني ... وطفرت عيناه دمعا سقى شوك السرير . كان لا يسمع فى تلك الليلة ، وككل ليلة ، غير طمطمة ابهامه ونحيبه .

اشعل سجارته ونادى ثلاثا فى ظلمة الليل . أيتها الفاجرة ... يا أيتها الفاجرة... يا فاجره، هيا اخرجى لنوك من ظلمة الليل ومن تجاعيده الميتة.. ابحثى عن ـ نور ـ ، ابحثى عنها فى كل مكان .. أريدها لتوي ... أريدها يا فاجره .. اسمعيني ، هيا ركبى أجنحتك ، انى على عجلة من أمرى .. هيا طيرى فى الحال . . لا تبطئى ، أنا انتظر .

وتتراكم السحب على وجه الفاجرة وتمتطى زمنها وتهاجر الى ـ نور ـ تبحث فى كل مخابىء الزمن عن ظفائرها وتواصل البحث بين الازقة المختنقة موتا ودعاره ... كانت تتهادى فى البحث بين الاسوار فى كثبان أحجارها .. كان الاستعصاء والبحث على أشده ... وتململت الفاجره نافضة أجنحتها من غبار السفر الموغل وبانت منها ابتسامه توحى للناظر العطشان بالماء وللعشب اليابس بالاخضرار . فكرت طويلا قبل أن تنطلق .. حاولت ان ترفض غير أنها حشمت عينيه وشوك سريره وابهامه .

هى . تذكر جيدا ساعه دنو هامته عند نومه ومداعبتها لغضبيه .. هى . تذكر جيدا استغاثته وهروبه الى عمق السرير .. كان يمص العضة وعيناه تصرخان بها . لا . لا تهربى . انى وهبت نفسى للنور .

صرخ ليلتها

ـ ها هو ابهامى .. ألا ترين ؟!..

واطردتها عيناه . وما استطاعت الا الفرار والانصياع للقوة الفائضة من عينيه تجر وراءها بحارا من الخوف والحب عصرتها الذاكرة وجرحتها فى ادغالها .. مسحت دموعها الفائضة .. وابتسمت مغمغمة .

ـ لا بد أن أجد ـ نور ـ انه ينتظر ...

وعاودتها الابتسامة وهى تقطع دروب الخوف والليل والقت بنفسها داخل عالمها

ـ روح الانتظار . آه .. وآه .. كم عذبته .! الزمن يتحرك ـ شفاف ـ يسامره . ما مله .. إما سئم غدره وما رضخ لمشيئته .. غلوه وعذبوه بسياط الزمن العلقم . قالوا له :

ـ من هنا يجب ان تبدأ .. من هنا يجب ان تبنى ما هـدمته ... من هـذا المكان المعزول ستبدأ ... أرخى رأسه ساعتها وغمغم ممتصا ابهامه .. دمعه كان يسافر كخنجر فى ثدى صبية ... يخترق العين ليحط بين شفتيه ويمتص الابهام ومخلوط الدمع ليقول :

ـ سأبدأ من جديد .. حتى وان وضعوا رأسى فى أعماق النتن ، سأبدأ .. سأبـدأ ...

ـ أعرفه جيدا وأعرف اصراره ٠٠ كنت متأكدة ٠ ان عيون الكشف لا تخطىء ولا تسقط فى العمى .. أنا أعرفه وأعرف اصراره .. سوف يصارع الرمس ويأتينا بثوبه منضويا عن جسده .. سيأتينا بالبعث وباليوم الحافل بالسعد وبالفـرح .

سيعرف كيف يخرج ! سيعرف كيف يصارع ـ عزرائيل ـ واعوانه !٠٠

حين ذبحوا وريده ظنوا أن الفعل لا يمكن أن يجىء منقادا لرغبته ... ظنوا أن الموت سيأكله وأن قسم العكس سيعود الى ظهره غارسا فيه أظافره ... لكنه أحكم شد حزامه واستوى على عرش القيادة مقسما : فلي التخطى...وكان له الفعل .. ونخطى .. وما سئم الانتظار .

أتراه يسأم انتظارى ؟!...

وطردت من رأسها كل الهواجس وواصلت طريقها لا تلوى على شىء ، تقلب عينيها فى الظلمة جاعلة منها أنيسة ورفيقة لوحدتها ... وحتى ان خشيت ما يأتيها به سوادها .. فالمهم انها رفيقتها ويكفيها ان لها رفيقة واحدة فى هذه اللحظة تؤمن لها الطريق ... فالى الآن لم تر من سوادها ما يزعجها وما يزعج أجنحتها .. فلتكن اذن رفيقة الظلمـة ... ألـم يكـن ـ شفـاف ـ حبيـب الظلمـة ؟!.

ورفرفت أجنحتها فى الهواء ناشرة جوابا ضحكت منه حين سماعه :

ـ بل قولى عشيق الظلمة وحبيبها من الازل الى الابد !..

كيف نسيت هذا وكيف اهملت ذاكرتها حكايات الظلمة ..؟ أهما شيئان لا يمكن فصلهما ؟

أيهما أصوب ـ شفاف ـ أم الظلمه ؟

أيهما اعمق سرا واخلص عرقا ؟ شفاف ؟ أم الظلمة ؟

اعترف بصعوبة الحكم وعلمت اهمالها بجهلها وقصر عقلها وقلة بحثها وفراغ ذهنها .. أتراها بسيطه لهذه الدرجة وتافهه كعود ثقاب يكسر بعد الاشتعال؟ لم لم تقاومه ولم تعوه ؟!

أترى ـ نور ـ تعرفها فدا وبهجة واجلالا واسوارا .. أم .. أنها تافهه بشهاده نفسها ؟

وتحلق في احواء الظلمه ثم تعود للسير بين الاسوار ... تبحث بكل ما لديها من قوه .. الافكار والهواجس والبحث والذكرى لعبت بها وحبل الزمن يجذبها فيضطرها البحث الى فتح كل الاقبية وكل الابواب والنوافذ ...
ـ نور ـ هي غايتها و ـ شفاف ـ أراد هذا فلا مفر من قضائه ومن حكمته . هكذا هو محب للشيء عاشقه ... مجنون لا يعرف ردا للطلب ... رغبته لا بد من اصطياد كنهها او طلب ماء الوادي من حريره العطش يأتون به في الحال والا فـ ... (..)

الرغبه تسكنه في صدر صدره.. في عمق عمقه.. والويل الويل لمن يخلف رغبته فنهايته تكون على يده .. وتبتسم ناقصة جناح الحبر عنها مولولة .

ـ نهايته ستكون في الرغبه . . فموته في رغبته ... أعرفه جيدا هكـذا هو .. انه والله هكذا مجنون بالرغبة .

وتظهر في آخر الزقاق فوانيس ترتقي على سطح الظلمة مباهية بمجدها الليلي جاعله من نفسها مرشده لعشاق الليل من خمارين وشعراء ومجانين . ويجيء الصوت المتمرد من منعطف الزقاق الجانبي مرددا أغنية العوده :

« يـا خليلـه غنـي

انـا صـاحبي بعـد الجفـاء بـدلني

يـا عيـن ابكـي

والـزمـن هـالكنـي

يا عين ابكي
والزمن هالكني » (*)

وتنزوي الفاجرة في ركن من الزقاق مخفيه في أجنحتها طالبة الستر والمعونة.وأصبح بعدها الصوت صدى يردده الاسوار ونشرب روحه الفوانيس وتطمئن الفاجره وتمس من جديد محررة اجنحتها من الجسد ... كانت متأكده من عدم السقوط في حبال العربيد المغني ولكن زمان القهر مجلبة للغم والتعب .

هي تذكر لما طاردها البوليس خارج الاسوار ... تمزقت ستورها تنشد السقوط ... لكنها هربت .. بل أعانوها على الهرب . ثلاث سنين مرت على هذه الحادثة .. الا أن الحدث جر الحدث .. انها محصنة بحصنه ويكشفه .. وما دامت في خدمته فلا خوف عليها .. تظهر لمن شاءت وتختفي متى شاءت ..

انها مقتنعه بخروجها حتى وان كانت مغلوبة على أمرها ... أرسلها شفاف الى ـ نور ـ فماذا عساها ان تقول ؟ فهي أدرى به ان طلب الشيء فهو اصله وان أمر فالامر يحيا ... وهي تعرفه !! وتصدمها أولى خيوط البياض وسماته .. الفجر بانت أولى أنواره فالى متى سيطل تبحث ؟...

ـ على عجلة من أمري أنا .. هيا طيري .. لا تبطئي .. أنا أنتظر ...

خطير أمره على ما يبدو فكلماته لا تزال ترن في أذنيها بنبرات متشنجة أوتارها نشاز ...

فما الامر يا ترى ؟ ـ نور ـ يريدها على عجل ؟!

وتتجه مسرعة في الفضاء الرحب تستنشق نغمات الفجر وأغانيه ، تحكم مراقبة المرآب باحثة عن ـ نور ـ أصل تواجدها وانطلقت أبواب الاسوار لافظة دفعاتها البشرية الاولى ..

= يا صباح يا رزاق يا كريم ... يجر عربته ويمضي .

(*) أغنية شعبية قيروانية (بتصرف) .

= آه .. آه .. آه .. يسعل من صدر صدره : - يا صاحبي ليلتنا طالت البارحة ، فكأني لم أشرب منذ سنوات ... ويواصلان السير .

* * *

= هيا يا بنات ، السيدة - مريم - أوصتني البارحة أن نأتي باكرا هذا اليوم ... فالزربية على وشك الانتهاء وعرس - هدى - على الابواب ...

وتدافع الناس .. فكرة .. فكرة .. أنموذجا .. وكان الانوار أطردتهم بسياطها ... فمع كل شعاع دفعة جديدة ... الى أن امتلأت الازقة والشوارع وتوالت الحركة تتلوها الحركة .. والصوت يتلوه الصوت .. والفاجرة تراقب كل ما يجري باحثة عن - نور - .

وتتركز المراقبة ويشتد الحصار ... وتتتابع الوفود والفاجرة ترقب .. وترقب .. وتتساءل ..

- ماذا هناك يا ترى ؟ انها لم تأت الى .. هذه الساعة ؟!.. ليس من عادتها أن تتأخر .. هل قابلها في أول الطريق فقطعه عليها ؟!..

وتدير راسها متأملة السماء ... فاذا الزرقة قد عمها الصفاء والبهجة والنقاء ... فتشرح صدرها وتنفض الاجنحة من عذاب سهر الامس وتعيد الطيران بسرعة مذهلة ... الاشعة المصبة تكتسح الطريق والضمائر غارقة في التيه والعجب والسماء تزغرد والنشوة تزهو من عينيها الفائضتين في (...) وتعبر الطريق مستنعمة الرأس تناجي السماء قاصدة عملها .

ويأتي الفرح ...

- نور .. نور .. يا صباح الخير والياسمين .

وتعيرها التفاتة لتلقي نظرة عليها وتنفرج شفتاها الورديتان :

- صبــاح الخــير ...

وتواصل سيرها رافعة راسها كأن لم يكن ما كان ... فكأن البحث واصوله والغامه ولياليه ووجعه سقط في بئر النسيان ... وتطير الفاجرة ...

حاتم النقاطي

الموسيقى والتربية في الوطن العربي

بقلم: د. محمود قطاط

للموسيقى خاصيات تنفرد بها عن سائر الفنون الاخرى فهى لكونها فنا ولغة وعلما ، اقدم الفنون التى عرفها الانسان وان لم يكن هو صانعها كغيرها من الفنون، اذ نبهته الطبيعة اليها فاهتدى إليها وخاض فيخصائصهاعنطريق التقليد والمحاكاة .. فهى فى مفهومها الوجدانى ثم الفني قد واكبت نمو الانسان على مر العصور فى تدرج مسترسل يتماشى مع نضج تفكيره وتطور احساسه بالجمال وادراكه الى حسن استغلال وتطويع ما يحيط به الكون من مواد وامكانيات .

فالموسيقى كتعبير حى عن المشاعر ، كان لها على الدوام مكانة مرموقة تتنوع اهميتها حسب تنوع الحضارات واختلاف الشعوب ،فنجدها منذ العصور الغابرة وحتى يومنا هذا لدى بعض المجتمعات تكتسى طابعا سحريا وطقوسيا جعلها تندمج اندماجا كليا فى المعتقدات والعادات والتقاليد وهى على حد قول الفيلسوف الصينى كونفشيوس . « مرآة الحضارة عند الشعوب » .

ولقد تفطنت الحضارات القديمة فى بلاد ما بين النهرين ومصر والصين والهند واليونان وغيرها ، الى ما تتمتع به الموسيقى من قدرة فائقة على التعبير والتاثير على النفس والجسم ، فاستخدمتها فى طقوسها الدينية واحتفالاتها التعبدية كوسيلة للارتفاع بالنفس الى اسمى الآفاق ... واعتبرتها أداة اساسية من أدوات التربية قبل ان تكون فنا جميلا يبتغى لذاته .

ولأهمية وخطورة الدور الذى تلعبه الموسيقى فى تكوين الشخصية المتزنة المتناسقة وكذلك فى تنمية ملكة الخلق والابتكار ، نجد ان اغلب هذه الحضارات قد جعلت للدولة حق الاشراف على كيفية استعمال هذا الفن والتعامل معه

وذلك بضبط قوانينه وتحديد اهدافه ... وها هو افلاطون يؤكـد بأنه « اذا كانت الموسيقى هي الوسيلة التربوية الوحيدة الاكثر فائدة فمعنى ذلك ان الايقاع والتوافق يملكان القدرة العظيمه على تغذية الروح ، والعروج بها الى عالم الجمال ، شريطة ان تسلك التربية سيرها الطبيعي ، والا حصل النقيض»

هكذا ، فان التاريخ يقدم لنا نماذج حقيقية تجسد لنا تلك الحقائق .. وهو يزخر باسماء العلماء والفلاسفة الذين ساهموا منذ أقدم الازمنة وحتى عصرنا الحديث ، في صياغة وتطوير نظريات الموسيقى الى جانب اسهامهم في تطور العلوم الطبيعية والاجتماعية من أمثال فيثاغورس ، وأقليدس ، والكندي ، والفارابي ، وابن سينا وغيرهم كثير ... بل ان اشهر عباقرة الرياضيات في القرن العشرين « البرت اينشتين » كان عازفا ممتازا على آلـه الكمـان ... وهكذا فاننا نجد الموسيقى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلوم الطبيعيه والاجتماعية ممتزجة ومتفاعلة مع احدث تطورات العلوم والتكنولوجيا وهي في نمو متواصل ومتكامل مع كل جديد في فلسفة التربية ومناهج التعليم وعلوم الجمال والنفس والاجتماع وغيرها .. بل ونراها تقتحم باستحقاق ميـادين العـلاج النفسي والعضوي ونحن نعلم انها كانت ضمن الحكمة الربـاعية / Quadrivium الى جانب الهندسة والحسابات وعلم الفلك ..

واستنادا على تاريخ الحركه التربويه بصفة عامه . وان كان الجانب الموسيقي منها لم يحظ بعد بدراسه شاملة ومعمقه يمكننا الاستدلال بشواهد عديده تخص أعمال الكثير من المفكرين والمربين الذين اعتنوا بالـتربية المـوسيقية واستنبطوا لها المناهج واهتموا بالبحث في أنواع الموسيقى المناسبة للتربية في المراحل المختلفة ، واتاحه الفرصه لكل طفل لممـارسة التعبيـر الـذاتي بالاصوات والايقاعات الموسيقية ، وباستخدام انـواع معينـه من الغنـاء مع الحرص على تبسيط طرق التعليم حتى يستفيد النشء ونحصل الفائدة المرجوة التي هي تنمية المواهب والملكات الذهنية والجسمية والروحية بشكل منسجم متكـامل .

والجدير بالاشاره اننا نجد لدى مختلف الحضارات تركـيزا واضحـا على الطريقة الشفويه والطبيعية حيث التقليد والذاكره يلعبان دورا أساسيا كما نلاحظ أن الصـوت البشـري يشكـل أهميـة بالغة وبصوره خاصه داخل المجموعه او الكورس ويؤكد بعض الفلاسفة « ان الذي لا يستطيـع اثبـات مكانته / صوته داخل المجموعة فهو عديم التربية فاسد المزاج » (افلاطون : قوانين ، ج 2 ، ص 654) .

وبالرغم من تعددها فان مختلف المناهج والطرق الموسيقية تؤكد على ضرورة الابتداء بدراسة الموسيقى عن طريق التدريب الصوتي والسمعي .. وعلى ان لا يلقى الطفل مبادىء النظريات والترقيم الا بعد هذا التمهيد الحسي الطويل، اذ هي معلومات يجب ان تستمد تدريجيا من التطبيق .

وهذه الآراء بقيت منتشرة حتى بعد ان وقع اكتشاف الطباعة من قبل غوتنبرغ (النصف الثاني من القرن الخامس عشر) ثم الطباعة الموسيقية من قبل الايطالي بتروسي بالبندقية سنة 1490 ، غير انه سرعان ما انتشرت النصوص الموسيقية والكتب النظرية ومصنفات الصولفاج ، الامر الذي جعل التطبيق الشفوي يفسح المجال شيئا فشيئا الى استعمال الكتابة خاصة بعد ارساء النظام التونالي بسلمه المعدل وأسلوبه البوليفوني ثم الهارموني في القرن السابع عشر واليوم نجد العديد من المختصين في التربية الموسيقية ينصحون بالرجوع الى الطريقة الاولى بل ومنهم من استنبط مناهج حديثة تعتمد أساسا على معطيات هذه الطريقة الحية .

***

والموسيقى العربية تعتمد اساسا على هذه الطريقة فكان العرب من قديم الزمان يولون اهتماما بالغا بالتعليم الموسيقي وكان المختصون يرون بأن لا يتعاطى هذا الفن الا من توفرت لديه موهبة فطرية وقدرة حقيقية على الخوض في مجالاته .. ذلك لان الموسيقى يقول لنا احمد بن الطيب السرخسي (يعرف بتلميذ الكندي) ت 285هـ/899م (كمال أدب الغناء، ص 21) وكذلك الفارابي « ليست الموسيقى من الصناعات التي اذا طلبها الانسان امكنه معرفتها ، وان عني به معلم حاذق في تفهيمه اياها أو كثر استماعه لها من المتقدمين فيها ، لانها تحتاج الى قوة في النفس قابلة لها وطبع سلس القياد فيها وسرعة لقن بما يمر منها ولطف تحصيل لغامض اجزائها ونسب مقاديرها في أوضاع نغمها وشدودها وازمنة ايقاعها ، وليس تغني التعليم فيها دون الطبع ولا الطبع دون التعليم ، فاذا اجتمعت لمن رامها طبيعة محمودة وقوة قابلة ومعلم حاذق ومران دائم وفراغ متصل وشهوة تامة فقل ما يكدى ، فان نقص من هذه الاسباب شيء دخل عليه من النقص بقدره ... »

ويقول الحسن الكاتب : « يجب ان يختار لتعليم الصناعة أكمل الناس فيها ، وقل ما يوجد من يكون مضطلعا بها مطبوعا فيها بين الصوت حسنة تخرج النغم من حلقه غير ناقصه ولا منقطعه ولا مستتشعه ، قد لقي الحذاق

واخذ عنهم وعرف مذاهبهم وانماطهم وقطع أكثر أوقاته معهم ، غير صغيـر السن ، فان الصغير السن لا يرجع اليه في شيء منها لعمارته وانه لم يثبت على حال واحدة ، انما ينتقل من شيء الى شيء ومن مذهب الى مذهب ، فـلا يدرى فيها الصواب بالكلية ، وقل ما يوجد عنده كثير فائدة ، واحرى به ان يؤدى تأدية صحيحة ان كان له معلم حاذق وطبع تام » .

ومن ناحية اخرى سئل ابن سريج عن الخطا والصواب فى الغناء فاجاب : « اذا كان المغنى يشبع اللحون ويملا الانفاس ويعدل الاوزان ويقيم الاعراب ويستوفى النغم الطوال ويحسن النغم القصار ويصيب مع ذلـك اجنـاس الايقاعات فذلك هو المصيب » (الاغانى) .

كما يؤكد الحسن الكاتب كذلك في حديثه عن أهمية الاستاذ بأنه يجب على هذا الاخير ان يصيب في اختيار الاغاني التي تتماشى مع المساحة الصوتية للتلميذ وامكانية ادائه ذلك لان اساءة الاختيار من شأنها ان تنال من صوت المبتدىء ... والاستاذ يعد قدوة فى نظر التلميذ يعتمدها ويجتهد فى تقليدها . لذلك فهو سيتعمد من مزاياها كما يرث من اخطائها اذا ما وجدت .

ومن اعتناء العرب بالتعلم الموسيقى نشير هنا الى المنهجية الرائدة التى استنبطها الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب (القرن الثالث هجرى / التاسع الميلادى) فى اختيار تلاميذه واختيار قدراتهم الموسيقية :

« وكان زرياب ـ يقول لنا المقرى فى **نفح الطيب** ـ اذا تناول الالقـاء على تلميذ تعلمه ، أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة ، وان يشد صوته حدا اذا كان قوى الصوت، فان لينه أمره ان يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوى الصوت ، ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج على الفم ، فان كان الص الاضراس لا يقدر على ان يفتح فاه ، او كانت عادته زم اسنـانه عنـد النطق ، راضه بان يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها فى فمه ليالى حتى ينفرج فكاه ، وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت المـراد تعليمه من غير المطبوع أمره ان يصيح باقوى صوته : يا حجام ، أو يصيح : آه ، ويمد بها صوته ، فان سمع صوته بهما صافيا نديا قـويا مـؤديـا لا يعتريه عنة ولا حبسة ولا ضيق نفس عرف ان سوف ينجب واشار بتعليمه ، وان وجده خلاف ذلك ابعده » (المقرى : **نفح الطيب** : ج 5 ، ص 120 ـ 129) .

كما نرى ، فان الاهتمام بالتربية الموسيقية وباختيار عناصرها وبطرق تبليغها عرف اتجاهات ومحاولات عديدة .

وكم نحن في حاجة الى دراسه تحليلية شاملة تعتمد المقارنة بين مختلف الاساليب المستنبطة فمثل هذه الدراسة ستساعدنا بلا شك ، على تحديد اختياراتنا البيداغوجية في هذا العصر الذى تشعبت فيه المسائل وتنوعت فيه الوسائل .

وبايجاز ساحاول ان اتطرق الى بعض العراقيل التى ما انفكت تكبل تعليمنا الموسيقى وحتى لا ادخل في فخ التكرار سوف لا اتوقف عند المسائل التى طالما تعرضت اليها دراسات ومناقشات سابقة بعثها توصيات وقرارات عديدة بقى انجازها مع الاسف سجين النظريات والتعليمات الايديولوجية ورهين الضغوطات الاقتصادية والاجتماعية .. ذلك لان موضوع التربية الموسيقية موضوع أساسي وخطير بالدرجة الاولى ، وهو ما برح يشغل اهتمامات العديد من المختصين والعاملين في القطاع الموسيقى في مختلف اقطار العالم .

في اعتقادى ان المسالة مرتبطة اساسا بتوضيح الاتجاه الموسيقى الذى نريده لانفسنا ، أى هل اننا مصممون على ان تكون لنا ذاتية ثقافية وهى الظاهرة الاساسية للذاتية القومية ، او هل اننا نفضل ان نصبح في يوم ما نكرة من النكرات نعيش على التبعيه والذوبان في شخصية الغير ...؟ واختيارى يتجه بطبيعة الحال الى الاتجاه الاول ، وهذا الاختيار لبس وليد العاطفة أو التعصب بل هو نتيجة حقيقة موضوعية مختلفة الاوجه ، أخص منها المادة الموسيقية ذاتها .. فانه على عكس الاعتقاد الشائع ، فان الموسيقى ليست لغة عالمية ، انما لغات مختلفة ، واذا كانت من حيث أساسها واحدة في كل مكان باعتبار كونها تنسيقا للاصوات بصورة محببة للاذان وانها - من حيث اصولها - مرتبطة بمعتقدات الانسان وطباعه .. وهى لغة الروح والمشاعر والخواطر .. فانها بالنظر الى شكلها، تنقسم الى عدة لغات متباينة في تقنياتها وفى مفاهيمها الجمالية . واستنادا على ذلك تطلق احكام خاطئة بشان هذه الموسيقى أو تلك يصدرها المستمع بحسب تقاليده ، ذلك لان الاستماع يستند الى العادات والحكم يقوم على مقاييس وعلى قواعد مالوفة ضمن نمط معين من التقاليد .. وتختلف شتى هذه الاستنادات والمراجع الى حد كبير بحسب اللغات الموسيقية اذ ان لكل واحدة منها أدوات تستخدم ومميزات تكون تعبيرا

عن عبقرية وخصوصية كل شعب متناسبة فى ذلك مع حاجاته الحقيقة وراسخة تتحدى الزمن .

واذا ما نركنا جانبا الخاصيات المحلية المتعلقة بكيفية الاداء (الصوتى أو الآلى) يمكن لنا تحديد خريطة للعالم طبقا لجهات كبرى نجد داخلها لغة موسيقية مشنركة بين عدة نقاليد موسيقية ، وفى حدود هذه المساحات يستطيع الفنان التقلىدى ان يعبر اعتمادا على لهجته الموسيقية الخاصة ويلقى تعبيره هذا اقبالا غير محدود . وهذا امر واضح مثلا ، فى الموسيقى العربية فهى تعبر فى نفس الوقت على وجود وحدة قوميه تشمل كل الاقطار العربية ، كما تؤكد فى نفس الآن على أهمية تقاليد محلية وحتى جهوية خاصة بكل بلد على حدة ، ذلك ان الاساليب المحلية ترتبط ـ بالرغم من ايناعها داخل حدود ضيقة ـ باصل ايديولوجى حضرى مشترك اوسع منها بكثير .

هكذا ، فان كل مساحة موسيقية كبرى تسبح فى عالم « نغمى ـ ايقاعى » خاص تخضع فيه بنياته الداخلية الفضائية منها والزمنية الى مجموعة من القوانين التى تفرضها التقاليد والذوق كما تفرضها كل ما تفرزه اللهجات والاصوات المقترنة بعمرية كل مجموعة اجتماعية .

لهذه الاسباب فانه قبل التفكير فى أى تخطيط بيداغوجى او تطوير تطبيقى يجدر بنا ان ندرك بصورة عميقة جميع الخصائص المتعلقة بالمساحة الموسيقية التى ننتمى اليها ، وهى خاصيات تكمن فى المادة الموسيقية ذاتها : السلم الموسيقى ، الابعاد ، صحة أو نسبة الصوت، المقامات، الزخارف، وحدة اللحن أو تعدده ، تنظيم الايقاعات ، أشكال التلحين ، تقنيات الآداء الصوتى والآلى ، التاويل الصادق أو الارتجال ، التبليغ الشفوى او المكتوب ، الآلات الموسيقية، الوظيفة الاجتماعية ، الاعتبارات العقائدية والجمالية ... الخ .

واذا كان من المحبذ ان نلم بالتقاليد الاخرى المقترنة بالمساحات الكبرى التى ننتمى اليها وذلك من أجل تصور شمولى متكامل للمادة الموسيقية التى نعتمدها ، فمن المفروض علينا كذلك ان ننحو هذا النحو كلما اردنا الاستلهام من خاصيات ومناهج لغة موسيقية تنتمى الى مساحة اخرى. وهو امر لا مندوحة عنه سواء من حيث المحافظة على الطابع القومى لموسيقانا او من حيث اثراء هذا الطابع وتطويره مع الحرص على أن نترك جانبا كل العناصر غير الملائمة التى قد تشوه وتلحق بها الشوائب . وانه لمن المعروف ان الموسيقى العربية تنتمى الى

المساحة الكبرى المسماة بالاسرة المقامية والتى نعتمد على التراث الشفوى وهى تشمل التقاليد الموسيقية الموجودة فى كل العالم العربى وفى آسيا الوسطى (الهند وباكستان وسيلان والنيبال وايران وافغانستان والجمهوريات الاشتراكية السوفياتية) وكذلك فى تركيا وشرق اليونان وفى جزء من يوغسلافيا وخاصة منطقة بوسني وفى بلاد القوقاز حتى اذربيجان في الاتحاد السوفياتى ٠٠ كما يمكن اضافة موسيقى عدد من الجهات الاسلامية بجنوب صحراء افريقيا ٠ ذلك مما يمنعنا ه ن ان نعتبر او نقيم الموسيقى العربية من زاوية الاعتبارات الجمالية واللغوية الخاصة بالموسيقى الغربية التى تخضع الى قواعد ومقاييس تختلف تمام الاختلاف ٠

فاذا كانت الموسيقى الغربية تقوم على النظام التونالى والسلم الثابت والكتابة التوافقية العمودية باستعمال مقامى الكبير والصغير والنظام الايقاعى الساطرى ... الخ . فان الموسيقى العربية تعتمد على النظام المقامى ـ الشفوى الذى من خاصياته المقام وهو بايجاز ٠

ـ * مصطلح يدل فى نفس الوقت على سلم موسيقى خاص له مميزاته وعلاقاته السيكلوجية ـ الفزيلوجية التى يؤثر بها على المخلوقات عامة والانسان خاصة حسب كل مقام وهو ما لا يمكن مقارنته بالمفهوم الغربى للسلم الذى هو عبارة عن تعدد درجات تنطلق من درجة الاساس الى جوابها وفى هذا الاطار تكتسى الدرجات اهمية متباينة حسب دورها داخل المركبات التوافقية وقواعد الكتابة التوافقية المقامه أساسا على السلم المعدل او الثابت ، بينما درجات السلم فى الموسيقى العربية تعود فيزائيا الى النمط المسمى «فيثاغورى» (وان كان اقدم من فيثاغورس بكثير) وهو مستخرج من التسلسل الناتج عن دائرة الخامات لذلك فهو السلم اللحنى (الميلودى) المتميز يتركب أساسا من خلايا أو عقود (اثنين فأكثر يكون واحد منهم الاساس) تتراوح مسافتها من الثلاثية الى الخماسية وتكون اما متصلة واما منفصلة ببعد طنينى كما نستعمل هذه المقامات نوع السلالم القائم على سلسل العقود أو على النوع الخماسى أو على الاثنين معا ٠

ـ * امكانية اختلاف بعض درجات السلم عند النزول على ما هى عليه فى الصعود .

ـ * أهمية العلاقة الكائنة بين الدرجات وتحديد اهميتها منها :

• درجة القرار وهي المحور الاساسي الذي يحوم حوله ويبنى على أساسه سير اللحن وهي تبرز في كل القفلات وتعطى احيانا اسمها للمقام المرتكـز عليهـا .

• المراكز أو الغمازات وهي تتغير حسب نوعية العقود المكونة للمقام .

• المبدأ أو المدخل وهي ذات أهميـة في ابداء الحـركة اللحنيـة هـذا بالاضافة الى كل القواعد القائلة بتجنب بعض الدرجات او الالحاح في ابـراز البعض الآخر ·· وهو ما يختلف من مقام الى آخر ويفرز بين مقامات لها نفس الدرجات والسلم ·

- ★ كل مقام يتميز بجمل لحنية وأحيانا لحنة - ايقاعية هي بمثابة طابع المقام وبصماته الخاصة وتسمى «روح المقام / الخانات» ·

- ★ لكل مقام قدرة تعبيرية وتاثيريه خاصة . وهذا من العناصر التي بدأت تضمحل رغم اهميتها حيث نجدها مثلا القاعده الاساسية لشجرة الطبوع في النوبة المغربية ·

- ★ من المميزات الاخرى نذكر الزخارف الخـاصة التي تشكـل - مثـل الارتجال - ظاهرة حيويه وابداعية هائلة في الموسيقى المقاميه .. هذا باضافة التقنيات الصوتية والآلية والتلوينات المقامية والايقاعية ··· الخ ·

نتعرض بايجاز لبعض هذه النقاط كي نبين بأن المسالة ليست بالهينة··ولا يحق علينا ان نرمي بكل هذه المميزات الاساسية عـرض الحـائط ونسلـك الطريق السهل ونقتبس لغة واساليب الغير دون دراية واضحة او دراسة وتنقيب متعمق وجاد ... خاصه وان كل ما نحن بصـدد اقتبـاسه مـن آلات وعناصر موسيقية هي بالنسبة للغرب حصيلة تطور منطقي متكامل يخضع الى واقع لغة موسيقية معينة وتقاليد اجتماعية وتيارات اديولوجية مختلفة ·· ثم ان الموسيقيين العربيين انفسهم اصبحوا يؤمنون بان النظام التونـالي بكـل مـا يحتويه من عناصر التقييد (من درجات سلمـه ووحـدات ايقـاعه وطـريقة ترقيمه ...) يحتوى على عوامل انحلاله . لقد لاح هذا النظام في عهد مؤلفي البوليفونيه الايطاليين في القرن السادس عشر ، ثم ركزه وحـدده نظريـا « رامـو» و « جان سبستيان باخ » وبلغ اوجه في عهد كبار منتزعي النزعة الكلاسيكة « هايدن » و « موزارت » و « بيتهوفن » قبل ان ينحل في عهـد

بيتهوفن نفسه وخاصة في عهد فاقنر وليست وديبوسي ٠٠ وكما يقول الملحن الفرنسي « جلبار آمي » : لم يعد اى عالم نظرى يستطيع ان يدعى اليوم ان النظام التونالى الثابت ينطوى على عناصر نجديدة» . وما التيارات التى ما فتئت تبرز الى الوجود منذ القرن التاسع عشر من «لاتونالية» ، «دوديكافونية» ، « سريالية » ، « طبيعية » ، « الكترونية » ، « الكترواكوستبكية » .. وكذلك مختلف انواع «الجاز» و «البوب» ٠ الخ ، الا دليل قاطع على ذلك ٠٠ هذا مع العلم ان من الامور التى ما زالت لا تسمح من التخلى على السلم المعـدل وهى الضغوطات التجارية والاقتصادية المتمثلة فى وجود عـدد غفيـر مـن المؤسسات التى صنعت وما زالت تصنع الآلاف من الآلات الثابتة وهـو مـا يسبب خسارة مادية وتشغيلية جسيمة اذا ما تخلى على هذه الآلات . كما انه ليس من صالح الغرب ان يتخلى عن انجح وسيلة تمكنه يومـا بعد يـوم من توسيع هيمنته الثقافية والتجارية وفرض بضاعته الموسيقية على اغلب مناطق المعمورة باسم التقدم والتعصر ٠٠ الم تصبح موسيقاه وبالتالى ثقافته عملة عـالمية .؟

هكذا ، فى الوقت الذى يسعى فيه الموسيقى الغربى ـ وقد اقتنع منذ زمن طويل بعدم نفاذ هذا النظام ـ الى تطوير موسيقاه من حيث اشكالها واسلوبها وانماطها التعبيريه وعناصرها اللغوية ، نرى الفنان العربى فى أغلب الحالات مرتميا أكثر فأكثر فى احضان موسيقى « متغربة » .. ومنساقـا الى نظـام وأساليب اختى عليها الدهر ٠٠متناسيا ـ اذا لم يكن جاهلا ـ ما يوجد بين يديه من مادة موسيقية زاخرة لا ينقصها الا الاعتناء الذكى والقدرة الفنية والعلمية اللازمة ٠٠ فبهذا الموقف الازدواجى المتمثل فى التشبث بالوطنية فى المجال السياسى والتنكر لها فى المجال الثقافى ، اننا بصدد تنفيذ الخطة الاستعمارية الاوربية الهادفة الى استعمار البلاد العربية ثقافيا بعد ان فشلت سياسيا وان خطر الاول لافدح من الثانى اذ انه ينفـذ مباشـرة الى ذات العـربى وكيـانه وروحه .. ولا مناص لنا من الوقوع فى شباك هذا التخطيط الشيطانى الا اذا اقتنعنا بأن التقدم لا يعنى التبعية واجتهدنا فى كيفية استغلال المكتسبـات المنهجية والتكنلوجية المعاصرة والعمل على تطويع ما يصلـح منهـا لتحقيـق اهدافنا الثقافية والحضارية فى كنف الاصالة .. لكل هذه الاسبـاب تكتسى التربية والثقافة بصورة عامة فى وطننا العربى اهمية بالغة ولنبقى فى التربية الموسيقية ، نشير بانه قد اصبح من الواضح بأن الطرق التى تستعملها التربية الموسيقية الكلاسيكية فى الغرب لم تعد ملائمة حتى للموسيقى الغربية ذاتها٠٠

وقد بحكم التجارب قد اتضح لحد الآن انها تلحق فادح الضرر بالتقاليد الموسيقية الغير الاوربية . وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال تجارب حدثت في مجال علم ، النفس الحديث ومن خلال الدراسات التي شملت وظائف الدماغ والذاكرة وهو ما ادخل ثورة على تعليم اللغات .

فعلا ، فان كانت هذه الطرق لم تعد تناسب الموسيقى الغربية نفسها القائمة على التقاليد المكونة (التي تتطلب التطبيق الحرفي لما كتب حسب التعريب اعتمادا على ذاكرة ذات اتجاه واحد غير مدمجة ضمن نظام ثابت ودقيق) . فكيف يمكن لها اذن ، ان تناسب موسيقى شفوية التقاليد (تقوم على ذاكرة متعددة الاتجاهات ومدمجة تبعا لعادات متأصلة ضمن نظام حي وذات صيغ متعددة ومبادىء وفنيات جربت طويلا وهي مزيج بين المقدرة المكتسبة والابداع وبين الارتجال والتأليف) ... لذلك نرى الطريقة التقليدية للموسيقى القائمة تتجه مباشرة من المعلم الى المتعلم ويبذل هذا الاخير مجهودا يتضاعف تدريجيا لفهم وهضم العمل الفني في اكمل شكله ويأنس بذلك لقواعد اللغة ويكتسب في نفس الآن ذوقا واحساسا وقدرة على الابداع ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بالاستماع الى فنان حقيقي والسير على منواله ولا بتلقي دروس جافة من معلم مدرسة .. كما لا يمكن ان يصبح المرء شاعرا بمجرد درسه لعلم العروض ومعرفته لبحور الشعر . وهنا تأتي التفرقة بين التربية الموسيقية التي تهدف الى تكوين فنانين مبدعين داخل المعاهد المختصة والتربية الموسيقية التي تهدف الى التثقيف والتوعية الموسيقية ضمن التكوين العام .

ولا غرابة في ان عظماء من تدارسوا الموسيقى من الاقدمين عندنا امثال الكندي والفارابي واخوان الصفا ، وابن سينا .. وغيرهم كثير .. قد تجنبوا عمدا وضع ترقيم مدقق وجاف يكون بمثابة تحنيط لفن روحي وحيوي كالموسيقى ، حيث يلعب الارتجال والابداع والذاكرة وسعة الخيال دورا اساسيا وهو ما يتطلب من الموسيقي الاصولي الكثير من الوقت والمثابرة والصبر اذ ان الغناء والعزف والنظريات والتحليل وبالتالي الابداع في الارتجال والتلحين ، كلها عناصر تتماشى مع بعض ويستمد بعضها من بعض .

هذا وان نظريات التعلم النشيط المحدث من قبل بعض أهل الاختصاص بالغرب امثال « سلطان كوداي » و « كارل أورف » و « موريس مارتنو » وغيرهم ما هي في واقع الامر الا محاولة محتشمة اذا ما قارناها بالطريقة التقليدية الشفوية المباشرة في الموسيقى المقامية .

المشكل الوحيد يكمن في ان مشاغل هذا العصر الذى نعيشه يصعب ان تطبق فيه مثل هذه الطريقة اذ انها تنطلب تعايشا يكاد يكون مستمرا بين المعلم والمنعلم لذلك فاننا نرى انه من الضرورى الوصول الى حل وسط بين هذه الطريقة الشفوية المباشرة وبين بعض المحاولات البيداغوجية الحديثة مع شرطين أساسيين لا بد من الحفاظ عليهما فى المراحل الاولى من هذا التعليم على الاقل :

ـ الاعتماد أساسا على عناصر اللغة الموسيقيه القومية .

ـ استعمال النظريات كنتيجة للتمارين العملية (صوتية أو آلية) والترقيم الموسيقى كمعين للذاكرة لا كنص أساسي يجب اعتماده حرفيا .

* * *

وكما يقول المثل الشائع : « ان الاستماع للموسيقى أيسر من تدريسها »*

وتدريس الموسيقى فى مراحل التعليم المختلفة وخاصة فى مرحلة الطفولة ، ليس بالعمل اليسير انه يتطلب دراية واسعة من المعلم لان التربية الموسيقية فى هذه المرحلة بالذات تشكل عنصرا أساسيا فى خلق انسان الغد الذى ننشده شكلا ومضمونا ... عملا وسلوكا وخلقا .

د. محمود قطاط

(*) المراجع :

ـ أبو الفرج الاصفهانى : **الاغانى** ، ط. بيروت 1970

ـ **التربية والثقافة الموسيقية فى الوطن العربى** (المؤتمر السابع للمجمع العربى) .

ـ الحسن الكاتب . **كمال ادب الغناء** ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، القاهرة 1975 .

ـ الفارابى : كتاب الموسيقى الكبير ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، القاهرة 1967 .

ـ قطاط (محمود) · «التجديد فى الانتاج الموسيقى العربى المعاصر» ، آفاق عربية ، عدد 5 ، بغداد 1981 ؛ الحياة الثقافية ، عدد 24 ، تونس 1982 ·

ـ قطاط (محمود) « اتجاهات الاغنية العربية المعاصرة » ، الحياة الثقافية ، عدد 19 ـ 20 ، تونس 1982 .

ـ قطاط (محمود) « التربية الموسيقية فى الوطن العربى » ، مجلة الموسيقى العربية ، عدد 3 ، المجمع العربى للموسيقى ، بغداد 1983 .

ـ المقرى نفح الطيب ، تحقيق د. احسان عباس ، ط. بيروت 1968 .

ـ مجلة الموسيقى العربية (المجمع العربى للموسيقى) عدد 3 ، بغداد 1983 .

المراجع باللغة الفرنسية

BAUDOT Alain : Musiciens romains de l'Antiquite. Paris klincksiek 1973.

GOEUROY Andre : La musique et le Peuple. Paris-Stock 1941

FAVRE Georges : Ecrits sur la Musique et l'Education musicale Paris-Durand 1966.

GAGNARD (Madeleine) : l'initiation musicale des jeunes. Paris Casterman 1971.

GUETTAT Mahmoud : L'Education musicale dans le monde arabe et plus particulièrement en Tunisie ». Centre Breton d'Art Populaire. Brest. 1980.

DAVIGNAC Albert : L'Education musicale, Paris-Delagrave,1902

RICHE Pierre : L'Education musicale, trait d'union entre les peuples, Prague, Orbis, 1937.

La Musique dans L'Education, Paris-Unesco-Armand Colin, 1955.

Education musicale (V) :Revue mensuelle 3 Rue des Ecole 77530 Bois-Le Roi (FRANCE)

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

ما من « توجيه » إلا وهو سد لابواب وتعطيل لمواهب وإمكانات ، وهو من ثم تحريف وتشويه .

التربية الحق ليست توجيها ولا إملاء ولا تكييفا ، لا ولا صناعة في معمل أو مخبر ، بل هي تحسس ذكي لمواهب الفـرد وتبين دقيـق لميوله الاصلية العميقة ، ومساعدة للانسان على وجدان ذاته وعلى ان يكـون .

⁂

بعضهم يموت ويفنى قبل موته ، لا فرق بين موته والحياة .

وبعضهم يدخل الموت ويتخطاه حيا قائم الذات ... توقدا ونشاطا .. جهدا وإبداعا ، حتى كان لا موت أصلا ولا عدم بالنظر اليـه ؛ إنمـا توقف فقط عن العيش ... شبه إجازة أو استراحة ، واستمر وجوده اضعافا متزايدة .. خصبا مليئا كاخصب واملا ما يكون .

⁂

خصوصية الاثر الادبي لا تتمثل في ميزاته الظاهرة ودلالاته الخفية فحسب ، بل هي تكمن ايضا في ذلك الصوت الخفي المهموس وهو بعض من جوهره وسر روعته وسحره .. في تلك النغمة الشيقة الاخاذة ترافق النص كمرافقة العزف للغناء ، تلزمه التحاما واتحـادا حتى كانها بمثابة النفس (*) للجسد والروح المكيان .

(*) بفتـح الفـاء .

من نكد الدمامة وشؤمها أن يزداد صاحبها مع التزين والتظرف سخفا وسماجة ، لكأنه بذلك صورة مسخ من ذاته مضاعفة مكثفة .

***

ليكن اللفظ منك عينا نفاذه .. عين نسر تجوس الاجواء والآفاق ، تتحدى الشمس ولا تعييها حجب الظلام .

ليكن اللفظ منك جناحا تدرك به الفكر راسا فتقبض على كنه الوجود .. غيثا مدرارا يحيا به موات الحس وتزدهر له صحارى الروح .

***

الحب فى الكهولة !

اهو صيحة حرمان .. «صاب وتهتك وخلع للقيود ؟

ام استبقاء جاهد للشباب ، ومدافعة لشبح الفناء والشيخوخة ؟

***

للجمال سطوة للجمال صولة !

حذار من خدعة الاستحسان والتذوق ، وغرور التملي والاعجاب !

للاعجاب نشوة توهم بالقرب واليسر ، والقدرة والبلوغ .

الاعجاب ضرب من الامتلاك ، وصورة من صور الوصال .

***

الثقافة ربط وثيق وصلة مباشرة حميمة بين الوعى واللاوعى ... بين فكر المرء واعماقه .

الثقافة ان تصنع من الحياة فكرا ، ومن الفكرة حياة .

البشير المجذوب

هُنا خبّأتُ قلبي

شعر: عبد الرزاق فريحه

— 1 —

من أوّل امرأةٍ عرفتُ
لآخرِ امرأة أحاولُ
ما اختلقتُ حديقةً كي نلتقي
أوْ موعدا كي نفترقْ

— 2 —

سرّتْ مفاتنها ونامت في سريري
— باكرا نامتْ كعادتِها —
وظلّ الدفءُ يجذبُني إلى أخرى
تُبلّلُني فأصلبُها على ..
خشبِ الورقْ

— 3 —

قدمانِ في قدمينِ / مملكتان
سوّرتا دمي
خصرٌ همى رقصا
كحيلَ العينِ
والعينانِ مغمضتانِ من أرقٍ
— أراكِ . ولا أراكِ . —
حملتُ خطايَ مؤتزرا متاخمتي
ومرتجفا أحدّدُ مركزا لجنونِها
ما طاوعتني
واستبدّتْ مرّتينِ
وبعثرتْ شبقي على
دلِنا القلقْ
عبثا أحاولُها
وصدري ضيّقْ
خبّأتُ قلبي في القصيدِ
ولُذتُ أنقشُها على حجرِ
السؤال
«آهِ منِ امرأةٍ لها ..
نزقُ القصيدةِ ! »

ومن الصمت أصداء

بقلم : محمد مصمولي

المرتحلة العائدة

①

فليذهب نهر الوقت الى الحلم
في لحظة الاشتهاء ،
وقد نسي ارتداء ملابس الليل
الموشاة بالاقمار
والأضواء ..
يا الممارسة في دمي ،
طقوس الأسئلة ،
عندما تجيئين ، كالمعتاد ،
بعد المواعيد ..
دون ميعاد ..
في لحظة الانتماء
بين غفوتي والسهاد ،
يا للانتشاء !!

* * *

②

مرتحلة عائدة .. مني إلي ،
دائما ، بين حضور وغياب ،
وفي ابتعاد واقتراب ،
هل ضاع ما قبل وما بعد
الشباب ؟
في قهقهة من سراب !؟
يا جسدا من ضباب ،
يا كاسا من شراب ،
ولا .. اياب ..
بعد ذهاب ..

* * *

③

فلتتساقط من وجع
الليل ،
الرسائل الغامضة منك إلي ،
ايتها الباحثة في مرآة الليل ،
عن وجهها ووجهي ،
الآتية بعد كل المواعيد ،
دونما ميعاد ..
بلا تفعيلة ولا افتعال ،
قصيدة على غير سابق مثال ،
اكتبها على انفتاحة الجرح ،
سؤالا على شفرة السؤال ،
وتحيلني على المحال شيئا
من بال الخيال ..
محالا من المحال ..

أخطاء شائعة ..

بقلم : أبو بكر العيادي

الخطا الذى تتورط فيه الاقلام هذه الايام لىس من قبيل اللحن بمعناه الضيق أو ليس من قبيل الخطا فى اعراب الكلمات فان هذا الضرب من الخطا اصبح اليوم يسيرا هينا بجانب ما يرتكب من الوان الخطا الآخر فى الصيغ والدلالة والتركيب .

يكتب الادباء : « الشريعة السمحاء ، والصواب : « **الشريعة السمحة** » ويكتبون : « انهكه التعب » والصواب : « **نهكه التعب** » ويكتبون : « خطة طموحة » والصواب : « **خطة طموح** » ويكتبون : « تتالف البنابة من طوابق ثلاثة والصواب : «**تتالف البناية من طبقات ثلاث**» .

واما الخطا فى المعنى فهو ناجم عن استعمال بعض الالفاظ فى غير ما وضعت له من المعانى .

فالادباء يكتبون : «اسدى اليه الشكر» بدلا من : «**شكره**» **غافلين عن أن** « أسدى » معناه : « أحسن » فنحن نقول : « أسدى اليه معروفا » وهم يكتبون « أسره الخبر » بدلا من « **سره** » ناسين أن : « **أسر** » بمعنى : « كتم » أو : « أخفى » ومنها قوله تعالى : « فأسرها يوسف فى نفسه » او أخفاها .

وهم يكتبون : «سنذهب سوية» بدل : «**سنذهب معا**» **غير ملتفتين الى ان «سوية» مؤنث سوى ، بمعنى «مستقيم» كانهم بعبارتهم** ارادوا : « سنذهب مستويين لا عوج فينا » .

وهم يكتبون : « اختص فلان بالكيمياء فهو مختص بها » بدل : « **تخصص فلان بالكيمياء** » **فهو متخصص** ، لان « اختص بالكيمياء » تعنى : « انفرد بها »

ولم يشركه بها احد . وليس الامر كذلك فهناك مئات يشاركونه العلم بهــذا الموضــوع .

وهم يكتبون : « هذه الوان باهنه » بدل : « **الــوان حــائلة** » غير مدركين ان « باهنــة » تعني « كاذبــة » وأن « بهــت » بمعنى « كذب » المصدر منه « البهتــان » .

واما الخطأ في التركيب فهو أكثر شيوعا فيما نكتبه الادباء اليوم، فهم يكتبون مثلا : « **هل ابوك سافر ؟** » معدمين الاسم على الفعل غافلين عن أن « **هــل** » لا تدحل على اسم بعده فعل . فالصواب اذن أن يكتب : « **هل سافر ابوك؟** »

ويكتبون أيضا « هل تذهب الآن ؟ » والصواب « **اتــذهب الآن ؟** » لأن « **هــل** » اذا دخلت على المضارع تخصصه بالاستقبال .

ويكتبون « هل سيشفى المريض؟ » والصواب . « **هل يشفى المريض ؟** » لان « هل » تعنى الاستقبال فلا ضروره لدخول السين على الفعل .

ويكتبون « هل لم يعم أخوك ؟ » والصواب . « **الم يقــم أخــوك ؟** » لان « هل » لا يليها فعل منفى .

ويكتبون : « هل ان الصوره واضحة ؟» والصواب « **هــل الصــورة واضحة ؟** » لان « هل » لا تدحل على « أن » للتناقض الذى يحصل فى الكلام فـ « هل » تعمد الاستفهام عن شىء لا يعرف وقوعه أو عدمه و « أن » تفيد ان الكلام بعدها مؤكد الوقوع .

ويكتبون « والاهم من ذلك أن كذا ... » غير مدركين ان اسم التفضيل المعرف بـ « ال » لا تأتى بعده « من » الجاره والصواب . ان يكتبوا . « **والاهم ان كذا ...** » .

ابو بكر العيادى

ابراهيم بوجادوره
قصة : محفوظ الزعيبي

سيارة خضراء عائلية ، تنساب في سهل أجرد ، فسيح ، تنزلق عجلاتها على رمل رطب ، يتطاير منه غبار خفيف وكثيف فيحجب الأفق ، تنعرج السيارة ، تعلو وتهبط، تظهر وتحتجب، تقترب وتبتعد، انها تسرع في اتجاه قبة بيضاء منتصبة على سفح «جبال فائض» الزرقاء التي تمتد الى الافق على شكل التواءات وانحناءات٠٠ داخل السيارة وجوه عديده ، مختلفة، امرأة في منتصف العمر، ملتحفة ، جالسة قرب السائق علوان النوفي ، وخلفهما أجسام مرصوصة ، اختلطت فيها الايدى والارجل ، وتحاكت الرؤوس ببعضها البعض في تمايل٠٠ العرق ينضح ليمتزج بحبات الغبار المتسربة من خلال الشقوق والثقوب٠٠هدير السيارة يتجاوب مع صياح حروف مشدود فوق سطح السيارة ، يحاول التملص والافلات ، رافعا رأسه ثم لا يلبث أن يرتخي منصاعا للقيد الذي أوثق أرجله ٠٠

كانت المرأة تتمتم وقد بدا ذلك من طرف اللحاف الذي غطت به فمها ، ترفع عينيها الى فوق مبتهلة في خشوع ومذلة ، ثم لا تلبث أن تستسلم لأفكارها وهواجسها ، منشغلة بعض الشيء بما يدور في السيارة من حديث حول ابراهيم بوجادوره ، ذلك الولي الذي اصبح يستقطب أحاديث القرية ، فكم من حكاية تعبر عن معجزاته وتنبؤاته ! وكم من قصة تروى صدق أحاديثه ٠٠ ! ابراهيم بوجادوره أصبح اسمه على طرف كل لسان ، وفي قلوب العذارى ، وفي أفئدة العاقرات .. في احلام الصبية ونظرات الشيوخ .. كان ابراهيم بوجادوره في أواخر الاربعينات شابا ريفيا وسيما ، هاجر الى تونس العاصمة واندمج في أوساطها ، وتعرف على بعض العائلات في حمام الأنف وباردو والمرسى ، ووقع انتدابه جنانا في بساتين عائلة تنتمي الى البايات ، واصبح في مدة وجيزة ابن

الدار كما يقولون ، يتقابل مع النساء ، والبنات ، يصاحبهن للتنزه ، يسامرهن ويسليهن بطرائفه المضحكة ، لم يكن يعرف هناك بابراهيم بو جادوره ، فاسمه الحقيقى ابراهيم الخليفى نسبة الى سيدى خليف وهو الولى الموجود على سفح سلسلة جبال فائض الزرقاء .. ابراهيم فارع الطول ، غزير الشعر ، عريض الشاربين ، واسع العينين ، يختلف وجهه عن وجوه شباب المدينة ، لونه الاسمر الريفى يزيده مهابة ورجولة ، وأسنانه الطبيعية ناصعة البياض بدون استعمال مواد التنظيف ..

كان ينكب على حديقة المنزل ، يشذب الأشجار ، ويقلم الأزهار ، ويعزق التربة ، ويسقى الغرس ، ويطبخ الشاى تحت الصفصافة العالية .. وينام فى غرفة مخصصة له .. لم يكن ابراهيم يدخن ، أو يعاقر الخمرة أو يرتاد الماخور ، أو حتى يفكر فى مطارحة الغرام مع أية بنت كانت مهما بلغت من الحسن والجمال ، وهو الريفى الحريص على عفته واستقامته وعدم خيانة الماء والملح .. ولكنه بدأ يحس أن أشياء كثيرة تختلف حوله عما كان يشعر ويؤمن به ، يرى ولا يكاد يصدق ، ويسمع ولا يميل الاقتناع بسهولة .. لم يعد يفكر جيدا فى قرية سيدى خليف ولا فى مزارعها أو هضابها وأوديتها ، فى طيبة أهاليها ورقتهم ، وعذوبتهم ، فى جمالها وعذريتها .. غرق ابراهيم فى تلك الاسرة التى انعمت عليه ، وفسحت له مجال العيش والحياة وانسته فى أبيه وأمه .. تغير ابراهيم فى هيئته ، فى مشيته ، فى لغته ، فى حركاته وفى كل شيء .. وهو يتفنن ويبدع فى رعاية ذلك البستان ، والذوبان فى ابرازه كأحسن البساتين التى تفتخر بها الاسر الغنية فى العاصمة .. رفيعه فتاة المنزل الفاخر وابنة سيده ، لم تكمل بعد سنتها السابعة عشره ، هى زهرة الحى وفاتنته .. قد رزق أبوها بخمسة أطفال ، ثم أنجبها أمها ، فكانت قرة عينيها وبهجة آمالها ، تربت فى دلال وبحبوحة عيش الى أن اصبحت شابة ، يافعة ، تنطبق عليها كل مقاييس الجمال ، تلهت بها العيون منذ طفولتها وخطبها شبان موسرون ولكن اباها كان فى كل مرة يرفض معللا ان ابنته ما زالت صغيرة ولم يحن بعد التفكير فى خطبتها أو زواجها .. •

– صباح الخير يا ابراهيم ..

يرفع ابراهيم رأسه ويستوى من انحناءته ممسكا بمقص الاشجار ، تفاجئه صاحبة الصوت بابتسامة تذيب الكبد ، وبعينين صافيتين أنقى من لون السماء تجذبهما رموش سارحة .. انبهر بهذا الكدس من الفتنة والروعة .. وتزحلقت

عيناه عبر الفم القرمزي المحائر الى العنق البلوري الطويل ، الى فسحة صغيرة على الصدر حيث يحضن أعلى الفستان ارنبين صغيرين متوثبين ، وقفز نظره الى الابطين حيث يطل سفحا النهدين في تمرد وجبروت ٠٠ وغاب قليلا في بحر من التصورات والافكار :

ـ يسعد صباحك يا رفيقة ، كيف الحال يا عروسة ؟

وانتظر ابراهيم قليلا لكن رفيقة ظلت صامتة ، مكتوفة اليدين ، سارحة بعينيها في أشجار الحديقة كأنها تريد أن تلتهم العالم بحدقتيها .. وكانت خصلات شعرها الناعم تضطرب على جبينها ، وتنحدر الى كتفيها في شكل أمواج مثيـرة ..

ابتسم ابراهيم في حيرة ، ورماها بنظرة فاحصة ، فتأملته من الرأس الى القدميـن :

ـ إني قلقة يا ابراهيم .

ـ أنا في خدمتك ، هل تطلبين شيئا ؟

ـ لقد طلبت من أبي أن يسمح لي بالذهاب الى الشاطئ ، ولكنه بدا متخوفا ولم يوافق الا بعد تفكير طويل ثم اقترح ان تصطحبني الى الشاطئ ، فهـو يثق فيك كثيرا .. هل توافق ؟

ماذا تقول هذه الفتاة ؟ أي سحر هبط على من السماء ؟ اي قنبلة ؟ أي حظ اصطفاني وجعلني أظفر بهذا الكنز ؟ بلع ريقه وقال :

« .. كما تشائين يا رفيقة .. »

على الشاطئ الأخضر الجميل الممتد الى البعيد تتمدد أجسام مختلفة النعومة والخشونة ، تتغذى من الشمس المتدفقة حرارة ، وفي الماء الصافي المائع تستلذ اجسام أخرى..لغط وهرج ومرج ، صياح باعة «القلوب» والمشاميم يزبد المكان أنسا وحركة .. ابراهيم يحذق التأقلم مع كل الأجواء ، فالذي لا يعرفه يحسبه ابن العاصمة ، زيادة على حسن دهاءته وذكائه .. سحبت رفيقة ثوبها وبدت كسمكة منتزعة من البحر، وبان جسمها المرد كأنه قطعة من النور وتاه ابراهيم في جاذبيته وكاد يفقد عقله ، طلبت منه أن يخلع ثيابه للسباحة معها ، وشعر برواسب الخجل تغلف وجهه ، لكنه تغلب عليها وخاف مـن الاستخفـاف ، وسرعان ما لبى الدعوة..وكانت برودة الماء تنفذ اليهما،فغطسا،وامتدت الايدي الى بعضها البعض ، أحس بقشعريرة تغمره ، واحست بعالم جديد تكتشفه ..

ولبت المشاعر النداء ودخل ابراهيم ورفيقة في حلم لا نهاية له٠٠ تسلل أحدهما الى الآخر عبر عالمين ممعطشس للقاء ، عبر صدره القوى دى الشعر الكثيف ، وعبر صدرها المتوهج ، النابض بالدفء ، الصارخ بحنة الحياة .. تعلم ابراهيم التدخين من رفيقه،واصبحت تغدق عليه السجائر الرفيعه،وتعلم أشياء أخرى أصناف القبل والوان المداعبات ، وكلمات العشق ، ومطارحات الغرام .. وتطورت العلاقة الى أكثر من ذلك .. اصبح يقاسمها النوم في فراش واحد دون أن يفطن به أحد .. لكنه من الخوف لم يجرأ على افقادها أعز شيء لديها . رغم انصياعها وانهيارها ، بل كان يحملها الى دنيا اللذة والدوخة فقط ٠٠

تقدم لخطبة رفيقة شاب يسمى الى عائلة معروفة ، ذات يسر وجاه ، ووافق الاب ، واصطدمت رفيقه بمرارة ، اذ انها لم تكن متحمسة كثيرا لهذا الزواج الذى سيخرجها من جنتها القديمه ، لكن تأثير أمها عليها جعلها ترضخ ، وتفارق السعاده المتنامية التى عرفتها في ابراهيم ٠٠ وجد ابراهيم نفسه فى فراغ قاتل بعد أن رحلت رفيقة ، اصبحت الحديقة عنده فحاحا لا تعطى الا الملح ، ولا تمنح الا الجدب ، لم تعد تطغى بأية ابتسامة عذبة فى الصباح ، واصبح البيت عنده موحشا قفرا ٠٠ ساءت صحته ، وانقطع عن تناول الطعام ، وانهارت قواه ، واصبح شبه عاجز عن العمل٠٠ داهمه السل بشبحه المفزع، وعشش فى كيانه ودخل المستشفى ، ثم عاد الى سيده٠٠ لم تكن متحمسا هذه المرة اليه، اقترح عليه أن يعود الى القرية للاستجمام والراحه ، وأن يتغذى من هوائها ونقاوتها ، وكان ينوى ابعاده والتخلص منه ، وفارق ابراهيم فردوسه ، وعاد الى القرية حاملا أحزان المرض وهشيم الذكريات .. زار به أهله سيدى حليف ، وقبل التابوت ، وهناك اندمج فى ذلك الجو الصوفى المتأمل ٠٠ ليستريح بعقله ، ويدخل فى متاهات أخرى من الفزع والضياع ، نسى العاصمه ، وتناساه المنزل الذى قضى فيه أجمل فترات العمر ، وتغافلت عنه الحديقة ، وصبعتـه رفيقة خلف بيتها الحديد ، وداسته الايام ، وغمره الزمن ودفنـه فى ذلـك الجبل الأزرق الشامخ ، يسرح بين تلك الصخور الصلدة ، ونباتات المنثان والحلفاء ..

.. كانت السياره الحمراء تسلق الربوه شيئا فشيئا ، متعلقـة بالبنية الرملية المتعرجة .. صياح الحروف يملأ ذلك المكان .. توقـف السيـارة ، ويصمت المحرك . ينزل علوان الموفى ويسرع لفتح الباب الايمن ، وتخرج المرأة الملتحفة ببطء ، تفرج وجوه بقية الركاب ، ويبادرون بالخروج ، يمسحون العرق ويقتنصون الهواء ٠٠ تنزل بعضهم الحروف وتتكون أسره فى انتظار

ذبحه .. عمك بلقاسم الزارعي حفيظ المقام يتقدم لاستقبال أصحاب السيارة ، كان يلبس زيا عربيا أبيض ، وعلى رأسه قلنسوة مثقوبة ، وعلى عينيه القطيتين نظارة متدحرجة الى طرف الانف ذات زجاج مستدير أبيض سميك شاربه معقوفان الى الأعلى تنمان عن المهارة في النصيد والتشمم ، وكان يدير بيده مروحة من السعف ، وبالاخرى سبحة يمرر حباتها بأصابعه النحيفة ، بينما انسدلت على كتفيه جيلية مطرزة ، تدلت منها سلسلة فضية تفضي الى ساعة غاطسة في احد الجيوب ، اما السروال العربي الفضفاض فقد شده بدكة حول حزامه ، بينما هبطت قندليسنه في شكل الدلو او الية الخروف ، وهو ينتعل فردتي بلغة اكنعي بادخال المشطين فيهما.. كان بلقاسم الزارعي يطنب في تقبيل الجماعة، وحسن الاستقبال، وحرارة الترحيب، ويصلي على الرسول، ويقبل يده ويضعها على جبينه في خشوع ملفق .. أختلي بعلوان النوفي خلف شجرة متآكلة الجذع من أربطة الدواب ، تكدس الروث تحتها تكديسا ، وتهافت عليها الذباب علوان النوفي كهل في الخمسين ، له صابة من البنات ، ولم يرزقه الله طفلا ، عقد النية ، وجاء لزيارة سيدي خليف ، وتلمس البركة للمن عليه بولد يكون قرة عينه ، ويخلفه بعد الممات ..

تلهى عبد الله بن مبارك ومعاوية لحدع بذبح الخروف ، وسلخه ، وتقطيعه كان نصيب بلقاسم الزارعي منه : الجلد والرأس والدوارة وطابق من اللحم .. وانصبت الجماعة تحت الخروبة، بعد أن افترشوا ملاءات من الصوف وانهمكت المرأة في اعداد الفطور وشي اللحم .. كان علوان النوفي قلقا لا يساهم مع الجماعة في الاحاديث المتنوعة الا نادرا ، كان منشغلا عن هذرهم وضحكهم .. يحتسي كأس الشاي دفعة واحدة ويرجعه دون أن يشعر لمن يسلمه .. يفحص بعينيه الضائعتين كتلة الجبل الزرقاء ، الطاغمة بثقلها ، كأنه ينتظر شيئا هاما يتفقده من حين لآخر بلقاسم الزارعي ، ويطمئنه ، ويهمس اليه ثم ينصرف جارا بعينيه الضائعين كتلة الجبل الزرقاء ، الطاغية بثقلها ، كأنه ينتظر شيئا هاما ويشتد النبض .. وتنتبه العينان ، وتتنصت الآذنان ، ويكف الجميع عن الحديث وتسكن المرأة في مكانها .. صليل سلسلة يأتي من بعيد منبعثا من وراء أغراس الهندي ونباتات الحلفاء اليابسة .. يبرز شبح أسود ، يكاد يخفيه الشعر المشوب بالبياض ، تطل منه عينان جاحظتان صائغتان تحملان حرقة العذاب ، وأحزان العمر الدامي .. كان الشبح يتقدم متباطئا ، يجر سلسلة حديدية غليظة ذات رنين فاجع ، كانت تستعمل لقيد الجمال، يتبختر الجسم مع الزمن داخل عباءة صوفية سوداء مطلية بالقذارة .. جثم الشبح بعيدا بعض الشيء ،

عاملا أصابعه الكالحة فى ثنايا اللحية الكثة المسترسلة الى الصدر ، وظل هائما يلتهم الجماعة بعينيه الفائضتين .. وكان بلقاسم الزارعى يشير الى الجماعة أن يظلوا صامتين ، منتبهين الى الشبح ، وتحليل حركاته أو كلماته ان قام و نطق بها .. كان الصمت مقبرة يتجمد فيها الجميع ، لم يخرج عن ناموسها الا الذباب أو هرج الزائرين من بعيد ·· تحرك الشبح ، تقدم شيئا فشيئا ثم ارتمى على علوان النوفى ، وطرحه ، وقبض علـى عورته قبضا شديدا حتى كـاد يقلعها ، وأغمى على الرجل ، ونهافت عليه الجماعة لجذبه الى الخلف .. واقبل بلقاسم الزراعى متثاقل الخطوات ، يدفع ساقيه العاجزنين عن التقدم ، وكان مشمئز الوجه ، تلوح عليه علامات الاضطراب ، وصاح : «يكفى يا ابراهيم ·· انزع يدك .. لقد نال الرجل مقصوده » .

فتح أبراهيم بوجادورة قبصته وتأخر متناثر الشعــر ، يحبو ويلتفــت الى الوراء ، يتضاءل رنين سلسلته الثقيلة ، ويبتعــد خياله العــالى شيئا فشيئــا ليذوب فى كمل الصخر الثقيلة ..

تفرغ المراة سطل ماء على زوجها ليستفيق ، ويهنئه بلقاسم الزارعى شارحا ومحللا ما قام به ابراهيم بوجادورة : « سعدك يا رب ! »

لقد قبض ابراهيم «شايلله» على ذكرك يا علوان ·· الحمد لله ، لقد فهم ولد سيدى حليف مقصودك ، فهو يشير بذلك على أن الله سيمن عليك بمولود ذكر .. أبشر يا علوان .. » .

انفرجت أسارير علوان وهو يسرع باخراج ورقة نقدية ، ودسها فى جيب فرملة بلقاسم الزارعى ..

فى المساء ، كانت السيارة الخضراء تطلق الغبار فى تلك الحقول الصهباء وجوه متراصة تلتصق ببعضها البعض ينضح منها العرق،امرأة منشرحة تدحرج خلفها اللحاف ترسل نظرات مشبعة بالامل من خلال البلور·· علوان النوفى يحرك المقود ذات اليمين والشمال ، يسترسل فى أحلامه ، بعد أن اقتنى تذكرة الدخول فى عوالم ابراهيم بوجادوره .

محفـوظ الزعيبـى

رحلة النار والطيب

شعر : سمير الخياري

أحبّ الزّمان الذي فيه كنتِ
ويغرسني اسمي
على شفتيكِ ضراما وطيبا
فإني أنا الساكن الآن في مقلتيكِ
يحمّلني النّار حبك
يحمّلني العطر حبّكْ
فأقتاد روحي .. وأعمار طهري
قرابين وجدكْ
وأغرس فيك على ألق الضوء
رحلة صبوه
ورمح استفاقهْ
ولحن فداءْ
تعزّ علي الحياة ولكن لأجل العيون
التي أفرزتها السماء
سأجعل عمري وقودَ لياليك
حين يجيءُ الشتاء
سأفتح حضني وأفتح قلبي
لينشد لحن الهوى والصبابه
سأركعُ .. أسجدُ .. أفرحْ
برغم العناقيدِ فوق شفاهي
تحلّب ريقي مرارهْ
سأفرحُ ... أفتح للعيد بابا
لك الحبّ منّي
لك الضوء منّي
فحبّي الضياءُ الذي ليس يخفي
ولو حاولت سمل عينيه أيّ سحابهْ
سأعرف كيف أقيم الوجود إليك
مدارج ورد
وأعرف كيف أقيم الحقيقة فيك
صحائف شمس
وأعرف كيف أردّ لياليك
نغمة حلم ورقصة عرسْ
لينهزم الرعد فيك
لينهزم الرعد فيك

الهادي العبيدي
الأديب المصلح والصحفي الرائد

بقلم : محمد أنور بوسنينه

شيعت الاوساط الثقافية والفنية والسياسية يوم الاربعاء السابع عشر من شهر افريل خمس وثمانيـن وسبعمائة والف جمـان الفقيد الراحل عميـد الصحافة الاستاذ الهادي العبيدي . ونشرت جريدة الصباح كلمة لصاحب هذه الاسطر متضمنه خواطر عابرة وسريعة حول شخصية الهادي العبيدي ومدى الرزء الذي اصيبت به تونس في فقدانها مثل هذا الرجل العصامي الـذي قدم الكثير للصحافة والادب والفن والاجتماع . واني اذ اباشر الكتابـه مرة ثانية وبعد مرور ايام أخر شعرت خلالها بهدوء النفس والابتعاد قليلا عن الشعور بالالم الممض والحسرة اللادعة فلكي أريد للرجل حقه في التعريف ولكي أوضح بعض الملامح وبعض الابعاد من حيث تكوينـه وثقافته ومـن حيـث المؤثرات والعوامل التي جعلت من ذلك الاديب الكاتب رجلا ناجحا في خلـق مدرسة صحفية لها مريدوها وأتباعها ومناصروها وخلانها ..

ولد الفقيد بتونس العاصمة بنهج الطرودي زنقه الكاغـذ رقم واحد يـوم السابع والعشرين من شهر جانفي سنـة 1911 ، وبعد أن اشتـد عوده التحق بكتاب النهج المذكور بحي باب سعدون ثم بكتاب نهج باب الاقواس حيث انتقلت عائلته ، فحفظ القرآن الكريم ثم التحق بالمدرسه العرفانية الراجعـة بالنظـر للجمعيه الخيريه الاسلاميه ثم التحق بالمعلم الريبوبي حيث قضى في الدراسة بعض سنوات اذ لم تسمح ظروفه الماديه بمواصلة التعلم . ولنا ان نشير في هذا الصدد الى تأثره باساتذته في الابتدائي والثانوي وهما الشاذلي بن ضيف والعربي الماجري .

يقول في حديث له نشر بمجلة الندوة العدد السادس السنة الرابعة جوان 1956 :

« كنت منذ طفولتى جشعا ونهما الى درجة مفرطة في المطالعة والتهام ما يصل اليه يدى من كتب النهاما قرات المنفلوطى في البداية ثم عندما شببت لفت انتباهى أدباء المهجر وفى طليعتهم حبران والريحانى ونعيمة وأبو ماضى ، ثم الدكتور طه حسين والمازنى والعقاد وهيكل وطبقتهم » .

اذن من خلال ما تقدم يمكن ان نلاحظ بان الفقيد العبيدى قد أطل على مسرح الوجود منذ شبابه متأثرا بهؤلاء العمالقة في الادب سواء منهم مقيم الشرق أو المهجرى وان تأثير اولئك في مترجمنا وفى غيره ممن كان لهم السبق فى الميدان الادبى خلقا ودراسة ، بحثا ونقدا ، بين واضح فى مثل الشابى والحداد وكرباكة وخريف وغيرهم . واذا كان لرواد الادب فى الشرق والمهجر مذهب أو مدرسة الا ان الاستاذ الهادى العبيدى لا ينهج منهاجها ولا يؤمن الا بالادب الجوهر الصادق النزيه يقول :

« أما المذاهب الادبيه فأنا لا اومن بها ولا أتاثر الا بالادب الصادق الصميم بقطع النظر على ما يخلعون عليه من أسماء كأسماء الازياء . »

وسوف نبسط فيما يلى بعض الملامح من حيث الوجهة الادبيــة الفنية التى غلبت فى البدايه على مترجمنا شعرا وزجلا ثم الكتابة للمسرح ثم العودة الى الصحافة الى آخر رمق من حياته .

يقول العبيــدى :

« عالجت قرض الشعر وأنا فى المدرسة الابتدائية وقد تلقيت أبجديته عن الاستاذ الحبيب جاء وحده مدرس الفرنسية يومئذ وهو شاعر موهوب ساخر لذع طريف (1) . وكان أول مقطع نظمته في هجاء أحد زملائى التلاميذ دفاعا عن زميل آخر ، اما الزجل فعالجته بمناسبة تعبئة لاسطوانات جديدة للصديق البشير الرصايصى باسم شركته أم الحسن » .

لقد زامل العبيدى فيمن زامل الاديب الساخر محمود بيرم التونسي وان من يلقى نظرة على ظروف الحياة الاجتماعية والسياسية التى كانت فى الثلث الاول

(1) انظر مزيدا عن حياته كتاب « فى الادب التونسى » لمحمد الحليوى ـ كلمة وفاء ـ ص 156 . الدار التونسية للنشر ـ 1969 مع الملاحظ وان وفاة الحبيب جاء وحده كانت فى 7 ـ 2 ـ 1967 .

من هذا القرن يدرك تلك الرغبة الملحة في ذينك الرجلين كي يخاطبا عقول الجماهير ووجدانها بلغة هي أقرب الى لغة التخاطب وانطلاقا من لغة الشعب الحقيقية التي تستمد من اصالته العريقة ومن كيانه الحق فكان بيرم بشعره العربي الفصيح وبأزجاله العامية التي سارت في كل الاصقاع وكان العبيدي أيضا بتلك القصائد التي رددتها أجيال متعاقبة وهي بلسان الشعب بكل ما فيه من اعتزاز ونخوة للحفاظ على الذاتية والدفاع عنها ورغبة في التمسك بجذور التراث حتى لا ينحل رباط العقد الذي يربط الماضي بالحاضر من أجل المستقبل . انهما صنوان متشابهان لولا الاول قد تفرغ لهذا النوع من الشعر الشعبي كليا حيث أعلنها أحمد شوقي مدوية « أنا لا أخشى على الشعب العربي طغيان احد أو شيء الا بيرم وأدبه الشعبي» . وانها لظروف كان الشعب العربي عامة متجذرا في لغته اليومية نظرا لقلة انتشار التعليم في كل مكان واذ نعود للعبيدي فلكي نسجل له هذا الميل الى الكتابة شعرا بالعامية في محيط يفرض عليه أن يخاطب الشعب بلغة هي أقرب للفهم والافصاح عما يجيش بصدر قائلة كي يرشد ويوجه ويحرك سواكن النائمين الذين يغطون في احلامهم بلا حراك . وانه لعذر مشفوع بما هو ملاحظ سابقا حتى ندرك مدى الرغبة في التوجيه والتقويم والارشاد والاصلاح فبيرم بز غيره من فحول الشعراء بالعربية الفصحى والعبيدي أيضا كان له في هذا الميدان صولة وجولة . وما وقوفه أمام جثمان الفقيد الراحل الطاهر الحداد بقصيد مطلعه :

قلوا حيوا المجاهد والعميدا (2) وصلوا فالنبوغ قضى شهيدا
قفوا وابكوا الرجولة والمبادي فذا معناهما امسى لحيدا

الا دليل على طول باعه وشاعريته أيضا وبالمناسبة يقول في آخر القصيد :

اخي ان سامك السفهاء سوءا وكان زمانكم نذلا كنودا
فلا تحزن فذا التاريخ عدل سيمنح اسمكم منه الخلودا
وموت في مبادئكم حياة تفيض على الدنى فجرا جديدا
خيالك خالد في كل قلب وذكراكم ستغدو [!] لدينا [!] عيدا

(2) نشرت القصيدة بمجلة العالم الادبي السنة الرابعة العدد 17 في 16 12 — 1935 بعنوان « النبوغ الشهيد » .

وتوضيحا للعلاقة المتينة بين هذين الرجلين المصلحين نشير الى أن الصداقة كانت وثيقة بينهما رفقة أحمد الدرعي وعبد الرزاق كرباكة والشابي والسنوسي وبيرم وغيرهم ممن لم نذكر . وبالمناسبة نلاحظ الى ان العبيدى وقف الى جانب الحداد منذ الخصومة التى اشتعل أوار لهيبها بمناسبة صدور كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » يقول العبيدى في مقال له بعنوان : للحقيقة والتاريخ (2) . لم يكد يصدر كتاب امرأتنا حتى كان الجو قد تم تسميمه ضده وشاعت الاقاويل التى لفقها خصوم الحداد على السنة الناس والعامة فاخذوا يرددونها دون أن يطلعوا على ما في الكتاب وهنا تجسم الجريمة التى اقترفت ضد الحق وازاء هذه الحملة الطاغية التى استخدم فيها الخصوم سلاح الدين ليستفزوا شعور المواطنين في ذلك الحين ، ازاء ذلك قررنا نحن اصدقاء الحداد الذين نشاطره آراءه فى القضية اقامة حفل تكريم له بمناسبة صدور الكتاب حتى لا يهضم الفكر الاصلاحى فى تونس وحتى نرد الفعل فلا نترك الراى العام نهبا فى أيدى أولئك الخصوم . وكان الحفل فى قاعة الكازينو البلدى بالبلفدار واجتمع عدد كبير من النخبة التونسية والقيت الخطب والقصائد في تمجيد الطاهر الحداد وعمله البليغ رغم دعايات الخصوم ورغم ما بيتوه من الاعتداء على اشخاصنا عند ذهابنا الى الحفل حيث جمعوا عددا من الفلتاء ووزعوهم تحت أشجار حديقة البلفدار حتى اذا ما مر أحد فى طريقه الى الكازينو انقضوا عليه وعبثوا به ، ولكن الحفل تم على الوجه الذى أردناه وكتبت عنه صحف ذلك العصر حسب أهوائها وحسب اسهامها أو بعدها عن الجريمة كما كتبت الصحف فى الخارج .

الى أن يقول العبيدى :

وذات مساء كنا جلوسا بمقهى القصبة فى الصائفة فاذا ببعضهم يتحكك بنا ويوجه لنا الشتائم ونعوت الكفر والالحاد بل ويحاول الاعتداء المادى علينا ، واذا بجمع من أصدقائنا يتصدون لهم ويعملون فيهم ضربا ولكما وتتطاير كراسى المقهى لتبلغ ثكنة القصبة وتدور معركة حامية الى أن يتدخل الجند الفرنسى المرابط بالثكنة ليوقف المعركة .. »

هذه عينة مادية من مناصرة العبيدى للحداد وللفكر الحر النزيه ، ووقوف المترجم له بجانب الحق الى النهاية ، ولنا أن نشير بأن العبيدى كان من الرواد

---

(3) نشر المقال بكتاب الطاهر الحداد حياته تراثه ، محمد المرزوقى والجيلانى بن الحاج يحيى ، ص 265 . دار بوسلامة للنشر ـ تونس ، بدون تاريخ.

الاول الذين طرقوا موضوع المرأة في أوساط العشرينات بجريدة الصواب التي كان يديرها الاستاذ محمد الجعايبي وكانت له أيضا مساهمات ملاحظة في ميدان الادب حيث دعا الى التجديد والنظر اليه بمنظار العصر والواقعية والابتعاد عن التقليد الذي لا غاية من ورائه ولا هدف .

وعوده الى مراحل حياه هذا الصحفي الاديب لنشير الى انه منذ البداية كان عصاميا في حياته وما كانت ممارسته التعليم الا نتيجة ضغوط مادية قاهرة حيث أحس بأن الاسرة في اشد الحاجة اليه وقد توفي والده وهو في الخامسة من عمره فشعر بوجوب ولوج معترك الحياة والاخذ من معينها الذي لا ينضب مادة وفكرا ، حلما وابداعا واستمر به الامر في سن السادسة عشرة من عمره وهو في عز الشباب وقوته بالعمل في احدى المطابع يقول

« لما فارقت الدرس بالجامع في سنة 1927 بدافع الفقر والحاجة الى المال فكرت في أن ألتحق باحدى المطابع العربية لاتعلم صناعة تكون فيما بعد مصدر رزق لي ثم – وهو المهم – لاطلع على مهنة الصحافة وكيف تصنع هذه الصحف التي أقرؤها ، وفي المطبعة الاهلية سهج الديوان (4) . بدأت أتعرف في المطبعة ثم على الصحافة وكيف تصنع وهناك النقيت بأستاذي المنعم المبرور عميد الصحافة العربية الاستاذ محمد الجعايبي صاحب جريدة الصواب (5) الزاهرة وبالاستاذ حسن الجزيري صاحب النديم (6) وبالشيخ البشير الحنفي صاحب جريده لسان الشعب (7) فكانت سعادتي بذلك لا توصف وبعد زمن قصير ثارت في صدري هوايتي القديمة للصحافة فتجرأت وفاتحت الاستاذ الجعايبي برغبتي الملحة في التمرن على الكتابة في الصحافة فقابلني بكل لطف وتشجيع وكان قبوله ذاك حافزا لي على الدخول في التجربة بمحاولة تحرير بعض المواضيع الاجتماعية وبعد ان اشار العبيدي الى ما كتبه حول قضية اصلاح التعليم بجامع الزيتونة وتحرير المرأة قال ·

« وقد مارست الصحافة في جميع فنونها وأبوابها منذ ذلك العهد حتى اليوم · مصححا – محررا – ناقدا فنيا ، وأديبا ، سكرتيرا للتحرير ، مديرا لبعض

---

(4) كانت ملكا للاستاذ زين العابدين السنوسي ·

(5) تأسست سنة 1322 هـ – 1904 م ·

(6) تأسست سنة 1339 هـ – 1921 م ·

(7) تأسست سنة 1339 هـ – 1921 م ·

صحف ، رئيس تحرير ، ومارست كل هذا في الصحف الاسبوعية واليومية ، والمجلات والنشرات الدورية .. وقد عشت الحركة الوطنية والحركة النقابية من ذلك العهد وعاصرت تطوراتها حتى اليوم ..» (8) .

هذا ولنا أن نشير الى بعض الصحف التي باشرفيها التحرير مثل الزمان التي أصدرها محمد بنيس سنة 1929 .

والسرور : أصدرها علي الدوعاجي 1355 ـ 1936 .

السردوك : أصدرها الشاذلي الفهري 1340 ـ 1921 .

الوطن : اصدرها محمد بن فضيلة ـ 1355 ـ 1936 .

الزهرة : أصدرها عبد الرحمان الصنادلي 1307 ـ 1890 .

مجلة الثريا لنور الدين بن محمود 1363 ـ 1943 .

وأخيرا جريدة الاسبوع لابن محمود أيضا 1365 ـ 1945 .

أما جريدتنا الصريح (1949) والعرزرو 1955 اللتان أصدرهما مترجمنا ذاته فانهما لم يعمرا طويلا نظرا لعسر الامكانيات المادية وصعوبة مواجهة مصاريف الطباعــة .

وهكذا يبدو جليا ما كان لهذا الرجل من باع في ميدان الصحافة وما أولاها من اهتمام كلي وتفرغ وهيام الى حد بعيد .

أما جريدة الصباح التي أصدرها السيد الحبيب شيخ روحه سنه 1370 هـ 1951 م فقد أعطاها عصارة تجاربه من حين تأسيسها وقد ترأس تحريرها الى أوائل الثمانينات حتى أقعده المرض وأعجزه عن الكتابة وقد كان فارسها الذي لا يقارع وبطلها بدون منازع واتخذ في أسلوبه الدقيق المعبر منحى الاختصار وعدم التطويل ومن كتاباته الموحية المعبرة قوله :

« لسنا ملومين في شيء اذا نحن ركبنا مركبــا خشنا في سبيــل تحقيق سيادتنا الكاملة » .

وقوله : « الاخذ من الثقافات الحيــة لا يعني عجزا عن الابــداع » الى آخـر الامثلة على هذا النسق والمنوال .

---

(8) مجلة الندوة ، السنة الرابعة العدد السادس جوان 1956 .

ان العبيدى من الصحفيين القلائل الذين تفرغوا لمهنتهم وأعطوها كل الوقت وكل الجهد والبذل والعطاء وقد ملأ الفراغ الصحفى الذى عاشته بلادنا منذ مطلع الخمسينات واضحى يمثل مدرسة قائمة الـذات فى منهاجها وأصولهـا وسبيلها الجدى الذى لا يفتح مجال التسيب والمركب السهـل ووسم جريدة الصباح بسمة الجدية التى مازالت تتصف بها ونرجو الابقاء عليهـا ومواصلة المسيرة على الدرب الذى سطره لها منشئها الاول وعميدها ، واني لاذكر ان أحد رفاق الدراسة بمعهد ابـن خلدون فى أواخر الخمسينات وحيـن التهيؤ لاجتياز مناظرة الجزء الثاني من شهادة التحصيـل يشترى جريدة الصبـاح يوميا ولا يتخلف عنها ابدا وكنا كزملاء نعيب عليه تـرك الدرس والمذاكرة الى قراءة الصحيفة فى ادمان عجيب فكان يجيب فى براءه عفوية : ان سانحة صباح الخير تغنيني عن قراءة الكتب وبفضلها تحسن اسلوبى وتحريرى وسأجتاز الامتحان بدون صعوبة .

هذا وان سر وعظمة فقيدنا تكمن فى تواضعه واقباله على العمل بدون غرور أو كبرياء ، وبدون حب تظاهر وتبجح وقد امضى عديد السنوات لا يمضى الا باسم مستعار فتارة باسم هدى أو يقظان وطورا باسم فتى المسرح أو رمزا بالاحرف مثل : هـ ـ ع وما ذاك الا نتيجة ما فى جوانح الرجل من رغبة لاعتبار الاعلام النزيه الصريح الصادق هو الغاية وهو المبتغى وليس حبا فى الظهور بالاسماء والالقاب .

ومن متناقضات هذه الشخصية انه بقدر حدة مزاجه وغضبه السريع وانفعاله المفاجىء وجديته المتناهية فانه فى اوساط الفن والتمثيل ذو صدر رحب وسعة بال ومرح وحبور وقد جالسته أواخر الخمسينات رفقة المرحومين على الجندوبى والتجاني الحداد فكنت أتعجب من هذا الانقلاب المفاجىء فى التعامل الانسانى وهذا الاقبال على الحياة بكل ما فيها من شوق وحنين وحب وطرب لها .

وبالمناسبة نذكر ما كان لهذا الرجل من باع فى ميدان المسرح وقـد ألف واقتبس من ذلك رواية «عبد المؤمن بن علي» التى فازت بالجائزة الاولى التى رصدتها جمعية الاتحاد المسرحى لموسم سنتى 1939 — 1940 وتـرجم روايـة «سالومى» بالاشتراك مع الاستاذ البشير المتهني، أما المسرحيات المقتبسةفنذكر منها : ضاع صوابى ـ ولد اشكون ها المغبون ـ الغيرة تذهب الشيرة ـ وهذه نالت نجاحا كبيرا .. هذا ولم يكتف العبيدى بالكتابة بل اهتم بالتمثيل وساهم به شخصيا كما أدار فرقة تمثيلية بالاذاعة وانتج مجموعة من البرامج الاذاعية ذات الصبغة الادبية .

يقول عن هوايته للمسرح :

هوايتي الثانية (بعد الصحافة) التي نشأت معي هي حب المسرح ويعود تاريخها الى المدرسة الابتدائية حيث كنت مفتونا بالتمثيل وكنت أعمد في أوقات الفراغ بالمدرسة – وقد عشت فيها نصف بيات – الى جمع عدد من زملائي التلامذة واوزع عليهم أدوار مسرحية « صلاح الدين الايوبي » لنجيب الحداد واشرع في تمرينهم عليها مع الاحتفاظ لنفسي بدور صلاح الدين .. » .

وبقيت الهواية متمكنة فيه فانضم الى فرقة فضيلة ختمي ثم المستقبل التمثيلي ، ثم التمثيل العربي ، فجمعية المسرح ، ثم أنشأ جمعية الاتحاد المسرحي ثم جمعية تونس المسرحية . وهكذا نلاحظ بأن مترجمنا أدرك الغاية من هذا الفن النبيل فن التمثيل واتخاذه وسيلة للنهوض بالامة والوطن والحفاظ على لغة الضاد والدفاع عن الثقافة العربية عموما وصد المستعمر لرغبته في طمس معالم القومية والذاتية العربية هذا ولا باس أن نشير في هذا الصدد لما كان أيضا من تأثير صاحب جريدة الصواب الاستاذ محمد الجعايبي على مترجمنا وقد ألف أول مسرحية بعنوان « عبد الحميد بين جدران يلدز » والتي مثلت في مطلع هذا القرن .

ومن نشاط العبيدي الدائب اشرافه على تنظيم أول اذاعة عربية بتونس في الثلاثينات وكان ذلك في المحطة المحلية المعروفة باسم « مذياع تونس » وكان اول من اسمع التونسيين تلاوة القرآن الكريم واول من ابتكر مدفع الافطار في رمضان ، كل هذا قبل انشاء المحطة الرسمية للاذاعة التي التحق بها فيما بعد كمحاضر وكمخرج للتمثيليات ثم سكرتيرا في ادارة القسم العربي وقد كثر نشاطه – رفقة زميله المرحوم عثمان الكعاك – كان مترجمنا صديقا وفيا لكل رفقائه وخلانه وكان يتأثر لفقدانهم فلا يتأخر عن تأبينهم والاشادة بما قدموا وعملوا وضحوا ، ولكم كان تأثره واضحا وألمه ممضا حين فقدان أحد رفاق الشباب وأعني به الشاعر الاديب جمال الدين بوسنينة (8) . فقد كان أول المؤبنين له في كلمة أحتفظ بنسخة منها كاملة قالها العبيدي حين مواراة جمال

---

(8) جمال الدين بوسنينة ، كاتب وشاعر ، ولد سنة 1899 وتوفي في 7 ماي 1945 ، له دراسات ومجموعة مقالات في مواضيع مختلفة وابرزها في ميدان المسرح والموسيقى وكان في طليعة المؤسسين لجمعية الرشيدية وجمعية النادي الافريقي الرياضية ، قريبا باذن الله سننشر دراسة مفصلة عن انتاجه الفكري .

الدين التراب ويشير فى ثناياها الى خسارة تونس لا فى جمال الدين فقط ،ل وايضا فى رفيقين عزيزين هما عبد الرزاق كرباكة (9) وعبد الرحمان الكعاك .

يقـول العبيـدى :

« وانت أينها الخضراء العزيزة هذا ثالث ثلاثة من ابنائك الابرار ونبغائك الاخيار تنكبين فيهم فى أيـام معدودات حتى لكأن الدهـر يجاريـك فى عتو وضغينة فيقتطف بين الحين والحين أنضر زهراتك واشهى ثمرائك حسدا منه .

أى جمال الدين أخى :

مالك اليوم تشيح عنا بوجهك ويضيق بحياننا صدرك فنفر هاربا منها فى سرعة وعجلة دون ان تودعنا شأنك كلما هممت بالرحيل أفصلت عـن محبتنا لقاء صديقيك عبد الرزاق كرباكة وعبد الرحمان الكعاك فبادرت اليهما وتركتنا ـ بعدكم ـ لدنيانا نعاسى أهوالهـا .. وننوء بحمـل أثقالهـا .. هنيئا لـك ولصاحبيك نومكم المطمئن ومقركم الآمن وطوبى لكم وحسن مآب » .

وانظر معى فى هذا الجواب عن سؤال طرح عليه حول الشباب الطامح للأدب والفن والسياسة يقول :

« ان اعلى ما اقدمه للشباب الصاعد من نصح هو أن ينحلى بالنزاهة والجرأة فى تفكيره وعمله وان يحافظ على صفات الرجوله فلا يكون امعـة وان لا يمل الكفاح فى سبيل استقلاله الذاتى وتكوين شخصيته وان لا يتخاذل امام العقبات والمشاكل التى قد تعرض له فلا ورد بدون اشواك » (10) .

وهكذا كانت حياة العبيدى صراعا من أجل تحقيق الهوية الوطنية واستقلال أمة كبلتها قيود الظلم والبطش والعدوان ، وان تحديد ملامح هذه الشخصية يعسر القيام به فى مجال مقتضب وانه على ناشئتنا من ذوى العزائم الصادقة أن يعطوا لهذا الرجل بعض الحق والواجب لاستكناه سر الحزم والعزم والتضحية والفداء من أجل أمته وبلاده وشكرا لسعى وزارة الثقافة قصد جمع تراث هذا المصلح الاديب ونشره حتى تعم الفائدة الجميع فنكون بذلك قد وفينا للرجل حقه حيا وميتا ولله الامر من قبل ومن بعد .

محمد أنور بوسنينه

---

(9) عبد الرزاق كرباكة 1904 ـ 15 مارس 1945 . انظر تأبيـن كرباكة لمحمد الحليوى ـ مجلة الثريا ـ افريـل 1945 ونفس التأبين نشـر بكتاب فى الادب التونسى ـ محمد الحليوى ـ وفى سلسلة أعلام المغرب العربى دراسة لأبى القاسم محمد كـرو .

(10) مجلة الندوة ـ العدد الرابع 1956 .

صدى الليلة الفاصلة

شعر : محمد البقلوطي

فصولٌ فصُولْ ..
خريفٌ ، شتاءٌ ، ربيعٌ فصَيْفْ ...
وكيفَ أُقسِّمُ نفسِيَ كَيفْ
يَجيءُ الخريفْ
فأبْكِي لِسُمرِ السَّنابلِ حتّى العَياءْ
ويأتي الشتاء فأعرى .
ولا شيء إلا العَرَاءْ
وعند الرّبيعْ ...
أُفتِّحُ أبوابَ بَيْتِي ولكنْ ...
يَمُرّ الرّبيعْ .
ومِسْكُ الخِتَامْ ...
هو الصّيفُ مِسْكُ الخِتَامْ
تَجِفّ الأَمَانِي
وَيَبْقَى الكَلاَمْ

* * *

فُصُولٌ فُصُولْ ..
خريفٌ ، شتاءٌ ، ربيعٌ فصيفْ
وكيفَ الرّحيلْ
وكيفَ الوصُولْ
وكيفَ اللجوءُ لقلبِ الحبيبةِ كيفْ
هل البحرُ أقربُ منّي ؟
هل الشمس أقربُ منّي ؟
فذا البحرُ ، لَوْ يَتْعَبُ البحرُ يوما
تُغنّي لدى البحرِ من أوّل الليلِ حتّى الصباحْ
وَذي الشمسُ ، لَوْ تَسقُطُ الشمسْ
أراها تمدّ إليها الجناحْ
ووَحدي أنا ...
أُسامرُ حُلمِي ، وَيَكبرُ حُلْمِي
ولكنْ
لدَى الفَجْرِ تَعْرَى الجِرَاحْ

* * *

فُصُولٌ فُصُولْ..
وأَنْتِ الحَبِيبَةُ أَنْتِ
أَجِيءُ إلَيْكِ ؟

وكيفَ أجيءُ إليكِ وكيفَ وكيفَ
وكيفْ !؟
فقطْ ...
بصدْرِي ومضةُ شعرْ
سهرْتُ اللّيالي أسامرُهَا
أهدّىءُ أعصابَهَا
وأحلُمُ .. أحلُمُ لي ولَهَا
وفي اللّيلَةِ الفَاصلةْ ...
أبَحْتُ لَهَا البَحرْ
فعانقَتِ البَحرْ
وعَانقَهَا البَحرْ
فكانَ اخضِرارٌ ومَاءْ
وفجرٌ يُسابِقُ فجرْ
وكَانَ انسِيَابُ الشّذَا منْ هنا
بيْنَ قلبِي ... وذَاكَ الصّدَى
وحينَ انتَبَهْنَا ...

مدَدْتُ يدِي
تلمّسْتُ وجْهِي
فنَادَيْتُ : يا أمّ هلْ تعشَقِينَ
المَطَرْ ؟
أيا أمّ ذا الدّمْعُ يجْرِي كما
يَشْتَهِيهِ الشّجَرْ
أيَا أمّ إنّي تعوّدْتُ مِثلَ اليَتامَى
جَمِيلَ الوُعُودِ وحُلْوَ الصّوَرْ
ولَكِنّنِي الآنَ أيْقَنْتُ أنّ
المَسَافَاتِ فِي الصّحْوِ
لا تُخْتَصَرْ

* * *

فُصُولٌ فُصُولْ ..
فُصُولٌ فُصُولْ ..
خريفٌ ، شتاءٌ ، ربيعٌ فصيفْ
وكَيْفَ أقَسّمُ نَفْسِي كَيْفَ؟

محمد البقلوطي

كل عام و « الفكر » بخير

بهذا العدد تنهي « الفكر » سنتها الثلاثين وتدخل فى إجازة الصيف راجية لقرائها الكرام صيفا ممتعا والى اللقاء فى مستهل الموسم الثقافى القادم مع حلول شهر أكتوبر 1985 .

الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس

بقلم : د. محمد الصالح الجابري

- 3 - (*)

لقد اعتبر الشعراء الجزائريون الطرقية والزوايا وانتشار الدجل من أفظع الاخطار التى كانت تستهدف الكيان الجزائرى وتهدده فى مقوماته الاسلامية . فالطرقية كانت تقف حائلا دون أى اصلاح غايته تجديد الفكر الاسلامى ، كما كانت مدعمة بقوة من طرف الاستعمار مهيمنة على عقول ونفسيات البسطاء والسذج الذين ابقاهم هذا الاستعمار على جهلهم وجعلهم فريسة للوقوع فى الخرافات وبين براثن المشعوذين .

وكرد على استشراء هذه الظاهرة وانتشارها وما اصبح لها من السلطان (1) قام العلماء والمفكرون والشعراء بالتصدى للطرقية والمرابطية وغير ذلك من

(*) انظر « الفكر » ع : 9 - س : 30 - جوان 1985 .

(1) يذكر الشاعر التونسى (سعيد ابو بكر) الذى كان زار شرق وجنوب الجزائر سنة 1927 فى رحلته التى نشرها بجريدة (لسان الشعب) التونسية صورة من نضال الادباء والشعراء الجزائريين ضد الطرقية والزوايا قائلا : «شاهدت فى بسكرة جماعة اصلاحية قوية على راسها الاستاذ الطيب العقبى وعضداه السيدان الامين العمودى الوكيل ، ومحمد العيد احد خريجى جامع الزيتونة . واهم ما ترمى اليه هذه الجمعية القضاء على الخرافات القديمة والتنقيص مما يعلمه الناس عن الطرق والزوايا للقضاء عليها بعد ذلك بتاتا ، وهو امر تعهد به العقبى الذى لا يترك فرصة تمر بدون أن يكون فيها خطيبا لا فرق عنده أكان ذلك فى طريق او مقهى أو حانوت عطار ، وقد حضرت عليه - أى العقبى - يباحث مع اناس فى هذا الموضوع كان فى امكانه اقناعهم لو لم يقرن حديثه الصحيح ببعض التهكم الامر الذى جعل محدثيه يصرون على افكارهم عنادا - رغم كونهم يظهر عليهم أنهم ادركوا الحقيقة» .

مظاهر الانحراف الدينى (2) ، ونقلوا هذه المعركة ضد الطرقية وربيباتها الى الصحافة التونسية للتدليل على أن المثقف الجزائرى يعى تمام الوعى ضروب ما يهدد كيانه وعقيدة آله من الاخطار والدسائس .

فقد اسهم خريجو الزيتونة اسهاما كبيرا فى مقاومة الطرق ، وكانوا عماد جمعية العلماء مع ثلة من الافاضل امثال (البشير الابراهيمى) و(الطيب العقبى) و(الامين العمودى) ، ويأتى فى مقدمة المصلحين من خريجى الجامعة الزيتونية (عبد الحميد بن باديس) و(مبارك الميلى) و(السعيد الزاهرى) و(حمزة بوكوشة) وغيرهم .

ولم يكتف هؤلاء بالتنديد فى كتاباتهم المعروفة بهذه الطرق والزوايا لكننا نراهم يوسعون نشاطهم الى نشر العلم الذى كان وسيلتهم الرادعة للحد من توسع الطرقيه متخذين مختلف أنماط التعبير نثرا وشعرا ، حوارا وارشادا وتوجيها .

يقول (حمزه بوكوشة) مجادلا أتباع الطرقيين داعيا اياهم الى اتباع السلف الصالح ونبذ الخرافات والانحرافات :

راينا الذى تدعونه الشيخ جاهــلا	عدوا لاهل العلم قد خرق الخلقــا
بربك ما هذا التجاهــل ؛ والعمى	وما هو ذا الطغيان قدر زادك الحمقا
انرضى انحطاطا والشعوب تقدمت	وبالحـزم نالت كـل مكـرمة تبقى
الا جددوا عهدا مضى اهلـه وقـد	بنوا لكم مجدا على السنن الانقى (1)

وهو فى مناسبة مماثلة يشيد بشباب (وادى سوف) ممن تصدوا لمقاومة الطرقية ، وشرفوا الوادى واهله وشقوا عصا الطـاعة فى وجـه المشـائـخ وحاكموهم .

---

(2) راجع فى هذا الصدد اطروحة الدكتور ركيبى (الشعر الدينى الجزائرى الحديث) ص 513 . والفصل المتعلق بهذا الموضوع من كتاب (الشعـر الجزائرى) للدكتور صالح خرفى ص 31 و(الحركة الوطنية) للدكتـور سعد الله ص 460 .

(1) (الوزير) 15 نوفمبر 1928 .

بني الـوادي المكـرم لاعـدمتم شبابا عـانق السمـر العـوالي
شباب باتبـاع الديـن مغـرى وللبـدع الشنيعـة هـو قـال
وكم قد عاكسته شيوخ سوء ! وكم قد هـددته على التـوالى !
نعم قـد ابعـدوه بكـل سـوء وهل تحت الذباب ذرى الجبال(2)

وقد خصص (حمزة بوكوشة) عددا من : (زفراته) (1) التى كان يكتبهـا بانتظام لجريدة (الوزير) التونسية ، سواء عند اقامته بتونس او بعد عودته الى الجزائر لفضح أساليب (الطرقيين) وتوجيه سهام نقـده (للمفسـدين) الذين انتصبوا لنقد كل مصلح ، والتالب عليه مما يدل على شدة المعـركة واتساع دائرتها وباع الطرقيين فيها وصلابة عريكة المصلحين للظفر فيها :

لقد شغفت بالنقد فى القطر فرقة وليس لها نقد سوى احرف الجـر
وما ضرنى ان قلـت بـت متيمـا بليلاي أشكو الله عن ألم الهجـر
اليس هدى القـرآن خيـرا لمهتـد تنوب حروف عن حروف بلا نكـر
وكم مفسد بالقطر ينقـد مصلحـا بسبه ، والتجهيل ، والرمى بالكفر
فمن لى بـان يـدرى بانـه مفسـد (ومن لى بان يدرى بانه لايدرى)(2)

---

(2) (الوزير) 21 جويلية 1932 ٠

(1) تجدر الاشارة بهذا الصدد الى ان عددا من الشعراء كانوا يقومون برثـاء العلماء المصلحين أو مدحهم تقديرا لمكانتهم واغاضة للطـرقيين منـوهين بمناقب هؤلاء وبنطرتهم الاصلاحية ٠ ومن بين الشعراء الذين رثوا أو شاركوا فى امتداح لهذه الغاية نجد السعيد الزاهرى الذى رثى الشيخ الهاشمى بجريدة (النهضة) 8 اكتوبر 1923 ، ومكـى جنيدى بن أحمـد الجزائرى الذى رثى العالم الشيخ سرية ، الذى كان ينشـر الاسـلام فى افريقيا ومات هناك ونشر هذا الرثاء (بالزهرة) 18 مارس 1924 ٠ وكذلك حمزة بوكوشة الذى نجده يكتب فى الذكرى الاولى لوفاة والده قصيـدا بجريدة (الوزير) 22 مارس 34 يعدد مناقب هذا الوالد الـذى علمـه ان يحارب العادات ومشائخ السوء كما نجده يتعرض للطرقيين فى قصيـده الذى استقبل به عمار الازعر ٠ حين عاد من الحـج ونشر (بالوزيـر) 27 جويلية 1933 ٠

(2) (الوزير) 10 أوت 1933 ٠

وهو يشير فى هذا الصدد الى أن الطرقيين كانوا يتخـذون مـن الهـزء والسخرية بالمجددين وسيلة للطعن فى ثقافتهم ومعارفهم ، بالانتقـاص ممـا يكتبون واعلان ذلك فى الناس حتى ينفضوا مـن حـولهم ، ويتشككـوا فى مواهبهم وعقيدتهم • وقد ادى تألب الطرقيين فى بادى الامر بالشيخ حمزة بوكوشة الى الناس من وضع شعبه ، وهو يراه ينقاد الى الدجالين ويبيح لهم امتصاص دمه وعرقه ، وذلك قبل ان يحسم الموقف لصالح الحركة الاصلاحية:

برمت مـن الاقـامـة فى بـلاد	يـؤول اهلها الكفـر الصـريحا
يقـودهـم المـدجـل للـزوايـا	وياخذ منهم الثمـن الـربيحـا
ليعطيهـم مـن الجنـات قصـرا	ويمنعـهـم اذا قـدر اتـيـحـا
وينفسهـم مـن العلـمـاء قـوم	بترك الديـن يشـرون المديحـا
ويخشون اليهود مع النصـارى	ولا يخشون منخلق المسيحا(1)

وهكذا نرى (حمزه بوكوشة) يواصل حملاته على الطرقيين نثرا (2) وشعرا طوال سنوات متعدده على صفحات الجرائد التونسية ، وخاصة جريدة (الوزير) معضدا فى ذلك الجهد الذى يقوم به زملاؤه خريجو جامع الزيتونة الذين باشروا حملتهم دون هواده على صفحات جرائد جمعية العلماء منذ العشرينات امثـال محمد العيد ، والسعيد الزاهرى ، ومحمد اللقانى السائح ، ورمضان حمود وغيرهم •

على أن الدعوة الى نبذ الطرقية ومحاربتها وفضح اهدافها اقترنت بمشاعر روحانيه اسلاميه أشعت فى هذا الشعر لتفصح عن مدى تغلغل العقيدة الدينية فى نفوس شعرائه الذين كانوا يعبرون بلسان الشعب الجـزائرى جميعـه ،

---

(1) (الوزير) 20 ديسمبر 1930 .

(2) من مقالاته فى حملته على الطرقية ما نشره بالوزير فى 10 ـ 1 ـ 1928 و 10 ـ 5 ـ 1928 و 8 ـ 3 ـ 1928 • كما نطالع بهذا الصدد مقاله للبشير العلوى بن داود فى مهاجمة الطرقية بجريده (الوزير) 21 ـ 6 ـ 1928 ؛ كما كان ساهم فى هذه الحملة على الطرقيه من التونسيين الشاعر حسين الجزيرى صاحب جريدة (النديم) فى اعداد جريدته خلال أشهر مـاى ، جوان ، جويلية 1923 حيث شن حملة على الشيخ احمد بن عليوة المستغانمى ناعتا اياه (بديوان الضلال) محذرا أهل عنابة من الانتساب الى حلقاته.

باعتباره شعبا مسلما وباعتبار البعد الاسلامي ركنا أساسيا من أركان الكيان الجزائري . فكان هؤلاء الشعراء يهتبلون المناسبات الدينية ليبثوا مشاعرهم من خلال القصائد مخاطبين في الشعب احساسه وعقيدته ومكارم رسوله المتمثلة في الحث على النهوض وتحطيم اغلال الجهل والاستعمار ، مثلما فعل ذلك (ابو بكر مصطفى بن رحمون) في ذكرى مولد الرسول حين توجه الى الشعب الجزائري المسلم يخاطبه في هذه المناسبة الخالدة بحماسة ومشاعر فياضة ، مبلغا اليه شكوى الرسول من أمته ونداءه اليها بالنهوض :

ايها المسلمون ان رسول الله منا يشكو الوني والخمولا
وعلى منبر الخلود ينادي أمتي حطمي عليك الغلولا
كنت لم تسع امة في مجال المجد الا وقد تقدمت ميلا
لربى العز كنت تسعين عدوا بينما الغير كان يسعى زميلا
كنت في قبة المعارف شمسا بينما الغير كان نجما ضئيلا
كيف أمسى منك التقدم احجاما ، وامسى الصداح منك هديلا
وغدا في شعوبك الدين غضبا ن وأمسى اللسان فيهم دخيلا (1)

وللتأكيد على هذه المعاني وتزكيتها نرى الشاعر يضمن شعره شيئا من المعاني القرآنية كي يبدو أكثر تاثيرا واقناعا :

وارى الله لا يغير ما بالقوم حتى يحاولوا التحويلا
كيف يرجو الوصول يا قوم من لم ينو سعيا ولم يحاول رحيلا
سنة الله في البرايا ولن تلقوا لما سن ربنا تبديلا

وعلى نفس النسق نرى الشاعر (عبد الله شريط) في ذكرى المولد النبوي الشريف يتذكر وضع أمته ، وما يكتنفه من المآسي والاحزان ، فتهزه الذكرى التي تثير في نفسه الجوى فيخاطب ما تخيله نجمة الذكرى بقلب مفعم بالالم، ويدعوها الى تملي هذه الحالة البئيسة علها تنقل صورة عنها الى الرسول عن الابناء الذين غدر بهم الدهر ، وعاكسهم الاحوال :

---

(1) (الصريح) 21 ديسمبر 1949 .

ذكرى الرسول لانت نجمتنا التى بقيت تطل وحيدة بين الدجى
فلكم تثيرين الجوى فى انفس باتت مصفدة باغلال البلا
ترنو اليك بذلة وكآبة وبعينها قلب يسيل من البكا
ويد الظلام تروح تخنق صوتها فتبيت مثقلة بانات الشجا
ايه انظرى يا نجمة الذكرى انظرى هذى النفوس وما تعانى من شقا
واذا رجعت كليلة مرتاعة وبوجهك الداوى اخاديد الاسى
ورآك احمد دمعة منسابة من مقلة الاسلام يدفعها القلى
قولى له ما قد رايت بارضنا وصفى له دنيا يزعزعها الضوى
وصفى له اهليه فى غفلاتهم والدهر يرقصهم كاوراق الغثا (1)

واذا كان الشاعران السالفان قد نظرا الى هذه الذكرى نظرة اسلامية روحانية ، واستلهما من وحيها ما يستلهمه الشاعر الثائر المتألم لاوضاع شعبه فان شاعرا آخر هو السعيد الزاهرى كان أسبق الى أن يرى فى ذكرى الرسول مناسبة عظيمة لاستنفار العروبة والاسلام معا ، ولوصل النسب بين الجزائرى العربى المسلم كيانا وارومة وجذورا وبين هذا القحطانى العربى الذى أضاء مولده الارض ، فكان هلالا انجابت بنوره سحب العالم وانبعثت العروبة من مرقدها لتصبح احدى الامم التى يفاخر الجزائرى بالانتماء اليها دماء وحضاره وعترة ونسبا :

هلال على الدنيا استهل فاشرقت به الارض وانجابت عن العالم السحب
فاصبح من بين الكواكب رافلا وليس لها الا هلال الهدى قطب
رآه ابن قحطان فايقن انه هدى ليس فيما قد تيقنه ريب
فنادى به فى العرب هذا هداكم فاقبل سرب منهم بعده سرب
اذا كان سعدا للعروبة طالعا فانا وان غارت طوالعنا عرب
وانا وان هنا وهانت ديارنا هوانا، فما زلنا الى عزة نصبو (2)

---

(1) (المباحث) 11 فيفرى 1945 .

(2) (وادى ميزاب) 28 سبتمبر 1928 .

هذا الاحساس بالنخوة والقوة ، واتخاذ الدين رغم هوان المسلمن وانحطاطهم وسيلة تحريض واستنهاض ومظهر اعتزاز ، لم يظهر بجلاء فى هذا الشعر الجزائرى المهاجر الا منذ ظهور الحركة الاصلاحية فى العشرينات وبعدها ، اذ نجد قبل مطالعة هذه القصائد المفعمة بمعانى الظفر والشدة شعرا يشكو غربة الدين الاسلامى ، وقلة انصاره فى بكاء وحرقة محملا الغرب كل ما اصاب هذا الدين واهله من اضطراب وشتات على غرار ما كتبه الشاعر (مصطفى محمود النبسى الجزائرى) فى سنة 1920 (الدين والانصار) قائلا فى شكوى الضعيف المستضعف :

الدين من قلة الانصار فى كدر ومن حوادث هذا العصر فى ضجر
اضحى غريبا عن الاوطان فى حرج يمسى ويصبح فى الالام والضرر
لهفى على الدين فالغبراء فى قلق مذ بان عنها فغاب نجمها الزهر(1)

والقصيدة لا تكتفى بالشكوى المريرة من قلة الانصار الذين يمكن ان يهبوا لنصرة هذا الدين ومد يد العون له ، ولكنها تحمل مسؤولية ما حدث للدين الاسلامى وأهله (أوربا الغادرة) التى نزعت نزعتها الاستعمارية الصليبية لتبسط نفوذها على جميع العالم الاسلامى وتوهن عزائم اهليه .

والاسلام فى شعر بعض هؤلاء الشعراء لا يجسم فعط الركن المكين من الكيان الجزائرى بقدر ما هو رابطة متينة وعروة وثقى تشد أبناء القطر الشمالى كله ونوحد بين شعوبه المتآخية اضافة الى ما يوحد بينها من الامشاج العربيه .

هذه الفكرة برزت فى القصيدة التى خاطب فيها الشاعر (عبد الرشيد مصطفاى) طلبة شمال افريقيا المسلمين فى مؤتمرهم الذى عقد بتونس شهر اوت 1931 ، حيث وقف بذكرهم بالوشائج الاسلامية وبنور الاسلام الذى ليس يخبو ، ولم ينفك هاديا وأمانا لوحدة شعوب هذه الاقطار المغربية :

ارى الاسلام نورا ليس يخبو ولم ينفك للهادى اماما
لقد ضم الجزائر وهى خود الى الخضرا ومراكش ضماما

(1) (الوزير) 24 جوان 1920 .

فكـن بـه فرائـد سـاحـرات رايت التاج يسطـع والحـزاما
وكـان لهـن مـن ابنـاء سـام اسود شـرى عزيـز ان تـراما
فـالف بينهـم ديـن دعـاهـم لينزلهم من الخلـد المقامـا (2)

هكذا حمل الشعر الجزائرى المهاجر قبل الثورة هموم الوطن الجزائـرى وافصح بحرية وانطلاق وشجاعة عن ارتباطات هذا الوطن القومية والاسلامية سعيا منه الى اغاضة المستعمر الذى عمل كل ما فى وسعه على قتل الشخصية الجزائرية وطمس معالمها ، ومحاولة فرنستها وتشويه لغتها ، وتلويث عقيدتها بافساح المجال للمشعوذين واصحاب الطرق • كما سعى هذا الشعر الى بث روح النخوة والهمة وتثوير الشعب الجزائرى باحياء تاريخه المجيد وتبصيره بسيرة أسلافه الذين خاضوا المعارك الظافرة وبسطوا نفوذهم شرقا وغربا •

وقد استمر هذا العمل الاستنهاضى متواصلا منذ مطلع القرن بظهور عمر بن قدور وأضرابه وحتى الجيل الذى عاش مرحلة الثورة ، وكان أحد اصواتها البارزة عبر الصحافة التونسية ، والذى تمثلت رسالته لا فى الدعوة الوطنية والعروبة وتأكيد البعد الاسلامى للشخصية الجزائرية فقط ، ولكنه نهض بازاء كل ذلك بمهمة الاستنهاض وبث الحماس وتعبئة المشاعر ضد المستعمر، والدعوة الى مواجهته بكل اشكال المواجهة السلمية منها والعسكرية •

د• محمد صالح الجابرى

(2) نشرة (محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين) تونس 1931 ــ المطبعة الاهلية نهج الديوان 5 تونس ص 11 •

أنقاض طائر الجمر

شعر : هِشام الممّدي

\- 1 -

حَجَرٌ ..

وَطِينٌ ،،

وجنونٌ ينتقي غضب الجُنُون ،،

وَرَمَادُ اللّيلِ

على لحْدِ المَدَى ...

والغُربةُ الأولى ..

لا تؤدّي

إلى لوْحِ الصّدى ...

وَيَدٌ ..

تَنتَقِي جُثَثَ المَوْتَى

\- 2 -

وحَبْلٌ ، ..

رَحِيلٌ

ولظَى ...

* * *

هَذِي

يَدِي مَكْنَهَى

وبابٌ ،،

سُحُبٌ ،،

خرابٌ ،،

* * *

هَذِي

يَدِي خشب الجنون ،،

غُدَدٌ

كِتَابٌ

وَالرّيحُ شَدَا .. ،،

\- 3 -

سقطت

أنقاضي ..

والماضي ..

شَجَرٌ ..

وَرَقٌ ..

حُفَرٌ ..

\- 4 -

لا النّارُ نارٌ

والمقفّى مُقتَضَبٌ
لاَ إخوتي .. إخوتي ..
عُشْبُ الحَصَى
يَدْخلُ المقهى وَحيدا
والظلّ
مفتَرَق الكلامْ .. ،
وعَذارَى الصّمتِ
على أنْقَاضِي تَنام .. ،،

- 5 -

وَحلٌ ،،
ضَبَابٌ .
وَحلٌ ،،
رحيلٌ ،
وَلَظَى ...

- 6 -

هلكتْ زوَايَا العمرِ
مرّ الماءُ
مبتهجا ،،
ونوق الرؤية اندثرتْ ...
وأنا السياجُ
مرّتين ،،
ومرّتين أنا الهلاكُ
وأنا المطرُ الآتي

في دمِي تصطفّ نجومٌ
وحمّى البرجِ
على شفتي قمرٌ ..
أدخلُ المنفى وحيدا
والحلمُ متضح الغمامْ
عصفورة الدفلى ،
ورائي .. ،
وأمامي
لَظَى المطر ،، .
والماءُ في قلبي ..
وقلبي يَمّحي
والحُبّ .. حصَى .. !
والغربة الأولى ،
لا تؤدي
إلى فجّ الصدى .. ،

- 7 -

هذا أنا ، لغتي الغيمُ
والرّملُ
وَجْهي ،
وَدَليلي
أقواسُ الشّذا .. ،
أفتحُ ، الآنَ أنقاضي ...
وأضمّ طيورَ الغيبِ إلى وجهي المضاء

صَوتي على وجهي
وجهِي على صوتي
صَوتِي على صَوتِي
وَجهِي على وَجهِي
وبُخارُ المنفَى .
يَختَرِقُ السَّماءْ .. ! ،

ـ 8 ـ

مَنَحتَنِي قَامَةُ الأنْقَاضِ
أبعادَ الرحيلِ المرّ
علَى عشبِ الضبابِ
مَنَحتَنِي على سُحُبِ اللّيْلِ
مُقتَرحَ الجفَافِ ،،
والضوءَ
علَى قيْحِ الخرَابْ .. ،
مَنَعَتْ
لُغَتِي ، عَنِّي .. ،
وَدَمِي عَنِّي ،
وَعذَارَى البُرْتقَالْ .. ،

ـ 9 ـ

وَحَل
حبّاتُ وَجهِي
ولَظى دقّاتُ قلبِي ،
وقَلْبِي ..
يمّحي ..
وأنَا أمْشِي /
وَحوْلي البحرُ /
يمشي
وطني /
وَأنَا أمشِي ...
وَنُحاسُ المَاءِ على الحطبِ المكسور
في لوحِ الرمالِ
وَدَمِي أعشاب شمسٍ
وأقراص ريحٍ
تَنتَهِي ..
تَنتَهِي ..
أنتَقِي
شَهوَتِي
وعذارى البرتقالِ سَوْف تُخفِي
تَعَبِي ،

ـ 10 ـ

شاغِرٌ ..
هذا المَدَى .. ،
شاغِرٌ ... هذا المَسَا ..
شاغِرٌ .. حتّى .. أنَا .. ،
وَعذَارَى الرّيحِ .. رِيحٌ وَشَذَا ..

هشام المحمدي

هى الاقــــوى

قصــة : عـايـده عبد الحميـد

لم تحاول فى يوم ان تجرح كبرياءه او ان تسىء الى مشاعره رغم انها كانت تلاحظ استخدامه المستمر ، للكلمات القاسية فى تعبيــره وفى تصــويــره لاحاسيسه ..

كان حوارهما ـ حتى وان كان غزلا ـ سمفونية حزن تتغلغل حتى الاعماق ، كان كل منهما يقسو على نفسه وعلى من حوله ، كل منهما كان يعيش الكلمة القاسية التى كانت تجعلهما ينزفان على ممر الايام .. وتجعل اعماقهما تئـن حتى تقل غربة ضارية ..

صراخ يعلو حتى الشفاه ولا يخلف غير الصدى .. الصدى الـدوى فى صمت .. الصدى المرعب المدمر ـ كان ذلك ما جمعهما زيادة عن انها كانت مثله طفلة فى حاجة اكيدة الى يد حانية تسندها .. فى حاجة الى من يصرخ معها ويقول : «لقد اسانا الى هذا الزمن .. اسانا اليه باساءتنا الى كلمتين عملاقتين عليهما يقوم العالم منذ الازل :

كلمة «الحب» وكلمة «الحضارة» .

كلمتان فى حجم الزمان اهدرناهما واهنا نبل ما تهدفان اليه ..

هو الآخر اختصاصه «حضارة» .. لعله يفهم اكثر من غيره فى العلاقات الانسانية لعله يحرص اكثر من غيره على الا يهين كلماته وعلى الا يهين مشاعره وعلى الا يجعل للعقل الكلمة الفصل فى كل شىء فاحيانا تكون العاطفة اوضح رؤيا وانضج قرارا ..

علمها ان شرف المرء رجلا كان او امراة انما هو الصدق ..

صدق القول وصدق الفعل ..

علمها ان الرجل الفطن لا يجعل من امراته حيوانا غبيا يرقد بين قدميه .. بل يجعل منها شريكة له وندا وانه يعجب بعقلها وبذكائها وبمواقفها فى الحياة اكثر مما يعجب بجسدها وبلون عينيها ..

كم مرة قال لها : انه فى حاجة الى رأيها !

نفذت كلماته الى اعماقها فاسكنت للحظة الصراع الذى كان بينها وبين الرجل لم يشعرها فى يوم بانها دونه فى شىء .. على العكس كان يهرع اليها فى كل مشكلة صغيرة كانت أو كبيرة يستعين برأيها فيها .

ربما أرضى ذلك غرورها ولكنها لم تحس فى يوم انه اضعف منها .. ان عينيه تمتلكان قوة عميقة ترضى لديها شيئا ..

كانت نظرة الاحتياج فى عينيه اليها تصر لا على انها الاقوى بل على أن شيئا قويا عنيفا كان يجمع بينهما ..

احست انه مثل الاطفال يفرح ويحزن ويضحك ويندهش وينبهر ويغضب كانت له ــ مثلها تماما ــ آمال وطموحات وتطلعات اغتالت الظروف بعضها ولا يزال الأمل يراوده فى ان يعطى الحياة للبعض الآخر .. قليلون هم الذين تشعر ــ وانت معهم ــ بالثقة والامان والاطمئنان .. عندما تراه تشعر وكانها قد عثرت على الوجه الذى يعيدها الى طفولتها ، الى الايام البكر ، الايام التى لم تعرف فيها الخوف او القلق او التردد .. منذ اول يوم راته فيه ، شعرت انها مثله تبحث عن مرفأ يريحها من عناء الطريق .. كان مثلها يبحث عن مستقر .. عن ظل ظليل يريحه من عناء مبهم ..

« لقد تعبت وتعبت جيادى » كلمات كان يلقى بها بين الحين والحين فترد عليه ضاحكة «انت الذى اتعبت الجياد واتعبت نفسك» .
فيحتمى .. بها وتحتمى .. به ..

كانا سعيدين رغم قسوة الكلمات بينهما ..

الذى يراهما ــ وهما معا ــ يقول : «ان بينهما صداقة شبه خرافية» والا فلم كل هذا الخوف ، خوف كل منهما على صاحبه من ان تقتحم حياته صداقة جديدة ..

كان عيبهما انهما يبنيان في كل يوم احلاما اكبر من طاقة اى انسان ..
وكان الذى يدور سرا في داخلها والذى يدور سرا في داخله ، كانت لهما القدرة على معرفته دون أن يجهرا به وكانت تلك أبرز علامات عظمة العلاقة التى .. بينهما ..

بالرغم من كل ذلك فهناك وحش مخيف مرعب يداهمها عدة مرات في اليوم : المفروض والواجب ..

عقلها اليقظ يشدها باستمرار الى صور من واقعهما الكئيب ..

لماذا تحس احيانا انها الاقوى عندما يتعلق الامر بالآخرين .. ترى نفسها الأقوى .. .. انه لا يجرؤ على مواجهتهم .. من هم هؤلاء الذين اعطوا انفسهم الحق في .. ان يتدخلوا في حياته ؟

لماذا يشيرون عليه بان افعل كذا ولا تفعل ذا .. ؟

لماذا لا يكون هو الذى يشير عليهم .. ؟

حملقت في .. الواقع بمنحن رفيعها .. اليست الحياة سلسلة امتحانات متسلسلة ؟

اخفت وجهها وبقيت بعيدا تحسبر هذا الذى اصبح شيئا منها .. جزءا لا يتجزأ من كيانها ومن اعصابها ومن دمها ..

★ ★ ★

دبت الاصوات .. بعضها همس وبعضها نظرات لاسعة في صمت .. في حزن مقيت قالت لها جارتها العجوز :

«لماذا لا تتزوجين يا ابنتى .. انك لا تزالين شابة وفي مقتبل العمر .. جارنا سالم يريدك وله مثلك طفل»

شيء لاسع مر يحرق حلقها ..

«اتزوج جارنا سالم يا خاله .. لماذا .. الأنه غنى .. الأننى تزوجت مرة ولم اوفق .. الآن لى طفلين شعرت بمسؤوليتى ازاءهما فاخذتهما ليعيشا معى .. ثم الا تعلمين ان وحيد يريدنى .. واننى احب وحيد» ؟

قولى .. يا خالة : ماذا سمعت.. ماذا قالت لك أم وحيد ؟ تكلمى.. ارجوك ! كانت الجارة العجوز واقفة محملق في الفضاء ساكتة خرساء ..

طال الوقت وهى على هذه الحال ٠٠ لم تقل كلمة واحدة وقبل ان تمضى وتتركها قالت :

« فكرى فيما قلته لك يا ابنتى .. وحيد اعزب وانت معك طفلان » .

احست بها تختفى رويدا ٠٠ رويدا ٠٠ ومعها كان يختفى صوتها شيئا فشيئا فلا يخلف وراءه غير صفير حاد مؤلم وغير الحيرة والدوار ..

لماذا تستهين بخبرة جارتها العجوز وبخبرة كل من حولها لتدور فى فلك مبادىء ونظريات لايمكن تطبيقها فى واقعنا ٠٠

ولكن وحيد ٠٠ امكن ان يكون مثلهم ٠٠ ما ذنبها ان كان وحيد اعزب وان كان معها طفلان ؟

ايطيح وحيد بضميره وبتفكيره الحر المستقل ليخضع لمن حوله ؟

هل يعتنق مثلهم تفكيرا زائفا ليعيش بينهم بوجه غير حقيقى ؟

اليس هو الذى علمها كيف تمارس الصدق والعدل والحب والحرية مع كل من حولها ؟

اليس هو الذى كان يلح على تلاميذه وتلميذاته بان تكون لهم استقلالية الرأى فى تعبيرهم وبان تكون مواقفهم نتيجة نشاطهم الذهنى ، الخاص وبان يرفضوا اذا أرادوا أن يرفضوا ويصححوا أن ارادوا أن يصححوا حتى لا يكون تفكيرهم زائفا ورغباتهم زائفة وافعالهم زائفة ٠٠ ؟

هذه الثورة ، الثورة ضد التبعية والمسخ والغاء الذات وبان تكون انت ابنما كنت البس ذلك ما قربها اليه وجعلها تحرص على رفقته حتى فى احلك الظروف ٠٠ هذا الطيف الذى تعرفه اعماقها تعرف نظرة عينيه وتعرف نبرة صوته وتعرف شكل أصابعه .. أين تجده .. كيف تمسك به فى هذا العالم الواسع المزدحم ؟

لماذا ينفتح لها معه عالم واسع جديد ثم يتركها ويذهب ٠٠ ؟

انه الوحيد الذى اشعرها بان المراة تحتوى فى اعماقها على رجل وان الرجل يخفى بين ضلوعه امراة ٠٠

قال : إنه لا يمكن أن نفصل احدهما عن الآخر .. أحست أنه مثلها صاح ونظيف فاحبته وآمنت به ٠٠ لم تتصور انها ستفقد ايمانها به ذات يوم ٠٠

لماذا يفتح الناس افواههم فى دهشة ؟ لماذا يتهامسون ؟

أليس من البديهى أن تسأل عنه وكيف تسأل عنه وهو الذى تركها لينـدس بين الآخرين .. ؟ وليضيع فى الزحمة ؟

كانت ترمقه وهو يسير موليا لها ظهره وسط جموع محتشدة من البشر.. يبدو انه قد فقد القدرة على النطق فنطقوا بداله .. كأنها تشفق عليه .. لماذا .. لماذا يخذلها .. لماذا لا يكون وحيد الذى عرفته ؟..

فى هذا اليوم احست بانها الاقوى بالرغم مما خلفه وراءه من مرارة وبالرغم من قسوة الكلمات بينهما فيما مضى من ايام فانها احست انها الاقوى لانها تستمد قوتها من ذاتها .. من ارادتها ومن اختيـاراتها .. لا المكـان ولا الزمان ولا الناس فى مقدورهم ان يفرضوا عليها شيئا هى لا تريده ولا تؤمن به أساسا ..

نظرات حادة كالخناجر ترشقها .. كان بامكانها أن تفعل مثله لتظفر بوجه اجتماعى يعجب الجميع ولكن لا .. ليقل الناس ما يقولـون .. أليس المهم أن يكون معها رجل او أن يكون المرشح طبيبا أو محاميا أو ذا مال وسلطـة .. الاهم ان تحتوى رفيقها وأن يحتويها احتواء كاملا .. ان يشعرها انها نـد له وشريك ضرورى ، لا يمكن ان يستغنى عنه فى شىء .. ان تشعر انها تحبه فوق القوة وفوق الحب ..

أين هذا الرجل الذى ارادته فى يوم من الايام .. لقد ضاع منها فى زحمة افكار ساقها الخوف المقيت . وتلاشت بضياعه أجمـل أحلامها معه .. الاحلام الممكنة والاحلام المستحيلة .. وعادت حياتها الى رتابتها بعد ان فقدت حركيتها انها تركت كل شىء .. النوم والاحلام ..

* * *

لم يعد فى مقدورها ان تفعل شيئا .. ما عدا الهرب ..

مجموعة مبادىء تقول : انها مبادىء رفيعـة ولكنهـا لا تنسجـم وواقـع الناس .. لماذا تكـون مبادؤهـا هى التى قضت عليهـا .. هى التى امتصت عمرها وهى التى جعلتها فى صراع دائم مع الواقع .؟ شىء مؤلم جدا .. كان عليها أن تفقد احترامها لنفسها لتحظى باحترام الآخرين ..

ماذا كان يجرى لو انها وضعت قناعا كما تفعل الاخريات ؟

لو انها كانت امرأة .. مجرد امرأة كما يقولون .. اللحظات لديها متشابهة والرجال كل الرجال سواسية لا فرق بين هذا أو ذاك الا بما كسب وامتلك.. امرأة لا تعرف ما نوع العلاقة التي بينها وبين رجلها .. الذى تعلمه أن هناك علاقة بينهما .. ما داما يعيشان معا .. وما دامت بينهما مصالح مشتركة .. وما دام بينهما أطفال .. امرأة لها اسرار يجب ان تخفيها ولها أفكار لا تكشف عنها الا لجاراتها وبعض قريباتها ولها احلام تنتهى واحلام بعلها تلك هى حياة اثنين حياة تكثر فيها المجاملات ان لم أقل الكذب وتكثر فيها الاقنعة ويشتد فيها الضجر وتراعى فيها المصلحة .. مصلحة المال والعيال .. قاعدة أساسية ، للاستمرار معا ، ماء عكر لا يصلح لغير الضفادع التى وان كانت تقضى يومها كله تنقنق فهى عاجزة عن ان تتطلع الى السماء ..

واستها هذه الحقيقة بعض الشيء !

أحست أن الحقيقة معها وانها صاحية ، بل أحست انها اقوى واعظم من الذكر نفسه لأنه عاجز مثل ضفادعه عن ان يطير ..

ان القيود تكبل رجليه ويديه وتسلسله سلاسل من ذهب .. ينطوى تحتها صاغرا ليخفى بين ضلوعه كيانا كئيبا وآمالا مسحوقة ، بالرغم من كل ما يتظاهر به من قوة وغطرسة وحب فى الامتلاك ..

* * *

ـ الهرب ، ومتى كان الهرب حلا أفضل لما يعتمل فى النفس من أوجاع ؟

ـ انني اختنق .. اختنق يا رجاء ..

ـ عيبك انك لا تبكين ..! انك صديقتى يا سعاد وأعرفك جيدا .. لو بكيت لاسترحت ولكنك اقدر على التفكير ..

ساد الغرفة صمت .. انحنت رجاء لتحتضن رفيقتها قالت :

ـ كيف تحتمل نفسك كل هذا ؟

قالت سعاد فى ألم وكأنها تحدث نفسها .

ـ فكرت فى السفر يارجاء عله يحملنى بعيدا عن نفسى ..

ساعتها شعرت بالخوف .. كأنما خفت ان يتوقف قلبى عن المقاومة .. وهو الذى تعود ان يكون ثابتا فى كل الحالات ..

ـ لماذا تحاولين الهرب ياسعاد .. ومن أى شيء ستهربين ؟ أتهربين من نفسك .. من اشياء لصقت بكيانك وسارت مع دمائك ؟ أتحملين كل هذا وتقولين : إن السفر سيحملك بعيدا ؟

ـ لم نعد لى القدرة .. لم نعد ..

ـ اذن فانت شبيهة بالاخريات .. متفادين لمفاهيم خاطئه ومتأثرين بافكار ضحلة لم تنضج بعد .. اين هى افكارك النابعه من ذاتك .. أين هى نفسك.. يبدو انك قد فقدتها وسط هذا الصراع الحاد بينك وبينهم . صعب ، صعب يا رجاء ان تشعرى انك فوق العادة ٠٠ فوق المألوف ٠٠ هذا الصعود الى فوق يجعل المرء يفقد انتماءه الى من هم حوله ويشعر أكثر بالوحده وبالضياع وبالتشـــرد ..

فرغم تلك القدرة المفسه التى تساعدنا على ان نستخدم عقلنا وتفكيرنـا لنحظى باستقلالنا ولنكون لنا موقف فنحن نضيع فى كل مره نصطدم فيها بتلك النظرات المحدقة بنا والتى بها ألف سؤال وسؤال ..

كاننا بين اهلنا غرباء .

ـ ولكن الاغرب انك تشعرين بقوه ازاء هذه النظرات وازاء اصحابها ..

ـ بلى ، افلسوا هم الذين أصيبوا بمرض فقدان الذات ومن ساعتها لـم يعرفوا غير الانحناء .

ـ اذن ، فلم كل هذا الحزن ؟

ـ كيف لى يا رجاء أن اواجه الجديد وتفكيرى مشدود الى الوراء !؟ كيف لى أن اتعامل مع المستقبل بدون خوف وأنا كلي قلق على مـا مضى وعلى مـا سيـأتى ؟

وحيد فى حد ذاته لم يعد يعنى شيئا بالنسبة لى يا رجاء .. ولكن وحيـد كمحتوى ، كفكرة .. كتجربة .. لا يمكن أن يموت مرة ثانيه ..

وحيد الذى تعرفينه يا رجاء تافه رغم قوة عضلاته ورغم أفكاره التى تهرب بها فى اكثر من مرة ، بل من قال انها افكاره .. وانها نابعة عن مواقفه وعن احساساته . اننى بت اشك ، فى كل شيء . أرأيت .. كان وحيد وهو معى لا يكف عن الحركه وعن الضجيج وعن التفكير وعن الابتكـار وكنت أحـب ضجيجه واحب حركته واحب افكاره وابتكاراته رغم ما فيها من ازعاج ..

لماذا نراه اليوم وقد فقد السمع والبصر والكلام وليس حوله غير سكون القبور ؟

ـ تنبهت اذن الى انك قد اضعت شوطا من عمرك فى صراع لا أرض له .. من أجل من .. من أجل كائن زائف .. ورغبة زائفة وأمل ليست له جذور ..

ـ أجل يا رجاء .. ولقد قادتنى هذه الحقيقة الى احساس رائع .. احساسى باننى لم أضيع شيئا جديرا بان آسف عليه •

في هذه اللحظة يا رجاء تعود بى الذاكرة الى وراء .. وراء جدا .. فيتراءى لى عبر الغيوم طيف لا يهمنى تركيبه ولا مضمونه .. الاهم اننى أحس كلما أذكره بيد حانية تحضر لتمسح حبات العرق عن جبينى ..

انه احساس دفين بوجود قوة تعيش فى أعماقى منذ أبعد الازمان ،تجعلنى افتح صدري لهواء نقي ليس فيه ما يلوثه كلما أحسست بالاختناق !

امسكت حقيبتها ووقفت .. كانت الدموع تنهمر من عينيها حارة غزيرة .. قالت لها صديقتها وهى تقبلها :

ـ الم أقل لك يا سعاد .. إنك تضيعين عمرك فى هذه المعارك .. ارفقى بنفسك .. ولا تظلميها أكثر .

تركتها وخرجت . صديقتها بالرغم من أنهـا تحاول ان تفهم فهى لا تفهـم شيئا .. لانها هى الاخرى نسخة من حداتها وجاراتها وعماتها ، ولكنها أفضل منهن بقليل لانها تسمعها الى النهاية دون ان تتذمر منها وفى كل مرة تعيـد عليها ما سمعته منها اليوم : « ارفقى بنفسك ولا تظلميها أكثر » .

* * *

عادت الى البيت كطفلة تشتاق الى أهلها ..

بالبيت طعم جديد .. كانها لم تكن به منذ سويعات .. لماذا احست بأنهـا قد عادت اليه وكأنها آتية من بعيد ..!؟

كل شيء بالبيت جميل .. انجهت الى النافذة تفتحها .. تطلعت منها فرأت سماء آمنة تكسو ما فوقها وخضرة طبيعية يانعة تغلف الارض احست ساعتها بالحياة تدب فى أوصالها وتمنحها الامن والدفء والرضى .. وأيقنت ساعتها وهى بين أهلها أن المرأة التى ترفض ان تغير وجهها وان تتنازل عن آرائهـا كانسان شريف له كلمة وله موقف وله كيان هى المـرأة الاصـل .. المـرأة الطبيعية التي يكون تفاعلها مع من حولها تفاعلا صادقا ومثمرا .. وهى المرأة الأسعد لانها تعيش لحظة الصدق عبر كل اللحظات وانها المرأة التى يمكـن للدول أن تعتمد عليها فى بناء حضاراتها لانها المرأة الاقوى ..

سابقت إذذاك الى ذهنها أسماء عديدة لنساء صنعن التاريخ فابتسمت .

عـايده عبـد الحميـد

صوت الفقراء لبودلار

تعريب : محمد بن صابر

سخر الدهر ففي الموت عزاءْ
غاية العيش وقد بات الرجاء
هو كالإكسير يحيينا انتشاء
وبه سرنا إلى حد المساء

كان في الإعصار والثلج الكئيب
نورنا الأسنى على الافق الرهيبْ
نُزلنا الرائع في الغيب القريب
حيث في الرّاحة والأكل نصيب

ببنان السحر قد جاء الملاك
لك بالنوم وبالحلم سباكْ
بوطاء أيها العاري حباك

يا جلال الله يا كنز السّماءْ
تالد الأوطان ذخرُ الفقراءْ
أنت بابٌ فيه للغيب ارتقاءْ

دور الأدب العربي في مواجهة التحديات

بقلم : د . نور الدين بلقاسم

ـ 3 ـ (*)

1 ـ تناقض رجال الفكر بين القول والفعـــل :

أدى هذا التناقض الى عدم ثقة الواعين من الجمهور القارىء بالفكر ، وهو ما دفع بالكثيرين الى نشدان الوفرة والكسب علـى حساب العلم والثقافة . فقد اعطى انطباعا سيئا للناس كثير مـن الذين يدعـون التقدمية من رجـال الفكر ، ويركزون مفهومهم للتقدمية على معارضة الدولة ، فاذا ما أتاحت لهم الدولة نفسها فرصـة الاندمـاج فيها ، فانهم يبـدأون بالامتثـال وينتهـون بالتماثل . فاذا ما أصبح الفنان شريكا للدولة فانه يسقط فى تبرير عنـف السلطة ، و « العنـف ليس هـو البوليس والجيش فقط . هـو الصحيفـة الرسمية ، الكتاب الرسمي ، الاذاعة ، التلفزيون ، المدرسة ، البيت ، المعمل ، المتجـــر » . (5) .

فعنف السلطة هو كل ما يعلن الاخصاء والعقم والانسداد .

والفنان الذى يبرر هذا العنف هو فنان غمر واع وغير مبدع وغير منتج ، وهو عادة ما يكون اما من اليمين المتخلف ، او من اليسار الانتهازى .

ان الفنان الحق مكلف بالانطلاق من تحرير حيزه الاجتماعي لكي يتوصل الى تحرير حيزه الايديولوجى ، وعندما يبلغ الفنان هذه المرحلة يكف فنه عن أن يكون جزءا من العملية الاستلابية التـى تقوم بها السلطة ، وعندها يتمكن من انتاج النص المضاد للنص السائد المتهرىء (56) .

(*) أنظر الفكر ع : 6 و 7 ـ س 30 ـ 1985 .

(55) نفس المرجع السابق : 63 .

(56) محيي الدين صبحي ـ مضادات ثقافية ـ مجلة الكفاح العربى : 63 .

هذا الفنان القادر على تحرير ذاته وتحرير حيزه الاجماعي هو الذى سيكون الانموذج والمثال للانسان العربي المقبل ، وهو الذى سيكون المبشر بنمط الحضارة العربية القادمة ، وبأسلوب بنائها وبطرق السلوك اليهـا .

2 ـ جر الشعب الى السطحية والابتذال الثقافي :

وما سبق ذكره يندرج في نطاق جر الناس ـ بما فيهم رجال الفن والادب ـ الى الابتذال والسطحية الثقافية ، فهناك أقليات كثيرة على رأسها بعض الاقليات من أصحاب رؤوس الاموال وأصحاب القرار السياسي ، تحاول أن تنفه الشعب بجره الى الابتذال والسطحية الفكرية والهزال الثقافي . فتعمد الاقليات المذكورة الى فرض أدبائها وفنانيها ومفكريها الذين يخدمون مصالحها ، فتمكنهم من الاذاعة والتلفزة والسينما والصحافة ، وهى تعلم ان قيمهم وانماط سلوكهم لا تمت الى الشعب بصلة ، لانهم تجار فكر وثقافة ، لا تشكل قيم الشعب الاصلية في نظرهم أكثر من الفاظ مستهلكة وهم في انتاجهم الادبي والفني كلاميون وطفيليون يبحثون عن الشهرة والصدارة لا عن الحق .

وسوق الناس الى الهزال الثقافي هي حيلة ابتكرتها الطبقة المسيطرة للاحتفاظ بامتيازاتها غير المبررة ، ولتغطية الصراع الاجتماعي الحاد ـ بين الاصيل وغير الاصيل ، وبين الثابت والمتحول ـ بفئة ممن يتصفون بالفكر ، برغم أن هذه الفئة لا تمثل فى الواقع الا القشرة الطافية فى الفن والادب ان لم أقل في السياسة كذلك (57) .

ولعل هذا ما جعل كثيرا من المفكرين العرب الممتازين يعيشون في الظل والتعتيم ، لانهم لا يخدمون بفكرهم الاقليات العليا ، وانما يخدمون الشعب وقيم الشعب ، ويحاولون برغم الضغوط ـ تحريك الركود المخيف فى الواقع الاجتماعي ، ومحاربة عفلقة « لكن الطوفان ما دمت في مأمن منه » .

---

(57) الياس لحود ـ أدب الابتذال ـ مجلة الكفاح العربي : 69 ، العدد 50 ـ 733 ، السنة 5 ، الاثنين 28 ايار ـ 3 حزيران (يونيو) 1979 م.

3 ـ سيادة الامية احطت من شان الادب :

ومما أدى الى الهزال الثقافي والنسيب الفكرى سيادة الامية في الوطن العربى « فنسبة الامية بين الذكور 60،5٪ ، ونسبة الامية بين الاناث 85،7٪ ، فيكون المحموع العام بين الاناث والذكور 73٪ من الاميين . » (58)

ان امة فيها هذه النسبة من الامية لا يمكن أن تنتشر فيها قراءة الادب انتشارا واسعا ، ولذلك لا يمكن للادب ان يؤثر فيها .

فالادب في هذه الحالة لا قيمة له ما دامت الجماهير غير متعلمة لانها لا تستطيع القراءة والكتابة ، وهذا يجعل الجماهير نفسها غير واعية بالواقع غير محيطة به لنخلفها الذهنى والوعوى . وقد زاد في الطين بلة سببان آخران هما :

أ ـ معاناة الحماهير من سيطرة السلطة وتحجيمها لكل مناضل شريف

ب ـ الفقر المدقع الذى تعانيه نسبة كبيرة من هذه الجماهير ـ رغم كثرة الموارد والسيولة المالية خاصة في الاقطار العربية البترولية ـ وهو ما جعل الجماهير نفسها تتلهى بالضرورات اليومية ، فلا تعنيها ـ لذلك ـ الثقافة ، كما لا يعنيها الفكر بكل مناحيه لان مطلب الخبز عندها فوق كل اعتبار .

وافتعال الخصاصة الاقتصادية ـ التى نعيشها نسبة من الجماهير ـ هى حيلة أخرى ابتدعتها الاقليات الصانعة للقرار ـ بالاضافة الى رداءة الظروف الاقتصادية العالمية ـ سيرا على القاعدة : « اذا جوعت كلبك يتبعك » .

وقد قلل من شان الادب كذلك سببان آخران هما :

أ ـ الفهم الخاطىء للمعاصرة .

ب ـ والفهم الخاطىء لعالمية الادب .

أ ـ معنى المعاصرة الادبية :

يؤكد أعداء الحضارة العربية أن المعاصرة هى الارتباط كليا بحضارة الغرب ، لان الغرب سبقنا بمراحل كبيرة وطويلة ... علينا كي نحذو حذوه

---

(58) نور الدين بن بلقاسم ـ العربية بين الواقع والامكان ـ مجلة الحياة الثقافية التونسية : 71 .

ونلحق بركبه أن نخطو خطواته ، بل علينا القفز عشر خطوات أو مائة خطوة مقابل كل خطوة يخطوها الغرب ، كـي نصل الـى ما وصل اليـه ، ويؤكد أعـداء الحضـارة العـربية أن علينـا ـ كى تتم هذه الخطوة ـ رفض السلفى والتقليدى من الفكر عندنا حتى تكون المعاصرة هـى المعادلـة الحضاريـة الانسانية على مختلف المستويات . (59) .

والحقيقة أن هذا خطأ فادح ، ومغالطة واضحة فالمعاصرة فى الادب تعنى الامور الثلاثة التالية :

1 ـ أن يكون النص الادبى مفيدا للعصر ولو كان قديما ، بحيث تدفـع هذه الافادة عجلة الفكر والتطور الى الامام باستمرار ، وعلى هـذا الاساس فان الفلسفة العربية والادب العربى القديم معاصران برغم قدمهما .

2 ـ أن يعيش الاديب مشاكل عصره وقضاياه بعمـق حتى يكون المفكـر الواعى والضمير الحـى المعبر بصدق عن هذه القضايا .

3 ـ المعاصرة تعنى كذلك أن نواصل الطريق الذى بدأه أجدادنا العظام فى فتح العالم وتحريره من الجهل والسقوط والانحدار ، وذلك بخلق مفهوم انسانى شامل للحياة البشرية (60) على أساس التجذر فى التراث واستلهامه ومحاورتـه واحيائـه .

فرجال الفكر العرب مطالبون ـ اليوم أكثر من اى وقت مضى ـ بمواصلة ما انقطع بين التـراث والمعاصـرة ، لان الحضـارة العربية شأنهـا شـأن الحضارات الاخرى هى عبارة عن خط بيانى يمشـى صعـودا نحو الاعلى دون توقف ، بحيث يأخذ الجيل اللاحق عن السابق مهمة السير بالحضارة نحـو الاعلـى .

ان نشديد رحال الفكر على هذا هام مصيريا ، لاننا بهـذا نحقـق أصـالة أدبنا ومعاصرته فى آن واحد ..

فلا يكون بذلك أدبنا مقلدا لادب الغرب كما نقلد نحن الآن أنماط العيـش وأساليب الحياة الغربيـة .

---

(59) ياسين رفاعية ـ أسبوعيات ـ مجلة الكفاح العربى : 59 ، العدد : 6 ـ 6729 السنة 5 ، الاثنين 30 نسيان (6 ايار) مايو 1979 .

ب ـ عالمية الادب فى قوميتـــه :

ومن التحديات التي تقف امام الفكر العربي وتقلل من انتشاره تفـريـق البعض منا بين العالمية والمحلية فى الادب .

ففي رأى هذا الفريق أن الادب العالمى المعبر عـن القضايا الكبرى هـو الذى لا يرتبط بزمان ولا مكان . فالمفكر النابغة ـ حسب هذا الفريق ـ هو الذى يستطيع التحرر من سجن الارض التى ينتمى اليها (61) .

والحقيقة ان هذا خطأ نسجله على كثير من أدبائنا ، وهو ما جعل كتابات كثيرة فضفاضة معلقة فى الهواء لانها لا ترتبط بمشاكل انسانية معينة فى بيئة بعينها . ان انغراس الادب فى البيئة العربية وتصويره لمعاناة الانسان العربى فى حياته اليومية ، يجعل منه أدبا عالميا ، لانه لا تعارض بين الفكر القومى المنغرس فى بيئته وبين الفكر العالمى . أضف الى ذلك أن العالميـة فى الادب ترتكز على الابداع الفني فى الاثر ، والفنان المبدع يمكــن له ان ينطلق من مشكلة محلية ليجعل منها مشكلة انسانيـة عامـة ، يجد القـراء فيها أنفسهم على اختلاف أزمانهم وأوطانهم .

فالابداع الحق هو السمو بالمحلية الى العالمية ، لان انغراس الادب فـى بيئته يكسبه خصوصية معينة هى نكهة الارض التى نبت فيها ، حيث تؤهله هذه الخصوصية ـ اعتمادا على قدرة الكاتب المبدع ـ كي يكون هذا الادب رافدا من روافـد الآداب العالميـة .

ذلك ان الفكر العالمى عبر التاريخ هو فكر قومـى .

---

(60) نفس المرجع السابق : 71 .

(61) صفوان قدسي ـ فى الخصوصية القومية . مجلة الكفـاح العربى : 59 ، العدد 6 ـ 729 ، السنة 5 ، الاثنين 30 نسيـان (6 ايار) مايـو 1979 م .

ففلسفة سقراط (470 – 399 ق . م) (62) وارسطو (384 – 322 ق . م) (63) وافلاطون (430 – 347 ق . م) (64) هى فى جوهرها فلسفة اغريقية عبرت عن عبقريته الامه اليونانيه فى زمان معين ، وفى حقبة معينة ، وبرغم نشوئها فى ظروف قومية خاصة ، واصطباغها بصبغة محلية خاصة فقد وجد فيها المفكرون عبر التاريخ فكرا تجاوز المحلية والقومية (65).ومثل ذلك فى الفلسفة الالمانية عند نيتشه (1261هـ / 1844م – 1317هـ / 1900م) (61) وكانط

---

(62) سقراط (SOCRATE) : ولد فى أثينا ، وعلم فيها الفلسفة ، كان يلقى دروسه فى الازقة وبين الجماعات بأسلوب السؤال والجواب . قاوم تعاليم السفسطة ، وانتقد الحكم فاتهم بالزندقة وحكم عليه بالاعدام . فشرب السم فى سجنه فمات . وصلت الينا تعاليمه عن طريق تلميذيه أفلاطون وكسينفون . (انظر المنجد فى الادب واللغة : 256 – بيروت 1960 م) .

(63) ارسطو (ARISTOTE) فيلسوف يونانى من مؤلفاته : الخطابة السماء والعالم ، الكون والفساد . (أنظر : المنجد فى الادب واللغة والعلوم : 13 – بيروت 1906 .

(64) افلاطون (PLATON) : من مشاهير فلاسفة اليونان ، تلميذ سقراط ومعلم ارسطاطاليس او أرسطو . أساس فلسفته « الصور » من مؤلفاته « الجمهورية » او « السياسة » . « المحاورات » (« كريتون » Criton ، « فيدون » Phédon ، « تيمه » Timéo الوليمة) (أنظر المنجد فى الادب والعلوم : 28 ، بيروت 1960 م) .

(65) صفوان قدسى – فى الخصوصية القومية ، مجلة الكفاح العربى 59 .

(66) نيتشه (NIETCHE) : فيلسوف المانى . قال بان الحق للقوة . والى تعاليمه يرجع كارل ماركس فى وضع مبادىء الشيوعية المادية . من تآليفه « هكذا حدث زرادشت » . حتى فى أوائل 1316 هـ/1899 م ومن ثم بقى مذهول العقل منهوك الجسد طيلة اثنى عشر عاما الى أن توفى . (انظر المنجد فى الادب والعلوم : 544 – بيروت 1960 م) .

عما نوئيل (1129هـ/1724م ـ 1209هـ/1804م) (67) وهيقل فردريك (1186 هـ/ 1770 م ـ 1247 هـ / 1831 م) (68) هذه الفلسفة برغم أنها تعبير عن نـزوع الامة الالمانية الى بناء دولتها القومية واحساسها بتفوقهـا ـ برغم ذلك فان هذه الفلسفة تجاوزت حدود الوطن الالماني وصارت ملكا انسانيا عاما . ولعل ذلك ما يحدوني الى مطالبة الصوم بأن يكـون العكـر العـربي على اختـلاف منازعه قوميا ، ينطلق من تصوير مشاكل الانسان ومعاناته ونزوعه الدائـم الى الحق والعدالة والمساواة ، وتشوفه الى مجتمع متبـوع لا نابع ، يسوده العلم الصحيح ، والقانون المجمع عليه ، والاحـلاق الاصيلـة المأخوذة من تراث الامة لا المستوردة من مجتمع الاستهلاك .

ان العكر العربي أو الادب العربي يصل بهذا الى هدفين :

الاول : أن يكون أدبا عالميا بانغراسه فـي القضايا القومية .

الثاني : أن يكون بتصويره للمعاناة التي يعيشها الانســان العربي أدبـا تحريضيا يدفع الجماهير الى الوعي بذاتها وذلـك لتغيير النمط المجتمعـي القديم المنصارع المتنافس ، وبنـاء نمط جديد يرتضيه التطـور ، ويكـون كفيلا ببناء الحضارة وذلك بتعاون كل أطرافه في عملية البناء .

وبهذا يمكن أن يوظف دور الادب العربي فـي مواجهة كافة التحديـات . لان الادب الذي يخلق في مناخ كمناخنا هـذا تملؤه التفجرات والتناقضات ، وصارت فيه قيمنا وحضارتنا وحياتنا نفسها مهددة بالانقراض ـ هذا الادب لا بد أن يكون مقاتلا ومؤثرا في الواقع وقائـدا له وراسما لمســاره . ولـن يتسنى لادبنا ذلك الا اذا تخلص من أمور لا تزال تشده الى الخلف وهـي :

---

(67) كانط (KANT) : فيلسوف الماني . قال بالحريـة وخلود النفس وبوجود الله . من كتبه « نقد العقل النظرى » و « نقد العقل العلمي » (انظر المنجد في الادب والعلوم : 432 ـ بيروت 1960 م) .

(68) هيقل : (HEGEL) : فيلسوف ألمانـي . قال ان الكائـن والفكر شيء واحد والفكرة تتطور على مراحل : الاثبات ثم النقض ثم الخلاصة ، من كتبه « المنطق الكبير » و « مبادىء فلسفة الحق » . (انظر المنجد في الادب والعلوم .

أ ـ الفن للفـــن .

ب ـ الغموض لاجل الغموض في الادب .

ج ـ أصحاب المسوح الفكرية .

أ ـ ضرورة التخلي عن قضية الفن للفن :

ان هذه المسالة جعلت قسما هاما من أدبنا المعاصر سلوى يتلهى بهـا الواقفون على رصيف الحياة .

فنحن الآن احوج ما نكون الى أدب مقاتل لا الـى أدب مهادن يسترخـى في الاجـواء الرومانسية الغائمة ويرقد في ظلال الزيزفون .

فاذا جعلنا من ادبنـا مهمازا للنـائمين فاننـا بذلـك يمكـن أن نساعـد الجماهير على الوعي بذاتها ووضعها ، ويمكن أن ندفع بالناس الى معرفـة واقعهم المتخلف ، فيسعون بدافع ذاتـي الى التخلص مـن الجهـل والمـرض والخرافة والتسيب والاوضاع المحدودة ، هذه الآفات التي ما زالت تشدنـا الى الخلف (69) .

ب ـ ضرورة الابتعاد عن الغموض لاجل الغموض في الادب :

ان الادب الغامض المبهم المفكك هو تغريـب للقـارىء واستبـلاه لـه . وان الادب الباحث عـن الايقاع الموسيقي فـي الالفاظ دون تركيـز علـى المعاني هو أدب هروب لا يمكن أن يغير الواقع أو يتحاور معه ، لان الشاعر او الناثر ـ في هذه الحالة ـ يجعل بينه وبين العـالم الخـارجي ستارا من الرموز والصور القابلـة للتأويل حـتـى لا ينكشف موقفـه الحقيقـي مـن الممارسات الخاطئة في الواقع نفسه ، وذلك ايثارا للسلامة على التضحية .

اننا في هذه المرحلة بالذات نحتاج الى أدب لا يقصد الغموض لذاتـه ـ تغطية لعجز صاحبه عن الايفاء بالعناصر الفنية اللازمة في الاثر الفني ، أو

---

(69) احمد البطراوي ـ لقاء مع الشاعـر التونسـي الميدانـي بن صالح ـ الاسبوع الثقافي الليبـي : 7 العدد 415 ، الاثنيـن 9 جمادى الآخـر 1399 هـ/ 7 ماي 1979 م .

تقيه من عقاب ـ انما نرغب فـي أدب واضح جلي يفضح الواقع ويعريـه ، بحيث يفهمه القارىء العادى مثلمايفهمه القارىء ذو الاطلاع الواسع .

انه لمن العبث أن يكتب الشعراء خاصة القصائد ، وينشرون المجموعـات فيستخدمون فيها الرموز ، ويجهدون أنفسهم في تراكيب وصور يعجز حتى من ينتسب الى الثقافة عن فهمها أو ادراك مقاصدها . ان ظاهرة الغمـوض والانغلاق خاصة عند أدباء السبعينات والثمانينات هـي ظاهـرة لا جدوى فيها لانها لا تساير مرحلة النضال التي نعيشها باعصابنا .

فظاهرة الغموض المذكورة سابقا هي ظاهرة مستوردة ، قدمـت الينـا من أوروبـا مع التيار السريالى في الادب والفـن ، وتلقفناهـا ، فنبتـت وتجذرت فى ديارنـــا .

وقد انعكس هذا التيـار السريالـى على أدبنا الحديـث ، فكان منا من يقصد الغموض لذاته لعجز فى البيان ، أو لخوف من المسؤوليـة ـ كمـا ذكرت آنفا ـ أو لعقد نفسية متأصلة فيـه ، فطفـت آثارها علـى انتاجـه الادبـــى .

ان الجماهير المعنية بالقراءة ما تزال أغلبيتهـا أمية ، ولكي نخدم هـذه الجماهير لا بد من الوضوح في الادب ، على أن لا تؤول هذه السهولة الـى اسهـــال .

وعلى شعرائنا أن يقنعـوا الشعر بان يتخلـى عن ارستقراطيتـه ـ لان الشعر العربى في أصله هو شعر الجماهير ـ وذلك بانزاله الـى الساحات العامة ، والى الشوارع كي يلعب مع أولاد الحارة ، ويضحك معهم ويبكـى معهـــم .

وعلى شعرائنا كذلك أن يرفعوا الكلفة بينهم وبيـن « لســان العـرب » و « محيط المحيط » وأن يقنعوا القصيدة الحديثـة بأن تجلس مع النـاس في المقاهى والحدائق العمومية ، وتتصادق مع التلاميذ والعمال والفلاحين وتقرأ الصحف اليومية حتى تكون لغتها في متناول أذهان الناس (70) .

---

(70) نزار قباني ـ كتاب قصتى مع الشعر : 121 ـ 122 ، الطبعة الاولى ـ بيروت 1973 م .

فالادب البسيط والعميق في آن واحد هو الادب المستقبلي القادر علـي خلق جمهور واع بالواقع ، بحيث يستطيع التفاعل معـه لتغييره ولازاحـة التحديات القائمة أمامـــه .

أصحاب المسوح الفكريـــة :

هناك من اهل الفكر من يجعل من الكتابـة ضربا من ضـروب البـذخ لا ضرورة من الضرورات التي يعيش بها ولها صاحب الفكر الحق .

والواقع ان هؤلاء هم الذين يلبسون مسوح الفكر ، لانهـم لا يرتبطـون بالواقع الاجتماعي والحضاري للامة ، ولا يحسسون آلام الناس ومشاكلهم ولان الكتابة عندهم ترف ذهـني فانهم يبيعون مبادئهم فـي أول فـرصة . ولعل ذلك كان كذلك لان أغلب هؤلاء نشأوا في بيئات ارستقراطية عربية ، وتعلموا في بيئات ارستقراطية غربية، فتأثرت أفكارهم ورؤاهم بتلك البيئات التي نشأوا فيها وتعلموا . فصاروا ينظـرون الى الشعـب من فـوق كمـا ينظر عابر السبيل الى مجتمع النمــل .

هذا النوع من المفكرين هم الذين لا يقفـون مواقف محددة من القضايـا المطروحة علـى الساحة : السياسية والاقتصاديـة والاجتماعيـة ، لانهـم يتلونون مع الظروف ، ولانهم يخافون من المسؤولية ، ويرهبون تبعاتها ، ولعل ذلك ما جعلهم يعرفـون حاجـة السوق الـى التقليعـات الادبيـة ، فيتلاعبون بأذواق الجماهير عن طريق الكلمـة الحالمة ، والجمل المموسقة والمواقف المثيرة مثل التظاهـر بالدفـاع عن الحـرية ، وترديـد شعـارات الثورية والتقدمية (71) .

ان هذا يستعملونه سلما للوصول الى اهدافهم وغاياتهم .

فأولئك هم الذين يحملون على الصعيد الفكري المفاهيم الارستقراطية ، فيرون – كما رأت الارستقراطية الفكرية في أوروبا –انالتاريخ يفسر على

---

(71) أحمـد البطراوي 7– لقاء مع الشاعر التونسـي الميـدان بن صالح ، الاسبوع الثقافي الليبي : 7 ، العدد 415 ، الاثنيـن 9 جمـادى الآخر 1399 هـ/ 7 ماي 1979 م .

ضوء أعمال الشخصيات البارزة دون أدنى اعتبار للعوامل الاخرى الاساسية ، فلولا الفرد فى رأيهم لما تحرك التاريخ .

هذا ما جعل هؤلاء المفكرين يربطون باليمين السياسى والفكرى أو اليسار الانتهازى فى البلاد العربية .

فيسخرون لذلك أقلامهم لكل ما يوفر لهم الارباح والمناصب ، ويعكفون على عبادة الشخصية . جاعلين من السلطان (ك) مثلا أكثر علما من ابن سينا ، وأكثر شاعرية من المتنبى ، بل وأكثر بطولة من خالد بن الوليد .

هؤلاء لا يستطيعون مواجهة التحديات الشرسة التى يواجهها العرب اليوم لانهم يموهون واقع الفكر ويزيفونه .

الأدب احساس بالواقع :

أكبر قضية من قضايا الادب العربى تتمثل فى السؤال التالى : كيف نواجه التحديات وكيف نعبر عن قضايا المجتمع الكبرى من الداخل تعبيرا لا تخنقه الشعارات ولا حدة التقرير السياسى ؟ .

الحق أقول ان الادب الحديث يعانى كذلك فى بعض نماذجه من « تورم » العنصر السياسى على حد تعبير غالى شكرى .

ولكن المشكلة الاخرى المطروحة هى أن السياسة جزء من الحياة العامة (72) ، فكيف نعبر عن هذا الجزء ونظهره فى تلاحمه مع بقية التفاصيل فى العمل الادبى ؟ .

« القضية تتمثل فى كيفية الاحساس بالعنصر السياسى ، وكيفية التعبير عنه دون أن نعتلى منصة الخطابة » (73) .

---

(72) يوسف القويرى ـ كتاب فى الادب والحياة : 87 ـ الطبعة الثانية ، الشركة العامة للنشر والاعلان طرابلس ـ ليبيا 1979 م .

(73) نفسه : 88 ـ 91 .

فالعمل الادبى « ليس محصورا فى كونه تخطيطا للواقع الذى ينبغى أن يكون ، بل يشمل كل جهد يبذل للنهوض بالواقع أو تغييره أو حثه على التقدم بمعزل عن » (74) السلبيات التى يتخبط فيها الواقع نفسه .

وبرغم اننا لا نسلم بأن الاعمال الادبية والفكرية غير قابلة للتطبيق كجدول أو برنامج ، الا اننا نؤمن بتأثير الادب فى الواقع على المدى القريب أو البعيد .

ولكن هذا التأثير بالنسبة للادب العربى سيظل محصورا فى نطاق الفئات المتعلمة التى تستطيع ان تقرأ وتتابع وتستوعب ، والتى امتصت بدرجة كافية أو غير كافية روح الحضارة الحديثة (75) .

ان هذا يعنى أن غالبية المجتمع العربى من فلاحين وعمال ستبقى بمعزل عن الارتباط بأعمال الادباء العرب ، وذلك لنسبة الامية المرتفعة والمنتشرة بين هذه الاغلبية كما ذكرنا ذلك سابقا . وهذا هو التحدى الاكبر أمام الفكر العربى المعاصر .

ولكن مهما يكن من امر فان ادبنا يمكن له ان يخوض معركة التحديات اذا ابتعد عن الغموض لداته وعن قضية الفن للفن ، وتخلى الشعر عن ارسنقراطيته ، وانغمس فى واقع الجماهير ليحرضها على تجاوزه وبنائه من جديد على أساس العلم الحديث .

وهذا يكون اذا توفرت الاسباب التالية :

أ ـ توظيف التراث فى خدمة أهداف الامة فى التحرر من كل الضغوط على أن لا تكون عملية احياء التراث تعنى قبوله دون تمحيص ومعرفة الصالح منه من غير الصالح .

---

(74) نفسه .

(75) يوسف القويرى ـ فى الادب والحياة : 93 .

ب ـ ربط قضية العودة الى التراث بقضيـة بناء الثقافـة العربية ذات المحتوى المتوازن بين جميع الحقول المعرفية ، وذلك للقضاء على الثقافـة الاستهلاكية ذات المحتوى الفارغ .

ج ـ القضاء على الازدواج النفسي داخل الثقافات الوطنية .

د ـ تأمين الحدود اللازمة لحرية التعبير .

هـ ـ الارتباط بقارىء ثابت وغير مزعزع .

و ـ القضاء على مشكلة الامية المكدرة لحياتنا ، والشديدة الخطر على التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى أمتنا .

ز ـ أن تكون مهمـة الادب العربـى المعاصر اكتشاف الطريـق الـى الحقيقة العاطفية والفكرية والواقعية للامة العربية .

ح ـ أن لا يعكر الحقيقة السابقـة التفكير العقائدى والتحيـز المشوه لمذهب من المذاهب ، أو لنمط من الانماط المتقلبة فـى الحياة السياسيـة والفكريـــة .

بحيث ، حين يتوفر هذا يمكن أن يكون الفكر العربى موظفا فى معركة المصير ، ومعركة البناء الحضارى .

ووقتها يستطيع المفكرون العرب أن يفجـروا ينابيع جديدة مـن الجرأة الادبية والجماليـة لكى يصبح بالامكان محاربة طغيان المادية التـى تمثـل تحديا آخر لامتنا العربية المسلمة .

وعندها كذلك يمكـن محاربة القصور والضيق فى أفق التفكير العربـى الذى نتجت عنه عقلية « ليكن الطوفان ما دمت فـى مأمـن من الغـرق » ، ونتج عنه الشعور بالاحباط وعبادة الشخصية .

وحينئذ يمكن لادبنا أن يحارب فساد الذوق والعادات البالية الراسخـة والهجينة الغازية ، فيمثل بذلك روح العصر الجديد ، ويستخلص جوهـره من التيارات المختلفة ، فينمو فيه الخيال ويقوى ويتجدد (76) ويعيد بذلك تأكيد القيم من خلال ما يطرحه من قضايا تلتصق بمصير الانســـان .

نور الدين بلقاسم

---

(76) سلمى خضراء الجيوسى ـ كتاب الشعر ، طبع دار الثقافة ببيـروت سنة 1961 .

مشروع للرحيل عبر بوابة الليل

شعر : ناصر العياري

ظامىءٌ قدَحُ الروحِ ،
مستوحِش لشفاهِ الضفاف البعيده .
ومغتربٌ أنت ،
منفية فيك كلّ المواعيد .
كم عاشرتك المواجعْ !
كم مزّقتك سيوفُ الحنين الشّديده !
وها أنت كالشّجرِ المتحجرِ ؛
ترنو إلى هالة الحلم ، علّك تنسى
مورّطتانِ بصَهْد السّؤالات عيناك ،
ملتحف بالخرابِ مداك .
ولا شيء ينسيك ،
لا شيء يسرقك الآن
من لعنة اللحظاتِ الوقيده .
هو الليل : مأواك ،
منتجع الذات في سرّها
وانعتاق حدودك من وهمها الأزلي ...
هو الليل : بوابة للرّحيلْ
ألا اخلع على شاطئيه نعالك ،
وانزع عن الجسد / السّجن كابوسَه
واكتسح سدرة الأبدِ المستحيلْ .

كتاب "نظرية التطعيم الإيقاعي"

تأليف : البشير بن سلامة
عرض : حسني سيد لبيب

اللغة مثل الكائن الحي ، تنمو وتتجدد وتتطور ، لتكون قادرة على البقــاء . وفارق كبير بين اللغات المنقرضة واللغات التي ما زالت مستعملة . ذلك أن اللغات المنقرضة ابتعدت عن واقع الناس ، فاشتقت لغات أو لهجـات نمـت وتطورت وصارت لها قواعدها وأصولها التي يتعامل بها الناس ، والمثال في اللغة اللاتينية . أما اللغة العربية ، فهي اللغة الحية القادرة على النماء والتطور، ساعدها على ذلك أنها لغة القرآن الكريم . ولم تقدر اللهجات العربية العامية أن تحل مكانها ، وأن تعطي أثرها . وقد دعا بعض الكتاب الى كتابة العربية بحروف لاتينية ، لكنها دعاوى انهزامية لاقت الصدود والفشل الذريع . كما دعا بعض الكتاب الى اللغة العامية المألوفة ، لكن أحدا لم يستنر بالدعوة ، وظلت العربية الفصحى عملاقا شامخا ، يعطي للعامية ويأخذ منها ، في شكل تفاعل حيوي . فاللغة الفصحى ما كان لها أن تبقى لولا تفاعلها مع الواقع الحي .

وقد خاض بعض الادباء تجاربَ رائدة في اللغة الوسطى ، التي هي عربية فصحة ، وقريبة من العامية المتداولة . وكان تطعيــم العــربية الفصيحــة

بكلمات عامية تخضع لقواعد اللغة واصولها ، بمثابة عامل نجاح لأعمال ادبية . ومن يقرأ للمازني ويحيي حقي يلمس هذا النجاح . ثم ان القرآن الكريم هو الركن الركين للحفاظ على العربية الرصينة ، فحاجة العرب الى تدارس القرآن ، ومدلولاته اللفظية للمعاني ، خلق وعيا متقاربا ، أو علاقة تبادلية بين حاجة عامة الناس الى فهم أمور دينهم،وبين قريبهم من أصول اللغة وقواعدها . لذا كان مهما لكل من يتحدث العربية أن يكتب باللغة الفصيحة ، ولا يضير اللغة تطعيمها بما يستجد من الفاظ ومدلولات ، طالما خضعت للقياس اللغوي السليم . لهذا كانت العربية كائنا حيا تتجدد خلاياه ودماؤه ، فينمو وينطور ، ويصير مواكبا لحاضر الناس ومعاشهم .

وقد صدر في تونس كتاب قيم للاديب الكبير الاستاذ البشير بن سلامه بعنوان (نظرية التطعيم الايقاعي في الفصحى) .

في الفصل الاول (تطور الجمله العربية عند المولدين) ، أبرز حاجتنا الى قاموس لضبط تطور معاني الكلمات . كما دعا الى ضبط تطور الجملة العربية من حيث الاسلوب والشكل عند الكتاب البارزين في مختلف العصور ، بمعنى « اخضاع الجمله العربية في اطوارها المتعددة سواء النثرية منها أو الشعرية الى احدث نظريات العلوم اللسانيه وخاصة علم الاساليب » ص 16 . وعلل التفاوت الكبير بين الكلام واللغة الى أن تطور الجملة العربيه الفصحى عند المولدين ، تأثر بلغات هؤلاء الكتاب والشعراء التي تمازجت مع لغة الكلام السائده ، واضفت على كتاباتهم موسيقى جديدة وايقاعات جديدة تطورت على اساسها الجمله العربيه الفصحى .

ويتساءل المؤلف حول اللغه الفارسيه التي حولها عبد الحميد الكاتب الى العربيه . ولكن اية لغه فارسيه هذه واي طور من أطوارها يعني ؟ هل هي اللغة الفارسية القديمة المندثرة او لغة الزند التي تطورت فيما بعد الى الفهارية او لغه الفردوسي اصل الفارسية الحديثه » ص 18 . وقد مرت اللغة الفارسية بمراحل تطور ، ولم تثبت على شكل معين . وفي كتاب الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم (اللغة الفارسيه) اشاره الى تطور اللغة الفارسية الى مراحل ثلاث هي

1 ـ مرحلة اللغات الفارسيه القديمه ، حيث تفرعت اللغات الايرانية عن المجموعه الآرية .

2 ـ مرحلة اللغات الفارسية الوسطى . واهمها البهلوية والخوارزمية .

3 ـ مرحلة اللغات الفارسية الحديثة ، واهمها اللغة الـدرية أو الفـارسية الحديثة التى تأثرت بالعربية واستعملت أبجديتها .

والواقع أن اللغة العربية أثرت فى الفارسية تأثيرا كبيرا ، بينما أثـرت الفارسية فى اللغة العربية تأثيرا محدودا . ولعل القرآن الكريم كان السبب القوى لنفوذ العربية فى لغه الفرس . حتى أنهم طعموا كتابـاتهم الفـارسية بكلمات وجمل عربية ، واضطرارهم الى الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأمثال عربية ، مما هو معروف فى المؤلفات الفارسية ، وهى مرحلة ما بعد الاسلام .

أما أثر اللغة الفارسية فى العربية ، فهو ورود كلمات مستحدثة لم يعرفها العرب ، واخذوها عن الفرس ، وعربوها وأدخلوها ضمن اللغة العربية . على عكس الفرس الذين أخذوا الالفاظ العربية واستعملوها بنصها دون تغيير أو تعديل يتناسب مع لغتهم .

وهذا دليل قوى على حيوية اللغة العربية . فهى كمثل جسم الانسان ، الذى يقبل النسيج الخارجى فيلتئم معه ويصبح جزءا حيا من كيانه . بينما عاملت الفارسيه الكلمات العربيه على أنها ألفاظ مضافة ، ولـم تذوبهـا فى الكيـان اللغـوى .

ولقد صمدت اللغة العربية ضد كل محاولات احلال العامية محلها • ورغم صعوبتها لما تتطلبه من الشكل ، الا أنها خضعت للمرونة والتطور ، وصارت « كالشجره المباركة أصلها ثابت فى الارض وفرعها فى السماء ».

والفوارق بين الكتابة والكلام ، خلق صعوبة للكتاب ، حتى أن الكاتب وهو يمارس عمليه الكتابه ، وكأنه يتقمص شخصية أخرى . ذلك أنه يتكلم لهجته العامية ، وكتابته باللغة الفصحى . وان كنت أرى أن الفوارق ليست كبيرة ، بالدرجة التى يرى المؤلف أنه حين يكتب فانه يتقمص شخصيـه أخـرى . فرغم اختلاف اللهجات العربية ، الا أنها مشدودة بخيوط خفية الى اللغة الام• ولم يحدث أن تطورت لهجة عامية ، لتصلح للكتابة . ان بقاء الفصحى لغـة للكتابة ، نشأ فى رأيى لان العامية عاجزة عن أن تكون لغة كتابة ، فالعـامية تختلف عن الفصحى فى لهجات يقع أغلبها فى اختلافات صـوتية لاختصـار الكلمة ، أو دمج كلمتين متلازمتين ، أو تخفيف نطق معين ، أو تبديل نطق أحد الحروف . وهى كلها حالات تخضع للاستعمال الصوتى للغه ، ولم تتطور اى عامية لتستقل بذاتها ، وتكون لها أجروميتها وقواعدهـا . وان كانـت الكتابة العربية غير المشكولة ، تعد كما قال الاستاذ البشير بن سلامه ، كتابة

منقوصة ، يستطيع أن يتتبعها ويصل الى المعانى ، الملم بقواعد اللغة ، بينما تشكل صعوبة لعامة الناس الذين لم يدرسوا اللغة الدراسة الكافية .

ويرى البشير بن سلامه أن الفوارق بين الفصحى والعامية بعد كبيرة ، لذا ينبغي الحد من هذا التفاوت . فقد صارت الفصحى لغة الكتابة والعامية لغة الكلام . ولم تستطع الفصحى أن تصير لغة للكتابة والكلام معا ، ولم تستطع العامية ذلك .

وقد مرت اللغة العربية بخطوب كثيرة فصمدت لها . ولعل أهم مشكلة تواجهنا هى التفاوت بين لغة الكتابة والكلام . واستشهد المؤلف بالدكتور طه حسين الذى عرض حلين . أولا تيسير الكتابة والقراءة ، وثانيا تيسير النحو . وقد أرجع المؤلف تعثر اللغة العربيه الى أنها لم تتحرر بعد من سلطان الذاكره ، وكانت العربيه أكثر نبوغها فى الشعر . وجاء القرآن ليحرر العربية من سلطان الذاكره ، الى جانب الدين ، فاعتبر القرآن حدثا لغويا ، واعتبرها المؤلف ثورة لغويه لم تتواصل الا على أيدى قلة مثل : ابن المقفع والجاحظ وابن خلدون ثم جاء طه حسين الذى تأسست عبقريته على النثر الادبى المتحرر من سلطان الذاكره . « وان عبقريته فقيد الادب العربى فى هذا الباب عجيبه لان الرجل كان من المفروض — وهو المكره على ذلك — أن يعتمد على ذاكرته أكثر من أى شىء آخر ولكن عبقريته لا تتمثل فى ما قدر عليه فقط من استيعاب الثقافات المتعدده بل فى تمكنه من التحرر من سلطان الذاكره وكسر طوق الذاكره المشدده الى حلق شر حديد » ص 40 .

وقد تأثر بلغة طه حسين بعاملين :

الاول ملاءمة روح العصر ، واستيعاب كافة التيارات الفكريه والادبيه واللغويه .

والثانى ثقته في الثقافة القوميه المصريه التى يقول عنها طه حسين « ثم سراعا قد اتخذت اللغه العربيه المصريه لها أداة مرنه أنيقه رشيقة لا تنبو عن الذوق ولا تتجافى عن الطابع ولا تكلف قارئها مشقه وجهدا ولا تقبل ان اللغة العربية مشتركه بين مصر وغيرها من البلاد العربية فهذا حق ولكن لمصر مذهبها الخاص فى التفكير كما أن لها مذهبها الخاص فى التفكير والبلاد الاخرى تتأثر بمصر ولعلها تتنافس فى تأثر مصر فى تفكيرها وتعبيرها » ص 48 ، 49

وان ما يملي اللهجة العامة هو عادات الشعب وسلوكاته وتقاليده . فاللهجة العامة ترجمة لعديد من العوامل منها الثقافه والسلوك والبيئة

والمعنفد وما الى دلك . وكلما بعاربت هذه العوامل بين شعببن ، كانت اللهجبان منقاربىن اذا كانت لغتها واحدة .

فتنر طه حسين ابنى على البراث العربى الاسلامى والثقافات القديمة ، ومزجها بالثقافات العصريه ممشيا مع روح العصر ، بما فى دلك التشبع بالشخصية القومية ومقوماتها . واللهجه السائده بموسيقاها وبنبراتها وايقاعاتها ، بما ينعكس على طريقة كتابته بالفصحى . وكما يقول المؤلف : « فتمازج موسيقى اللهجة مع هيكل الفصحى » ص 50 .

وكما تأثرت لغة طه حسين بثقافته المصرية ، فان نفس القياس دلل به الكاتب على لغة ابن المقفع التى يمكن ارجاعها الى أصله الفارسى ، وابن الرومى الى روميته ، وابن رشيق الى افريقيته ، وابن خلدون الى مؤثرات بيئته ، والشابى الى روح شعبه .

وعن فهم الاثر الادبى واستيعاب صورته الابداعية ، حدثنا عن ثلاثة عناصر :

- الانغراس فى الجذور العميقة للشخصية القومية .
- الامتزاج الكامل بروح العصر .
- التجاوز المطلق الشامل المفتوح على المستقبل .

ويؤكد الاستاذ البشير بن سلامه على ضرورة تمسك الاديب بجذوره القومية ، أى سنته وتراث شعبه وعادات أهله . ولا خير فى أديب يكتب كلاما لا يمثل شخصيته القومية . وقد دلل على أصالة أدب ابن رشيق وأبولوس الى تمسكهما بثقافتهما الافريقية • وإخال المؤلف حين تحدث عن العناصر الثلاثة ، قد تمثلها ضرورية للنمو كالنبات الاخضر ، فى معرض حديثه عن الاثر الادبى الذى ننشد فيه الاصالة والمعاصرة . فالنبات يمد جذوره الى تربته ، تمتد الجذور فى أعماق الارض ، وكلما امتدت الى العمق ، سمق النبت الاخضر ، تلك الجذور هى الشخصية القومية ، أو الانتماء للارض . كما أن النبات الاخضر ينمو ويشرئب الى العلا ، وهذا هو الاتجاه الى المستقبل . أما روح العصر ، فهو المناخ الصحى اللازم للنمو ، مثل الهواء والشمس والماء . ويشبه كاتبنا هذه العناصر بتشبيه آخر اذ يقول : « وهذه العناصر الثلاثة فى تراكبها وتشابك أجزائها واختلاف معادنها كالجسم لا تستقيم ولا تعمره الحياة الا اذا سلمت أجزاؤه وتفاعل بعضها مع بعض ولم يتخاذل الهيكل العظمى لتشد من أزر العضلات ولم تتنكف الشرايين والعروق من مدها بالدم الصافى النقى » ص 57 .

كان الكاتب الافريقى أبوليوس يعتز بأصله الافريقى ، وميله الى المؤلفين الافارقة رغم أنه كان يكتب باللاتينية ، وقد تشبث بكل ما هو كلاسيكى ، مع ميل شديد لمقاومة الثقافة الكلاسيكية . وكان ابن رشيق يعتمد على ما توحيه اليه نفسه وما تمليه تجربته الشخصية .

وما دمنا نبحث عن روح العصر ، فاننا نتمثله فى ايقاع اللغـة العـامية ، ونبضاتها وشحنتها الصوتية . ونقصد المؤلف بذلك أن لغـة الكـلام تنقـل الصورة الحية للمجتمع بعفوية لا نصنع فيها . وما ينطقه اللسـان ترجمـان مباشر للاحاسيس البشرية ، لهذا كانت قضية الكاتب تقريب التفاوت بين لغة الكلام ولغة الكتابة ، أو بين العامية والفصحى . وأى أديب فى المشـرق العربى أو مغربه ، نجح فى كتابة أثر أدبى يكتب له البقاء ، انما يرجع نجاحه الى أنه « عرف كيف يضمن لغة الخلق عنده ما فى لغته العـامية من ايقاعـات ونبضات ونبرات وشحنه موسيقية من دون أن يدخـل الضيم على الفصحى ويمس بعبقريتها » ص 73 .

ويتحدث البشير بن سلامه فى الفصل الاخير عن نظريته الجديدة (التطعيم الايقاعى فى الفصحى) ، منطلقا من اهتمامه بايقاع اللغة ومواكبتها للحياة ، وبموسيقى اللغة ونبراتها ، ومحاولته تضييق التفاوت بين لغة الكـلام ولغه الكتابة . ولقد سابق أهل العربية منذ القديم « فى بحث طرق نمو اللغـة ودراستها وما زالوا الى الآن ومعهم المستشرقون يستقصون أسرار العـربية ويضبطون القوانين التى سمحت وتسمح بتنميتها وجعلها تواكب اللغات الحية الاخرى . واهتموا خاصة بالالفاظ وظواهر تغيرها وقالوا بالقياس والاشتقاق والقلب والابدال والنحت والارتجال والافتراض وتوسعوا فى هذه الظواهـر بصورة مدهشة ، ولكنهم لم يولوا نفس العناية بالجملة وخـاصة بنـواميس تغيرها لا من حيث التراكيب بل من حيث موسيقاها ونبراتهـا وايقاعاتهـا وبكلمة أوضح بهذا الذى يجعل الجمله متعانقة مع الحيـاة الحيـة ، معبـرة عن حركية الواقع وتموجاته » ص 81 ، 82 .

وذكر ان الذين طوروا الجملة العربية النثرية فلة قليلة أمثال . عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ والتوحيدى وأبو الفرج الاصفهانى وابن خلـدون وطه حسن ومحمود المسعدى . كما أن التفعيلة لا يمكن الاعتداد بها كوحـدة ايقاعية فالتفعيلة وحدة عروضية أو دائرة تعريبية .

وتنبنى نظرية الاستاذ البشير بن سلامه ، على دراسة أسلوب الكـاتب ، والبحث عن ايقاعات اللهجة المحلية فيما كتبه بالفصحى ، وذلك على اسـاس

« ان كل عبقرى أضفى على الجملة العربيه نمطا جديدا غير به ايقاع صياغته ونظامها فانه قدر فى الحقيقة على اقحام ايقاعات لهجته العامية المحلية فى الفصحى وتطعيم صياغته لها بهذه الايقاعات من كلامه » ص 94 ٠

وضرب مثلا بالكتاب الذين طعموا شعرهم او نثرهم بايقاعات لهجاتهم المحلية بدون أن يشعروا ، أمثال : ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان الهمذانى والتوحيدى وابن خلدون وأبى نواس وأبى العتاهية والشابى ومحمود المسعدى ٠ وقد صدق الكاتب فى قوله : ان هذا التطعيم جاء عفوا ، وعلى غير قصد من الكاتب . والتطعيم هنا ايقاعى وليس لفظى .. «هؤلاء الادباء كتبوا بالفصحى ، لكن اللهجة المحليه صبغت أسلوبهم من جهة الايقاع وهو صوتى. ولا أرى مسوغا لتحفظ الكاتب ، وتوكيده على أنه لا يدعو الى العامية . فقد أخلص لفكرته وأجاد التعبير عما يراه من أن اللغة العربية كالكائن الحى ، ينمو ويتطور ، و « لان اللغة العربية الفصحى باعجازها وطاقتها الكبرى قادرة على الديمومة والاحتفاظ بعبقريتها الكاملة فى نحوها مع الارتباط بواقع أهلها المتحول المتحرك الذى يعتبر اللهجة المحلية جزءا منه يحمل خلاصة الحياة المعيشة ويترجم عنها حق الترجمة ولكن تبقى الفصحى دائما هى القادرة على السمو بذلك الواقع وتلك الحياة وهذا سر من أسرار بقائها » ص 94 ، 95 .

اللغة العربية هى لغة البيان والبلاغة ولغة القرآن الكريم ، وما أحرى بالاستاذ الكبير البشير بن سلامه وغيره من الباحثين المهتمين بالوحدة الايقاعية أن يعكفوا على تطبيق نظرياتهم ودراساتهم الجادة على القرآن الكريم . فلا شك أن به وحدات ايقاعية أودعها الخالق سبحانه وتعالى كتابه السماوى ، المعجزة اللغوية الكبرى . واذا نحن درسنا الشعر من ناحية ايجاد وحدة ايقاعية بديلة لأوزان الخليل التى توارثناها ، فاننا سنصل الى معيار سليم لتقييم الشعر ، يرضى أنصار الخليل ، ومعارضيه . يرضى أنصار الشعر العمودى ، وأنصار الشعر غير العمودى بشتى تصنيفاته .

وبعد ، فهذا كتاب قيم جدير بأن يثار من حوله العديد من القضايا فى اللغة والادب والشعر . وخاصة فيما يتعلق بقضية التفاوت بين الفصحى والعامية ، والاعتبار فى الشعر بالوحدة الايقاعية . والكتاب فى حاجة الى مزيد من الدراسات التطبيقية للتدليل على نظرية التطعيم الايقاعي . واعتقد ان مثل هذه الدراسات تكون مجدية لو أفاض المؤلف فى الكتابة عن آثار أدبية وخاصة من مصر وتونس ، حيث أن كاتبنا الكبير وطيد الصلة بتطور هذين الادبيين .

حسنى سيد لبيب
(القاهرة)

• سياسه الحكم :

هذا كتاب نظام الملك الوزير المشهور للامبراطوريه الايرانية في القرن الحادى عشر والذى كان ـ خاصه فى عهد ملك شاه ـ هو الامبراطور الحقيقى وهو الذى نجح فى الحفاظ على هيبه الملك وعزته بارساء نظم الحكم على أسس ثابتة مع مرونه كبيرة فى سوس الطبقات المتعلمه مده طويلة ولو أن ذلك لم يمنعه من أن يموت اغتيالا على يد أحد الحشاشين بصوره لا يعلم الى اليوم من دبرها

ذكرنا هذا كله لنظهر ما لهذا الكتاب من قيمه اذ مؤلفه ـ كما نقول اليوم ـ من رجال الممارسه والاختصاص ثم ان الكتاب يتناول كل جوانب الحكم الكبيره والصغيره الظاهره والخفيه وأهميتها كلها بالنسبه للحاكم ومعاملته للاعوان والشرطه والمرافقين والعيون أو الجواسيس والقضاه وسائر الموظفين والغلمان والعبيد وضروره الاستعانه بالعلماء والحكماء والصالحين واستشاراتهم والاعتماد فى ذلك على مراعاه العدل والحق والرحمة .

كما بالكتاب فصل خاص (الفصل 48) بخزينة الدولة والوسائل الضروريه لضمان مواردها ورعايتها ـ وفصول تاريخية سياسية أكثر منها نظاميه تتعلق بظهور مزدك وقضاء أنو شروان عليه وثوره سندباد الجبرى ضد المسلمين وظهور القرامطه والباطنيه بالعراق وخراسان وثورات اخرى .

. ومن المعلوم أن نظام الملك ألف هذا الكتاب بالفارسية فى القرن الحادى عشر الميلادى .

والكتاب الذى بين أيدينا هو طبعة معاده للكتاب باللغه الفرنسية من ترجمة أحد كبار المستشرقين للقرن التاسع عشر وهو شارل شيفير (Charles Schefer) وقد ظهرت سنه 1893 فى منشورات « مدرسة اللغات الشرقيه الحية » ونفذت منذ زمن بعيد .

وتكفلت بهذه الطبعة المعاده سنة 1984 منشورات سندباد (Sindbad) بباريس التى تصدر عدة سلاسل عامه منها خاصة سلسلة المكتبة الفارسية التى صدر فيها كتاب سياسة الحكم هذا ومختلف سلاسل أخرى لمكتبة الاسلام والمكتبة العربية .

• سنة أخرى فقط :

مجموعة شعرية لمحمود درويش شاعر الثوره الفلسطينية صدرت فى أكتوبر سنه 1983 فى « سلسلة المرابط » من منشورات منتصف الليل بباريس فى ترجمة فرنسية لعبد اللطيف اللعبى .

تجمع الترجمة مروحه من قصائد مختاره من كل دواوين محمود درويش الشعرية الصادرة من سنه 1966 الى سنة 1982 والتى لا تقل عن عشرة دواوين .

وتحمل مجموعه المختارات عنوان الديوان الاحمر الصادر سنة 1982 تحت عنوان « سنه أخرى فقط » ولنا فيها خلاصة لقراءة أولى ملاحظتان هامتان

الاولى أن الاختيار ناجح للتعبير أولا عن عمق المأساة الفلسطينيه ثم عن تلاحم الشاعر والثورة فى تطورها التصاعدى المتواصل الرافض للاستسلام والمؤمن بالنصر الاخير .

والثانية أن الترجمة موفقة لاعطاء صوره صحيحة معبره عن خصوصيات شعر محمود درويش من خصوبة الخيال ونورانيه الرمز وثراء اللفظ حتى بلوغ ذلك القصيد القمة « سنة أخرى فقط » الذى يتجسم فيه الشاعر مع كل الشهداء ومع الارض ومع المنفيين الرافضين جميعهم الموت والهزيمه والفناء .

• حوار مع صديق ملحد :

كتاب للاستاذ الشيخ مصطفى محمود طبعة ثانية تاريخ 1982 نشر دار المعارف فى ترجمة باللغة الفرنسيه لمارك شارتيه (Marc Chartier) . يتناول

فيه المؤلف عن طريق الحوار اركان الايمان وحقيقة العقيدة الاسلامية والحكمة السرمدية للخلق الالاهي المنزه عن الخطا او النقص اعتمادا على الادلة العقلية وعلى الاكتشافات العلمية التى تتفق جميعها وما جاء فى التنزيل القرآني منذ ما يزيد عن اربعة عشر قرنا واستعانة لتقريب الفهم من جميع الناس بأمثلة حرية بالاقناع وغير قابلة للجدال .

وإن هذا الكتاب للشيخ مصطفى محمود ليذكرنا بالطبيب العالم الفرنسي موريس بوكاي (Maurice Bucaille) الذى اعتنق الاسلام وبكتابه فى نفس الموضوع الذى صدر منذ سنة 1976 بباريس تحت عنوان « التوراة والانجيل والقرآن والعلم » .

• فـي الـصـيــد :

كتاب لابن المنقلي فى فن الصيد وأساليبه فى الصحاري فى القرن الثامن الهجرى الموافق للرابع عشر الميلادى ترجمه للغة الفرنسية زميلنا سابقا تونس الاستاذ فرانسوا فيريه وصدر فى منشورات سندباد عن المكتبة العربية التى يديرها أندري ميكال الاستاذ بالكولبج دي فرانس .

والكتاب ترجمه للنسخة الوحيدة لكتاب المنقلي الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريس .

فبعد مقدمة فى التعريف بأنواع الصيد المباحه الاستهلاك وكيفية تحليلها وذكر الصيد المحرم ينتقل المؤلف الى ترويض الحيوانات التى يستعان بها فى الصيد وترويض الصياد وآدابه واستعمال أدوات الصيد كالقوس والرمح والسيف وغيرها وكلاب الصيد ووسائل اتقاء الحيوانات خاصة الوحوش منها ثم يتناول جميع أنواع الطيور والحيوانات والاسماك مع توقي الاخطار المنجرة عنها ومن الحشرات والبعوض وغيرها بانواعها .

والترجمة حسنة دقيقة لأثر هام فى فن من الفنون التى اشتهر بها العرب وأبلوا فيها البلاء الحسن فشكرا للاستاذ فيريه على الخدمة التى يسديها للثقافة العربية بتوسيع اشعاعها عن طريق الترجمة الفرنسية .

فــى وطـــن الحـــب القـــاتـــل

إبداع : منيــة الحميــري

يا عابرا تدمر
يا عابر مقبرة الاحياء بصحرائها
قــف
خذ عيونى
اعطنى قطرة ماء
فالموت هنا لا يأتى من السماء
يــا عابــرا
أحلامنا الليلية نراها حمراء
حبات الرمال بصحرائها صارت حمراء
يــا عابــرا تدمــر
قبل أن ترحل احمل الى غبماره سلاما
اذا أبصرت أوراقى متناثرة كاوراق الخريف
أو سمعت أنهم أدانونى فلا تستغرب
فأنا أعيش فى وطن الحب القاتل
وفى زمن الموت الغامر
أما اذا أبصرت العناكب
تنسج حول أفكارى الصمت
فلا تستغرب
فأنا أعيش مثلما يرقد الميت فى قبره
أما اذا أبصرت جسدى على طول الشارع الممتد
على طول المدينة
ودمى يغسل مقصلة الشارع
فلا تستغرب
فأنا أعيش الانتحار والسفر
فى وطن « الحب القاتل » .

ردود سريعة

◆ **بيان البحر ـ دم الأسئلة ـ البحر :**

هذه ثلاث محاولات أدبيه راسلتنا بها من عنابه ـ الجزائر الصديق عبد الحميد . ش . ورأينا أن احداها سماها « إبداع » وهى تسمية أقرب الى واقع هذه الكتابة من أن نسميها « شعر » أو « قصيدة نثر » وذلك لان الشعر له مقوماته وقواعده وأساسياته لا بد من مراعاتها ليصير النثر شعرا . كما أن تسمية « قصيدة نثر » تحمل تناقضا واضحا على كاهلها وفى كنايتها ذلك أن « قصيدة النثر » ليست شعرا لانها نثر كما جاء فى اسمها ونحن لسنا ضد هذا النوع من الكتابة وانما نحاول أن نسمى الاشياء بأسمائها لان الخلط يجرنا الى عدم وضوح الرؤيه الفنيه والى التهميش واختلاط الراحف بالطائر مما سمح للادعياء بالتسلل الى المعمار المميز للقصيده العربية وتخريبه والاطاحه به ومعلوم أن كل عمل أدبى يفقد خصوصيته لا يستطيع أن يشارك فى الاضافه الى الآداب العالميه ولعل هذا ما جعل بعض النقاد يروجون مقولة : « الشعراء العرب اصبحوا يكتبون قصيدة واحدة » واستغل البعض هذه المقوله وادعى أنه يريد أن يتجاوز بكتابته لـ « قصيدة النثر » قصيدة الشعر دون أن تكون له القدره على التجاوز وذلك لعدم امتلاكه اشكالية قصيدة الشعر التى يريد تجاوزها لجهله بها أو لعجزه ووقوفه حائرا عوض أن يقوم بالاجهاز على ذلك العجز .

◆ **سحاب بدد ـ صرخة غريبة ـ صرخة نادرة :**

هذه عناوين لمحاولات أدبيه راسلتنا بها الصديقه آسيا ل. م من قسنطينة.

هذا ما يمكن أن نسميه « السهل المسع » الذى أصبحت ترخر به الصحف اليوميه مما أوهم شبابنا عندما تنشر لهم بعض الجرائد بأنه : «السهل الممتنع» وقد لا تتورع ـ حين تنشره لملء فراغها ـ من ان تسميه : (شعــرا) وهى لا تدرى أنها بذلك تساهم فى قتل روح المعاناة فى شبابنـا والحيلولة دونهم والشعر الاصيل ودوننا واكتشاف الشاعر الواعد وكلامنا هذا لا يعنى أننا لا نشجع الكتابات الشبابيه بل العكس هو الصحيح وهو الذى نعمل به حادين لاكتشاف الشاعر الواعد والشعـر الذى يـراعى خصوصية القصيده العربيه صوره .. وتعبيرا . وتركيبا .. وايقاعا أيضا . أليس الابداع يعنى الموسيقى ، فكل كلام منثور اذا كان جميلا صورا وتراكيب وتعابيـر يهبك الشعر اذا منحته الايقاع . فادرسى أوزان الشعر العربى يا آسيـا .

● **لأنك ابن الشعب تحمل معاناة المواطن التونسي أحببناك يا سيادة الوزير الأول :**

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الجزيرة » في عددها 31 الصادر في 15 أفريل 1985 مقالا بقلم : السيد محمد المسحوط ننشره بدورنا ليطلع عليه قراء مجلة « الفكر » .

بقلوبنا التي تملؤها السعادة ، وتغمرها الفرحة وبأفئدتنا التي تنبض بشرا وانشراحا .

وبمشاعرنا التي تكن لكم كل محبة وتقدير . نرحب بكم بينا ضيفا مبجلا، ونشكر لكم الفرصة التي اتحتموها لنا من جديد لنعبر لكم عما تجيش به مشاعرنا نحوكم من أحاسيس خلفها فيما جمله من الاسباب التي لا نستطيع نكرانها . ولا يجوز لاي مواطن تونسي في كل شبر من تراب الجمهورية غض النظر عنها :

أول هذه الاسباب أنكم الشخص الذي اختاره أبو الشعب ، ومنحه ثقته ليكون على رأس الحكومة التي تتابع أعمالها يوميا حرصا منه علينا جميعا وهي ثقة غالية لا يؤتاها الا من تعلم عن بورقيبة حب الشعب التونسي ، والعمل من أجل اسعاده والتضحية في سبيله .

وإحقاقا للحق لقد جعلتمونا نؤمن أنكم كنتم في مستوى هذه الثقة التي وضعت فيكم ، وذلك بعملكم اليومي لما فيه خيرنا وصلاحنا ، وبسعيكم المخلص والجاد نحو ارساء الاسس السليمة لحاضرنا ومستقبلنا وما هذه الاستقبالات الشعبية التي تحضكم بها في كل جهة من أرض الجمهورية الا عهد وفاء لكم ، ورباط ود واخلاص لشخصكم الكريم .

وثاني هذه الاسباب أنكم واحد من ابناء الشعب تحملون بكل حماس معاناة المواطن التونسي أينما كان ، وتولون العناية القصوى للمواطن الضعيف ، حرصا منكم على البلوغ به الى مرتبة غيره من المواطنين الذين نحسن مستوى عيشهم ، تحقيقا للتوازن الاجتماعي الذي نسعى لتحقيقه أغلب بلاد العالم الثالث .

وان ننس فلا ننسى ما فلنموه ذات يوم بمجلس النواب عندما كنتم وزيرا للتربية القومية لدى مناقشة الميزانية لقد أحسم يومئذ أحد النواب المحترمين ذلك الذي طالب بمراجعة نظام العطل المدرسية لانه حرم أبناءه من الرياضة الشتوية .

إن اغلب التلاميذ بمدارسنا من أبناء الطبقات الشعبية التي تفكر في الخبز ولا تعرف للرياضة الشتوية معنى ، ولسنا نعدو الحقيقة عندما نقول : إنكم تحسمون اليوم هذا الشعور خير تجسيم، فقد ادخلتم في عرفنا مصطلحات جديدة للعمل الاجتماعي نسعى جميعها لتجسيم تفاعلكم مع معاناة المواطن التونسي

فبرامج العائلة المنتجة ، والمنشئة المندمجة ، والحدائق العائلية ، والمهن الصغرى ، وتشغيل الشباب ، كلها عناوين لمفهوم واحد هو النهوض بالمواطن الضعيف ، والاخذ بيده ، وتعويده على نبذ التواكل ، وحثه على الاسهام في تغيير اوضاعه ، ومنحه شرف الاسهام في تغيير أوضاع مجتمعه ، بجعله عامل انتاج ، وعنصرا فعالا في تحقيق النمو والتطور .

وأي مكسب انبل واعظم من تحقيق فرحة الحياة للسائل والمحروم،وصون كرامة الانسان في مجتمع يسير بخطى ثابتة نحو التطور ، وفي عالم يموج موجا بالصراعات السياسية ، والازمات الاقتصادية التي تمثل امامه شبحا مخيفا يهدد الحضارة البشرية بالزوال والفناء في كل حين .

وثالث هذه الاسباب أنكم واحد من الذين يمثلون الاصالة القومية بكل ما تحمله الكلمة من معان . ويكفي ان نستمع الى خطبكم ، وان نقرأ كتاباتكم . وأن نتابع توجهاتكم أينما كنتم ، ولنلمس تعلقكم بهذه الاصالة ، ايمانا منكم بأن الانفصال عن الذات انبتات . وان التنكر للمقومات الحضارية للامة تقوقع. وأن التعلق بما هو غريب وبما هو دخيل ضياع وفناء .

ورابع هذه الاسباب انكم علم من أعلام الفكر التونسي المعاصر لا يستطيع أي مواطن واع نكران هذه الحقيقة ويكفينا شهادة على ذلك ما يقول عنكم رجال الفكر والسياسة في كل بلد زرتموه ، ويحق لكل تونسي أن يفخر بهذه الشهادة التي أحرزتم عليها من لدن اناس لا يتسرعون في منحها ، ولا يجازفون في اعطائها الا بعد ترو واقتناع كاملين .

لقد كنا معكم بقلوبنا يوم أن قلدتكم جامعة الصوربون ميداليتها اعترافا لكم بانكم واحد من اعلام الفكر المعاصر فقد أوضحتم يومها أنكم خير من فقه المعاني الانسانية للفلسفة البورقيبيه التي لا تؤمن بالجفوة بين الشعوب ولا تقبل العداوة بين البشر ، وانما تؤمن بالمحبة بين الناس ، وتدعو الى التعاون والتآزر لتحقيق كل ما هو حسن وكل ما هو نبيل .

وخامس هذه الاسباب انكم من أكثر المراهنين على وعي المواطن التونسي ، وإدراكه لواجباته وشعوره بمسؤولياته تجاه نفسه اليوم وغدا وذلك باختيار الديمقراطية طريقة للحكم والتسيير والاشتراكية منهج عمل وتفكير ، ورغم ما يصدر عن كثير من الافراد والجماعات ببلادنا من تصرفات تسيء الى توجهاتكم الديمقراطية وتحاول بكل يأس أن تبرز خطأ هذه التوجهات بدعوى أن المجتمع التونسي لم يحقق بعد الفهم المطلوب لهذه الديمقراطية فانتم ماضون بعزم ثابت وبشجاعة كبيرة وبصير لا ينفد في نفس الطريق لا تتراجعون عما اخترتموه ، معولين دائما على اصالة المواطن التونسي الذي يستغلب فيه حتما الادراك الكبير لهذا الاختيار ، والفهم الكامل لهذا المسار ، وتلك لعمري ميزة الانسان المخلص للمبادىء التي يؤمن بها ، والعامل على تحقيق المثل التي يتعلق بها بغير عقد وبدون مركبات .

ومن من التونسيين ينسى شعاركم الذي ناديتم به ، ونلمسه يوميا في خطبكم ، والداعي الى استعمال قوة الحجة ، ونبذ حجة القوة ، لهذه الاسباب نجد أنفسنا مدفوعين الى استقبالكم بكل جدارة ، وبكل انشراح ، وفي منتهى العفوية والتلقائية ، لا يدفعنا الى ذلك دافع أو محرض الا ما وجدناه فيكم من اخلاص لنا ، ومن تفان في خدمتنا بنفس الروح البورقيبيه الناصعة التي تعلم المسؤول العمل الشريف لما فيه خير المواطن التونسي اينما كان موطنه . ومهما كان مشربه .

والحق يقال : إن حضورنا لاستقبالكم لا يعني انكم جئتمونا بعد غياب وبعاد طويلين . فأنتم معنا كل يوم ، ونحن معكم كل ساعة بل كل لحظة نتابع

عن طريق وسائل الاعلام حركيتكم ونشاهد بكل انتشاء زياراتكم العديدة لمناطق الجمهورية معجبين بالتجاوب القائم بينكم وبين المواطن التونسي أينما كان،وباعتمادكم الالتحام بالجموع الشعبية الهازجة التي أحبت بورقيبه بمحبته لها ، حتى صار لديها سي الحبيب ومحضنكم المحبة والتقدير لانكم تعاملونها بنفس الطريقة التي عاملها بها بورقيبه ، فكان بحق أبو الشعب الذي لا يخرج عن طاعته أي تونسي مهما كان شعوره .

ومن المؤكد انكم ستكونون لهذا الشعب خير مسؤول نلقى من المدرسة البورقيبيه ارفع المبادىء الانسانية ، واعمقها سموا ونبلا ، قد يخطىء بعضنا عندما يتصور ان زياراتكم لمناطق الجمهورية فرص للترويح عن النفس ، والابتعاد عن ارهاقات العمل .

إن زياراتكم في نظرنا كما عودنا الرئيس الجليل أبقاه الله هي في المقام الاول للعمل ، والاطلاع على أحوال المواطنين من قرب ، ودفع عجلة التنمية بكل ربوع الوطن .

فكم من انجاز قمتم بتدشينه ، أو وضع حجر الاساس له، يقوم شاهدا على اهمية هذه الزيارات التي تقومون بها . واكرم بها من زيارات تسابق الزمن من اجل الرفع من مستوى المواطن ، وتحقق نهضته الشاملة .

إن زيارتكم اليوم لولاية مدنين ، وفي موعد لاحق من هذه الزيارات التي فيها كل الغنم للمواطن ، فتدشينكم للمستشفى الجهوي بجربة ، وللثلاثة نزل جديدة عملاقه ، والسلك القومي التونسي ، والقطب الصناعي بجرجيس ، وبوضعكم حجر الاساس لمعهد آجيم ، وتدشينكم لمينائها وإعطائكم اشارة الانطلاق لتربية الاسماك ببوغرارة علامات مضيئة في حياتكم السياسية على راس حكومة المجاهد الاكبر .

وكلها مشاريع تحج المشككين في صدق النوايا التي تمتاز بها كل المسؤولين المخلصين الذين ينتسبون لحزب الامة العتيد .

فتحية محبة ووفاء لكم،وتحية تقدير وعرفان بالجميل للدور الذي تضطلعون به ، وتحية إخلاص لكم من أبناء الجنوب الاشاوس الذين يحظون بعطف الرئيس الأبوي ، اذ كانوا عدته أيام الكفاح ، وهو اليوم حماة الديار الذين لا يتخاذلون في حماية الوطن . جنود بورقيبه على الدوام ، يحبون من أحبهم ويخلصون لمن أخلص اليهم وتلك طبيعتهم ، فلقد فطروا على الامانة ، وجبلوا على النزاهة ، لا يبدلون ولا يغيرون وهم على العهد محافظون .

● سليـل الحـركة الفـاعلية :

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « العمل » في عددها : 1092 الصادر يوم الثلاثاء 21 / 5 / 1985 مقالا بقلم السيد المنصف بن فرج جاء فيه ما يلي :

ما من شك ان المدرسة البورقيبيه انجبت لتونس مفكرين افذاذا وساسة ملتزمين بالمبادىء الانسانية البناءة أرادهم قائد المجاهدين دعامة حيوية تجدد انفاس المسيرة التنموية الشـاملة على الـدوام بالتخطيط القـويم والنشاط الهـادف .

وفي طليعة الفوج الاول من خريجي المدرسة البورقيبيه العتيـدة نـلاقي الاستاذ محمد مزالي الوزير الاول والامين العام للحزب ووزير الداخلية كمفكر حصيف الرؤى على رأس حكومة الثمانينات التي نوات القطاعـات الحيـوية المرتبطة الاولوية المطلقة من مشاغلها الاساسية وانجازاتها الضخمة .

ومن بين هذه المشاغل يرد القطاع الفلاحي الذي يعد أهم محور تدور حوله حركية الانتاج القومي التي يتم من خلالها ضمان الامن الغـذائي للمـواطنين وتحقيق الاكتفاء الذاتي للاستهلاك العومي وقد أورد الاتحاد القومي للفلاحين ضمن سلسلة منشوراته الهادفة كتابا يحتوي على مجموعة من أقوال الوزير المفكر الاستاذ محمد مزالي منتقاه من خطب ألقاها سيادته في الفترة الفاصلة بين سنتي 1980 و 1984 وذلك تحت عنوان « الفـلاحة رهـان حضـاري » .

وجاء في التمهيد الافتتاحي لمحتوى الكتاب ما يلي :

« ... ان السيد محمد مزالي ليس فقط المفكـر والمنظـر لتنميـة شاملة ومتوازنة قوامها النهضة بالفلاحة بل هو ايضا رجل الانجاز وسليل الحركة الفاعلة من أجل التغيير والتطوير ... لذلك ، وانطلاقا من تصـور شامـل لمعطيات الواقع ومستلزمات المستقبل القريب والآجل ، شرع في التنفيـذ ، وبدا العمل بتطوير التشريعات القائمة وسن تشريعات جديدة سواء في مجال الاستثمار والتمويل أو على صعيد الوضع القانوني للرصيد العقاري والملكيـة أو فيما يخص متطلبات التوازن الجهوي حسب توزيع تفاضلي لمختلف منـاطق البلاد وفي هذا الاطار سنت تشريعات جريئة لسحب التغطية الاجتماعية على الفلاحين والبحارة والعمال الفلاحين وصدرت مجلة النهـوض بالاستثمارات الفلاحية التي كان من نتائجها تركز مؤسستين هامتين هما : وكالة النهوض

بالاستثمارات الفلاحية وبنك التنمية الفلاحية وتاسيس عدد من شركات الاحياء هذا بالاضافة الى بعث مجلس أعلى للقرض الفلاحي وصندوق للتعاضد والتعاون وآخر لتعديل الاسعار وسن اجراءات للتشجيع على تصدير المنتوجات الفلاحية وغزو أسواق جديدة وتوسيع اطار التسهيلات الجبائية والاعفاءات القمرقية ... » .

اذن يعتبر هذا الكتيب تبيانا هادفا لما حققته السياسة البورقيبيه من انجازات مثمرة على صعيد النهوض بالمجتمع التونسي واعطائه مكانة حضارية مرموقة بين شعوب العالم التائقة الىالنمو والرقي المتكامل .

● جائزة الابداع القصصي لنادي القصة :

I. الشـــروط :

بمناسبة مرور عشرين سنة على نادي القصة. يعلن نادي القصة بالوردية عن تنظيم مسابقتين احداهما في الابداع القصصي خاصة بالرواية والقصة القصيرة ، والثانية خاصة بالقراءة القصصية وذلك بنقد نماذج من القصة القصيرة والرواية التونسيتين ودراستهما .

أ ـ بالنسبة الى المجموعة القصصية والرواية :
1) أن يكون المشارك من اعضاء نادي القصة .
2) الا يكون الانتاج المرشح قد سبق نشره جزئيا أو كليا .
3) الا يقل عدد صفحات المجموعة القصصية أو الرواية عن 150 صفحة مرقونة 31 × 21 .

ب ـ بالنسبة الى القراءة القصصية :
1) الا يكون الانتاج المرشح للجائزة قد سبق نشره في شكل كتاب.
2) الا يقل عدد صفحات الدراسة عن 150 صفحة مرقونة قياس 31 × 21 .

II. آخر اجل لقبول الانتاج :

يقدم الانتاج (مجموعة قصصية ـ رواية ـ دراسة) في ثلاثة نظائر عن طريق البريد مضمون الوصول باسم السيد رئيس نادي القصة 77 مكرر شارع بلفي ، الوردية ـ 1009 تونس ، في أجل أقصاه موفى شهر اوت 1985 .

اسم صاحب الانتاج ولقبه لا يجب أن يثبتا على الاثر المقدم للمسابقة ، بل يرسمان على ورقة توضع فى ظرف خاص .

III. الجوائز :

يعلن عن نتائج المسابقة خلال شهر ديسمبر 1985 .

خصصت ثلاث جوائز لكل من الرواية والمجموعة القصصية والدراسة :

- الجائزة الاولى : ومقدارها الفا دينار (2.000 د)
- الجائزة الثانية : ومقدارها الف دينار (1.000 د)
- الجائزة الثالثة : ومقدارها خمسمائة دينار (500 د)

● الأسبوع التونسى بالمنامة :

اقيم فى الفترة الفاصلة بين الخامس والعشرين من شهر فيفرى وغرة مارس 1985 أسبوع تونسى بالمنامة عاصمة البحرين ، وقد تركب الوفد الثقافى التونسى الذى ترأسه السيد البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية من السادة : عمار القيزانى ، عبد العزيز قاسم ، عبد الجليل التميمى ، نورة الرياحى وعبد العزيز الدولاتلى ... وتجسمت المشاركة الثقافية التونسية فى تقديم محاضرات وحفلات موسيقية ، فقد قدم الاستاذ البشير بن سلامه محاضرة حول السياسة الثقافية فى تونس ، وألقى السيد عبد العزيز قاسم محاضرة حول الشعر التونسى الحديث من أبى القاسم الشابى الى اليوم ... وساهم الدكتور عبد الجليل التميمى بحوار حول الحركية التاريخية العربية الجديدة واهمية التعامل مع الوثائق لكتابة تاريخ الوطن العربى بينما ألقى الدكتور عبد العزيز الدولاتلى محاضرة حول العمارة الاسلامية ... أما الفرقة القومية للموسيقى فقد قدمت حفلات موسيقية أبرزت فيها الطابع الموسيقى التونسى الاصيل .

الفهرست السنوي

فهرس المواضيع

ادب ـ ثقافة ـ تربية

فلسفة ـ تاريخ ـ حضارة

سياسة ـ علوم ـ اجتماع

لغة ـ نقد ـ تراجم

الشعـر

القصة

إبداع وتعريب

فهرس الكتاب

الفكر تحتفل

تحتفل مجلة « الفكر » فى أكتوبر 1985 بمرور ثلاثين سنة على صدور أول عدد منها منذ تأسيسها فى أكتوبر 1955 على يدى الاستاذ **محمد مزالى**

الفهرس

الصادق شرف
(سكرتير التحرير)

نعيمه الصيد
(مكلفة بالادارة)

الشركـة القومية التونسية لعجيـن الحلفاء
الشركة التونسيـة لورق الحلفـاء
شركـة الاتجـار في الورق

6 شارع الحبيب بورقيبة ـ تـونس
الهـاتف : 243.833
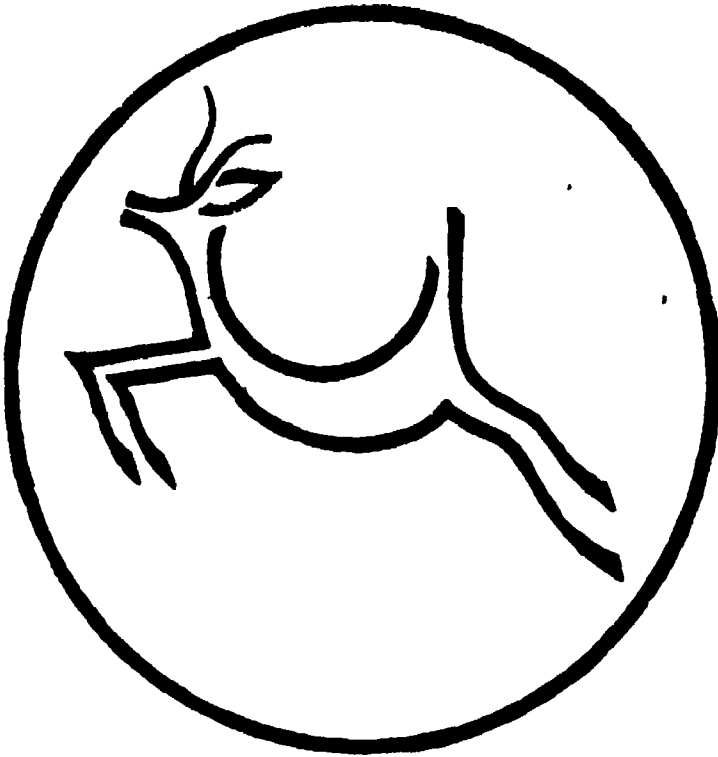
SNTC - STPA - SOCOPAPIER

6, Av Habib Bourguiba - Tunis

Tél : 243.833. Telex : Cellulex 12430

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس

للتلفون : 260.237

الحساب الجاري : 337.69 ـ تونس

العنوان : ص. ب : 556 تونس 1025

● تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة وتحتجب في شهري اوت وسبتمبر .

● قيمة الاشتراك السنوي :

الاشتراك العادي بتونس والبلاد العربية 6 دنانير .

الاشتراك بالخارج : 7 دنانير .

اشتراك الانصار : 12 دنانير .

● الاشتراكات يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة او يصب في حسابها الجاري : 337.69 ـ تونس .

● الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر .

● المراسلات تكون جميعا باسم :

مدير مجلة « الفكر »

صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

العدد 2 ـ نوفمبر 1985 ـ السنة الواحدة والثلاثون

EL-FIKR Revue Mensuelle Culturelle - 31e Année - N° - 2 NOVEMBRE 1985

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم ـ تونس

تحت رقم 988 /1985 الايداع القانوني 4 / 1985

« ورق الفكر » من انتاج « الشركة القومية لعجين الحلفاء والورق »

هذا العدد

أردناه سجلا آخر لما تم أثناء الاحتفال بالذكرى الثلاثين لصدور مجلة « الفكر » وقد كنا دونا في العدد الاول من السنة الواحدة والثلاثين ما ازمع العديد من الشعراء والكتاب المساهمة به في هذه الذكرى ولكن تراءى لنا ان إقبال اصفياء « الفكر » ومحبيها على المشاركة اكثر بكثير مما يمكن ان يحتويه عدد من « الفكر » مهما تعددت صفحاته ولهذا قررنا أن يكون هذا العدد أيضا وما بعده مجالا لتدوين ما جادت به القرائح في المجلس الفكري الذي التام حول الاستاذ محمد مزالي والايام الاربعة التي كرست لهذا الغرض (من 7 الى 10 اكتوبر 1985) .

واذا كانت هذه الذكرى التامت في أيام عصيبة كانت فيها تونس هدفا للاعتداء على سيادتها وغرضا خاصة لغارة جوية شرسة شنتها إسرائيل على بلادنا فاننا اعتبرنا هذه الذكرى وما تم التداول فيها إنما هو في صلب النضال الذي ما فتئت تخوض مجلة « الفكر » منذ تاسيسها : سواء في تسجيل معارك التحرير التي كانت تونس في ذلك الوقت تشق غمارها لتظفر باستقلالها او فيما بعد لتركيز سيادتها بشن حرب الجلاء العسكري والزراعي وبعث المؤسسات ورسم خطى النهضة والتقدم أو في الكفاح من أجل القضايا العادلة مثل كفاح الشعب الجزائري البطل ونضال الشعوب الافريقية للظفر باستقلالها أو مكافحة الميز العنصري وخاصة قضية الشعب الفلسطيني التي هي أم القضايا في عدالتها وشرعيتها .

وهكذا تبين لنا في هذه المناسبة التي التقى فيها الادباء والكتاب من عديد البلدان أن مجلة « الفكر » لم تحد عن منهجها وأنها لا تزال تعتبر أن ما يجمع اسرتها ويؤلف بينهم ويحدو الذين رضوا الكتابة فيها إنما هو هذا الدأب الذي لا يني لبناء الكيان وتاصيله فكريا وثقافيا وحضاريا والتصدي في هذا الكفاح المستمر لكل العراقيل والمحبطات ثم هو هذا السعي الاكيد لتجديد رؤيتنا بالاحتكاك بالامم الاخرى وإحلال الحوار بين سائر الثقافات والحضارات حتى يتسنى لنا لا مواكبة العصر فقط بل الاسهام في ركب الحضارة المعاصرة العصرية .

وإن ما سعت إليه مجلة « الفكر » منذ تاسيسها في الحث على استجلاء المشاكل وتوضيح السبل وبسط القضايا والتحسيس لجوهرى المسائل الاستنكاف من الوقوع في هوامش الاشياء والاعراض عن الضرب في سفساف الامور وعن الانزلاق في عرضي المظاهر وبريق الموضات انما هو الذي مكنها من الدوام والثبات . ولم يفتنا في يوم من الايام ان هذا السعي لم يكن دائما شاملا لكل ما ينشر وانه ليس في الامكان ولا من المعقول أن يكون محتوى المجلة على نسق موحد ووتيرة واحدة وغاية ما نصبو اليه هو أن تكون المجلة مرآة للطاقات المنصرفة الى الادب والكتابة في تونس وأن تفتح صفحاتها للمساهمات المتنوعة والمتعددة في الوطن العربي من غير التقيد بفلسفة ما أو مذهب مهما كان خطره أو التشبث بعقلية نحلية أو خدمة اغراض زائلة أو قيم زائفة . هذا دابنا وهذه هي شميتنا .

البشير بن سلامة

إلى القارئ

ارى من واجبي ، في هذه اللحظات السعيدة ، (*) ان أتوجه بجزيل الشكر وبالغ الامتنان الى جميع الحاضرين هنا ، وأن اعبر لهم عما يغمر نفسي من شعور بالاعتزاز والعرفان ، ذلك أن حضوركم يكتسي معنى الرمز ويسمو فيتنزل منزلة الوفاء والاخلاص نحو مجلة « الفكر » التي تعتز باقبالكم عليها واجتماعكم حولها في هذا اللقاء الرائع الذي يشير الى ما يعمر قلوبكم من تعلق بالمبادىء التي من أجلها بعثت ، ويبرز احتفاءكم بالمثل والمعاني التي دعت الى تنظيم هذا الحفل .

نعم ، ان حضور هذا الجمع الغفير من الادباء والمثقفين وأحباء « الفكر » واصفيائها انما يؤكد على ان هدفا عزيزا من الاهداف التي تاسست لها مجلة « الفكر » وناضلت من أجلها قد تحقق على أوسع مدى واسمى مستوى ... الا وهو أن يصبح الفكر وكذلك الثقافة عامل تاثير في المجتمع وفي الحياة العامة ، وعنصرى ربط وجمع بين الطاقات المنتجة والمبدعة ، مهما تنوعت عطاءاتها وتباينت افكارها واختلفت اتجاهاتها .

واني لاستسمحكم في ان اخص بعميق الشكر وسامي التقدير جميع الاصدقاء من اساتذة وادباء واديبات ، الذين تجشموا عناء السفر من شتى انحاء الوطن العربي ، ومن أبعد القارات ليكونوا معنا في هذه المناسبة ... وليسهموا بكلماتهم ـ شعرا ونثرا ـ في هذا الحفل البهيج ، الذي لم يعد

(*) هذا نص الخطاب الذي القاه الاستاذ محمد مزالي في افتتاح الذكرى الثلاثين لصدور مجلة «الفكر» وذلك يوم الاثنين 7 أكتوبر 1985 بقصر المؤتمرات بتونس .

ـ بفضل حضورهم الشخصي ومشاركتهم الادبية والفكرية ـ عيدا لمجلة تونسية وعربية ... بل اصبح عيدا قوميا للفكر العربي وللثقافة العربية ولم لا للثقافة الانسانية ... واصبح كذلك تشييدا واسهاما في بناء المستقبل الفكري والنهضة الثقافية للامة العربية ولاجيالها القادمة ... التي سوف لا تشكو القطيعة ولا تشعر باغتراب بعضها عن بعض ... كما كانت الحال بين الاجيال السابقة .. ولا بعزلتها عن العالم المتقدم ، ذلك أن في هذا اللقاء تجسيما لهدف آخر من الاهداف الجليلة التي كرست لها مجلة « الفكر » آلاف الصفحات طوال سنوانها الثلاثين ... الا وهو البعد العربي الاسلامي من جهة والعالمي من جهة اخرى .

واذا كنت توجهت بشكري وتقديري ، نحوكم ، ثم خصصت بذلك ضيوفنا الاجلاء من ادباء واديبات واساتذة ، فانه لا يفوتني أن أتوجه ايضا بعميق التحية والتقدير والشكر الى جميع الكتاب والشعراء التونسيين الذين واكبوا مسيرة « الفكر » وساهموا باقلامهم وانتاجهم في مختلف سنواتها وأعدادها منذ فجر ميلادها في غرة اكتوبر عام 1955 الى يومنا هذا .. وما زالوا يساهمون ويعدون بالاسهام مهما كثرت اسهاماتهم أو قلت . فلهم منا جميعا في هذا المهرجان ثناء عطر صادر من الاعماق اذ ما من واحد منهم الا وله في هذا العيد نصيب !

وهل يمكن أن تنسى المجلة او اسرتها فضل جميع القراء التونسيين والعرب الذين ساندوها واقبلوا عليها وشجعوها ؟ سواء بالاشتراك فيها أو بدوام مطالعتها حتى تخرجت من التمرس بها اجيال من المثقفين والادباء ، وتحول العشرات بل المئات منهم الى مبدعين ومنتجين ...

هكذا اسهم كل هؤلاء بادبهم وأبحاثهم في مسيرة « الفكر » وجمع بينها وبينهم رباط من الود والتعاون وثيق وانبرم عهد صادق من الوفاء والمثابرة.

وفي هذا الصدد لا بد من التذكير بان هذه المسيرة ، الفريدة من نوعها في معظم البلدان العربية ، وفي تونس بوجهخاص ، ما كان لها ان تكون على هذا النسق المتواصل وهذه المثابرة الجادة لو لميكن لاسرتها عزمقوي وارادة صلبة وايمان عميق بدور الفكر واثره الفعال في حياة الشعوب وتغيير العقليات وتطوير المجتمع .

أجل !... لقد كان هذا هو المحرك والدافع لمسيرة « الفكر » والمحدد لاهدافها وعملها ... وهو نفسه الذي جمع المخلصين حولها وربط بين

قلوبهم وأقلامهم يوم انطلقت مسيرتها وصدرت اعدادها الاولى فى ظروف لم يكن أى منها ليساعد او يشجع أحدا على مثل هذه المغامرة ...

ففى غرة اكتوبر 1955 ـ يوم صدر العدد الاول من سنتها الاولى ـ لم تكن تونس قد نالت بعد استقلالها ولا حتى مارست الاستقلال الداخلى الذى كان مجرد وعود ونصوص على الورق . وكانت جميع المثبطات قائمة ... سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا ...

فقد فشلت كل التجارب السابقة فى ميدان الدوريات الادبية والثقافية وشلت بسبب العجز المادى أو المناخ الذى كانت تخيم عليه الروح الاستعمارية وعقلية عصور الانحطاط والجمود .

لقد كان الشعب التونسى يخوض معركة المصير والتحرير بقيادة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه ... وكان المثقفون والادباء فى حالة من الترقب والانشغال تصرفهم عن القيام بمغامرة ، من قبيل مغامرة « الفكر » ورغم هذه الظروف والعوامل التى لم تكن لتساعد أو تشجع أحدا على اصدار مجلة ، أو الوثوق بنجاح صدورها وثبات مشروعها فقد كانت هناك رؤية مستقبلية جادة ، فيها من الايمان والامل والعزم ، ما حفز الهمة للاقدام والمغامرة وعمق الثقة فى ان مصير تونس سيكون وحده الملهم والحافز للعمل والنجاح ...

وهكذا صدر العدد الاول من « الفكر » يوم غرة أكتوبر 1955 متحديا للعقبات ، قاهرا الياس ، مبشرا بمستقبل زاهر يتحقق فيه النصر والسؤدد لا بالنسبة للادب والفكر فحسب بل للشعب ... فى شتى مجالاته وللوطن فى اسمى غاياته .

لقد اهابت « الفكر » منذ عددها الاول برجال الفكر والادب وجميع ذوى الاختصاص وعامة المثقفين كي يسهموا فى بناء تونس الجديدة وينكبوا ـ كل فى ميدانه ـ على معالجة القضايا القائمة . ودفع مسيرة الشعب الى التقدم والنهضة ، حتى تصبح تونس فى مستوى امجادها الشامخة ، وطموحاتها الجديدة .

لقد برزت « الفكر » والمجتمع التونسى يجتاز مرحلة دقيقة فى حياته هو فى اشد الحاجة فيها الى ان يعرف نفسه ويعي منزلته ويوضح اهدافه ويضبط سبلها . وكان المثقفون يقاسون من الكبت والتمزق ما يجعلهم يشعرون أكثر من غيرهم بما يعانيه شعبهم من قهر ويواجهه من شتى مظاهر الاستلاب .

ولعل اهم ما يحتاج اليه المفكر والاديب انما هو حرية القــول والتعبيــر وتوفر مجالات النشر .

قد كان هذا حلم جميع الادباء والمثقفين التونسيين ... من عهد خير الدين وبيرم الخامس وابن ابي الضياف الى جيل الشــابي والبشــروش وخــريف والدوعاجي وزين العابدين السنوسي . وكانت لكل جيل محاولاته ومساهماته في بناء النهضة وتجديد الادب والدعوة الى الاصلاح والنضال من أجل حرية الشعب وحرية الفكر والتعبير .

فقد اضطلع كل جيل منهم بدور مجيد وكان له اسهام فعــال في إحيــاء ثقافتنا وتطويرها وفي الدفاع عنها وعن شخصيتنا العربية الاسلامية .

ومن مفاخرنا الثقافية ان قام كل جيل ، بل كل مثقف تونسي منذ القرن الماضي وحتى الاستقلال ، بدوره ونضاله في حدود طــاقته ووعيــه وايضــا بحسب الظروف الاستعمارية الظالمة التي عاشوها ، والتي لم يكن فيها قط ما يساعدهم على الابداع او النهضة ... ومع ذلك فاننا نجــدهم قــد حققــوا تجارب وانجازات كانت ـ رغم قصرها ـ رائدة وذات اثــر مهــم في الادب والفكر وفي الحياة والنهضة .

إن اول مجلة صدرت في تونس كانت مجلــة « السعــادة العظمــى » التي أصدرها عام 1904 الشيخ محمد الخضر حسين ، ورغم كونها لم تعش سوى عام واحد فانها تعد طليعة كل التجارب والمشاريع اللاحقة .

لقد صدرت بعدها عشرات المجلات والصحف الادبية والثقافية ، فضــلا عن الدوريات السياسية والوطنية والاقتصادية ...

لكن لم تقم أي منها بما قامــت بــه مجلة « العــالم الادبــي » للمرحــوم زين العابدين السنوسي ومجلة « المباحث » للمرحوم محمد البشروش .

فعلى الرغم من عمرهما القصير الذي لم يتجاز الخمس سنــوات ، فانهمــا كانتا قطب حركة ادبية تجديدية رائدة وملتقى الطليعة من الادبــاء والمثقفين المعاصرين لهما .

وانه لحدث كبير وهام جدا ان تصمد اية مجلة او جريدة في عهد القمــع والكبت الاستعماري لمدة خمس سنوات كما صمدت « المبــاحث » و « العــالم الادبــي » ...

ومن هنا كان صدور مجلة «الفكر» فى المرحلة الفاصلة بين عهد الاستعمار وفجر الاستقلال بمثابة بواكير تونس الجديدة ... تونس الحرة والمستقلة ، تونس الأصالة والتفتح ... تونس المعتزة بعروبتها واسلامها والمتطلعة الى حضارة جديدة وفكر رائد وأدب ينبع من الذات ويعبر عن الواقع ويلتزم - بدون إلزام - بقضايا الشعب ويشارك - باختيار حر - فى مسيرة التقدم ومعركة البناء ... فيكون بذلك أكثر وسائل التعبير والفنون صدقا وتجاوبا مع الحياة والعصر وقضايا المجتمع .

وفى الحقيقة لم يكن هذا هو فقط اختيارنا وبرنامجنا بل كان أيضا واجبنا وقدرنا ... وكيف لا يكون كذلك والمجلة تصدر فى موعد تاريخى حاسم أى مع فجر الاستقلال .

لقد كان على « الفكر » أن تنهض بدورها فى مواكبة الكفاح الوطنى ومعركة البناء فى شتى الميادين ، وان تجند حولها وعلى صفحاتها جميع الاقلام والعقول الجادة والمخلصة للمساهمة فى بناء السيادة الوطنية وبلورة الشخصية الثقافية والحضارية للشعب التونسى .

وكان على « الفكر » بالخصوص ان تتجاوز الهامشيات وان تصمد امام المثبطات والسلبيات - وما أكثرها فى سنواتها الاولى خاصة - وان تضطلع برسالتها بكل ثقة وايمان واخلاص .

والحق ... انه ما كان لاسرة « الفكر » ان تصمد ، ولا للمجلة ان تعيش عمرها المديد ، لولا المناخ النهضوى والفكرى والاجتماعى الحر الذى توفر للصحافة التونسية بعد الاستقلال والذى لم يتوفر مثله قط طوال عهد البايات أو العهد الاستعمارى .

وهنا يبرز دور الرئيس الحبيب بورقيبه الذى جاهد وكرس كل حياته من اجل الانسان التونسى ومن أجل أن يكون حرا وسيدا فى وطنه .

ولم يدرك أى قائد او زعيم قيمة الحرية ودور الفكر والثقافة فى حياة الشعوب كما وعاها وسما بها الرئيس الحبيب بورقيبه .

وليس هذا بغريب ، فقد بدا جهاده عن طريق الصحافة واسس جريدة « العمل » قبل ان يؤسس الحزب الجديد ... فكان كاتبا وخطيبا ومفكرا وصحفيا مدة ربع قرن قبل الاستقلال .

فلا عجب ان يجعل من الفكر والثقافة والصحافة دعائم أساسية لعهده ، وان يتيح للمثقفين وصحفهم المناخ الذى حرموا منه في عهد الاستعمار ...

ان هذا المناخ القائم على احترام الانسان وحريته ليس هو فقط الذى جعل المجلة تذلل كل الصعوبات وتتجاوز كافة العقبات المثبطات ، لان ذلك شرط أساسي ولكنه غير كاف اذ والحق يقال ما كان للمجلة ان تصمد لولا خصال كنت أبرزتها فى عدة مناسبات تحلى بها الساهرون على « الفكـر » ومكنـوا « الفكر » بفضلها من أن تثبت وان تواصل دون كلل مسيرتها طيلة ثلاثين سنة لم تتاخر فيها يوما واحدا عن الصدور أو الالتقاء بقرائهـا مـع غـرة كـل شهـر .

ان المثابرة الفريدة من نوعها التى كانت ولا تزال سمة « الفكر » انما هى وليدة إرادة ذاتية وجهد شخصي ، اذ لم تكن « الفكر » منذ صدورها وحتى الآن تابعة لاية جهة رسمية أو لسان اية مؤسسة حكومية ...

على أن أهم ما تتميز به « الفكر » فى حياتها وتاريخها انها مجلة متجذرة فى البيئة التونسية برغم بعدها العربى والافريقى وحتى العالمى .

انها بالدرجة الاولى مرآة حقيقية وشـاملة للحيـاة الـوطنية وللمجتمـع التونسى طوال عهد الاستقلال وستظل كذلك ما كتب اللـه لها ان تعيش . انها كذلك لانها تقوم على مجموعة من العناصر الواضحة والاسس الثابتة منها عدم التنكر لماضى الامة بل الاعتبار به ، بكل ما فيه من سلبيات وايجابيات .. أى احتواؤه والنظر اليه نظرة موضوعية فاحصة تجعلنا قادرين على استجلاء قيمنا واتخاذنا اياها نبراسا لنا وهداية على أساس أن أمجاد ماضينا وابداعاته هى جزء من كياننا ومظهر من ذاتيتنا نفخر بها ونعتز دون الانزلاق الى ارادة التشبث بما يمكن ان ينطوى عليه الماضى من نقائص وسلبيات مما ينبغى ان نتحاشى الوقوع فيه او الانتساب اليه .

ومن ذلك أيضا التجذر فى الثقافة والحضارة التونسية ، حفاظا على مميزاتها وتمسكا بخصوصياتها ...

وبذلك تكتسى إسهاماتنا الذاتية فى الحضارة العربية والاسلامية لونا متميزا له طعمه وخاصياته ، وتصبح رافدا ثريا من جملة روافد هذه الحضارة التى نحن جزء منها وحلقة مشرقة من حلقاتها .

ان ما يمكن « للفكر » ان تعتز به ـ بحق ـ هو انها صانت نفسها عن أن تكون منبرا للايديلوجيات العابرة والشعارات الفارغة . لقد كان شعارها دوما وما يزال التمسك بالقيم الثابتة في شخصيتنا وحضارتنا والتفتح على الثقافات المختلفة والآداب العالمية الخالدة ، متجنبة دائما القوالب الجاهزة والتقوقع في الاساليب المحنطة أو الجنوء الى البروج العاجية .

ومع هذا فان «الفكر» قد فتحت صدرها وصفحاتها على مدى الثلاثمائة عدد الماضية وستفتح صدرها وصفحاتها على مدى اعدادها القادمة ، لكل المواهب والتيارات والاتجاهات الفكرية الادبية ، وستواصل فتح المجال الى الطاقات الشابة حتى ترسخ قدمها ويصلب عودها وبذلك تتعانق على صعيدها كل المواهب وتتلافى كل الاجيال بطاقاتها المبدعة دون أى قيد أو اعتبار ويتم التغلب على العقد والمركبات التى كانت تكبل الحياة الادبية والفكرية بتونس بل وفى البلاد العربية .

وان « الفكر » لتعتز بانها نجحت في تحقيق كل ذلك ، اذ جعلت صفحاتها منابر لكل طريف وفكر حي بصرف النظر عن الكاتب الذى انتجه أو المذهب الذى ينتمى اليه هذا الاديب او ذاك .

بل انها لتعتز بكونها ساهمت في بلورة معنى الثقافة وجنحت بها الى الشمول والى الرفع من منزلة الانسان التونسى بل العربى وذلك بتوسيع آفاقه وتغذية طاقاته وتنمية مداركه وتزكية مواهبه ودعم امكاناته وترسيخ قدراته ودعوته الى ان يمسك بعجلة الزمان وان يواكب الحياة في تطورها العلمى والتكنلوجى اسهاما منه في نحت مصيره وفرض وجوده والسيطرة على الاحداث بما يكون قد تسلح بـه من علوم واكتسبه من تقنيات تجعله يعيش عصره ويتوق الى ما وراء الافق ويقي نفسه من غائلات الدهر ويصد عن كيانه طمع الطامعين وكيد الكائدين وهو ما لا يزال ينادى به المجاهد الاكبر الرئيس بورقيبه كشرط للخروج من التخلف والاضطلاع بالمسؤولية كاحسن ما يكون الاضطلاع بالمسؤولية في هذا الوجود .

وهل من سبيل الى ذلك غير التزود بالعلوم والتقنيات والمشاركة فى تقدم البحوث والاكتشافات مما يكون ميسورا لو تظافرت جهود العرب جميعا فاعدوا لذلك ابناءهم ووظفوا اموالهم ... ووقفوا سدا منيعا فى وجه كل المعتدين المجرمين من مثل اولئك الصهاينة الذين اغاروا منذ ايام على حمام الشاطىء

بتونس مخلفين وراءهم عشرات من الضحايا الابرياء من تونسيين وفلسطينيين.

انه ليس من المباهاة في شيء ان يضاف الى رصيـد « الفكـر » اعتزازها بالدور الذي قامت به في الدفاع عن حرية الشعوب والقضايا العادلة المشرفة وبوجه خاص القضية الجزائرية أيام كفاحها التحريري فلقد ساندت « الفكر » الثورة الجزائرية بما نشرته من حقائق واصدرته من أعداد خاصة قد حللت ابعاد الثورة واشادت بابطالها وصدعت بايمانها بأن ما اقبـل عليه الشعب الجزائري من تضحيات وعمل بطولي لا بد أن يكسر الاغلال وينتهي الى النصر والاستقلال . وهذا هو بالضبط ما تقوم به لمسانـدة الثـورة الفلسطينيـة ولمناصرة المضطهدين في جنوب افريقيا ، الذين يقاسون الوانـا من القمـع والاضطهاد العنصري .

واذا كانت هذه المساندة لقضايا الحرية والعدل في افريقيا والعالم العربي جعلت للفكر بعدا عربيا وآخر افريقيا ، فان لها كذلك بعدا عالميا عن طريق جهودها المكرسة لخدمة التفاهم بين الشعوب والحوار بين الثقافات وخـاصة الحوار بين الحضارة العربية الاسلامية والحضـارة الغـربية بما نشـرته من دراسات وابحاث ومن مترجمات أو تعريفات توضـح العلاقـات التـاريخية والعلمية بين الحضارتين مما يعزز التعاون والتفاهم بين الشعوب .

هذه لمحات ومقابسات مما حققته مجلة « الفكـر » وهي ليست الا نمـاذج وعينات ... اردت أن اذكر بها في هذه المناسبة الجديـدة التي هي محطـة وعلامة بارزة في تاريخ « الفكر » وفي مسيرتها الصامدة الثابتة .

وان ما نعتز به دائما وفوق كل شيء هو حضوركم هذا الحفل التاريخي ، مما يفوق في حد ذاته كل تعبير ويتجاوز روعة البلاغة وسحر الشعر ويبعث في النفس الغبطة والنخوة ويجعلني وكافة افراد اسرة المجلة وعلى رأسهـا صديقي الاستاذ البشير بن سلامه الذي تدين له الفكر كثيرا ، يجعلني أشد حماسا لمواصلة السير في خدمة الثقافة العربية الاسلامية في هذه الديـار . وختاما اشكركم شكرا جزيلا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الهــــوى .. والعذاب .!

شعر : جعفر ماجد

من رأى الشعر يستعيد الشبابا ... ويغني لنا الأغاني العذابا ؟

حالما ناعما عجيبا غريبا ... ثائرا هادرا يشق السحابا ؟

لطموح الشعوب يفتح بابا ... ولقوت القلوب يفتح بابا

من رأى الشعر ومضة من خيال ... وجمالا مدغدغا خلابا ؟

لا هجينا ولا هزيلا مُعَمَّى ... بل أصيلا بطبعه غلأبا

لم نبعه لحاكم أو غني ... كي ننال الحظوظ والألقابا

كانت « الفكر » أمه وأباه ... وكفاه لمن نميت انتسابا

حين كنّا لها لسانا وفيّا ... وأمام الخصوم ظُفْرا ونابا

يا زمانا لقيت فيه شبابي ... ثم ولّى مع الشباب وغابا

جلسة السبت أين هي ؟ يا زمانا ؟ ... هي كانت غذاءنا والشرابا

جمعتنا في ألفة ووفاق ... مثلنا اليوم إخوة أحبابا

لا ترى بيننا دسيسة حقد ... وسيوفا مشهورة وحرابا

مثل قوم تستروا بجديد ... يجهلون التصريف والإعرابا

* * *

واستمر الجهاد في كل حقل ... يتزرع الخير لا يهاب الصعابا

تونس حبنا الكبير وإنا ... قد وهبنا لها الهوى والشبابا

يا بلادي وأنت آية فن ... أتقن الله صنعها وأصابا

أنت أعجزت كل وسم ورسم ... وبهرت الأعداء والأصحابا

أنتِ في الكون جنة ليس يرجو — غادر أن ينال فيك ثوابا
أنتِ يا تونس الجميلة تيهي — وليسفّ العدوّ فيك الترابا
قد قتلت الحساد حسنا وأمنا — فاستشاطت نفوسهم إعجابا
في بلادي يسبّح الكون لله — ويجلو عن القلوب حجابا
أينما تلتفتْ تجدْها عروسا — وترّ الحسن فاتنا جذابا
تتدلّى السماء فيها بحارا — ويمور الضياء فيها هضابا
ويودّ الصباح لو ظل طفلا — في رباها فلا يخاف الذهابا
ويود المساء لو سال تِبْرا — في محيطات مقلتيها .. وذابا
تتوالى الفصول فيها خفافا — وتوليّ إذا تولّت غضابا
نحن في أيْكها انتشرنا طيورا — ونسورا على الذرى أسرابا
نحتسي الفجر والأصيل ونتلو — آي مجد ترددتْ أحقابا
فإذا الشّرّ مدّ رأسا وثبنا — وقطعنا الرؤوس والأذنابا

* * *

ومضى الدهر يستحث خطانا — ونما الزهر في الربوع وطابا
رفع الفكر راية ليس تُلوى — وارتقى الحكمّ واستمال الرقابا
واللّهى تفتح اللّهى – قيل قدما – — والمفاتيح تفتح الأبوابا
فأتاها الثناء من كل صوب — ودنا كل من نأى واستجابا
فرأينا أهلة ونجوما — ورأينا فقاقعا وذبابا
ورأينا خصومنا سبقونا — ونسوا الشتم منهمُ والسبابا
سنّة الله في الخليقة كانت — وستبقى جبلة واكتسابا
لم نكن حاسبين فيما نعاني — بينما كان غيرنا حسّابا
ومن الناس من تعالوا غرورا — وتجنوا فمّروا الآدابا
نسبونا إلى الكلام احتقارا — وتباهوا جهالة واستلابا
سفّه الفعل قولهم حين ألفّوا — رجل الفكر شرّف انكتّابا
أي سرّ في أن تسود المعاني — ويعود السؤال فيها جوابا ؟

فقشور الأشياء تبقى قشورا … ولباب الأشياء يبقى لبابا
ليست الفكرة السخية إلا … بيت شعر أو جملة أو كتابا
ليست الثورة العظيمة إلا … فكرة عبقرية وخطابا

* * *

يا عروسا مهرتها كل شعري … منذ أن كنت يافعا أتصابى
هكذا العاشقون في كل عصر … شربوا من عنائهم أكوابا
إنما « الفكر » غادة في هواها … كم عزفنا قيثارة وربابا
لا أبالي إذا أدلّت وصدت … وحملت الشجون والأتعابا
قدري أن أحب دوما وأشقى … ولَكَمْ ذقتُ في الغرام العذابا !
لا يقاس الجفاء عنها ابتعادا … أو يقاس الوفاء منها اقترابا
ولكم يدعي المودة من كان … عدوّا منافقا كذابا
ويطول الزمان حتى تراه … قلب الجلد فجأة والثيابا
هي أحلى إذا كتبت نسيبا … وهي أوفى إذا بعثت عتابا
وهي أدرى بأنني لست أنسى … كيفما قيل في كلينا اغتيابا
فأنا العاشق الكبير وكم لي … من عذول أدان عشقي وعابا !
« التزام وثورة ونضال » … كان هذا شعارهم والسرابا
نفخوا في الرماد طولا وعرضا … ثم عادوا ليمسحوا الأعتابا
وأنا لم أزل بعشقي فخورا … رغم ما ابيض من سوادي وشابا
عاشق دائما .. وفيّ .. أبيّ … لا أنا تائب ولا القلب تابا
لعروس الآداب أزجي التهاني … وعلى نخبها أدير الشّرابا
في الثلاثين والزمان عسير … لم تزل غادة بعيني كعابا
والغرام الصحيح صبر وبذلٌ … وأنا في السجلّ سجلت بابا
يا حياة النفوس لا شيء عندي … غير شعري وقد نفضت الجرابا
أنت رغم العتاب — والصدق طبعي -- … قد سكنتِ الأحداق، والأهدابا
وهوانا القديم يبقى جديدا … وستبقين في السماء شهابا

جعفر ماجد

محمد مزالي صاحب الفكر

بقلم : البشير بن سلامة

انه لمن حسن الطالع أن تواصل وزارة الشؤون الثقافية (*) عقد المجالس الادبية والفكرية مع نخبة من أدبائنا وكتابنا الذين وضعوا على درب الادب والفكر في تونس علامات مضيئة تعد مرجعا هاما لكل دارس وباحث ومجال متعة وفائدة لكل قارىء واع •

وانه لشرف عظيم ان يحتضن هذا المجلس الفكرى علما من اعلام الفكر والادب ناضل طويلا من اجل اعلاء الكلمة • وكافح طيلة عقود متوالية لينزل الفكر المنزلة اللائقة به في مجال الفعل الأنم .

انه الاستاذ محمد مزالي مؤسس مجلة «الفكر» ومديرها ورجل الدولة المرموق والرياضي فلسفة وممارسة ، الذى قبل مشكورا أن يلتقى بنخبة من الاساتذة الاجلاء ليتحاور معهم في قضايا عديدة ما تزال تقض مضاجع عالمنا الثالث بله البشرية جمعاء •

اننا نشكره جزيل الشكر على اقتطاع فسحة من وقته الثمين للحضور بيننا ونشكر هؤلاء الاساتذة الاجلاء الذين اسهموا الاسهام الجليل في الادب والفكر وقبلوا ان يكونوا معنا في هذا المجلس الفكرى امتاعا ومؤانسة وافادة وعبرة •

(*) هذا نص الكلمة التى القيت في افتتاح المجلس الفكرى الذى التأم حول الاستاذ محمد مزالى في الرابع من أكتوبر 1985 بمركز الفن الحي بالفلدار.

فوجود الاساتذه جاك بيرك ومحمد عامر غديرة بيننا وحضور الاساتذة عبد العزيز قاسم وأحمد خالد وأبى يعرب المرزوقي في هذا المجلس ليباحثوا مع الاستاذ محمد مزالي في مسائل فكرية وفلسفية وأدبية يبين لنا مدى ما وصلته الحياة الثقافية في بلادنا من حيوية وثراء وغزارة •

ولئن اقترن هذا المجلس بالاحتفال بعد أيام قليلة بالذكرى الثلاثين لصدور مجلة الفكر فليس ذلك الا حرصا على توضيح المنهج الذى ارتضته «الفكر» فى معالجتها لقضايا الانسان فى تونس وهو يبنى كيانه ويواجه مصيره بكل عزيمة وصبر ويسعى الى تبوؤ مكانه اللائق بين سائر البشر فى حوار مثمر وتراشح متواصل •

لقد حرصنا على أن نبدأ هذه الذكرى العزيزة على كل المنعمين بمجلس فكرى يكون فيه الاستاذ محمد مزالى واسطة العقد لاننا نعتقد أنه يعد الآن بدون منازع رائد مدرسة فكرية شاملة المنزع تأخذ حياة الناس فى جوانبها الحضارية والثقافية المتعددة وتحاول أن تحسب عن همومها ومشاكلها فى مجال النظر المفضى الى الفعل عندما يشرف به الانسان الى أعلى مراتب القيم وأسماها •

وليس من السهل حتى على من آنس فى نفسه القدرة على ممارسة العلم أن يرسم ملامح رجل مثل الاستاذ محمد مزالى تنوعت عناصر شخصيته وغنيت فكرا وفعلا وكسبت فيما يناهز الخمس والثلاثين سنة أبعادا متعددة تظهر فى بعض الاحيان وكأنها متقابلة من الصعب أن تجتمع فى رجل واحد •

وان غناء هذه الشخصية الفريدة يجعل الكاتب حتى اذا كان من أولئك الذين عرفوه من كثب يشعر بالعجز عن ايفائها حقها من التدقيق والشمول •

ولكن الذى أقدر أن أقوله هو إننى منذ عرفت الاستاذ محمد مزالى سنة 1950 فى نادى الحزب الحر الدستورى التونسى وأنا تلميذ بالمدرسة الصادقية لفت نظرى ما كان عليه من نحافة مفرطة تدل على حياة عرفت الحرمان وضنك العيش ولكنها أيضا تنطق بالعزيمة وقوة الارادة والايمان بالاصول الشعبية فقد اختار حزب الشعب بدون مواربة وحزب النضال بدون تردد وتفطن ربما أكثر من غيره الى ما يمتاز به النمشى البورقيبى من عصرية ونجاعة وحكمة •

ان الذى يمكن أن أجزم به وقد عاشرت الاستاذ محمد مزالى بصورة فعلية منذ سنة 1955 ان صاحب «الفكر» لم يتغير فى شعوره فقد بقى شعبيا الى

أبعد الحدود ، يمقت مظاهر البذخ والفخفخة والبهرج ، وطنيا لان الاحداث في بلده وفي العالم آكدت له صدق ما آمن به ، عاطفيا كلما كانت العاطفة شحنة للفعل في أسمى مظاهره وعاملا أساسيا للعلاقات التي تربطه بالعائلة أو الاخوان أو الاصدقاء أو الآخر بصورة عامة ٠

ولئن غلب على طبعه الحماس واتصف بالجرأة وآمن بالعمل والانجاز فانه لم يمل يوما الى تغليب العاطفة والانسياق الى ما يفرضه الحماس والجرأة من انزلاق في متاهات المبالغة والتطرف بل خضع منهاجه الى تغليب العقل أو بكلمة أدق تجاوز ذلك الى مفهوم آمن به منذ أن بدأ حياته العملية وهو تسليط الفكر على الواقع فهو واقعي الى أبعد الحدود رغم المظاهر يستوحي من الواقع الذي يحلله بكل دقة ومن آراء الآخرين الذين يستمع اليهم بكل انتباه الرأى الملائم والموقف المناسب مستندا الى ذكاء حريص على التعويل على امكاناته ، ضنين بقدراته ، متمسك باستنتاجاته مع تجنب كل ما يوحي بتشبث ما ، بالايديولوجيات أو نزوع ولو طفيف الى الدمغمائية ٠

ولقد أضفى كل هذا على حياته أسلوبا فيه توازن حكيم وتدقيق محكم رغم انه يبدو مشحونا الى ابعد الحدود وهي السمة الغالبة عليه في اسلوب حياته حتى قبل ان يتولى الوزاره الاولى ٠

واذا كان ليس من السهل المضي في رسم ملامح أستاذنا الكبير بدقة أكثر فانه لا يمكن الا نشير الى سمة من السمات التي لم تبرحه ربما منذ أن تفتحت عيناه بوعي على هذه الدنيا وهو أنه كما كتب ذلك منذ خطواته الاولى « آثر العظمة على السعادة » .

وهكذا فحياة الاستاذ محمد مزالي مشحونة بالنضال السياسي الذي يعتبره في الواقع منبثقا من فلسفة للحياة : الانسان فيها متكامل الشخصية فهو مناضل على جميع الجبهات وهو كاتب واديب ورياضي ممارسة ونظرية وهو الى ذلك لطيف المعشر يهفو الى المرح البرىء والعشرة الطيبة ٠

ولكنني لن أفي بحق الاستاذ محمد مزالي اذا أنا لم أتوقف حيال الملكة الاساسية التي اخلد اليها وجعلها المرجع والمحرك والملاذ : ألا وهي **الفكر** ٠

لقد فهم «صاحب الفكر» منذ ان كان في باريس في رحاب الصربون بالذات أن عهد الايديولوجيات قد ولى وأن ما يعيشه العالم الغربي من تناقضات

سيؤدى به حتى الى تجاوزت الفلسفة وان عهد الفكر الذى يخرج عن النظر العقلى الصرف (Réflexion) وبستنكف من الغبوع فى التأمل (Méditation) ويتخطى الحدس لا بد أن يأتى زمانه .

ان الذى ساعد الاستاذ محمد مزالى على الازورار عن الانسياق الى الايديلوجيات المعروفة هو ارتباطه بشعبه ووهمه لاصوله واستقراؤه لتاريخه فوجد أن كل هذه القوالب الجاهزة لن تقدر على فهم أوضاع بلاده ماضيا وحاضرا ومستقبلا ولن تؤول الا الى المسخ والاستلاب والاصطباغ والتقليد .

وآمن وهو أستاذ فلسفة ، أن الفلسفة الناجمة عبر المعرفة عن الحكمة غير قادرة على التوفيق بين مظهرين متقابلين فى عالمنا العصرى : الحكمة من جهة والعلم من جهة أخرى . اذ الفلسفة المفصولة فصلا تاما عن الفعل البعيدة عن الملل الى العمق لا بد أن يتجاوزها الانسان الذى يريد أن يؤثر فى مجتمعه وكان التمسك بالفكر القادر على الاحاطة بهذين المظهرين فى سبيل سلم أوفى وطمأنينة خلافة أعمق .

ذلك أن الابعاد المحددة للموقع الذى ينطلق منه الفكر كحدث وكقيمة وكغرض انما نبع أولا من هذا الحرص على الحفاظ على كل ما يتعرض الى الزوال والتلاشى فيصبح الذى كان صفته مجرد وجود حقيقة ماثلة للعيان (ومن هنا جاء التشبث بالاصالة) وثانيا من هذا النزوع الى استنباط نظام ما، قابل للتأثير فى المجتمع بصورة تتناسب مع الواقع (هو أساسا البحث عن النجاعة واحلال العمل المحل الارفع) وثالثا : من هذه النزعة أو القدرة على التعلم اذ الفكرة لا بد أن تشع وتكون بنفسها مدرسة (ومن هنا يأتى الوجه الآخر من العمل الفكرى وهو التفتح على العصر والمجتمعات الاخرى) . ثم لا ننسى ان الفكر قادر على الخلق وهو حسب مفهومى ضربان : ضرب تدفعه هذه الطاقة اللاهية التى كنت عبرت عنها منذ عشرين سنة وحددتها بكل وضوح وتفضى الى الابداع فى شتى مجالات الكتابة والفن عمادها هذه القدرة على صهر الشكل والمحتوى فى بوتقة واحدة ليخرج الاثر الادبى والفنى صورة سوية لما أراده الخلاق وضرب ثان ينطلق من هذه الطاقة اللاهية ليتجاوزها ويتخطاها الى القدرة على التفريق بين الشكل والمحتوى تحليلا وتفكيكا ونظرا عميقا حتى يشتد الفكر فى البحث عن البرهان تلو البرهان أى عن الفعل فى أسمى معانيه كما حدده القرآن الكريم فى هذه الآية : «وجعلناهم أيمة يهدون

بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات» وهي المرة الوحيدة التي يرد فيها هذا الجذر أي جذر « فعل » بهذه الصيغة .

هذا ، حضرات السادة والسيدات ، ما سنح به الوقت لافي بجزء قليل من حق الاستاذ محمد مزالي علينا وللكشف بهذا النعصير في التحليل والعجـز عن التعبير الاوفي عن مظاهر أخرى لهذا النسق في التفكير الذي أصبح الآن مسلما به عند الكثير من فلاسفة الغرب ومفكريهم بعد الغرق طبلة عمود في متاهات السبات الدغمائي العميق ٠

ولعلي بهذا المدخل قد ساهمت في اثراء هذا المجلس بما قدرت عليه من استكشاف فكر الاستاذ محمد مزالي منهيا كلمتي بما قاله البحتري في بيته المشهور :

مازال يسبق حتى قال ناظره ٭٭٭ له طريق الى العلياء مختصر

البشير بن سلامة

من مؤلفات الاستاذ البشير بن سلامه

★ قـضـــايـــا
★ نظـرية التطعيـم الايقـاعي
★ عـــائشــه (روايــة)
★ الشخصيــة التــونسية
★ في الكفــاح التحريـري التــونسي

ثلاثون شمعة

شعر : نور الدين صمود

عشقتك في العشرين، في عُمُر الشعرِ — وفي زمن الحبّ المضمّخ بالعطر
زمانَ الهوى بالقلب يكثرُ عصفُهُ — وينسج أحلامي من الوهم والسحر
نقشتُ على قلبي هواكِ مبكّرا — فظل الهوى في القلب كالنقش في الصخر
ويا ضيعة العشرين تمضي مع الهوى — وفي القلب منه نسمةٌ لم تزل تسري
كتبتُ بها ، في القلبِ ، ألفَ قصيدة — ففي كل يوم غادةٌ بالهوى تُغري
وأغرينني بالحبّ والحسن والصبّا — وبالأصفر الرنان والذهب التبْرِ
ولكنني قد ظَلَلْتُ في الحبّ مخلصا — ولم أتحوّل عن هواها مَدّى عمْري
«خُلقت ألوفا ، لو نُقلت إلى الغنَى — لحَنّ فؤادي ، في غناهُ ، إلى الفقرِ»
«ونقّلت قلبي حيثُ شاءَ من الهوى» — ولكن حبي ظلّ للغادة البكر
فقد أصبحت ليلايَ أحيا بحُبِّهَا — كما عاش قيس عمره في الهوى العذري
ثلاثون عاما في هوى من عشقتها — ولم أسلُ عنها رغم ما ابيض من شعري
وفيها كتبت الشعر منذ شبيبَتِي — وما فاز مني غيرها بسوى النثر
وهل مانحُ الحسناء حفنةَ جوهرٍ — كمن منحَ الحسناء عقدا من الدرّ ؟!
ثلاثون حولا ؟ أم ثلاثون شمعة — أضاءت حياة الشعر والنثر والفكر؟!
ولن تنطفي تلك الشموع ، وإنما — على ضوئها الأجيال تمشي مدى الدهر
ستبقَى، على الأيام ، مثل منارةٍ — تضيء سبيلَ الراحلين على البحر

★ ★ ★

يرفرفُ قلبي في ضلوعيَ كلمــــا تعودُ بيَ الذكرى إلى مجلس الفـكر

نسيرُ إليـه في انـدفـاعٍ يقــودنا حنينُ الطيـورِ العـائـداتُ إلى الوكرِ

ونسعى على الأقدام في الحرّ تــارة ونركض طورا تحت منهمر القطرِ

ونسهرُ في النادي مع الشعر والنشـرِ كما انتظم العقدُ الجميلُ من الدرّ

وواسطـة العقـد الفـريد محمــــدٌ فما أجمل العقدَ الفريدَ على النحرِ!

يُزينُ من هام الجَميعُ بحبّهَـــا وقد سحـرتنا ، في الهوى أيما سحر

نَحِنُّ إليها رغم بعـد ديــارنَــا وتشريدنا في سطوةِ الظلم والقهـرِ

هي الغادة الحسنـاءُ نرقبُ ظلهَـا وطلعتُها ، في العين ، أحلى من البدرِ

ولم تتخلـفْ عـن مواعيـدهـا التي غدت مضرب الأمثال في دقة السير

ونفرح كالأطفـال عنـد ظهـورهـا وتنمو بنا الأشواق في غرة الشهر

عسانا نرى أسماءنا في غــلافهـا فذلك أقصى ما نروم مـن الأجر

زمانٌ له في القلبِ أجمل صورةٌ تعيدُ لي الماضي الجميلَ من العمـر

يُذكّرني أولى الحسـان التي سَبَتْ فؤادي ، وفازت بالفرائد من شعري

« وإني لتعروني لذكراه هـــزّةٌ كما انتفضَ العصفور بُلّل بالقطر »

وتَطْفَرُ من عيني الدموعُ لذكره فتطفىء من ناري ، وتوقد من جمري

★ ★ ★

سوانا يرى أنّ اللذاذات في الهـوى فيغرق أحلى الوقت في اللهو والخمر

وكم صرفوا الأيام في ألفِ شَهـوةٍ ونحن صرفنا الوقت في خدمة الفكرِ

لأن الحميرَ البُـكمَ من أصيل طبعهاَ تفضل أكل التبن عن حليةِ التبر

فوا عجبًا مالي أرى التبـرَ عنــدهـا ولم تُبقِ إلا التبن للكاتبِ الحُرّ !

وحسب رجال الفكر فخرا على المدى بأن أصبحوا في قمة المجد والفخر

وحسبهمُ أنّ الثقـافة قـد غــدتْ حظوظُ ذويها في يديْ صاحب الفكر

وهـذا بشيـرٌ بانبثـاقـة فجـر مَـــنْ لهمْ قلمٌ يَمْتـاحُ من خالص الحِبْرِ

ومن جسّموا بالحرفِ آمال شعبهمْ … ومَن سبقوا بالنور إطلالةَ الفجر
وكانوا لهذي الأرض درعا حصينةً … يُفدّونها بالروح في ساعة العُسْرِ

★ ★ ★

محمدُ يا مَنْ كنتَ للفكر راشدا … تذود بعزم الثائر الثابتِ الحُرّ
لتحرير فكرٍ وانطلاقِ عقيدة … فأنت الذي أرسيت حرية الفكر
أتتك جموع الكاتبين ، وبعضهم … يدبّ دبيبَ الطفل في أول العمرِ
فشرّعتَ أبوابًا وفتّحتَ أذْرُعًا … لتحضنَ مَنْ لم يقوَ منهم على السيرِ
وأطلقتهم في الجو حتى تسابقوا … وطاروا بدنيا الفكر سربا من الطير
وقد شرّفوا الخضراء في كل محفلٍ … وكم رفعوا الرايات في الشعر والنثر!
فَشُدّ بهم كفيك واضربْ بعزمهم … فلُولَ الأعادي في الرفاهة والعسرِ
وعلم لساني كيف يشكر من رَعَتْ … يراعي، وأعلت في الكتابة من ذكري
« فلو أن لي في كلّ منبت شعرةٍ … لسانا » ، لظلت عاجزات عن الشكر
وما صغت إلاّ بعضَ ما في جوانحي … ولم أبد الا بعض ما قد حوى صدري
وإني ، وإن غنيت في العيد ها زجا … فانّ فؤادي مُتْرَعٌ بالذي تدري

نور الدين صمود

تحية الى مجلة "الفكر" في عيدها الثلاثين

بقلم : د. ناصر الدين الأسد
(الأردن)

أيها الملأ الكرام ، (*)

في هذا الزمان العربي الذي انفرط فيه عقد كل شيء ، فتناقضت المواقف، وتمزقت الوشائج ، وتناكرت الارحام ، وتدابر الاهل ، وتقاتل الاخوة ... في هذا الزمان أصبح من أوجب الواجب أن يسارع المرء الى تلبية كل دعوة الى اللقاء ، والى الاستجابة لكل نداء الى الاجتماع ... فكيف اذا كانت الدعوة من تونس ... وكان النداء الى الاجتماع في رحابها !

وفي هذا الزمان العربي الذي اجترأ فيه الباطل على الحق ، وهانت فيه الاقلام ، وضلت الافهام ، وتخبطت الافكار وزاغت الابصار ، وساد الاستسهال والارتجال والابتذال ، وفقدت الكلمات دلالاتها بعد ان اتسعت الفجوة بين التعبير والتفكير ، وبين اللسان والشعور ... في هذا الزمان أصبح من اوجب الواجب أن يسعى المرء الى لقاء من يستطيعون وضع الامور في مواضعها، وتوضيح المقاييس والمعايير ، وتجلية القيم والمثل ، وتصحيح المفاهيم والافكار ... فكيف اذا كان هذا النفر يلتفون في ظلال مجلة «الفكر» التي كانت على مدى ثلاثين عاما منبرا لكثير من تلك المعاني والاتجاهات !

وفي هذا الزمان العربي الذي انفصل فيه صاحب الحكم عن صاحب القلم، وأصبح فيه صانع القرار متوجسا من صانع الافكار ، وقامت العلاقة بينهما اما على التبعية والنفاق ، واما على العداوة والشقاق ... في هذا الزمان أصبح من أوجب الواجب أن نسارع الى لقاء من استطاع أن يجمع الامرين ، ويمسك بزماميهما ، ويوازن بينهما ، ويستعين برجالهما ، مختارا زملاءه وأعوانه منهم ، فأحدث هذه النهضة الفكرية الادبية في بلده ، وارتقى بمستوى الحكم

(*) عنوان كلمة الدكتور ناصر الدين الاسد وزير التعليم العالي بالاردن الشقيق والامين العام لمؤسسة آل البيت هو من وضع المجلة .

الى حيث تتعانق الحرية والمسؤولية عند الحاكم ، فتتحقق بذلك الحرية المسؤولة عند المواطن .

في تونس ، موطن العزة والكرامة والنضال ، ومرتع الفتون والجمال ، ومسرح الفنون والخيال ، واحتفاء بما حققته مجلة «الفكر» من الاستقرار والاستمرار ، وتكريما لصاحبها ومؤسسها وموالي اصدارها المفكر التونسي العربي الاستاذ محمد مزالي ، نلتقي اليوم فنجتمع في بلدنا حين نجتمع في تونس ، ونلتقي مع أنفسنا حين نلتقي مع أهلها ، ونحتفي بفكرنا وشرف انفسنا حين نحتفي بمجلة «الفكر» ، ونكرم المعاني الرفيعة التي يمثلها الاستاذ محمد مزالي حين نكرم شخصه .

ففي افتتاحيات مجلة « الفكر » التي دبجتها يراعته ، وفي فصول كتبه مثل «مواقف» ، و«دراسات» ، و«وجهات نظر» ، نرى خطا ثابتا ، يتفاوت التعبير عنه بين التأكيد والتصريح ، وبين الاشارة العابرة أو التلميح ، وهو خط ان أخطأته العين حينا ، لمسته النفس ، وأدركه الشعور ، بين ثنايا التعبير ومن خلال السطور . هو خط يرسم ملامح الذات التونسية ، ويبرز جوهرها العربي الاسلامي ، منذ أوائل صدور المجلة حين جلجل صوت محمد مزالي في افتتاحيات السنة الاولى بقوله (1) : «وبذلك تحافظ الامة التونسية على اسلامها وعروبتها في أشرف معانيهما وأنبل مقاصدهما ، وتستمد من قيمهما الخالدة وكنزهما الزاخر ما به تسمو مكانة مرموقة بين الامم ، وتساهم في اغناء التراث البشري . وبذلك تكون قد ربطت بين ماضيها المجيد ، وحاضرها الباسم ، ومستقبلها الزاهر» .

ويستمر الخط في وضوحه والصوت في دويه كلما مرت الاعوام ، الى ان نصل الى السنة العاشرة من عمر المجلة فتزداد معالم الصورة بروزا في قول صاحب الافتتاحيات . (2) «عشر سنوات تمر منذ أن أوقفت عزيمة الشعب ، وحنكة الزعيم الفذ ، تيار الفرنسة ومسخ الذات ، وفرضت ارادة المكافحين الصادقين على «التاريخ» و «طبيعة الاشياء» أن تبقى هذه الامة عربية اسلامية، حرة كريمة تقرر مصيرها بنفسها ، وتساهم بقسطها في خدمة الانسانية واقرار الاخاء والوئام بين البشر» .

---

(1) السنة الاولى ، العدد السابع .
(2) السنة العاشرة ، العدد التاسع ، 1965 م .

ومن شاء أن يرى الصورة كاملة الاجزاء ، واضحة الخطوط ، زاهية الالوان، فليقرأ محاضرة محمد مزالى سنة احدى وسبعين وتسعمائة والـف بعنـوان «فى النونسة والتعريب» (3) فقد أورد فى نلك المحاضرة «من معانى الحضارة التونسية والاصالة القومية التى بتعين أن يعيها الشباب ويلتزموها ويقفوا حياتهم من أجل تركيزها وتغذينها ···» وذكر أن قضية التعربب فى تونس ليست «قضية هامشية ولا ظرفية ، انها قضية مصيـربة تنعلـق بسـلامـة الكيان القومى» · ثم أكد «أن التعريب ركن اساسى من النوسة التى هى روح قبل كل شىء ، وارادة قومبة». وحين نحدث عن برامج التعليم والتثقيف ونشاط الشباب ووسائل الاعلام ، قال : « ولا بد فى هدا ا[illegible]ام من الانع[illegible] بالماضى لتفهم الحاضر ، والتذكير ببعض المعطيات والحقـائـق · ذلـك ان الاستعمار كان منذ عشرات السنين يهدف قبل كل شـىء الى القضـاء عـلى ذاتيتنا ، انه لم يقنع بالهيمنة السياسية ، ولا اقتصر على امتصاص ثرواتنا الاقتصادية والفلاحية ، بل كان يعمل على تمييع الشخصية القومية ومحـو مقوماتها ، ليسهل عليه تشتيت شمل الشعب والنجاح فى عملية النـوطين والفرنسة ··· وأول ما نصدى له الاستعمار مقومات الامة الاساسية ، وفى مقدمتها الدين ·· واللغة والتاريخ ، مما نتج عنه التنكر للذات والزيغ عن القومية .. » وتحدث الاستاذ محمد مزالى فى هذه المحاضرة عن «ا[illegible] والهضم الحضارى» وعن «السموم التى لا يخلو منها تعليم أجنبـى يخططـه ويمارسه أساتذة أجانب» · ولم يكن هؤلاء الاجانب وحدهم بل ان من الناس من ضرب فيهم حينذاك سوسة الاستعمار ، وتسرب اليهم داء الانهزامية ، فاندمجوا فى القوم الغالبين ، وادعوا أن القضية قضية تقدم ومدنية ، وأن الواجب يتمثل فى اللحاق بقافلة الدول المتقدمة ، وسمى هذا النفر بأصحاب «النظريات» الذين كانوا يريدون أن يميلوا بتونس ذات اليمين وذات الشمال، ويخرجوها عن حقيقتها ويجردوها من ذاتها ، ليلصقوا بها صفات غريبة عنها دخيلة عليها ، ويجعلوها تابعة لغيرها ، وقال عنهم انهم ذهبوا الى أن «التونسة والتعريب تعصب وانغلاق على النفس» ، ثم قال : «وكل هذه النظريات ··· منتحلة لطرائق العلم والبحث الموضوعى ، وحاملة لشعار عصرى براق ألا وهو التفتح» ، وتحدث عن أثر الحزب الحر الدستورى الجديد بقيـادة الرئيـس الحبيب بورقيبه ، فقال : « ولعل اجل خدمة قدمها رجال هذا الحزب [illegible]ل بالضبط فى تغيير مجرى التاريخ بهذا الجزء من العالم العربي الاسلامى والمغرب

---

(3) كتاب «مواقف» ص 17 ـ 39 ، الطبعة الثانية ، الشركة التونسية للتوزيع

الكبير . كان وطننا يسير نحو الاندماج والذوبان والانقراض فغيرت عزيمة التونسيين المخلصين هذا الاتجاه بعد كفاح مرير وبذل وفير ، ونشأت من جديد امة عربية اسلامية مستقلة ذات سيادة لها مميزاتها وكيانها بين الامم».

والمحاضرة تغرى بالاستكثار من الاقتباس ، لانها حافلة بالفكر الاصيل ، والنظرة الصائبة ، والتحليل العميق ، والتوجيه السديد ، ولانها - فوق كل ذلك - لا تقتصر فائدتها على معرفة الماضي وادراك ما كان يحدث في عهد انقضى ولم يبق له آثار ، وانما تمتد فائدتها الى الزمن الحاضر والتنبيه على المخاطر المحدقة بنا ، لان هؤلاء المستعمرين ومن نشأوهم على أفكارهم ومعتقداتهم لا يزالون يندسون بيننا ، وينشرون تلك الافكار فينا ، ويحاولون تدميرنا من داخلنا . والى ذلك أشار الاستاذ مزالي بقوله : « بينما كان الشعب التونسي منصرفا بكليته الى معركة الوجود واثبات الذات كنا نسمع نغمات ما أشبهها بما يتطرق الى أسماعنا اليوم من حين لآخر» .

وبعد ،

فهذا خط واحد لا يسمح المجال في مثل هذه الكلمة الموجزة في حفل الافتتاح بالتوسع فيه ، ولا تتجاوزه الى غيره ، وهو أحد خطوط كثيرة تؤلف صورا حافلة بالمعاني والمثل والافكار التي خاضت معاركها مجلة «الفكر» ، وخاضها صاحبها ومؤسسها رجل الحكم والقلم الاستاذ محمد مزالي ، ومعه نفر كريم كانوا - بايمانهم الراسخ وعزمهم الشامخ - الركائز والدعائم التي قامت عليها دعوة الحق ، فكشف النقاب عن وجه تونس الاصيل وعن حقيقتها العربية المسلمة .

ايها الملأ الكريم

أليس هذا وحده ، كافيا لاشعر بالبهجة والاعتزاز ، لاشتراكي في هذه الايام التونسية العربية ، التي يلتقي فيها نفر من ابناء العروبة ليحتفلوا بحقبة من مسيرة تونس ، وأبنائها البررة ، نحو تحقيق الاصالة واثبات الذات ؟ وهؤلاء الذين كرموني بدعوتي الى المشاركة في هذه الاحتفالات ، أليس من الواجب علي ، ومن الحق لهم ، أن أشكر اليد التي اسدوها الي بهذا الصنيع، وان افخر بالثقة التي أولونيها حين وجدوني اهلا لثقتهم ، جديرا بأن أقف

اماكم هذا الموقف لأتحدث باسم الاخوة العرب المشاركين فى هذه المناسبة التونسية العربية ؟ ولست أدرى كيف وقع علي الاختيار ، وكلكم افصح لسانا وأنصع بيانا وأولى مني بهذا الموقف ؟ فان رضيتموني فقد أصبتم وأحسنتم !! والا فليس هذا أول اختيار يقع فى غيبة المختارين وعن غير رضى منهم !!

تحية للمجاهدين بأقلامهم وأفكارهم ، المؤمنين بقضايا بلدهم وأمتهم ، المدافعين عن معاني الحق والكرامة ، المعتزين بانتمائهم العربي وانتسابهم الاسلامي ، العاملين على تأصيل شخصيتهم الثقافية • تحية للاستاذ محمد مزالي ولصحبه الكرام الذين رافقوه في دربه الطويل الشاق ، وفي كفاحه النبيل الشريف • فتبادلوا بينهم الراية ، وحافظوا عليها عالية خفاقة ، فالتأم حولها الشمل وتضافرت الجهود . تحية لهم وسلام عليهم وعليكم أجمعين .

د• ناصر الدين الاسد

(الأردن)

تحية الوفاء
شعر : محيي الدين خريف

محيي الدين خريف

مهما دارت وباعدتك الفصولُ فرواء الشّباب ما ان يحولُ
تبتدي عندك المسافات عرضا وهي في زحمة الحوادث طولُ
يعذق القول بالوفاء ولي فيك كلام عذب وشعر جميلُ
فأنا من وزنت في قوله الصدق . وما ذاك في العيون قليلُ
وزرعت الجناح بالريش حتّى طار في الجوّ من رعته السهولُ
حين غاب الاحباب وانفرط العقد وملّ الحادي وحار الدليلُ
كنت لي صاحبا وكنتَ خليلا حبذا أنت صاحب وخليلُ
دوحة الفكر عند كلّ بنيها ملجأ آمن وظل ظليلُ
جمّعتْ اخوة الصفاء على مائدة الحرف حين ضاق السبيل
وسقتْ كلّ ظامىء رشفة النّور ولم يغن عن هواها بديلُ
صورة لم تزل لتونس فيها الجدّ والهزل والرضا والقبولُ
دأبت أن تنقّر الغصن حتى ترضع النسغ وهو فيه يسيل
تنبش التربة الثرية بالمجد وتبدي ما خبأته الطلولُ
ان تقل : إنّها ثلاثون فاعلمْ ان ذا في الحساب عمر طويلُ
غير أنّ الحياة تحسب بالاعمال لا بالزّمان وهو ثقيل
سألوا عن مواطن المجد والمجد طريق معلومه مجهولُ
طلبته النسور وهو بعيد وشكت منه في المسير الفحولُ

غيـر أن إرادة الشـيء للمـرء   تفـلّ الحسام وهـو صقيـلُ
سائل الفكر عن أبيها وقد قلّ   شبيـه من نـوعه ومثيـلُ
من مشى في الزحام ، من خدّد الأرض ، وبالفكر قلبه مشغـول
من أضاء المصباح في هدأة الليل إذا حان للنّجوم أفـولُ
ذاك لا غيره أبو الفكر من حدّث عنه المنقولُ والمعقـولُ
شف كالماء في القوارير من لي بالفروع التي نمتها الأصـولُ
يا أخي والأمجاد فكر وهيهات بأن تنطح الجبال الوعـولُ !
فهو أسمى مراتب المجد في الكون ولا شيء بعده مقبـول
نشوة الخلق لحظة هي أغلى من كنوز تفنى وحكم يـزولُ
وهي حبّ يغزو القلوب وفيض من أحاسيس شرحها قد يطولُ
تستحيل الحياة فيها صبابات   ولحنا كـأنه التنـزيلُ
يا أبا الفكر لا عدمتُ أبا مثلك يرعى أبناءه وينيـلُ
في زمان غاض الوفاء به والحبّ في القلب كبلته الكبـولُ
نحن أدنى إليك قربا وبعدا   ذاك حق وفي يديك الدليل
نحن لا نقلب المجنّ إذا ما   ناب خطب وعنّ قالٌ وقيلٌ
نبتدي بالوفاء ثم به ننهي   وللقلب عهده المسؤول

محيي الدين خريف

من مكتبة الشعر التونسي الحديث

تحية "للفكر" في عيدها الثلاثين

بقلم : د. محيي الدين صابر
(الأليكسو)

خمس سنوات حلون ، منذ التقينا هنا ، احتفالا بمرور ربع قرن على انشاء مجله « الفكر » العربيه ، التونسيه ، التقينا ، كتابا وشعراء وادباء ومفكرين نحيي هذا الحدث الثقافي الجليل ؛ قياما ببعض الواجب ، لذلك الحق الراسخ ؛ والفضل الشامخ نحمه لمدعه ؛ ولمنشئه سـادة الاخ محمـد مـزالي المفكر والاديب ، والمناضل والملتزم ، واليوم نلتقي ؛ لنشترك في العيد الثلاثيني ، لمجلة « الفكر » ؛ عيد القوة والشباب والعطاء ... وان تاريخ الفكـر العربي سوف يقف طويلا ، في حلقات المستقبل ؛ أمام « ظاهرة » مجلة « الفكر » ؛ التي صمدت العقود من السنوات ، تصـدر ، في انتظـام ، كالشمس ، لا تتخلف ؛ تبشـر ، وتـدعو ؛ وتبدع وتبني ، وهي في كل ذلك ، تـؤصل وتؤثل ، في اطار القيم الانسانية الرفيعة ؛ وفي نطاق الشخصية الحضارية القومية المتفتحة ؛ على الحضارات ، والمشاركة فيها ؛ أخذا عن بصيرة ؛ وعطاء عن قدرة ؛ ولقد عاصرت مجلة « الفكر » ؛ في مسيرتها الظاهرة ، احداثـا قومية ، وقارية ، وعالمية ؛ وشهدت ميلاد ظاهرات سياسية وثقافية جديدة ؛ واختفاء أخريات ، وكان لها ، في كل ذلك رأي ، وموقف ؛ وصفحات «الفكر» وثيقة حيه ، وشهادة ملتزمة لنضال عصرنا ... فهي ليست مجلة أدبية ، بالمعنى الفني ؛ ولكنها كانت ، وتظل مجلة فكرية ؛ ثقافية ، بالمعنى الواسع ، تاخذ نفسها أيضا بالهموم الاجتماعية والسياسية ؛ التي لا يمكن فصلها عن الحياة الثقافية ؛ ضرورة التفاعل الحيوي والاجتماعي بينها ... ولقد أدت مجلة « الفكر » ، كمؤسسة قومية رسالة جليلة ؛ الى أبناء الامة العـربية ، كتلك التي أدتها مجلتنا « الرسالة » و « الثقافة » المصريتان في السنوات الثلاثين والاربعين ، وجزء من الخمسين من هذا القرن .

وانه من الامور التي ينبغي أن تدرس ، هي أن « الفكر » ، بـدأت حيث انتهت مجلة « الرسالة » ، التي فشلت كل المحاولات ، في اعادة الحياة اليها، وكان القدر أراد أن يكـون هناك تواصـل بين أبناء الامة العربية عبـر هذه المؤسسات الثقافية الحرة ؛ ذلك الى جانب خصيصة انفردت بها « الفكر » ؛ وهي تصديها للعمليات التغريب الممنهجة والمخططة . فحفظت الثقافة العربية ، وحمت اللسان العربي ؛ ومكنت للغة العربية ، وللتعبير العربي ؛ ووصلت الرحم الفكرية بين الاجيال في المغرب العربي ؛ وهذا فضـل تـاريخي ، في تأصيل الهوية ؛ والحفاظ على الشخصية ، سيظل باقيا ، على وجه التاريخ ...

لقد آن « لظاهرة » مجلة « الفكر » ؛ أن تأخذ مكانها القيادي ، في صياغة الحياة الثقافية ؛ وهي قادرة على ذلك ؛ فقد استطاع منشئها الاخ الصديق ، الاستاذ محمد مزالي ، بمواهبه الخلاقة ؛ وارادته الصلبة ، وبايمانه العظيم ؛ وببصيرته الرائدة ، وبعلاقاته الانسانية الامينة ، أن يوفر لها من أسبـاب الحياة ، على مدى ثلاثين عاما من النضال اليومي ، ما عجزت عنـه الحكومـات والمؤسسات ، لمجلات مماثلة ' وذلك لان « الفكر » بالنسبة له ، لم تكن عملا خارجيا ، ولا مؤسسة ثقافية مستقلة ، بل كانت جزءا من حياته ؛ وبعضا من كيانه ؛ فكانت تحيا بحياته ، وتنمو ، بنموه ، وهي في الوقت نفسه ، كانت تعبيرا جماعيا ، عن حياة قومية متكاملة ، ومعايشة لحقيقة حية ؛ وعـودة الى الذات الحضارية ؛ وتطلعا مشروعا الى أفق انساني كريم وأمين ، الى نسق من الحياة الحرة العادلة الآمنة المبدعة ... وهكذا اجتمعت « للفكـر » مقومـات النمو والخلود ...

ومن هنا ، فانى اطمع أن يتسع عطاء « الفكر » ؛ لتضم مؤسسة قادرة على الانتاج العربي ؛ في كل مجالات الثقافة ' فتصدر السـلاسل ؛ والكتـب ؛ والدراسات ؛ وقد يكون هناك مجال لاصدار مجلة للاطفـال ؛ وهـم عـدة المستقبل ، فيكون « للفكر » حينئذ ، مجتمع متكامل ، على مستوى الانتـاج الفكري والثقافي ؛ وعلى مستوى الاجيال ...

ان سيادة الاخ محمد مزالي ؛ وهو الـذي استطـاع ان يمـارس القيـادة السياسية ؛ بالنهج الثقافي ؛ ويمازج بينهما ، مزاجا حميما وخلاقا ؛ انطلاقا من ايمانه بدور الثقافة قادر ، ومن خلال تجربته الفريدة أن يحقق «للفكر» ؛ هذا الامل ، في الرسوخ والتقدم والاشعاع .

ان الحديث عن « الفكر » ؛ لا ينفصل عن الحديث عن شخصية السيد محمد مزالى ؛ ولا عن أسلوبه في الحياة ؛ وفلسفته العملية ؛ فهو من جيل المناضلين، الذين كانوا في خندق المسؤولية والنضال ؛ كانت حياته الفكرية تنمـو ، جنبا الى جنب مع التزامه النضالى ؛ في ظل المدرسة الوطنية العظيمة ، مدرسة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه ، الذى الهم شباب تونس ؛ العدوة ؛ والقدوه ، على التكوين المتكامل والمتفتح .

ان الاستمرارية والمواصلة ؛ والدأب والاصرار ؛ هي من الخصائص البارزة في شخصية السيد محمد مزالى ، في حياته اليوميه ؛ وفي حياته العـامة ؛ وهى خصائص ترجع في أصولها ، الى العزيمة الصـادقة ؛ والى الوضـوح الفكرى ، والى الاستقامة السلوكية ؛ وما أخذ في شيء جل أو دق ، الا وبلغ به غايته ، وسوف تصبح « الفكر » ، باذن الله ؛ وبعزيمة منشئها ؛ صرحـا ثقافيا عربيا باقيا ، الى جانب كونها مفخرة تونسية في مجال العطاء الثقافي العـربى ...

لتوالى السنون ، والايام ؛ و « الفكر » تزداد مع الزمن ، شبابا وفتوة ؛ ويمتد اشعاعها قويا وصادقا ، على الارض العربية ، حاملة رسـالة الثقـافة العربية ؛ ولتبق أسرتها القادرة المثابرة المؤمنة ، بقيادة عميدها ، في عطائها الممدود لا ممنونا . ولا مقطوعا ، للاجيال العربية . واذا كانت « الفكـر » ، أصبحت ، كمؤسسة ثقافية « ظاهرة » ، فانما ذلك ، لان مؤسسها ، كمفكر ومناضل ، « ظاهرة » أيضا ، ولا يمكن فصل الظاهرتين ، فقد أدت احداهما الى الاخـرى ...

د. محيي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية

للتربية والثقافة والعلوم

(تونس)

تحيّة "للفكر" في عيد ميلادها الثلاثين

شعر : مختار الوكيل
(مصر)

سهرت مع الكروان الليالي   أردّد أنغامه في ابتهالِ

وقد رقص النجم في شرفةٍ   مُجَنَّحَةٍ ، زيّنتها اللآلي !

وغنّتْ معي فاتناتُ الكواكبِ   في فرحةٍ بظهور الهلال !

وقد أسعد الكون ربّ الغناءِ   بلحن يفيض بسحر حلال !

وردّدتِ الطير في لهفةٍ   أغاريد ذاك المُحِبّ المثالي :

وقد أقبل الفجر يغزو الدياجي   وقلبي يُغرّد لحن الجمال .. !

وقد أيقظ الفجرُ تلك الورودَ   فَغَنَّتْ ، ورفّ عليها خيالي .: !

وماس مع الفلّ والياسمين   يُعَرْبِدُ في سبحات الدلال . !

وقد ضحك الروضُ مستبشرا   فماست أزاهيرُهُ في اعتدال !

كما رقص الدوحُ في بهجةٍ   وأمعن في نشوة أو ثمال !

وأرسل ذاك النسيم العليلُ   نشيدًا طروبا من الهمّ خال

وقد بعثر البحر أمواجه   تصفّق في لوعةٍ واشتعال

فيا جنّة البحر ، يا روضة   يسود بها الأنس في كل حال

ويا فتنة البحر ، طال اشتياقي   إلى ضجعة بين هذي الرمال !

* * *

وطـال حنيني لعهد الشبابِ ... يسير ، يُحطّم صخرَ الجبال
وجاء الشباب ، وفي عزمهم ... تسابيح تسمو لرب الجلال !
(إذا الشعب يوما أراد الحياة) ... مضى واثقا من نوال المحال !

* * *

ثلاثون عاما على (الفكر) مرت ... وها أنذا جئت في الاحتفال
لأشهد في (تونسٍ) نهضة ... تخطت حدود المنى والخيال
فيا أمة « فتنت » بالحياة ... وبالفكر عبر السنين الطوال
بنى صرحها بطلٌ ماجدٌ ... رأى الفكر بوتقة للنضال
(حبيب) ، لأمّته عاملٌ ... بنى بالعلوم عقول الرجال . !
يرى الفكر أمضى سلاح به ... تنال الشعوب الثمار الغوالي !
هو المجد بالعلم ، ليس بجيشٍ ... كبير ، وليس بجاه ومال !

* * *

لك اللّهُ يا قلب ماذا عراك ؟ ... فصفّقت في نشوة وابتهال ؟
فقال فؤادي : لقد طاف فجرا ... على الورد ساقٍ نبيل المثال !
هو المَلَكُ المُسعدُ الأريحيُّ ... كريمُ النوال ، عظيمُ الخيالِ
فتى لم يَرُعْهُ لهيبُ النزالِ ... ولم يخش في الحقّ وثبَ الضلال
فحارب بـ (الفكر) جهل الحياة ... وحقق بالعلم أسمى المنالِ
هلمّ بنا نحو روض الفنون ... نحيي الأديبَ الرفيعَ المثالِ
نُحيّي (المُفكّرَ) فخرَ الرّجال ... نُحيّي فتى فتّنته المعالي . !
(ثلاثونَ) مرّت... وأنتَ حفيٌّ ... بفكر سما فوق هام الرجال . !
أُحيّيكَ ألفا فتى المكرمات ... أُحيّيكَ مُفتخرا يا مزالي !
لأقسمت أنك بـ (الفكر) تسمو ... وأنّك منتصر في السّجالِ
لقد جئت بـ (الفكر) تغزو القلوب ... بعذب القصيد ، وضافي المقال

غـدتْ منبـرا لـكـرامِ العُقُـــولِ وسـاحة علـمٍ وضـيء الجـلال !
متى ينهض الشعب يبغى انْتِصَارا فبالفكـر يهـزم جيش الضــلال
حبيك يــا قـدوة المصلحيـن ويـا بطلا رائعـا فــي النضال
هو العلم بغيتنـا في الــكـفــاح لِنَهْزِمَ كـلّ جيوش المحــالِ
وقد عِـــشتَ دهــرا عدُوَ الظلام تضحي بجـّــاهٍ ، وتودي بمـالِ
جمعتَ مِنَ المجـدِ أطـرافــهُ كـريـمَ المقـالِ وخيـر الفعـال
ورُحْـتَ وإخْوتَــكَ المخلِصون تُنيرون بالعلــمِ دَرْبَ الجمـال . !
أُحَيِّيَ (البشيـــر) رَفيقَ الجهاد أديبـا لـــه السبقُ في كلّ حَالِ
فتى أبـدع القصصَ العبقريَ وجـاء لنا بالبحـــوث الغــوالي .
هُمُ انطلقـــوا في صعيد الجهّادِ يسيـرون (بالفـكر) نَحو الـكمالِ
هُمُ فِتيـة آمنوا بـــالـكفـــاحِ فنَالـوا مِنَ النـور أوفى نَوال ..
على دربهـمْ فَلْيَسِيــرْ طَــامِحٌ ليبْنِيَ طَوْدا رَفيعَ الـمِـيـثــال

★ ★ ★

إلى المجد بـ (الفـكر) سامِي المعاني إلى النُّــور بين السّطور الطوال
أعدتِ لَنَا رائِعـــاتِ (أبُــلُّــو) وأحْيَيْتَ أيّام مجد (الهـلال)
وعَهدَ (الـــرسـالة) عذبـا ثريّـا وعـصر (الثقـافـة) ضافي الجلال.

★ ★ ★

فتى المجد يَا شُعلة فِـــي الجهاد ويـا نابغـا ملْهَمـا في الــرجـال
أُحَيِّيكَ ألفـا فتى المبـدعيـــن وأهديك زهرة حُبّي المثالي
وما دمتَ بـ(الفـكر) تحيي النفوسَ فإنّك تغزو النُّهَى يَا (مزالي)

مختــار الوكيــل

(مصـــر)

تحيـــة للفكر .. تحية لتونس المفكرة

بقلم : عبد الكريم غلاب
(المغرب)

لعل احتيار الاسم واخنيار التاريخ وصاحب الاختيارين ، لعل كل ذلك لا يمكن ان نكون مجرد انفاق عشوائي . ففي اكتوبر من ثـلاثين سنـــة خلت كانت نونس مقبلة على عهد جديد ، يتمخض فيه شعبها عن مولود جديد ، لم نعمل فيه عوامل بيلوجية نقدر ما عملت في تكوينه عوامل فكريه . ولعــل خلاصة هذا المولود الجديد هو ما نعبر عنه الكلمة التى ميزت الانسان وهى «الفكر» .

ناضل الشعب منذ ازيد من قرن وربع قرن بقيادة خير الدين لتغيير وجه تونس بالفكر . وجددت تونس نضالها منذ ازيد من نصف فرن بقيادة الحبيب بورقيبة لطى صفحة الاستعمار بالفكر ايضـــا ، ووصلت كنتيجـــة لمــرحلتى النضال هاتين الى طى صفحة التخلف والاستعمار . لتبدأ صفحة جديدة تحت ظل الاستقلال . فكان لابد ان تفتح الصفحة الجديدة بالفكر ، الفكر اذن هو شعار نضال نونس من احل التطور الاجتماعي والسياسى والدستورى ، ومن اجل التطور فى بناء نونس الجديدة المستقلة ، التى سيـــرث المشعـــل فيها شباب جديد هو جيل الاستقلال . ومن احل ذلك يجب ان نكون شعاره ايضا «الفكر» .

وقد دأبت تونس ــ منذ بدأت نهضتها ــ على اعتماد الكلمة والخطاب كسبيل للقاء الافكار ، وكانت الى جانب الصحف الاخبارية وصحف الراى والنضال بعض المجلات التى نلتقى عندها افكار النخبة من المثقفين والادباء . ورغم ان سوق الكلمة المثقفة كاسدة فى مختلف بلاد العالم الثالث ــ وخاصة البــلاد التى كان يملك زمام الحكم فيها استعمار قاس ــ فان ارض تونس استطاعت

ان تزهو مجلات من امثال «العالم الادبي» و «المباحث» ، وكان يراس تحريرها الاستاذ الكبير محمود المسعودي ، و «الندوة» وغيرها من المأسوف على غيابها رغم ان سوق الكلمة «المثقفة» كاسدة ، فقد كان لابد للعهد الجديد من مجلة جديدة ، ان لم نقل من مجلات جديدة ، وكانت «الفكر» في مقدمتها ٠

الريادة ليست عملا سهلا في عصر نعجم فيه الحياة بالاوشال ٠ ولذلك فالرائد لا يكذب اهله ٠ وحتى لا يغرر بهم ، وهم في مفترق الطرق عليه ان يكون صادقا في دعوته ومنهجه واسلوبه وهدفه ، وعليه ان يتحمل المسؤولية في كل خطوه يخطوها ، فيضع القدم على الارض الثابتة حتى لا تسيخ الارض من تحت ارجلهم وهم في أثره ٠٠٠

ولعل مجلة «الفكر» كانت رائدا من هؤلاء الرواد الذين لم يكذبوا اهلهم ، ولعلها استمدت من اسمها قوة الاخلاص لرسالتها ٠ فكان منطلقها من الفكر، وسبيلها الاعتماد على الفكر ، وهدفها السمو بالفكر ٠

هذه الرسالة جمعت حولها اجيال المثقفين من كبار علماء الرياضيات والفيزياء مثلا الى جيل الشباب من الشعراء والقصاصين ٠٠٠ الفكر لا يعرف حدودا للمعرفة ، العلم والادب والتاريخ والفلسفة والسياسة والاجتماع والاقتصاد تتجلى جميعها على صفحته ، ولذلك كانت المجلة تحمل دلالة عنوانها فتقدم الدراسة العلمية والفكرية والاقتصادية والادبية ، وتقدم القصيدة العمودية والمتحررة من «العمادة» (وارجو المعذرة للتورية) وتقدم القصة والمسرحية والمقالة النقدية ، كل ذلك في توازن وتكامل لا يطغى فيه جانب على آخر ، ولا يخضع التاليف بينها للصدفة او التلقائية او العشوائية ٠

والكلمة «الفكر» فرضت على المجلة (واستسمح لاستعمال كلمة فرضت) ان تكون رصينة رصانة الفكر واصحاب الفكر ، فلا نجد فيها مثلا ادبا عاريا، ولا نقدا لاذعا غير علمي وغير مسؤول ، ولا بحثا لا يستند الى المنطق والعقل والاسلوب العلمي ، وكاني ، وانا اقرأ فيها او اتصفح صفحاتها ، بمديرها ورئيس تحريرها رضوانين واقفين على بوابتها يعرضان الفكر الرصين على كل داخل وبيده اجازة الدخول ٠ الشخص يفرض الانجاه ، ولو لم يتحدث به أو يصدر قانونا ملزما له وللآخرين ٠ ومحمد مزالي والبشير بن سلامة اعطيا المثل في رصانة البحث ومسؤولية الكلمة وجدية العمل واستمرارية الانتاج، فكانت الفكر مثال كل ذلك طيلة السنوات الثلاثين ٠ وعلى الذين يبحثون

عن جانب من الهزل ـ وبعض الادب هزل ـ أو جانب من الادب المكشوف ، وبعض الناس «يتادبون» وهم «عراة» والذين يبحثون عن اسواق النخاسة في عصر كرامة الانسان او الذين يضلون ويضللون باسم العلم والفكر ، على هؤلاء جميعا ان يبحثوا لهم عن مجال في غير واحة الفكر ، فرضوانان ـ وليسا رضوانا واحدا ـ قد وضعا الخطة والمنهج والمثال ، فلا يقترب من الواحة غير الذين يلتزمون بذلك ٠

ومن منطلق الالتزام وجدنا مسؤوليه الفكر تفرض نفسها على الذين انشؤوها في يومها الاول ، مناضلا في ميدان السياسه والادب لم يكن لهما غير نضالهما الشريف ، وجدا ان الحاجة ماسة الى الفكر فانشآ المجلة وهما يعرفان ان المجلات ، مهما بذل فيها منشئوها من جهد ، سرعان ما تذوى حتى في البلاد المتقدمة الغنية بقرائها ، ولكن كان لهما من التصميم والعناد الثقافي ما جعل عملهما يستمر رغم المسؤوليات الجسام الرسمية التى تحملها كل منهما ٠ واحسب ولعلي اتحدث عن تجربة ، ان الشعور بالمسؤولية يدفع كلا من مزالي ، ولو كان وزيرا أول ، والبشير بن سلامة ، ولو كان وزيرا للثقافة، يدفع كلا منهما ان يفرغ للمجلة لمنحها بعضا من وقته فيكتب المقاله ويوجه العدد ويحرص على وقت صدوره ، وعلى نفس التوجيه المرسوم والخطة المضبوطة ، هذا الالتزام بالكتابة والمراقبة والتوجيه هو المتنفس الاكبر الذى أمد الفكر باسباب الحياه ، فليس اشد بلاء على اى مشروع ثقافي ــ على الاخص ـ من التخلص من مسؤوليته أو وضعه في المقام الثاني او الثالث من اولويه المسؤوليات ٠

استقطبت الفكر كبار المثقفين التونسيين ، والآصرة أشد ما تكون بين اسرة الثقافة ، وخاصة في مجتمع تسوده السلم الثقافية ، واصبح الفكر ، بسبب ذلك ، جاذبية ٠ فلا نكاد تمر سنة الا وطلعت علينا باقلام جديدة لم يكن لقرائها عهد بها ٠ وذلك في نظرى هو سر حياة الشجرة المعطاء : الغصن الذابل منها يذوى ليخلفه غصن آخر اشد حيوية وشبابا وخضرة ولمعانا ، ويشتد منه العود فتنضج ثمرته ويحلو عطاؤه ويغني عداؤه . المجلات التى تقفل الابواب في وجه الجديد تختنق منها الانفاس وسرعان ما يدب الوهن في أغصانها ، وتذبل ويكون مصيرها الموت . واحسب ان بعض المجلات يفرض عليها ذلك أو تعرضه على نفسها ، فلا يكون لها محيد من مصير .

ومن حسن حظ الفكر انها فتحت الباب للشباب ، احيانا على حساب الجودة والمستوى ، ولكن الذى لا يتعثر لا تستقيم مسيرته ٠ وقديما قالوا : ما زال

فلان يهذى حتى قال الشعر ··· وكثر هم الذين قالوا الشعر ، واستمروا يقولون على صفحات الفكر ولمدة طويلة ·

من مزايا الفكر انها فتحت آفاقها لخارج تونس حتى لا تظل حبيسة المحلية، ولو ان هذه آفة كل قطر عربى · فقليلة هى المجلات التى اتسع صدرها للوطن العربى جميعه أو اتسع صدر هذا الوطن لها · محاولة الفكر كانت جيدة ، ولو لم تنجح فيها بالقدر الذى كان يجب ان تنجح · وجدنا كتابا وكاتبات (على قلتهن) من مصر وسوريا والعراق والسودان والاردن وفلسطين والكويت والسعودية ولبنان والمغرب العربى ، واجدنى مضطرا الى القول بان اسهام هؤلاء ، ولو ان اغلبهم من الاسماء اللامعة فى الادب والبحث ، كانت قليلة فى عمر فكر اربى على الثلاثين · لا اريد ان اعلل او اقترح ، ولكنى اود ان يتسع النطاق فى المرحلة الجديدة من الفكر ، الى اشعاع أكثر ، اشعاع متبادل بين المجلة والكتاب الذين تستقطبهم من خارج تونس، فلا شىء اكثر اغناء للمجلات، خاصة ، من اتساع دائرة كتابها وتنوعهم ، وهو الذى يضمن اتساع دائرة قرائها وتنوعهم ·

وكم يسعدنا ان تصبح الفكر مجلة المثقفين العرب ـ وهى أهل لذلك ـ على قلة المجلات التى تجمعهم او تفتح صدرها لكثير منهم بمقدار ما يفتحون قلوب أقلامهم ـ وللاقلام قلوب فيما أزعم ـ لها ·

يرشح الفكر لذلك ان تونس اصبحت مركزا عربيا مهما ومركزا ثقافيا مهما · جامعاتها اصبحت متعددة · و«بيت الحكمة» فيها ـ الذى يضم مجموعة من المفكرين والمثقفين التونسيين والعرب والاجانب ـ بدا ياخذ مكانه بين المجامع والاكاديميات العلمية ، والجامعة العربية وجدت مكانها فى رحابها ، ومنظمة التربية والثقافة والعلوم العربية أرست قلاعها فى تونس · بذلك ، وبغيره ، توسطت تونس الوطن العربى ، واصبحت مكان القلب المتحرك فيه · ولهذا فلا أقل من ان تصدر عن تونس مجلة للوطن العربى جميعه تضم أقلام كتابه وعلمائه مفكريه .

ومن (واستعمل متعمدا كلمة من) أجدر بذلك من الفكر ؟ هذه نظرة مستقلة لمجلتنا «الفكر» واعرف انها فى حاجة الى كثير من الجهود المادية والمعنوية · ولكنا تعودنا من الاستاذين محمد مزالى والبشير بن سلامة انهما يهمان · واذا هم اى منهما القى بين عينيه عزمه · والعزيمة تفعل · ولا أقول : تكاد تفعل·

ايها الاخوة :

كلما حمل إلي البريد عددا جديدا من مجلة «الفكر» شعرت بأن نبضا من الحياة ما يزال ينبض بين جناحى • فقد أشرفت على مجلتين ثقـافيتين هما «رسالة المغرب» و «البيعه» كما أشرفت على صفحات ادبية وعلى الملحق الثقافى لجريدة «العلم» ردحا طويلا من الزمان وقد ودعت المجلتين كما يودع الاب ابنا له الى مصيره • واذا كنت لم اعد أشرف على الملحق الثقافى فمكره أخاك لا بطل • ولذلك تجدنى أقدر كامل التقدير العمل الذى تقوم به النخبة المشرفة على مجلة «الفكر» واعتبره عملا شجاعا الى جانب انه عمل رائد ويتسم بكثير من التضحية والصبر والعناد الثقافى كما قلت • واذا كان ذلك يعود الى النخبة المشرفة فهو كذلك يعود الى النخبة القارئة . فللقراء حظهم فى انجاح العمل الثقافى ، ولعل البطل المجهول في هذا العمل الرائد هو تونس • فلولا ان تونس مفكرة ما عاش فيها منبر للفكر ، ولولا ان تونس ابنة قرطاج والقيروان وأم المكرس والعلماء والادباء والمثقفين لكان (الفكر) جسما غريبا فيها ، وما يزال الاجسام بلفظ الغريب ••• ولو كان فى لفظه موت لها •••

الفكر اذن فى بيئتها . واقدر لها أن تحيا لان الشجرة ، ولو كانت طيبة ، لا تعيش الا فى الارض الطيبة ، والارض الطيبة فى حاجة كذلك الى رى دائم وتجديد للتربة مستمر ، واعتقد ان متعهد حديقة الفكر قادر على ذلك .

تحية صادقة الى مجلة الفكر وهى فى عز رجولتها .

وتحية صادقة الى تونس المفكرة التى اثمرت زهرة الفكر والى الاخوة المفكرين الذين يضطلعون بهذه الرسالة •

عبد الكـريم غـلاب
(المغـرب)

ننشـر فى الأعـداد القـادمة

منافشة دراسة الاستاد عبد العزيز قاسم

« نظـرات في الشعـر التـونسي مـن خـلال

مجلـة (الفكـر) 55 ـ 85

بقلـم : محسـن بن حميـده

«الفكر» في عيدها الثلاثين

شعر: محمد عبد المنعم خفاجي
(مصر)

حيّ في عيد الفكر شعبا مجيدا ... حيّ يوما كان الضحى المنشودا
حيّ في عيدها الثلاثين عزما ... يستوي نهضة ويبني الخلودا
حيّها منتدى لفكر أصيل ... يتعالى أبوة وجدودا
عزّت الضاد بـ «مزالي» مقاما ... وبنت بـ « البشير » عرشا مشيدا
هذه الفكر صورة العصر عاشت ... وبنت للتراث صرحا وطيدا
لم يكن في أرض النضال سواها ... وهي كانت لكل حر نشيدا
يا منار الآداب تونس تزهى ... بك فكرا مستطرفا محمودا
أنتِ علمتِ جيلك الحرّ أن ينـ ... ـحتَ صخرا وأن يعيش الصمودا
أنتِ كرّمتِ الشعبَ حتى استعاد الـ ... ـمجد والنصر سيّدا لا مسودا
أنتِ حلّيتِ صدر تونس بالفخـ ... ـرِ ، وكم قد حلّيتِ صدرا وجيدا!
أنتِ أرسيتِ في الشباب البطولا ... تِ ، ليحيا حرا ويأبى القيودا
وليسمو بالهام فوق الثريا ... وليأبى لغير ربي السجودا
بطل السحر يوم قامت جماهير ... الحمى تنشد العلى والخلودا
لم تذق للهوان واليأس طعما ... ومشت في الجلّى تباري الأسودا
عرفت للكفاح معنى جديدا ... وبنت بالكفاح ملكا مجيدا
تبهر الدنيا بالذي صنعته ... وترى بالحبيب فجرا وليدا

وترى العيش عزة وطموحا ... ومنى حلوة ويوما سعيدا
تونس المجد والفخار إباء ... تونس العزم والنضال صمودا
أي جيل لم يفد بالفكر فكرا ... وفتى لم يُسرّجّ منها المزيدا
فتحت صدرها لكل هزار ... فتبارت أسرابه تغريدا
ام تضق بالقديم أو تتنكر ... للجديد الذي دعوه قصيدا
كفلت للجميع حرّية الرأ ... ي ، وسنّت للناس نهجا حميدا
لا يضير الآراء أن تتبارى ... طالما جاور الطريف التّليدا
ثمرات الإبداع تحيا طويلا ... وتظل الدنيا لديها شهودا
كم طوى الدهرشاعرا وتخطى ... شعره الدهر تالدا وجديدا!
وعكاظ العرفان كم قد أعادت ... للأديب الشريد حلما شريدا!
عيدها الضاحي أصبح اليوم تاري ... خا ومجدا ، وصار نصرا فريدا
عشت يا مجمع الثقافات فكرا ... عشت في ضوء العصر عمرا مديدا
أنا لولاك لاطّرحت يراعي ... ونسيت الأنغام والترديدا
ألف شكر فقد فرشت طريقي ... بالشذا ، واحتضنت روضي ورودا
عشت يا فكرنا الحبيب طويلا ... كل يوم نقيم لاسمك عيدا

محمد عبد المنعم خفاجي

(مصر)

مجلة "الفكر" تؤدي رسالة الفكر

بقلم : وديع فلسطين
(مصر)

أيهـا الحفـل الكريم ،

قديما قال الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت : «أنا افكر ، فأنا اذن موجود» وهو ما يعنى بمفهوم المخالفة أن من لا يفكر قد نفى وجوده وألغى من الدنيا كيانه فالفكر هو دليل الوجود ، بل هو أول دليل عليه واكبر مصداق له ، وعندما انكر ديكارت كل شيء ، ونفى كينونة كل شيء ، لم يسعه الا أن يعتـرف بالفكـر : الفكر الذى ينكر ، والفكر الذى يثبت ، والفكر الذى يبدع ، والفكر الذى ينشىء ويعمر والفكر الذى قامت بفضله الحضارات وازدهرت ، والفكر الذى من آثاره استبحار العمران واتساع مجـالات المعارف ، وكشـف المعميات والمغمضـات والاسرار الدفينة . ولولا الفكر ، اى لولا العقـل ، لتطاولت عصور الظـلام والهمجيات ، ولبقى الانسان سادرا فيها من أول الازل الى منتهى الابد .

وكأنما آثر الاديب العالم محمد مزالى منشىء مجلة « الفكـر » ان يطلـق على دوريته هذا الاسم من قبيل التوجـه الى المنبع الاصيل لكـل مظاهر التفكيـر والرياضة العقلية . فالفكر هو الجامعة الكبرى التى فى دوحتها الباذخة تترعرع الآداب والعلوم ، وتزدهر الفلسفات والرياضيات وسائر المعـارف الانسانيـة والتطبيقية وهو بذلك قد جمع فأوعى ، وأحاط فألم ، وركب البحـر فاستقـل السواقى ، وقصد المنبع فاذا الروافد جميعا رهن يديه .

فالفكر يتسع لجميع مغامرات الافكار ، ونجارب العقول ، وبواعث الالهام ، وموروثات الابداع ، ورياضات الذهن . شعـرا ونثرا ودراسة وتحليلا وقصة وخاطرة ، وما شئت من أوعية العلوم والمعارف فى دنياها الرحيبة .

والتاريخ المجيد الذى قطعت منه مجلة « الفكر » ثلاثة عقود ، شاهد على انها سارت برعاية ربانيها محمد مزالى والبشير بن سلامة ترفع رايات المعرفة عالية ، وبخلص الولاء لرسالة الفكر الصادقة ، وتفتح الساحة أمام الاعلام والشداة ، وتوطىء منابرها لكلصاحب رسالةوموهبة ورأىوضمير،وتحقق الالفة الوثقى بين أبناء الضاد فى جميع امصارهم ، وتتمثل قول الشاعر محمــود أبى الوفــا «وطنى هو الفصحى» ، وتؤمن بأن الادباء جميعا أبناء خؤولة وعمومة فى دنيا مائجة بالعروبة الصحيحة . وأول العروبة لسان وفكر وضاد .

يقول محرر « الفكر » فى صدارة عدد مــن أعدادها المبكــرة : « ان الواجــب والوفاء لأسمى معانى الفكر يقتضيان من رجل الفكر أن يعمل عملا كاملا صادقا بالفكر واللسان والجوارح من أجــل تجسيم ما يراه الحــق والخير والجمــال والعدالة وكل القيم التى هى حلم البشر » .

فكم هى عظمة أهداف مجله « الفكر » ومآربها اذ تتطلع الى تحقيق المثاليات التى هى حلم البشر من حق وخير وجمال وعدالة وقيم جامعات شامخات .

وان متابعتى الحثيثة لاعداد « الفكر » من سنتها الاولى ، لتؤكد لى ما اكدته لجمهرة القارئين من أنها مجلة اعتصمت بخوالد القيم ، وترفعت عن عوارض المآرب ، واستنت لها دستورا متعالى المقاصد ، وظلت طوال عمرها ــ الممدود باذن الله عقودا وعقودا طويلة مقبلة ــ حفيظة على نقاء عروبتها وصفاءصفحتها، وهو هو ديدن العلماء الاصلاء الآخذين النفس بأصرمالمناهجواقومها. والتاريخ المسطور لمجلة « الفكر » خليق بأن يضعها فى منزلة كريمة بين أمجد المجلات الثقافية التى عرفها عالمنا العربى .

وقد اختارت مجلة « الفكر » فترة عصيبة من فترات التاريخ الادبى المعاصر للصدور وكان حريا بمنشئها ــ لو لا روح التحدى ــ أن يطوى أوراقه واقلامه نزولا على أحكام الواقع الأدبى المرير الذى اصطلحوا على تسميته بمحنة الادب . كنا فى ذلك الوقت نرى مصارع المجلات الادبية العريقة الواحدة بعد الاخرى ، وكان سنها سباقا على النهاية ، ونأسى للمآل الذى تردى اليه الادب فى ديارنا ونحذر من أىمشروع لاصدار مجلة أدبيه جديده،ولكن هذه المثبطات جميعا لم تفت فى عضد منشىء «الفكر» ، بل زادته تحديا واستهانة بالمصاعب،ففى عام 1948 حجب طــه حسين مجلته « الكاتب المصرى » بعد أن عاشت ثلاث سنين قصارا ، وفى عام 1952 ودعت مجلة « المقتطف » لفارس نمر ويعقوب صروف

عمرا رخيا أربى على خمسة وسبعين عاما ، وفى عام 1953 تعاقبت على الاحتجاب أربع مجلات هى « الرسالة » لأحمد حسن الزيات بعدما عاشت عقدين من الزمان و « الثقافة » لأحمد أمين بعد أن صدرت أربعة عشر عامـا ومجلـة « الكتاب » لعادل الغضبان بعدما انتظمت فى الصدور ثمانى سنين ، ومجلة « علم النفس » للدكتورين يوسف مراد ومصطفى زيور بعد أن عاشت ثمانى سنين ، فاذا كانت هذه المجلات تتساقط الواحدة فى اثر الأخرى فى المشرق العربى ، وكأنما تنذر المجتمع الادبى العربى بالمخاطر المحيقة باصدار المجلات الادبية ، فكيف يفكر مغامر فى اصدار مجلة أدبية فى المغـرب العربى وأمامـه عبرة العبر وقارعـة القوارع ؟ ومع ذلك راح منشيء المجلة التى نحتفـل اليوم بعيدهـا الثلاثيـن يستنجد بالامل وتحدوه روح التحدى ، ويقتحم العقبات ، ومن المؤكـد أنها لم تغب عن باصرته وبصيرته ، ومن كانت له رسالة ، آده ألا يؤديها ، ومن كان له ايمان أكربه أن يتزعزع أو يتخاذل ، ومـن نذر نفسه لمطالب الفكـر ، فليخض التجربة مهما حفلت بالكبوات والمصاعب،وليثبت للمتطيرين أنراية الفكر لابد أن تعلو وتعلو ، فان انطوت فى المشرق ، فهى منشورة خفاقة فى المغرب ، وان داهمتها صروف الدهر هناك ، تشامخت على موردات الحتوف هنا .

فمجلة « الفكر » ولدت لتعيش ، وعاشت لتؤدى رسالة الفكر ، وهى ماضية فى حمل الامانة الفكرية فى ديارات العرب جميعا تدعو ـ كما قال محررها فى صدارة عدد من أعداد سنتها الثامنة ـ الى جمع التراث ونشره وشجيع المواهب والانكباب على نقل عيون أدبنا الى اللغات الاجنبية فتثرى بذلك آداب الانسانية وتكون عنصرا من عناصر الحياة فيها ..

وبعبارة أخرى ، لقد حرصت مجلة « الفكر » منذ صدورها على أن تعيش فى محيطها العربى ، أصولها ممتدة فى التراث ، وجذوعها غير منفصلة عن الواقع ، وفروعها متطلعة الى آفاق بعيدة . وهى الى ذلك تعيش فى دنيا من الحضارات السامقة ترنبط بها وتتحاور معها ولا توصد تلقاءها الابواب .

واذ نقلب اعداد « الفكر » منذ نشأتها ، نراها قد فتحت صدرها لأدباء العرب جميعا باعتبارها منبرا عربيا يرتقيه كل مؤمـن بلسان العـرب ورسالة الأدب ومطالب الفكر أيا كانت الهوية الاقليمية التى يحملها ، فهى مجلتنـا جميعا فى المشرق والمغرب وفى الجنوب والشمال ، وهى لساننا الفصيح لدى المستشرقين وجامعات الغرب ، وهى سجل أمين لتطور الادب والفكر لا فى تـونـس العزيزة وحدها ، بل فيها وفى ديارات العرب أينما وليت وجهك . فان كان للمجلة

وحي متعال تستوحيه ، فهو الوحي العربي الصحيح الذى كان الحبيب بورقيبة من أوائل الداعين اليه الصادقين فى النضال من اجله ، ممـا عرفناه وخبرناه وتزودنا منه عندما كان يقود معارك الاستقلال من القاهرة .

وفى مناسبة العيد الثلاثيني لمجلة « الفكر » الرصينة الشريفـة ، يطيب لنا معاشر الادباء ونحن نجزل لها التهنئات القلبيات بهذه السانحة السعيـدة ، أن نسوف لها أمنياتنا كحمله أقلام خضرمتهم الايام .

فالأدب الذى نريده ، والفكر الذى نبتغيه انما يصبوان الى التوجيه والارشاد لا الى المتابعة والمسايرة والمجاراة ، والاديب الحق هو الـذى يعرف مكانته فى الجماعة رائدا ومشيرا . فلا يرتضى ذلة ، ولا يقنع بمنزلة تجحد فضله وتحشره بين الذيول ، وما أعظم المتنبى القائل

وما الدهر الا من رواة قصائدى اذا قلت شعرا ، كان لى الدهر منشدا

فهنا هنا كبرياء الفكر والادب ، كبرياء العلم لا كبرياء الجهل ، كبرياء الخلود المكتوب للادب ، ولا كبرياء العنجهيات الفوارغ التى تذروها أهـون الريـاح وما اصدق الشاعر القروى الذى خاطب المتنبى قائلا

عيال عـلى ذكـراك ذكرى ملوكــه وأسماؤهم فيه على اسمك ضيفـان
خلـدت فخلـدت الزمـان وهكـذا تمـوت وتحيـا بالنوابـغ أزمـان

فبالنوابغ تحيا الازمان . وبخلود الشعراء يخلد الزمان ، وكل الاسماء عالة على اسم شاعر قومه وضيفان عليه .

فالأدب الذى نريده ، مكانه فى صدارة القـوم . والمهمة الـتى يضطلـع بها الأديب لها من القداسة والجلال ما يجعله يدرك خطورتها ويقدر تبعاتها ويعرف أنه انما يهدى الى طريق الفضائل والقيـم والمكارم الباقيات ، وأنـه يتخذ من ضميره مرشده وعاصمه فى آن ، فالادب الذى نبتغيه هو أدب رسالات ، أدب حضارات . أدب مفاخر مشمخرات . أدب ينقلنا من وهدة الى قمة ، ومن مجد الى ما هو أمجد ، ومن علو الى مرتقيات أعلى منه وأبعد سموقا .

ولن يستطيع الادب أن ينهض بمقتضيات هذه الأمانة العظيمة الا اذا كان الادب نفسه عظيما فى ريادته ، عظيما فى قيادته ، عظيما فى أصوله الثابتة فى أرض الضاد ، وفروعه الضاربة فى أعنة السماء .

فالادب الذى نريده ، هو أدب أعلياء لا أدنياء ، أدب علم وعرفان لا أدب أبواق وطبول ، أدب يضاف الى رصيد الامة العربية لا أدبا يجور على جميع أرصدتها .

نريد أدبا بانيا لا أدبا هادما ، أدبا يبنى الاخلاق ، ويؤثـل القيم ، ويؤصل المناقب العربية العريقة ، ويخلق الحياة الفكرية خلقـا جديدا ، وليس أدبا ما يرفع المعاول على التراث العربى الخالد ، وليس أدبـا ما يحفر القبـور لعباقرة الضاد على امتداد التاريخ .

والحمد لله أن مجلة « الفكر » قد فطنت الى هذه الآفاق البعيدة وساهمت أكرم اسهام فى السعى الحثيث لبلوغها .

بارك الله الفكر الذى تمثله مجلة « الفكر » ، وبارك الله ربانيها العظيمين محمد مزالى والبشير بن سلامة ، وبارك الله أرض تونس الخضراء الـتى أنبتت هذه الدوحة اليانعة ، وبارك الله حبيبكم وحبيبنا الرئيس العظيم بورقيبة .

وديـع فلسطيـن
(مصـر)

ننشـر فى الأعـداد القـادمة

مجلة «الفكر» الوسيلة هى الرسالة	د. عبد العزيـز شـرف
البشير بن سلامه يرسم بالكلمات ...	د. محمـد عبـازه
مجلة «الفكر» وأثرها فى الادب التونسى	د. صلاح عدس
بطاقة حب الى مجلة «الفكر»	د. قمـر كيـلانى

ذكرى .. وتحية ..

شعر : محمد خليفه التونسي

(مصر)

أحمد الله أن تحقق لي ما عشتُ أصبو له سنين طوالا
أن أرى تونس التي أنبتت قبلُ جدودي حرائرا ورجالا
غمروا « توزر الجريد » زمانا ثم أمّوا « صعيد مصر » ارتحالا
واستقروا هناك يروون عن « تو زر » ذكر عهد مضى ، ثم زالا
قد توالت أجيالهم ، فنسُوا الما ضي ، الا أساميا تتوالى
ما نسُوا « توزر الجريد » ولا « تو نس » ، فيما قد لقنوا الأنسالا
تخذوا « تونس » اسم قريتهم عزا لكي يحفظوا الأصول وصالا
وتعلقتها كما يعلق الأ مّ وليدٌ بحبّها يتغالى
ويرى من خلالها الناس طرّا أسرة . كيفما مضت أرسالا
قد تضل الطريق لكن إلى الوحدة تسعى محبة وجمالا
كلّنا في حضانة الله ، شئنا أو أبينا ، ومنه نرجو الكمالا
فإذا تونس الوليدة حيّت تونسَ الأمّ ، أو رَعَتْها خيالا
فهو ما تحفظ الوليدة للأ مّ وإن كان ذلك العهد طالا
فعلى الأم من وليديها أز كى التحايا يفِضن حالا فحالا
وعليها منها السلامُ . سلام الحبّ والبرّ دائبا سلسالا

تحية حب واعجاب للفكر في مسيرتها الحضارية

بقلم: د. يوسف عز الدين
(العراق)

ايها المحتفلون بالفكر واصحابهـا ..

سلام الله على المسرى جميل الخطو وبعـد :

لئن حالت ظروفى القاهره دون ان اسعد بالمشاركه معكم فان قلبى وعاطفتى وفكرى معكم ، ولم ارد ان تذهب هـذه المناسبة الفكريـة دون ان اسهم معكم محتفلا (بالفكر) ومؤسسيها ومحرريها ومقدرا هـذا الجهد الكبير فى خدمـة مسيرة الفكر الحضاريه على الصعيد العربى والعالمى ..

ما كنت اظن فى يوم من الايام ان يكتب لهذه المجله هذا العمر المديد الذى ارجوه ان يمتد ليطور الاتجاه الفكرى والحضارى للادب العربى ويسجل خطواته الرائدة ويظهر اسماء كثيرة كانت شابة واصبحت من الرواد الاوائل والمجددين الكبـار .

ان عمر مجلاتنا الادبيه والفكريه للاسف الشديد فى اكثر الاقطـار العربيه محدود الزمن واننا اراها تتساقط كل يوم وتحتجب او تحتجب بعـد ان يرهقها ما فى العالم العربى من متناقضات فى الفكـر والسياسـه والتمـزق الروحى والحضارى بين روادنا فاتدى مسيرة الادب والحضارة المعاصرة .

وقد ابتليت بداء الصحافة وعانيت من رهق القلم وتعصـف المطبوعات بين يدى تاركة الحسرة فى نفسى والاسى فى روحى وعمق مشاعرى..كم هو مؤلم ان يرى الانسان احد ابنائه يذهب دون رجعة ' وما المجله لصاحبها الا كالولد من الوالد .. صلة وحبا وعاطفه .

كان مفاجاه رائعة عندما اخبرت فى اجتماع (بيت الحكمة) ان هـذه السنة ستكون الثلاثين من عمر (الفكر) ووعدت أن أدرس (الفكر) دراسة مستفيضه

وارى اثرها فى مسيرة الفكر العربى ونطور الادب الحديث .. ولكن حجم الموضوع الواسع وغرسى حالا دون هذا الامل الحلو ..

ان (الفكر) ذات الاثر العميق فى الفكر أبعد عن فكرى لكتابة مقالة سريعة لان الذين اسمحوا فى تطورها والكتابة فيها يستحقون العناية المركزة والجهد العميق وقد كان للصديق الاديب الكبير والمفكر الرائد الاستاذ محمد المزالى الاثر الواضح سواء بما كتب او بما اسند او بما بذل من جهد هو والاستاذ البشير بن سلامه مع صحبه المفكرين الكرام .. وبودى ان اقترح ان يكون الاحتفال بالمؤسسين الاوائل وتقديم دراسات عنهم .. وعن ادبهم الذى كان عمود الاستمرار وقاعدة التطور والانطلاق والتجديد .

وعرانى فيما اقترح ان الاحتفال بالمجلة تكريم مباشر للذين بذلوا هذا الجهد المضني والدأب المتواصل . فى اخراج المجله ورعايتها والحدب على كل عدد من اعدادها .

ان الاحتفال بالمجله هو احتفال بالفكر العربى والتطور الادبى بعد ان اصبح الادب وارباته من المنسيين فى حاضرنا العربى الممزق وغدا الاحتفال بسطحيات الامور وما فيها من متعه سريعه او جاه مزيف هدف بعض الكتاب وغاية المفكرين للاسف الشديد ..

المجلة خدمت الحضارة العربية المعاصرة واستمرت بعزم قوى وهمة ممتازة تخترق الآفاق وتثبت وجود الادب العربى فى تونس وتعطى البرهان على ان ادباء تونس يتميزون بالاصالة والفكر المتطور والحفاظ على التراث الاسلامى وحضارتنا السابقه بما نشرته من قصائد ممتازة وما حوته من مقالات فى النقد والاجتماع والتاريخ و . . ففيها ترى أعذب القصائد وخير المقالات وأدق التيارات الفكرية فى تونس والبلاد العربية والعالم فى الحضارة والادب والابداع ومثل هذا الجهد يحتاج الى اعظم التقدير والاعجاب العميق ..

تحيات لكم ايها المحتفلون بالفكر فى عامها الثلاثين وللاستاذ الكبير محمد مزالى والاستاذ البشير بن سلامه ومن أسهم فى هذه المجلة .. راجيا التوفيق والعمر الطويل للجميع وآملا ان نحتفل بغيرها من مظاهر الفكر فى تونس الغالية .

د. يوسف عز الدين

عضو المجمع العلمى العراقى

تونس في الأدب العربي

بقلم : د. نعمات أحمد فؤاد
(مصر)

من هذا المكان أشكر تونس الشقيقة التي كرمت مصر في مطلع القرن العشرين يوم استقبلت مرتين الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده واهتزت لمقدمه كما يقول الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور (1) . (أنديه العلم والادب والاصلاح وأقبل على استضافته والترحيب به عظماء البلاد وعلماؤها ... وكانت محاضراته القيمة تأييدا وتقوية لحركة الاصلاحيين وأصبحت أساس العمل لحركة الاصلاح الزيتونى) .

كرمت تونس مصر وأكرمت الادب المصرى بمدارسته وتعليمه .. وأكرمت الفن المصرى ممثلا فى أم كلثوم التى استقبلتها واكرمت وفادتها وأطلقت اسمها على نهج كبير فيها .

تونس التى جلجلت فى سمائها هذه الهتفة :

اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

بيت غدا شعارا لطلاب الحرية في أوطان العروبة ، وعلامة طريق الحرية التي كتب علينا جميعا في شرقنا العربى أن ندفع ثمنها دماء زكية وأرواحا أبية .. والذى حدث بالامس فى تونس التى آجارت قضية وأفاءت عليها المكان والحنان ، هز وجداننا فى أوطاننا جميعا فنحن اخوة درب ورفقة عمر :

---

(1) اقرأ كتاب (الحركة الادبية والفكرية فى تونس) ص 59 ـ 60 .

ونحن فى الشرق والفضحى بنو رحم   ونحن فى الجرح والآلام اخوان..

لا أعزى فأنا صاحبة الجرح .. وأنا مثلكم صاحبة العزاء .. ولكن أحيى تونس وأكبرها .

أشكر تونس الشقيقة لا كما تعود الضيف أن تشكر المضيف الكريم ولكن شكر الكاتب لمجلى من مجالى الادب. فالادب المغربى كما قلت وكتبت فى سالف من الايام ، جزء متميز من الادب العربى كما أن الثقافة المغربية لون متميز فى الثقافة العربية .. فان هذه المنطقة كما يقول الاستاذ الفلبى فى بحثه الذى دار حول شؤون الثقافة بتونس بمجلة « الفكر » ، [كان لها فى الماضى ثقافة قائمة الذات ارتبطت فى وقت من الاوقات بالحضارة الاندلسية ، وانها مزيج من مؤثرات حضارية متنوعة لا نجدها متجمعة فى المشرق العربى .

واذا كان من العسير بناء ثقافات ثلاث تختص احداها بالمغــرب الادنى : ليبيا وتونس ، والاخرى بالمغرب الاوسط · الجزائر ، والثالثة بالمغرب الاقصى، فانه من السهل بل من المحتم ، العمل على ابراز معالم الحضارة المغــربية التى ازدهرت وفرضت عابيا فى نطاق حضارات متوالية . . حضارة تستقى من الحضارة الاسلامية وتلتقى فى الوقت نفسه بحضارة البحر الابيض المتوسط فى تفتح واع خلاق] .

ومثل هذا قال به الاستاذ محمد مزالى حين حلل فى كتــابه (مــواقف) خصائص الامة التونسية نذكر منها :

الروحانيــات : المستمدة من الشرق منذ القرون الاولى والتى لم تكن مجرد امتزاج لغوى فحسب بالعرب والمسلمين **ولكن امتزاج روحى مصيرى** .

التفاعل مع روح البحر الابيض المتوسط : الــذى يحيط بتــونس شرقــا وشمالا وتجمع التونسيين مع شعوب متجانسة متقاربة وحدث بينها قرون من العيش المشترك ، والمناخ الواحد ، والاحتكاك السلمى تــارة والحــربى طــورا .

الاســلام : دينا وحضارة وتراثا ... سلوكا ونظام حياة ونظرة الى الوجود.

اللغة العربية : واللغة عندنا ليست مجرد أصوات والفاظ بل هى الــوطن العقلى والاطار الوجدانى والركن الركين للشخصية الوطنية ، والعنصر المتين

للذاتية القوميه . وعن طريقها يكون الاتصال بالماضى على الرغم من الحواجز الزمانية والمكانية فهى ضمان الوحدة القومية ، وعنوان الكرامه الفردية والجماعية (2) .

أقول إن الادب المغربى كجزء من الادب العربى القديم نال اهتمام الباحثين فى المشرق والمغرب لاسباب منها سيادة مفهوم الوطن العربى الكبير تحت الخلافة الاسلامية لا سيما فى عهود قوتها وازدهارها ...

وأعان على هذا الاهتمام الرحله المفتوحة بين المشرق والمغرب . وانعكس هذا الاهتمام فى كتب التراجم والحوليات التى كانت تؤرخ للادباء على الصعيد الاكبر .. أى فى نطاق العالم العربى كاملا .

وأنا هنا أشير الى « خريدة القصر » ، « ريحانة الالباء » وأمثالهما حتى اذا كانت النهضة الحديثة ، اتسم تدوين تاريخ الادب العربى حتى نهاية القرن التاسع عشر بالشمول والتعميم . فالافغانى معلم قومى بالنسبة للعرب والمسلمين ، ورشيد رضا ومحمد عبده فى مصر ، والالوسى فى العراق ، والكواكبى وشكيب أرسلان وسليمان البستانى فى الشام ، ومحمد بن على السنوسى فى ليبيا ، وخير الدين فى تونس ، وعبد الحميد بن باديس والامير عبد القادر فى الجزائر .

وقد نجم عن الاستعمار الذى داهم الشرق العربى فى العصر الحديث ، الدعوة الى احياء التاريخ القومى فى كل بلد فى محاولة حفظ الذات فانتشرت المدارس القرآنية والزوايا فى ليبيا ، وفى الجزائر دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس الى النهضة القومية عن طريق تفهيم الدين تفهيما ناضجا متأثرا فى ذلك بالافغانى ومحمد عبده والى احياء اللغه العربيه التى حاول الاستعمار الفرنسى ان تقضى عليها حتى أن « شوطان » وزير داخلية فرنسا أصدر قرارا فى 8 مارس 1928 بمنع تعليم اللغة العربية فى الجزائر واعتبارها لغة أجنبية !!

حتى المكاتب الاولية التى كانت تنشأ بترخيص من القائد العسكرى كان من شروط منح الرخصة أن يقتصر المدرس على حفظ القرآن لا غير مع عدم التعرض لتفسير آياته .

---

(2) اقرأ كتاب (مواقف) للاستاذ محمد مزالى ص 25 ـ 26 .

وقد أعان الشيخ عبد الحميد بن باديس على دعوته هؤلاء الاعلام الطيب العقبى ، وأحمد توفيق المدنى ، ومحمد البشير الابراهيمى الذين كونوا معه « جمعية العلماء » سنة 1931 التى اشعلت نار المقاومة على الصعيدين الفكرى والسيـاسى .

ولكن هذه المقاومه الجاهده وسط الظروف العـاتية كانت كالشمعه التى تقف فى عصف الريح وحلك الليل .

اما تـونس والمغـرب فقد ساندهما بلا شك ، التعليم الدينى الذى نفخ أجواءهما بروحانية حفظت الذات العربيه فيهما ... ومع هذا لـم ينصـف التاريخ الادبى ، المغرب العربى ، الانصاف الواجب له . لقد درس الشـابى دراسات متعددة بل اشتد الجدل حوله وان كان الى جانب الشـابى شعـراء تونسيون آخرون لم يحظوا بما حظى به من دراسـه . فهـل الشبيبـة فى الشرق العربى تعرف الشاذلى حزنه دار ، والشيخ الهادى المدنى ، والصادق مازيغ ، ومنور صمادح ؟

هل نعرف أمثال جعفر ماجد ، وعبد العزيز قاسم ، وبن جدو ، واللغمانى، وصمود ، وبن حميده ، وأحمد المختار الوزير ؟

إن دراسه شاعر نفسه لا تغنى من تناول الادب المغـربى كلـه بالدرس والتأصيل وان كان العيب هنا يتناول الدارسين ثم أصحاب المادة العلمية الذين لم يجمعوها على السواء ... وفى هذا تقول صاحب كتـاب « النبـوغ المغـربى » الاستاذ عبد الله كنون

[رابت منذ نشأتى الاولى اهمال هذا الجزء من بلاد العروبه فى كتب الادب وكتب تاريخ الادب حتى لقد تذكر تونس والجزائر والقيروان وتلمسان فضلا عن قرطبه واشبيليه ولا تذكر فاس ومراكش بحال من الاحوال] .

* * *

لقد بحثت وتقصيت فوجدت كنورا عظيمه من ادب لا يقصر فى مادته عن أدب اى قطر من الاقطار العربية الاخرى ، وشخصيات علميه وأدبية لها فى مجال الانتاج والتفكير مقام رفيع ولكنها لم تحظ بما هى أهل له من الضوء والبريق.

حتى المستشرقين على دقتهم فى الاستقصاء فانهم هذا أيضا فالمستشرق كارل بروكلمان فى كتابه (الآداب العربيه) لم يكن للمغـرب فى كتـابه نصيـب .

لقد حفلت المكتبة العربيه كما يقول الاستاذ حنا فاخوري بالكتب المذهبة المطابع فى خصب عجيب ، وفى زحمة هذه الثروة الادبيه ، لبث المغرب « مطوى الصفحات ، مجهول الآثار وكأنه بعيد كل البعد عن الحركه الفكرية والفنية » وما هو كذلك .

هذا الاحساس بالألم ، وهذا الشعور بالغبن الادبى هو الذى صحب غلبه الرغبة ، وصحت العزيمة على **إبراز معالم الشخصية المغربية** . وإن المغرب العربى كما يقول الاستاذ محمد مزالى فى تاريخه القديم وفى تاريخه الاسلامى، لم يشعر بوحدته أو الحاجة الماسه الى تكوين وحده كشعوره بهـا فى هـذه الحقبة الحديثة الراهنة من تاريخه .

ويقول فى كتابه (مواقف) :

[ليتفلسف المتفلسفون وليحلم الحالمون . فان حقيقه ابديه تبقى هى ان لكل أمة ديمومتها الممتده عبر القرون ، وحركيتها الذاتيه الدفينه فى الاعماق! وإن أى عمل سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى أو ثقافى يتناقض مع سنـة أمة من الامم لا يمس منها الا السطح ولا يفلح الا فى الظاهر] .

وهنا نادى **بتونسة التاريخ ، وتونسة برامج اللغة العربيـة** فى عمليـة [وفاء للذات وخلق شباب تونسى مؤمن بمقومات أمته الاساسيه . **الـدين الاسلامى و الحضارة الاسلامية و اللغة العربية والتاريخ القومى**] (3) .

وفى الاربعينات والخمسينات على اثر مولد الاستقلال فى اقطـار المغـرب العربى ، صاحب هذا الميلاد ادراك متفتح ، امتدت رؤيته الى المقومات الحقيقية للشخصيه . ومن أهمها مسيرة التاريخ ، وعطاء الفن فارتفعت الدعوة محققة ، تاريخ الادب وتقسيمه وجمع مادته فى هذه الاقطار ... وتمت منجزات واعدة فى هذا المجال .

ومن ابرز من قاموا بعملية الاحياء المرحوم حسـن حسنى عبد الوهـاب والمرحوم الدكتور محمد بن أبى شنب ، والاستاذ عبد الله كنون ، والاديب الليبى علي مصطفى المصراتى ، والاديب التونسى الاستاذ محمد مـزالى فقد

---

(3) اقرا (مواقف) للاستاذ محمد مزالى ، ص 27 .

دعا الى اعادة النظر في برامج التعليم (4) محذرا من موال« المسح الزائف » الذي يردد صداه . ومن مراحمه الفرنسية المعربه في المدرسة التونسية أو ما سمه (الرنص الطبيعي) أي تعليم المواد درسا بالعربيه ودرسا بالفرنسية ثم انفردت الفرنسيه فيره الى الحد الذي اصبح معه مئات المعلمين والمعلمات يجدون صعوبه في التعليم بالعربيه .

إن الثقافة كما يقول في كتابه (دراسات) . « حضاره ، وعقليه ، وتفكير ، ونظره الى الكون » (5) .

وبعض عمله في حركه الاحياء بعث مجله « الفكر » والمساركه في تحرير مجله « الندوه » وفي تصحيحها وطبعها ومد الاسباب لها وان كانت قدر عليها الاحتجاب .

وبعث مجلة « الفكر » واستمرارها ليس عملا سهلا فان المتتبع لتاريخ المجلات (وبصفه خاصه منذ 1881 الى الاستقلال . لا يكاد يجد مجله عمرت اكثر من سنتين أو ثلاث سنوات . والمجلات التي عاشت عاما أو عامين تعد على الاصابع . اما التي أصدرت عددا او عددين او ثلاثه أعداد ثم احتجبت واختفت الى الابد فتعد بالعشرات . واذا ما قرانا مثلا ما كتبه محمد البشروش مؤسس « المباحث » من شهادات عما كان يشعر به صاحب المجله من قنوط ويتصدى له من لامبالاه وعقوق ، أو ما سمه ابو القاسم الشابي في بعض رسائله من تذمر سببه عدم تشجيع الناس ، وأحيانا الاصدقاء ، إياه عندما كان يجمع الاشتراكات لنشر ديوانه (اغاني الحياه) ، ادركنا عمق الهوة التي كنا نتخبط فيها ، وعرفنا المنزلة التي عرفها السابقون) (6) .

وقامت مجله « الفكر » ادبا و رسالة فقد كان لهـا دور في الافساح العربيه في حياة الشعب والكتاب ، والافصاح عما يريدون ويرغبون من ألوان الادب .

اعانت مجله « الفكر » من لم تسعفهم المطابع او الناشرون على طرح عطائهم على صفحاتها فكانت رساله ، وكانت سبيلا ، وكانت وسيله تجدي وتؤدي... وكانت كما يقول الاستاذ مزالي عمزه وصل بين الماضي والحاضر .

---

(4) (دراسات) ، ص 236 ـ 276 .

(5) المصدر نفسه ، ص 18 .

(6) كتاب (مواقف) للاستاذ محمد مزالي ، ص 92 .

ولشد ما نذكرني مجلة «الفكر» في تونس ، بمجلة «الرسالة» في مصر حين ولدت سنة 1933 فكانت مدرسة ربت جيلا ، وربطت شعوبا ، ووصلت بلادا ، ووثقت علائق ، ورفعت مشاعل ،وأساغت معاني ، وعرضت حضارات، وبثت دعوات ، ونهجت سبلا ، وأوضحت مناهج ، وشرعت للبيان وسائل ، ونشرت له رسائل ، ورفعت اعلاما .

وكما عرفت مجلة « الفكر » ، العالم العربي بتونس وعطائها الادبي وآدابها ، كانت « الرسالة » سفارة مصر لدى أقطار العروبة لا بل إن السفارات مجتمعة لم تعمل عمل « الرسالة » ... واحده .

لقد سافر الصحفي الكبير الاستاذ علي أمين الى الشرق بعد احتجاب « الرسالة » وعاد يقول : [لو أن الحكومة أغلقت سفاراتها في الشرق وابقت على « الرسالة » لكان خيرا لها وأجدى عليها] .

المجلة الناجحة ليست بالشيء القليل .

وممن باركتهم مجلة « الفكر » أبا القاسم الشابي ، ومصطفى خريف واسهمت كما يقول الاستاذ محمد مزالي في (بعث كتاب شبان من الطلبة والاساتذة الذين أصبحوا في الاثناء قصاصين وشعراء معروفين لا في تونس فحسب ، بل وفي العالم العربي أيضا ...) (7) .

ومن عطاء تونس الادبي ما كتب البشير خريف في باب القصة ومصطفى الفارسي ، والتونكي ، ورشاد الحمزاوي ، وعلي الملهوان ، وسوفاني بوجمعه والاديبات نعمة الصمد ، وبنت البحر ، وفاطمه سليم .

ومن عطائها ما كتب الميداني بن صالح ، والصادق شرف ، وعز الدين المدني ، وصالح الجابري ، ورشيد الدوادي ، والدكتور حبيب الجنحاني ، وعبد الوهاب باكير ، ومحمد السويسي ، والصادق مازيغ ، وعلي الدوعاجي، ومحمد الهادي العامري .

لا أزعم حصرا فالمآثر التونسية كثيرة .. والحصر قام به الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب واستاذي منه هذا الحصر ، خمسين عاما من عمر ! وكان عنده الشجاعة أن يعترف بالسن ... والمرأة شجاعة نعم الا في السن .

---

(7) (مواقف) ، ص 175 .

حسبي ان تكون اشارتي نذابا بومي، لا دراعا يحيط، وحسب المشير عذرا عن الاحاطة ، ايماء المقصير .

ومن عطاء تونس في الادب ما كتب المسعدي في باب المسرحية وفي مقدمة هذا مسرحيته (مولد النسيان) ومسرحيته (السد) التي يقول عنها أو . عنه ، الاستاذ مزالي [إن المسعدي في « السد » يكاد تكون خلق العربية من جديد من حيث العبارات ومن حيث الصور] (8)

والشعراء الجدد في تونس يمثل شعرهم ثورة اجتماعية على الجمود والرتابة وقيود المرأة وزو كما يقول الاستاذ مزالي في تحليله . [شعر واقعي لا وجود فيه للتكلف البلاغي وحساسية الشرق الاوسط المغالية ... شعر ناضج يتفق فيه الوحي الشعري مع شيء من التحامل والوعي الذاتي ولا يحوي هذه النشوة العاطفية .. هذه اللغة الخلابة التي تجعل الشاعر منفصلا تماما عن العالم] (9).

إن تونس بلد الشاعرين الكبيرين ابن الهاني والحصري، فيها أيضا ملامح شعبية تتجلى كما حيا السياسي ...

وتونس يحمل اسمها وسببها شاعر تعلمناه في مصر ، تقدر عشقه لمصر هو « بيرم التونسي » الذي كان شوقي أمير الشعراء يقول : « لا أخشى على الفصحى الا من بيرم » لتدوينه شعره بالعامية المصرية التي تشربها واستوعبها لفظا ومالنا وروحا .

ويبدو ان الاسماء بين مصر وتونس غدا وشيجة قربى فالشيخ محمد الخضر حسين وهو تونسي ، رأته مصر جديرا بأعلى مكان ومقام فبوأته مشيخة الازهر شيخا للازهر وإماما .

وعرفت تونس الموسوعة في الادب و الثقافة تلك الموسوعة التي مثلها استاذنا العقاد في مصر . ويمثلها في تونس في تواضع وأدب جم المرحوم الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مجلده الضخم (ورقات عن الحضارة العربية بافريقيا التونسية) (10)

---

(8) (مواقف) ، ص 171 .

(9) (مواقف) ، ص 178 .

(10) الكتاب من جزاين في نحو ألف صفحة .

أنفق عمره في جمعه وتدوينه وهو تصوف علمي ترتفع به القدوة ، وتعتبر الاسوة . وتعيش في ذاكرة الشعوب ومذخورها ، زادا يشد من عزائمها ، ويعزز ثقتها في قدراتها وما تستطيع ...

ومن هؤلاء الموسوعيين الاستاذ محمد مزالي في كتابيه . « مواقف » و « دراسات » .

حقا إنهما مجموعات من المقالات ولكن الموسوعية عادة تقترن بالمقالة لانها أعون على التنقل من موضوع الى موضوع دون أن يكون بينهما تشابه ... ومثل هذه الكتب نجدها عند العقاد عشرات ، وعند الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني في كتابيه « قبض الريح » و « خيوط العنكبوت » وعند الرافعي في كتابه « وحي القلم » وعند الدكتور زكي نجيب محمود في معظم كتبه . وعند الدكتور أحمد أمين في كتابه « فيض الخاطر » وهو عشرة أجزاء .

والاديب محمد مزالي ، موسوعي أيضا في شخصه واهتماماته . فاهتماماته موزعة بين السياسة بما تولى من مناصبها ، والثقافة بما نهض به من مجلات ابرزها مجلة « الفكر » التي تجمع على عددها القصى . والادب عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضوا في مجامع اللغة العربية القائمة في دمشق وبغداد والاردن . والرياضة عضوا باللجنة الاولمبية الموسسة ثم رئيسا لها بل عضوا باللجنة الدولية للروح الرياضية .

وعضوا (أجنبيا) بالاكاديمية الفرنسية للرياضة . وهو بهذه الصفات الباقية يستوفي الكتابة والكتاب .

إنه عندي مزالي الاديب أما الوزير او رئيس الوزراء تابعه السياسة فاني أدع هذا الجانب للمؤرخ فما اخترت يوما اثار حاكم يسيطر حتى في مصر نفسها وحمايتي موصولة بها ...

اكتب او اتحدث عن الادباء ومنهم مزالي وهو بهذه الصفة ، الاعز على الكتاب وعلى الحياة . لقد فتح القائد المصري حور محب البلاد وحقق الانتصارات وتولى العرش ومن ورائه امبراطورية تحمل اسمه ولكنه آثر ان يشكل الفنان المصري تمثاله على هيئة الكاتب المصري لا الملك أو الامبراطور ، في وعي حضاري بقيمة الكتابة ومكان الكاتب ، ومكانة الكتاب .

وفي باب عطاء تونس الفيمي، يطول الحديث عن القيروان مدينة «بيت الحكمة» الذي نقله الفاطميون الى القاهرة فعز بها ، وعزت به .. وجامع الزيتونة (أسبق المعاهد التعليمية للعروبة مولدا وأقدمها في التاريخ عهدا وقد حمل مشعل الثقافة العربية اثنى عشر قرنا ونصف قرن بلا انقطاع وذلك منذ 120 هـ ــ 737 م) (11) .

يطول الحديث عن هذه الامجاد والشوامخ لولا أن الوقت لا أملكه في مهرجان ضم صفوة من أهل البلاد العربية جميعا ينتظرهم الاسماع ...

حسبي هذه اللمحات ، تحية لتونس من ضفاف النيل ، وتحية لمجلتها الكبيرة « الفكر » في عيدها الفضي .

د. نعمات أحمد فؤاد

(مصــر)

---

(11) (ورقات) عن الحضارة العربية بافريقيا للاستاذ حسن حسني عبد الوهاب . القسم الاول ، ص 31 .

تحية «الفكر» في احتفالها بالفكر

شعر : ابراهيم السامرائي
(العراق)

أَنِلْنِي رَحْبَةَ الخضـراءِ من أرضِ أحبّـائـي
وَحَـدّثْ عن حـديث الأهـلِ من دانٍ ومن نـاءِ
وزُرْ زيتـونـةَ العلـم وقـد رفَّـتْ بأَنـداءِ
وطُفْ في دارةِ « الفكرِ » جلاهـا فَيْضُ أَضواءِ
وأَهـدِ الى « البشيـر » السَّمْـح ما تُخْفيهِ أحنائي
وحَـيِّ الألمعيَّ الشَّهْـمَ من حـامٍ وبنّـاءِ
« مـزالي » صَفْـوةُ الساعيـنَ حمّـالٌ لأعبـاءِ
ولا عَجَـبٌ فقـد أرسـى « الحبيبُ » عماد عَلْيـاءِ
أَنِلْنِي تـونسَ الخضـراءَ مَعْ زَيْـنِ أحبّـائي

البُعد العَالَمي في مجلة الفِكر 55/1985 مُلاحظات وبيبليغرافيا (*)

بقلم: صالح جواد الطعمه (أمـريكا)

— I —

لقد تناول عدد من الباحثين المحاور الرئيسة التى ارتكـزت عليها حيـاة **الفكر** منذ صدورها عام 1955 ، فذكروا منها محور أصالة الشخصية التونسية بعروبتها واسلاميتها المتفتح ، ومحور خدمة اللغـة العـربية والفكـر والادب العربيين ، ومحور التواصل او «مد الجسور بين الاجيال والتيارات التى يزخر بها عصرنا الحديث» (I) ولا شك فى ان هذه المحاور تتجسد بدرجات متفاوتة فى محتوياتها من دراسات ومترجمات في المجالات الادبية وغير الادبية ، وفيما يرد فى كل عدد من اعدادها من تعليقات وأخبار فى باب «أصداء الفكر» .

غير ان ما يسترعى الانتباه بصورة خاصة هو البعد العالمي الذي لازم مسعاها المتواصل منذ البدء لتحقيق التواصل أو التفاعل بين الثقافة العربية ومختلف تيارات الفكر الانساني وروافده او الاحداث العالمية سواء كان ذلك في اطار العصر الحديث او فى السياق التاريخي عبر العصور ونراد بالبعد العالمي كل ما له صلة بالشعوب والثقافات او الآداب الاخرى ، غير العربية ، وبما ينشر فى اللغات الاجنبية من نتاج ادبي او فكرى يخص العرب والمسلمين وحضارتهم

(*) ننشر فى هذا العدد من هذا المقال « ملاحظات » اما البيبليغرافيا فقد نشرت خلال مهرجان « الفكر » فى نشرية خاصة يمكن لمن يرغب فى الحصول عليها الاتصال باللجنة الثقافية القومية ، تونس .

(I) عبد الله شريط • «مجلة الفكر فى مواجهة عصرها» الفكر 26 (1981/80) 223 — 228 وراجع كذلك ما قاله الاستاذان البشير بن سلامه وحسام الدين الخطيب عن محاور الفكر او الاسس التى قامت عليها **الفكر** المصدر نفسه ص ص 2 — 3 و 232 — 233 .

بغض النظر عن هوية أصحابه الوطنية ، أى كل ما يتجاوز حدود الوطن العربي افقا ولغة ويندرج تحت هذا المفهوم ، مثلا ، ما نرجم الى العربية من اللغات الاخرى كأعمال محمد ديب المشورة فى الفرنسية او الشاعرة الانكليزية المصرية الاصل جويس منصور ، والشعراء الامريكيين العرب ، الى جانب أعمال رانبو (رامبو) وسان جون بيرس وغارسيا لوركا ، كما ينطوى تحت هذا المفهوم ما نشره المستشرقون عن الجوانب المختلفة للحضارة العربية الاسلامية ومواقف الكتاب العرب منهم ، والبحوث التى تعنى بحضارات المنطقة القديمة كحضارة الرومان والبونيقيين ، والفرس وما كتبه المؤلفون العرب عن الثقافات الاخرى او الثقافة العربيه او الاسلام خارج حدود العالم العربى .

— II —

ان من يتتبع الفكر خلال مسيرتها ليلمس بوضوح التزامها بهذا البعد ، لا نتيجة تأثرها بالآداب الاجنبية او اغفالا للحياة التونسية او العربية كما خيل لبعضهم (2) بل حرصا على اثراء الفكر التونسى العربى وازدهاره بتفاعله مع تيارات الفكر العالمى وقد نقال بأن الامر أوضح من أن يحتاج الى توثيق او بيان ، غير اننا لا نجد بدا من مسح ببليوغرافى لما نشر فى الفكر خلال ثلاثين عاما لا لتوثيق البعد العالمى الذى عرفت ' المجلة فحسب ، بل لبيان تعدد عناصره ، من ادب وعلم وفلسفة وسياسة واقتصاد وغير ذلك من حقول المعرفة ، ومدى فاعلية الفكر او نجاحها فى تحقيق التفاعل او التواصل المنشود بين الثقافة العربية من جهة وثقافات العالم المختلفة لقد اقتصرنا فى هذا المسح على افتتاحيات الفكر «الى القارىء» والمقالات والترجمات،واستثنينا منه ما ورد فى باب أصداء الفكر من أخبار وتعليقات لضيق المقام بالرغم من أهمية «أصداء الفكر» كوسيلة استعانت بها المجلة فى تحقيق التواصل بين قرائها وما يحدث أو تثار من شؤون فكرية أو احداث فى العالم .

(2) صالح القابسى. «رأيى فى مجلة الفكر» **الفكر** 5 (1960/50) 482 — 481 حيث يرد قوله «ان الفكر متأثرة فى اتجاهاتها ومقالاتها الاولى بالادب الاجنبى — الفرنسى اكثر مما هو منفعل بالحياة التونسية .... وتقادمت الايام وتمرست هيئة التحرير بالحياة التونسية اكثر فاكثر وبدات الروح التونسية تبرز شيئا فشيئا» انظر ص 483 من المجلد المذكور .

وقد شمل المسح جميع مجلدات الفكر وأعدادها باستثناء الاعداد غير المتوافرة في مكتبة جامعة انديانا ، وقد استعنا في مثل هذه الحالة بالفهرس السنوى العام للمجلدات الناقصة ، فى درج المواد ذات البعد العالمى (3) ·

— III —

اما الببليوغرافيه ذاتها فهى على ما فيها من نقص تضم أكثر من ثلاثمائة وخمسين مادة بينها عدد كبير من المترجمات من دراسات ادبية وغير أدبية ، وقصائد وقصص وبعض المسرحيات ، وقد اعتبر كل عمل مستقل مادة واحدة سواء نشر في عدد واحد او بضعة اعداد من مجلة الفكر كما هى الحال مثلا فى «اشراقات» رامبو التى نشرت فى اربعة عشر عددا ، و «النقد الادبى فى امريكا» للطاهر الخميرى وقد نشرت فى ستة أعداد · وتدرج الببليوغرافية اهم المعلومات المتعلقة بكل ماده ، باستثناء مصادر الاعمال المترجمة نتيجة لنزوع القسم الاكبر من المترجمين الى تجنب النص عليها ، ففى قسم الاعمال المترجمة يجد القارىء اسم المؤلف وعنوان العمل واسم المترجم ومجلد الفكر والصفحات واللغة المترجم عنها ان نص عليها ، مقترنة احيانا بعلامة استفهام عند عدم النص عليها والتثبت منها ، وقد اكتفى فى حالات عديدة بعلامة استفهام دون الاشارة الى اللغة بسبب تعذر التثبت منها ·

ويجد القارىء فى قسم الدراسات ذات البعد العالمى (اى الاعمال غير المترجمة) · اسم المؤلف والعنوان والمجلد والصفحات وفى احيان معدودة بعض الملاحظات الاضافية · مثلا الناعورى ، عيسى · محمود المسعدى والسد 12 (67/66) 216 ـ 225 مقارنة بين السد ونيتشه وبعض الاعمال الايطالية والارض الخراب ·

وروعى فى القسمين (المترجمات والدراسات) الترتيب الزمنى فى ظهور المواد فى مجلة الفكر ان كان للمؤلف اكثر من عمل واحد ، فاعمال بلاشير

(3) الاعداد التى لم تكن متوافرة لدينا هى (6 ، 8 ، 9) من المجلد الاول ، و (5) من المجلد الثانى و (1 ـ 4) من المجلد الثالث و (3 ، 8) من المجلد الرابع و (1) من المجلد الخامس و (6) من المجلد السادس و (10) من المجلد التاسع و (7 ، 9) من المجلد العاشر و (5) من المجلد التاسع والعشرين. وقد حاولنا بالرغم من ذلك كله الاستعانة بالفهرس السنوى العام لكل مجلد عدا المجلد التاسع الذى لا يضم الفهرس ·

المترجمة رتبت حسب ظهورها في مجلدات الفكر 4 و 5 و 19 و 26 ومقالات مزالي (179 ـ 202) تمتد من المجلد الثاني الى المجلد الثامن والعشرين • وقد روعي كذلك درج المادة في قسم المترجمات تحت اسم المؤلف وان لم يقترن ذكره صراحة كمؤلف بالعنوان العام للمادة ، فالشعراء التشسكيون انتونين ونشاش ودبك وغيرهم ممن ورد ذكرهم في مقال «شعراء تشيكيون» تقديم وتعريب محسن بن حميده يرد ذكرهم في البيليوغرافيه كمؤلفين ، وينطبق المبدأ نفسه على مقال «العرب في نظر مستشرقين : بارك وماسينيون» ترجمه العربي عبد الرزاق والشبير بن سلامه ، فنذكر اسم بارك كمؤلف ، ويحال اليه اسم ماسنيون عند وروده في موضعه من البيبليوغرافية •

— VI —

ملاحظات عامة :

= ١ - ان اول ما يلاحظه القارئ، ان البيبليوغرافيه تشمل نوعين من المواد وفقا للملخص التالي

أ ـ المترجمات او الاعمال المترجمة (1 ـ 157) •

(1) ـ الاعمال الادبيه (1 ـ 127)

1 ـ الدراسات (1 ـ 17) •

2 ـ الشعر (18 ـ 81) •

3 ـ القصة (82 ـ 122) •

4 ـ المسرح (123 ـ 127) •

(2) ـ الاعمال غير الادبيه (128 ـ 157) •

ب ـ الاعمال (غير المترجمه) ذات البعد العالمي (1 ـ 206)

1 ـ الدراسات الادبية (1 ـ 73)

2 ـ الدراسات غير الادبيه (74 ـ 206)

ويتضح لنا من هذا التلخيص ان اهتمام الفكر لا يقتصر على الادب البحت بل يشمل كذلك «ميدان الفكر الواسع» من دراسات اجتماعية وفلسفية وسياسية وعلمية وأمثالها مما طالب به بعض الكتاب والقراء (4) .

ويلاحظ في الوقت نفسه ان المواد تمثل او تتناول عددا غير قليل من الثقافات والآداب ـ بالرغم من تفاوت التاكيد عليها او الاهتمام بها ـ كآداب الاتحاد السوفياتي والارجنتين واسبانيا والمانيا وأمريكا وانكلترا وايران وايطاليا والباكستان والبرازيل وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وتشيلي وفرنسا والمجر (هنغاريا) والنمسا واليابان ويوغسلافيا . واذا كانت اللغة الفرنسية اللغة الرئيسية التي ترجم منها وأخذ عنها لاسباب تاريخية معروفة فان هناك ما يدل على ان المترجمات نقلت من لغات أخرى كالالمانية والانكليزية والايطالية والفارسية وغيرها وان كان من الصعب البت في ذلك على وجه الدقة بسبب عزوف بعض المترجمين عن النص على اللغة المترجم عنها كما ذكرنا من قبل (5) .

2 = ان ظاهرة عدم النص على اللغة المترجم عنها ـ كظاهرة عدم الاشارة بدقة الى المصدر المعتمد عليه ـ تمثل مع الاسف تقليدا عربيا شائعا في عصر الفكر من المجلات والمطبوعات. ولا احسب اننا بحاجة الى تذكير أنفسنا بانها

---

(4) راجع مثلا مقال شريط في اعلاه حيث يطلب المزيد من مجلة الفكر لا في ميدان الادب البحت بل في ميدان « الفكر الواسع » ومطالبة احدى القارئات بـ «الاكثار من نشر البحوث والدراسات والمقالات في كل ابواب الثقافة والمعرفة والفكر..» **الفكر** 26 (81/80) ص 585 .

(5) لعل من المفيد ان نشير الى ان الانكليزية تحتل المرتبة الاولى بين اللغات التي تترجم منها في العالم العربي ، تليها الفرنسية . والروسية والالمانية وغيرها من اللغات كما جاء في دراسة حديثة للترجمة الى العربية بين 1948 و 1971 . ان مجموع ما نشر من الكتب المترجمة الى العربية في الفترة المذكورة قدر بـ (5015) كتاب كان نصيب الانكليزية منها كلغة مصدر (3311) كتاب والفرنسية (775) كتاب والروسية (168) والالمانية (111) والايطالية (42) كتابا والبولونية (31) والاسبانية (24) تليها اثنتان وعشرون لغة ترجم من مجموعها (67) كتابا كاليابانية والعبرية والتشيكية والبرتغالية والكردية وقد ترجم كتاب واحد 5 من كل منها . انظر .

R. Y. Ebied and M.J L. Young (Two decades of translation into Arabic) BSMES BULLETIN 2 (1/1975) pp 40-46

لا تنسجم ومتطلبات الامانة العلمية وانها تسبب من المتاعب ما لا ضرورة له في مجالات البحث والتحقيق العلميين ، او أن نؤكد ضرورة الحد منها لا سيما في مجلة رفيعة المستوى قائدة كالفكر ويقتضي الانصاف ان نشير في هذا السياق الى ان اكثرية مترجمي الفكر قد نصوا على اللغة المترجم عنها مباشرة او بطريقة غير مباشرة وذكروا في احيان غير قليلة مصادرهم واذكر على سبيل المثال البشير بن سلامة ومحمد رشاد الحمزاوي والمنجي الشملي ومحمد فريد غازي والطاهر اللبيب ومحمد مزالي (6) .

= ; اما الاعمال المترجمة فهي على نسبتها الملحوظة تفصل حرص المجلة على «المساهمة في التعريف بالآثار العالمية الخالدة» (7) لم تحقق التمثيل الوافي للآداب العالمية ، فلم تنل مثلا آداب العالم الثالث ما تستحق من اهتمام وأخص بالذكر منها الآداب الافريقية والصينية والهندية واليابانية ، كما لم تمثل نتاج كثير من اعلام الادب الغربي الحديث أمثال ت. ا. س. اليوت وأراغون وسارتر وهمنغواي وفولكنر وسواهم علما بان القضايا الافريقية كانت موضع اهتمام الفكر في عدد من المقالات والقصائد وقد كرست عددا خاصا

(6) ذكر المرحوم محمد فريد غازي عند ترجمته دراسة برنشفيغ عن لغة القرآن انه نقلها عن الدراسات الاسلامية / الجزء الثالث عام 1954 وادى الرجوع الى العدد المذكور لاحظنا للمؤلف دراسة اخرى عن التشريع الاسلامي اما بحثه عن لغة القرآن فقد نشر في المجلد الخامس 1956 بعنوان
Simple remarques négatives sur le vocabulaire du Coran Studia Islamica 5 (1956) pp. 61-74

واكتفى الاستاذ محمد العربي عبد الرزاق عند نشره دراسة غرسيا غوميز عن الشعر الغنائي الاندلسي بالاشارة الى انه ترجمها عن مجلة ARABICA دون النص على المجلد والتاريخ او اللغة ، وكانت المجلة المذكورة قد نشرت الدراسة في المجلد الخامس (1958) ص ص 113 — 144 .

(7) انظر مثلا تعليق المجلة عند نشرها قصيدة «رامبو» — فصل في جهنم — «ووفاء لما اخذت هذه المجلة نفسها به من المساهمة في التعريف بالآثار العالمية الخالدة نوالي تباعا نشر الاثر الغريب المبدع الذي وضعه الشاعر العبقري الفرنسي العظيم (Rimbaud) » **الفكر** 10 (65/64) 733 .

لموضوعات التعاون العربي الافريقي (8) ، كما أن بعض أعلام الادب الغربي كان موضوع دراسات متفرقة كمقالات الطاهر الحميري عن النقد الادبي في امريكا وقد تناول في احداها «اليوت» ناقدا ، او مقال عبد العزيز قاسم عن الشاعر اليوت ، او دراسة دشاز ـ المنشوره بالفرنسية والمترجمة الى العربية ـ عن رواية الروائي الامريكي فولكنر «الصخب والعنف» .

ليس الغرض من هذه الملاحظة ـ كما أعلنت في مناسبة اخرى ـ تحميل الفكر مسؤولية الاهتمام بآداب العالم الثالث او الآداب العالمية عامة ، فهي ليست محلة للآداب العالمية بالرغم من أنها تحمل قسطا كبيرا من المسؤولية في هذا المضمار . والاهتمام بآداب العالم الثالث بعد ذلك كله مسؤولية عربية مشتركة . غير ان اعتزازنا بالفكر وبالتفتح الذي نمسك به وتدعـو اليه وخبرتها المكتسبة في محاولات التعريف بالآداب العالمية تدفعنا الى ان نتوقع المزيد من اسهامها في تحقيق التواصل المنشود بين ثقافتنا وآداب العالم بعامة وآداب العالم الثالث بخاصة .

- 1 = ومما يدعو الى التساؤل والاستغراب الا نجد أكثر من خمس مسرحيات مترجمة منها اثنتان عربيتا الجذور أو الهوية لمصطفى الاشرف ونصري كريا،وثلاث اخرى لكامو،والكاتب المجري فرنس ملنار(9)،وثالثة لكاتب انكليزي

---

(8) راجع مثلا المواد التالية في القسم الثاني من البيبليوغرافية : 89 ، 113 ، 119 ـ 120 ، 122 ، 128 ـ 129 ، 138 ، 149 ، 153 ـ 154 ، 164 ، 186 ، 205 ، وعددا آخر من الاعمال التي لم تدرج في البيبليوغرافيه وهي ذات علاقه بافريقيا نذكر منها قصيده مفدي زكرياء « افريقيا أنت عـروس الدنيا» 5(59/60) 519 وقد نظمت بمناسبه انعقاد المؤتمر الثاني للشعوب الافريقيه في تونس ، ونور الدين صمود «أغنية زنجي» 7 (61/62) 579 ومصطفى الحبيب بحري «افريقيا ورقصة البركان» 10 (64/65) 377 ـ 378 ، وعلي عارف «افريقيا» 10 (64/65) 402 ـ 403 وقصة رضا بو رخيص «معرض رسم لافريقي» 19 (73/74) 1162 ـ 1164 ومقال احمد الطويلي «ثلاث مسرحيات» حيث تعرف بمسرحية الزنجي الابيض لعبد الرحمـان حفيق 25 (79/80) 765 ـ 768 .

(9) اشتهر الكاتب المجري باسم (Ferenc Molnàr) (فرنس) لا(فرانسوا ملنار) كما جاء في مقدمة بن حميده . وكان قد هاجر عام 1940 الى الولايات المتحده وتوفي فيها عام 1952 .

عير مشهور . ووجه الغرابة في ذلك ان المسرح العالمي شهد فى هذه الحقبة (1955 ـ 1985) من التجارب والتطورات ما يستحق ان يجد طريقه الى العربية فى صورة نماذج مسرجمة ، بالاضافة الى ما يحتاجه المسرح العربى فى تونس او على صعيد الوطن العربى من عوامل النهوض وفى مقـدمتها الاطـلاع عـلى تجارب المسرح العالمي وآثاره .

وأخيرا لا بد من الاعتراف بأن الببليوعرافية التي قمت باعدادها لا تزودنا الا بمعيار كمي يوثق لنا مركزية البعد العالمي فى محتويات الفكر ويبرز نهج المجلة المطرد فى التفتح على العالم والتزامها به في كل عدد من أعدادها تقريبا، عير أنها تثير قضايا او أسئلة مهمة أخرى ينبغي ان تدرس بصورة منهجيه كقضية اختيار المواد المترجمة ، وعلاقتها بترجمات مماثلة ظهرت من قبل فى اللغة العربية ، ومدى نجاح المترجم فنيا او أدبيا فى ترجمته ، وغيرها من القضايا الفكرية او الادبية التى عالجها كتاب الفكر ، والمؤمل ان يتصدى لها الباحثون فى السنوات القادمة من عمر الفكر المديد .

د. صالح جواد الطعمه
أستاذ العربيه والادب المقارن
جامعة انديانا

تونس الحب .. تونس الياسمين ..

تحت هذا العنوان ننشر فى الاعداد القادمة القصائد التى وصلتنا من الشعراء الشبان: كمال قداوين. الحبيب الهمامى احمد صندبد. الحبيب بن فضيلة . عبد الـرؤوف بوفتـح . هشـام المحمـدى . نزار العرقى . سونيا يوسف . ريم العيساوى . سمير الخبارى . . . وغيـرهم .

لي وطن بحجم "الفكر" العربي

شعر: أحمد فضل شبلول

(مصر)

إيا «فكرْ» ..
أبناؤك نحنْ
مدّي لنا دراعك الندبَهْ
حلوقنا تَشقّقتْ على مدابح النداء
والريح حولنا عتيهْ
يا «فكرْ» ..
أبناؤك نحنْ
مدّي لنا دراعك النديهْ !

* * *

وأظلّ على عهدك
أنني رحتْ
وأنّي جئتْ
أقيم لديك
أمحو مالم يكتَبْ في عينيك
وأسافر في «تونسة» الحبّ إليك
يستقبلني وطني

لي وطن في حجم «الفكر» العربي
وفي لون الزيتونِ
وفي طعم فلسطينْ
لي وطنْ يبدأ من «نَدْرِ»
ويمرّ على «الخندقِ»
تتوسطه حطينْ
في أسمله تتنهّدْ سبأ
في أعلاه يطير الهدهدْ
يقرأ لي صفحات «الفكرِ»
ومكتبة «مزَالي»
ويبشرني «بابن سلامه»
يقرأ لي أشعار «الصادقْ»
ينقد لي «لغة الأغصان المختلفْ»

* * *

لي وطنٌ في حجم «الفكر» العربي
يبدأ من مصر

يسير إلى دربك يا خضراء
أُخَضِّرُ لونك يا صحراءْ
بالشعرِ .
وبالحلمِ .
وبالفكر
وأعود إلى مصر
تحملني كلماتٌ من روح أبي
القاسمْ :
(إذا « الفكرُ » يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر)
* * *
عمري الآن ثلاثون ربيعا
كيف تمرّ الأيامُ ؟
وكيف كبرت سريعا ؟
أتأمّل وطني
أين الهدهدُ ؟
يبكي فوق الجولانْ
— أين عصافير الدارِ ؟
تنوح على لبنانْ
— أين سماء حضارتنا ؟
انسكبت فوق القتلى
« في صبرا »
عمري الآن ثلاثون ربيعا
أتأمل وطني
من أين تجيء الأيامْ ؟
كيف تمرّ علينا الأعوامْ ؟
لي وطنٌ أرسمه في الأحلامْ
وتلوّنه ضحكاتُ الأطفال
أحمله في لحظات الخوفِ
أهدهده لينامْ
لي وطنٌ في حجم «الفكر» العربيّ
وفي طعم فلسطين
تتوسطه حطينْ
كيف يجيء النوم إلى الأجفانْ
وعصافير الدار
تنوح الآنَ
على لبنان ؟

أحمد فضل شبلول
(الاسكندريه)

ثلاثون سنة من النضال

بقلم : المنصف القيطوني
(اسكندرا)

انه لشرف كبير وفخر عظيم بأن تتاح لي مثل هذه الفرصة لاساهم في مثل هذا الموكب متنوعا بمجلة « الفكر » الغراء في عيدها الثلاثين . ثلاثون سنة من النضال قضتها مجلة « الفكر » في ترسيخ الفكر العربي الاسلامي واثرائه وتطويره . وهو لعمري عمل حتمي في عصرنا الحاضر كما كان الشأن في العصور التي سبقته يجب التنويه به واود في هذه المناسبة ان انوه خاصة بباعث المجلة ومديرها لا لانه أسس مجلة « الفكر » فقط بل لانه آمن منذ زمن بعيد رغم العراقيل والافكار السلبية ورغم تخاذل الانهزاميين وتردد المتشائمين آمن بامكانية دوام مثل هذه المجلة .

لقد تأسست مجلة « الفكر » في اكتوبر 1955 اي قبل استقلال تونس ببضعة اشهر فقط وكأنها بذلك تبشر خير باسترجاع الذاتية التونسية كاملة غير منقوصة تحت رعاية محرر الامة المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة .

ان مثل هذا التطابق المثالي بين الفكر الثقافي المميز لمجلة « الفكر » والفكر السياسي المتمثل في حركية الحزب الدستوري ليس فقط من باب التصادف الزمني . وهو نجد هذه الطبيعي في شخصية محمد مزالي باعثهم ومحرك مجلة « الفكر » .

ولا يفوتنا في مثل هذا اليوم التنويه بكل من آمن بهذه المجلة وساهم فيها ومن بينهم خاصة رئيس تحريرها السيد البشير بن سلامه .

واستسمحكم على صعيد شخصي وباعتباري من تلامذة الاستاذ محمد مزالي أن اذكر بما كان يبديه أستاذنا من براعة في تحريك سواكننا تجاه مميزات

الثقافة العربية الاسلاميه وتراثها والتي كان يستلهم منها مقومات أعماله بما يلقاه في تلك الاعمال من تطابق وتراسخ مع كبار الفلاسفة والمفكرين الاسلاميين والذين كان محمد مزالي منذ عهد بعيد بقربنا منهم ويستنير بمبادئهم في حياته كرجل فكر وعمل .

وإني لأذكر بخصوص هذا التطابق الفكري بعض مقولات مؤرخنا وعالمنا الاجتماعي الكبير ابن خلدون الذي كان منذ أكثر من 600 سنه وضع علمه في إطار شامل ألا وهو إطار الفكر الاسلامي .

وكان ابن خلدون يعلق على مقولة ارسطو الشهيره : « الانسان سياسي بطبعه » بقوله : « هذا يعني انه لا يتسنى لاحد العيش وحده دون الاشتراك مع أمثاله ... وهذا التضامن يتطلب اتفاقا مسبقا ... ولا يتم صدفة كما هو الشأن عند الحيوانات ذلك ان الله لما ميز الانسان بالفكر مكنه من التصرف طبق نظام معين . فتصرفات الانسان اذن منظمه تنظيما محكما حتى في مظاهرها السياسية وتخضع لضوابط فلسفية» ويختم ابن خلدون تعليقه بالقول : « إن هذا هو ما يثني البشر عما يضرهم ويوجههم لما فيه مصلحتهم اى يحملهم على الفرار من الشر نحو الخير » .

هذا التعليق لابن خلدون يبرز لنا المكانه التي تحتلها السياسه بالضروره في الحياة البشرية . لذلك لا نستغرب من المكانة التي تحتلها السياسه بصورة طبيعية في المجلة التي أرادت أن تكون تعبيرا عن الفكر الانساني في أعم مجالاته ، وبصورة أوضح نجد في هذه المجله القيم الاجتماعيه والسياسيه التي تشكل أرضية الفكر السياسي لمحمد مزالي .

كما يحلل ابن خلدون مقوله أخرى لأرسطو : « أوائل الاعمال آخر الافكار وأوائل الافكار آخر الاعمال » بقوله : « فعلا لا يعمل الانسان في عالمه الخارجي دون التفكير مسبقا في ترتيب الامور التي هي مترابطة . وبذلك يبدأ تفكير البشر بآخر مفعول للعمل ويكون أول عمله استرسالا لفكره » .

ولعمري فان هذا الرابط الوثيق بين الفكر والعمل لنجده عند محمد مزالي بين الفكر الذي ينقل الافكار والثقافة وبين العمل على نهضة تونس منذ شبابه .

كما نبرز هذه العلاقة عمق عمل محمد مزالي المرتكز على جذور الثقافة العربية الاسلامية وكذلك آفاق فكره الذى لا يمكن حصره فى حدود ضيقة بل يصل بين الثقافة وكافة طاقات الفكر البشرى فيكون منطلقا لعمل فى حجم الهدف الذى يرمى اليه محمد مزالى ألا وهو تطوير الشخصية التونسيه . فقد علمنا محمد مزالى بتفتحه الذهنى وعمق تفكيره وبصاله ان الرهان على الذاتيه لا يعنى الانغلاق تجاه الحضارات الاخرى . بل وبالعكس يستطيع الانسان بفضل قوة شخصيته وثقته فى الطبيعه البشرية الاخذ بالمعرفه الشامله دون ان يتوه فى سراديبهما • وخلاصة القول : ان محمد مزالى علمنا كيف نكون تونسيين أصيليين .

لقد كانت مجلة « الفكر » ولا تزال أداة ممتازه للحفاظ على تلك الشخصيه التونسيه والدفاع عنها طيلة ثلاثين سنة من بث الثقافة واشعاع الفكر .

وتشكل هذه المجله بالنسبه لرجل مثلى يعيش فى المهجر ويتصدى دوما لمخاطر ضياع شخصيته حتى لا يسهو أو ينسى جذوره وأصالته تشكل مصدر إلهام ودعم . ولقد أعطتنى تعاليم محمد مزلى كمرب منذ طفولتى ، وكرجل عمل ومفكر منذ توليه أمور السياسه أعطتنى ايمانا صلبا وثقة عاليه فى تجذرى العربى الاسلامي وفخرا كبيرا بانتمائى العربى الاسلامى .

لقد عاشت مجله « الفكر » ثلاثين سنه خلافا لتوقعات ومخاوف الكثيرين لان باعثها كان عزم على ذلك كما تقول . وأنا اليوم استشهد بذلك لأقول لا بخصوص مجلة « الفكر » فحسب بل حول عمل مؤسسها : « هذا العمل سيحيا لما له من نفس طويل » . وأتمنى أن تكون مجلة « الفكر » بالنسبة لشباب الغد كما كانت بالنسبة لجيلنا عنصرا هاما فى تغذية حبنا لجذورنا . فكل بلاد لا اخلاق لها ولا ثقافه ولا جذور مآلها التدهور والاضمحلال مهما كانت قوتها المادية .

المنصف القيطوني
(كندا)

شِعْرٌ لِلفِكْر

شعر : رياض المرزوقي

تطول الرحلة في أرجاءِ العُمْرْ :
ينوء الصدر ،
يحطّ جناحُ القلب للحظة حبّ ..
يكون الشِعر !

★ ★ ★

تطول الرحلة في الأحداقْ ،
تتعاظم في الأضلاع الأشواقْ .
يتفجّرُ نبعُ الماءِ بقلب الصخرْ ،
ينحطّ النجم من العلياءِ ..
يُشَقّ البحرْ .
تختلط الأسماء ..
ما بين البيض وبين السمرْ .
وتطلّ الشمس ..
فلا يبقى غيرُ مذاق اليأس !

★ ★ ★

ذاكرة الشاعر كالغربالْ ،
ومزاج الشاعر كالأطفال .
وهواهُ كمثل البرق الخُلّبْ ،

يخفي زوبعة في الصدرْ ،
وسبيكةَ ذهبٍ في أعمقِ أعماقِ البئرْ !

* * *

أخفيتُ العشقَ مدى العُمْرْ ،
وصبرتُ على مُرِّ البُعْدْ ،
وسلكتُ طريقا قبلَ طريق المجْدْ ..
فضحتني قطرةُ حِبْرْ ،
فضحتْ عِشْقي (للفكرْ) !

* * *

رجموني بالصخْرْ .
أكلوا من لحمي ، ورموني بالكفْرْ .
لكن أضلاعي تشهدْ ..
أني آمنتَ بما قال «محمّدْ» !
أفخَرُ أني ماقلتُ الشّعر لغيرِ الشّعْر .
أني لم أمدحْ يوما لأنال الأجْرْ ،
لم يعبُرْ شفتي قولٌ غيرُ كلام الحقْ ؛
لم أملأْ عيشي إلاّ بالعشقِ وشعر العشْقْ ،
أجهَرُ أني لم أعرف يوما حبّا أجملَ من حب (الفكرْ) !

* * *

يا حلوةُ ، إني أعجزني المَهْرْ ،
في الحفل الخامسِ والعشرينْ ،
واليوم أنوءُ بثقْل سنينْ ،
شيّبَتِ الرأس المرفوعَ ، وقوّسَتِ الظهْرْ .
هل يمكن أن أحلُمَ حتى بقبول الشعرْ؟

رياض المرزوقي

في عيد مجلة «الفكر»

بقلم : سعيد فرحات
(الكويت)

سيداتي آنساتي سادتي

بشرفني ان أقف أمامكم مشاركا فى احتفالكم بعيد مجلة « الفكر » بمناسبة مرور ثلاثين سنة على ميلادها الذى تصادف مع تباشير فجر الاستقلال الوطنى للوطن التونسي المجيد . ولعل هذه المناسبة تتجلى روعتها فى هذا الالتقاء الذى يجتمع فيه الادباء والقراء والقصاصون والروائيون العرب بعد أن حققت هذه المجلة الشامخة بانفتاحها على ألوان الادب الحديث والتيارات الفكرية جزءا فى رسالتها العربية التى أوضحها الاديب والمفكر البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية فى كلمته فى ندوة أمس بما معناه أن هذه المجلة خطط لها لكي تقيم الجسور بين الثقافة فى تونس والثقافة فى الاقطار العربية الاخرى . ولكى تمثل الاصالة فى خصوصية البيئة التونسية والواقع اذ ليس من أدب حقيقي دون بيئة وواقع يعبر عنهما .

وهذا المفهوم الموضوع لخصوصية الادب لا يقلل من انتماء الحركة الادبية فى تونس لحركة الادب العربى . بل هو الذى يحق الالتحام بها والرفد لها . ومن هذا المفهوم نحتفل معا فى عيد « الفكر » الذى يمثل عيدا لرافد خصب وفياض من روافد الادب العربى . وفى هذا تكريم للادب عامة وللاقلام البناءة فى تونس الحديثة بهمم قادتها الاوفياء الابطال وشعبها الخلاق الطموح .

واذا كنت لا أجد كلاما أضيفه على ما قاله الزملاء من أدباء وشعراء وباحثين عن مجلة « الفكر » . فانى أجد من المناسب فى هذه الوقفة ان أقول : إننى لم

أعرف هده المجلة قبل عام 1975 . ففي تلك السنة كنت قائبا لمدير معرض الكتاب العربي الاول في الكويت حين اشتركت تونس في ذلك المعرض ممثلة بالدار التونسية للنشر وكان رئيسها آنذاك الاستاذ عزوز الرباعي ـ النائب حاليا في البرلمان ـ وقدم إلي بعض الكتب من الادب التونسي من قصة ورواية وشعر ومن بينها قدم لي أعدادا من مجلة « الفكر » وحدثني عن مؤسسيها الاديب والمفكر محمد مزالي وعن رفيقه في الكفاح الاديب الروائي والمفكر البشير بن سلامه وكان الاستاذ مزالي آنذاك كما أذكر وزيرا للتربية . وسمعت من الرباعي كما سمعت من الاستاذ محمد مزالي بعد سنتين من ذلك التاريخ تقريبا عن التضحيات والصعاب التي واجهت المجلة بداية صدورها. وهو ما سمعتموه مثل يومين من الاستاذ مزالي بالذات .

ومنذ ذلك الحين بدأت علاقتي بقراءة ما تيسر لي من الادب في تونس ، وكنت في اواسط السبعينيات محررا ادبيا في جريدة « القبس » الكويتية فكتبت في صفحتها الادبية وملحقها الاسبوعي عدة مقالات ودراسات عن هذا الادب . وكذلك في جريدة « الرأي العام » الكويتية التي اقوم حاليا بالاشراف على صفحتها الادبية اليومية ومنذ ثلاثة أعوام أصدرت كتابا في الادب التونسي يقع في اقل قليل من مائة صفحة بعنوان « اتجاهات فكرية في الادب التونسي الحديث » . ورغم ذلك فانني اعترف بأن احاطتي حتى الآن بغالبية انتاج الادباء في تونس في الرواية والقصة والمسرحية والشعر ما تزال قاصرة وتقتضيني المتابعة المستمرة ففي هذا الادب من رواية وشعر وقصة ما هو جدير بالدراسة والبحث . خاصة وان عملية ايصال ما ينشر في تونس والمغرب العربي عامة الى المشرق العربي وبالعكس ما تزال بحاجة الى جهود كبيرة تتحمل جزءا كبيرا من مسؤوليتها وزارات الثقافة العربية واتحاد الناشرين العرب . وكذلك النقاد والادباء والشعراء أيضا .

وفي هذا الاطار كذلك تتحمل مسؤولية ضعف الاعلان عن المؤلفات الصادرة في أي قطر وكالات الانباء والصحافة الثقافية في الصحف والمجلات ، والاذاعة والتلفزيون اذ ينبغي عليها جميعا أن تضاعف من نشر واذاعة مقتطفات وافية عن كل جديد من الكتب الصادرة عن دور النشر والمطابع العربية .

والفت النظر هنا الى نقطة هامة وهي انه لولا ما تنشره مجلة « الفكر » من اعلانات أو دراسات عن الكتب الصادرة في تونس لما عرفنا في المشرق

شمئا عن أى كتاب جديد الا اذا انتظرنا هذا الكتاب فى المعارض التى تقام سنويا فى هذا البلد أو ذاك .

فهل لنا أن نتساءل عن اليوم الذى يصبح فيه الكتاب العربى الذى يصدر فى تونس أو دمشق أو بغداد أو بيروت أو الكويت أو القاهرة أو فى أى بلد آخر بعد شهر من صدوره فى مكتبات البلدان الاخرى ؟

وهل سنجد مجلة « الفكر » بعد صدورها باسبوع فى المكتبات العربية ؟

ان مشكلة التوزيع بين المشرق والمغرب تحتاجه الى حل حقيقى . وأتمنى أن يبحث هذا الامر فى مؤتمر وزراء الثقافة العرب الذى سيعقد فى تونس فى نوفمبر المقبل . فهذه قضية واضحة وبسيطة فاذا لم تطرح وتحل فكيف يمكن حل القضايا الفكرية الثقافية المعقدة ؟

وقبل ختام كلمتى فانى أشكركم على استماعكم الى هذه الكلمة التى تفرعت الى فصائل قد لا تكون من صلب هذه الجلسة ولكنها ليست بعيدة عن مدار الفكر والثقافة . بل هى تشغلنا جميعا وهى تشكل عائقا من معرفة الادباء والشعراء العرب لبعضهم البعض . بل تكاد تكون احدى عوائق التفاعل الحقيقى للثقافة العربية .

ولا يسعنى الا أن أشكر السيد وزير الشؤون الثقافية على اهتمامه بدعوة هذا العدد من المثقفين والادباء والقراء الى عيد « الفكر » ففى ذلك ما يخفف من عوائق الاتصال بين رجال الثقافة متمنيا لـ « الفكر » ومؤسسها وصاحبها الوزير الاول المفكر والاديب محمد مزالى ولرئيس تحريرها الاديب والمفكر الاستاذ البشير بن سلامه وأسرة تحريرها التوفيق والسؤدد وتحقيق الطموحات الكبيرة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سعيد فرحات

رئيس القسم الادبى بجريدة « الرأى » الكويتية

في الذكرى الثلاثين لتأسيس مجلة « الفكر » التونسية

بقلم : عبد الرحمان مجيد الربيعي
(العراق)

ـ ١ ـ

ها نحن نحتفل معا بالذكرى الثلاثين لتأسيس مجلة الفكر المناضلة ، لقد جئتكم من العراق لاساهم في هذا الاحتفال وجاء اخوة آخرون من أقطار عربية شقيقة للمناسبة نفسها وبهذا أصبح الاحتفال بالفكر عربيا لا تونسيا فقط ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على المحبة التي نكنها نحن أدباء العربية لهذه المجلة التي وصفتها بدايه بالمناضلة . نعم . انها مجلة مناضلة ولكنها وكما يدل اسمها قد اختارت في نضالها الميدان الاهم الا وهو ميدان الفكر .

لقد عرف أدبنا العربي في شتى أقطاره العديد من المجلات ولكن هذه المجلات وصلت الى كهولتها ونهايتها بعجالة ولعل السبب في ذلك انها لم تكن مجلات ذات رسالة شاملة تملك عوامل التجدد والاستمرار ، ومجلة الفكر اختلفت عن تلك المجلات لانها ولدت ولادة شرعية ، في وقتها وفي زمنها وكانت الحاجة ماسة اليها وخاصة بالنسبة للظرف الذي كانت تعيشه تونس الشقيقة المهددة بأعداء يحاولون طمس شخصيتها العربية واحلال الفرنسية لغة وتوجها بدلا عنها ، آنذاك انبرى رجل عربي أصيل ليقف بوجه هذا التيار وبوسيلته التي اعتمدها أسلوبا وحياة وهي « الفكر » ، انه الاستاذ الكبير محمد مزالي الذي يشغل الآن منصبا رفيعا على المستوى السياسي أيضا حيث أسند اليه

المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة الوزارة الاولى فى وقت بدأت تـونس تلعب دورا كبيرا على المستوى العربى وتحتضن فى ربوعها الجامعة العربية كذلك القيادة الشرعية لمنظمة التحرير الفلسطينية ٠

أيها الاصدقاء

لقد كان صدور الفكر قبل ثلاثين عاما يعنى ايجاد منبر فكرى ثقـافى ، صفحاته مفتوحة لكل الادباء العرب وبكل اتجاهاتهم الفكرية والفنية ، وكانت الفكر وما زالت تجربة ديموقراطية أيضا ما أحوج الفكر العربى اليها حتى لا تكم أفواه ولا تحجب أصوات ! ولو تصفحنا مجموعة من اعدادها لوجدنا أن ما أقوله هو الصحيح والصواب ٠

لا أريد هنا أن أستعرض مسيرة هذه المجلة فهى مسيرة صعبة حتما ولا يمكن أن تكون غير ذلك ولكن المهم فى هذه المسيرة انها ذللت كل الصعاب وانتصرت على كل العراقيل وتجاوزت المكائد لتبقى وتستمر وتظل كما عهدناها مجلة ديمقراطية للفكر العربى فى هذه الفترة التى يشهد الـوطن العـربى انحسارا للديمقراطية وتجاوزا عليها كما يشهـد مجمـوعه من الخروقـات التى لا تغتفر ، لابسط اخلاقيات التعاون بين دول تجمع بينها روابط الـدم واللغة وتنضم لجامعة واحدة لها مواثيقها التى يجب الالتزام بها بكل قوة من أجل شد الازر وترميم ما تهدم ٠

أيها الاصدقاء

ثلاثون عاما وحماس مجلة الفكر لم يفتر ، ثلاثون عاما وهى ترفد أدبنا العربى بالدم الجديد المتمثل بشعراء وقصاصين ونقاد ، وعلى الرغم من وجود مؤسسها الاستاذ مزالى فى مسؤوليته السياسية فان عينه عليها وان كان قد أودعها أمانة عند زميله فى النضال والفكر الاستاذ البشير بن سلامه الذى هو الآخر يشغل منصبا سياسيا وفكريا مهما هو وزارة الشؤون الثقافية ، وهكذا أصبح للفكر ربانها الجديد الذى يتعامل معها بمحبة لانهـا مشـروع يجب أن يستمر ويبقى ٠

نعم ، أيها الاصدقاء ، «الفكر» مشروع يجب أن يبقى فهى ان ناضلت فى سنوات تأسيسها الاولى لاثبات شخصيتها كمنبر متقدم يحتضن تجارب الادباء

العرب فان هذا الدور سيظل قائما ما دامت اجيال أدبية عربية تولد وتبحث عن المنبر الشريف والحر لنشر أعمالها ولذا نجد دوما على صفحاتها اضافة الى أسماء أدبائنا الرواد أسماء جديدة . ان الفكر هي أيضا مجلة تعايش الاجيال لا في اطار المهادنة بل في اطار التفاعل والتحاور الديمقراطي وصولا الى جعل الثقافة العربية الاصيلة تأخذ حجمها الحقيقي ودورها الريادي الذي عمل الاعداء على تخريبه والاساءة اليه .

أيها الاصدقاء

جئتكم اليوم من بغداد ويوم أمس انطلقت في كل أنحاء العراق مظاهرات صاخبة ساهم فيها الملايين ولا أقول الآلاف وهتفوا انتصارا لتونس المعتدى عليها من قبل الصهاينة الفاشست وانتصارا لمنظمة التحرير الفلسطينية التي اختارت تونس الخضراء مكانا مؤقتا لاقامة بعض قيادييها ومقاتليها حتى يحين موعد العودة الى الارض الام .

ان العراق وهو يخوض حربا ضد العدوان الايراني على أراضيه لم ينس تونس ولم ينس منظمة التحرير ولم ينس واجبه القومي في مثل هذه الحالات

واذا كان العدوان الصهيوني قد لحق بتونس اليوم فانه قد لحق بالعراق أيضا قبلها حيث قصف المفاعل النووي العراقي وهو المبني لاغراض سلمية فقط .

في اختتام ايها الاصدقاء احيي تونس الشقيقة التي لم ترض بالاستفزاز ولا بالعدوان من أية جهة جاء وأردد أن عبقرية تونس تكمن في انها حتى في لحظة المحنة لا تنسى الفكر ولا الثقافة وخير دليل على رأيي اجتماعنا هذا .

وتحية أيضا للاخ الكبير محمد مزالي مؤسس الفكر والاخ الاستاذ البشير بن سلامه ربانها الذي عودها بدأب واهتمام . ولكم جميعكم محبتي وتمنياتي الطيبة وشكرا .

عبد الرحمان مجيد الربيعي
(العـراق)

عرس "الفكر"

شعر: البشير المشرقي

عالم «الفكر» للتحدي شعار — إنه المجد .. ما عداه غبار

إنه الفجر ها هنا يتحدى — غمرة الليل . والظلام دمار !

إنه الفعل .. والطريق طويل — كيف نخشاه . والنفوس كبار

إنها «الفكر» ثورة ضد زحف الليل .. والفكر أهله الأخيار

أنا منها سكران . مهما استبدت — فهي لي الغيم . حوله أنهار

زورق الفن في مداها تهادى — فالعبارات أنهر وبحار

كل حرف أراه ملء جفوني — في ذراها يشع .. فهو نضار

قصتي يا مجلتي أنت أدرى — بلظاها .. فكيف لا أحتار

وأنا العاشق الذي حاصرته — ساحرات العيون ..نعم الحصار!

كم عرفت الأشواق في فيء دنيا — ك وتاهت بمهجتي الأفكار !

واحترفت الرحيل حتى كأني — سندباد يشوقه الإبحار

والموانيء بعيدة والمحطا — ت تناءت وند عنها القرار

وأنا شاعر يحاصره البو — ح ويجتاح كونه الإعصار

زورق هو والمرافيء تنأى — ومع المد .. ترحل الأعمار ..

دمرته الحروف منذ زمان — ورماه في لجه التيار

كلما رام من لظاه نجاة — خذلته القوى .. وحال الجدار

أَيْهَا الجَمْعُ مَا أَتَيْتُ لأَشْكُو إِنَّمَا الحُزْنُ فِي اللِّقَاءِ يُثَار
كَيْفَ أَشْكُو والفكرُ بينَ يَدينَا رَوْضَةٌ رَفْرَفَتْ بِهَا الأَزْهَارُ
هِيَ مِنِّي قَرِيبَةٌ وَأَرَانِي أَرْتَمِي خلفها .. إذا الصحبُ جاروا
أنا غصن من دوحها .. سوف أبقى أبَدَ الدَّهرِ قِبْلَتِي الإِخْضِرَا

★ ★ ★

صَاحِبَ الفِكرِ وَالمَوَاسِمُ جَذْلَى وَشَذَا الفكرِ بَيْنَنَا أَنْهَارُ
الثَّلاَثُونَ قَدْ تَرَامَى صَدَاهَا فَازدهى العِيدُ .. وَانتشى السُّمَّارُ
وَتَعَالَى مِنَ القُلُوبِ هُتَافٌ .. تسلمُ الفكرُ .. يسلمُ الإِصْرَارُ ..
فَهَنِيئا بِمَا كَسَبَتَ وَشُكْرا .. وَالمَعَالِي يَنَالُهَا الأَحْرَارُ ...

★ ★ ★

يَا صَدَى « الفكرِ » يا وَحِيبَ دمائنَا هو ذَا العِيد ٠ نخوةٌ وَانتصَار
حبذا الفكر صورة من حديث الفعل تُوحِي بما اصْطفاهُ القَرَارُ ..

البشير المشرقي

"الفكر" والرسالة

بقلم : حسني سيد لبيب
(مصر)

مجله (الفكر) مناره ثقافيه . وما اقل المنائر التي يهتدي الناس بنورها. وما أنبل الرسالات التي يؤديها رجال الفكر والادب ، ليثروا الانسانيه بمعاني الخير والحق والجمال .

ان عمر المجلات الادبية قصير . أغلب هذه المجلات تحتجب بعد صدرها بفترة قصيرة . وكل من يقدم على اصدار مجلة أدبية ، يعد فارسا من طراز فريد . لهذا نذكر جهاد الاستاذ أحمد حسن الزيات في اصدار مجله (الرسالة) ، التي تمثل علامة بارزة في الصحافة الادبية . لا في مصر وحدها ، وانما في العالم العربي من مشرقه الى مغربه . كما نذكر الاستاذ البير أديب ، واصراره العنيد على اصدار مجلة (الأديب) ، برغم ظروف الحرب الاهلية في لبنان ، وبرغم اعتلال صحته وضعف بصره . لقد عاشت (الأديب) أربعين عاما ونيفا . وسهر صاحبها على رعايتها حتى آخر رمق في حياته . ولو شئنا الحديث عن المجلات الادبية التي شاء حظها العاثر أن تتوقف عن الصدور ولم تحقق رسالتها بعد ، لضاق نطاق المقال . وما أحب أن أذكره هنا ، يتعلق بالصعوبة والمعاناة حين يتولى شخص اصدار مجلة أدبية ، ما لم يتسلح صاحب المجلة الادبيه بالعزيمة والاصرار والايمان برسالة الادب والفكر . كما أصبح اصدار مجلة أدبية عملا شائكا في ظل ظروف عصرنا المواز الذي يتسم بالايقاع السريع ، وانصراف الناس الى الماده وجمع الثروات . اننا نعيش عصر التقدم العلمي السريع ، ولابد للصحافة الادبية أن توائم بين رسالتها وبين حاجة الناس ، بحيث لا ينعزل الاديب عن قضايا المجتمع وهموم الانسان . فعصرنا هو عصر الاليكترونات وبنوك

المعلومات وعلوم الفضاء . وينبغى للادب أن يؤدى رسالته كامله ، فى ظل متغيرات العصر . وما دام الادب يهتم بقضايا الانسان ، فانه سيظل دائما ضرورة من ضرورات الانسان ، مهما تغيرت الاعصر والدهور ، أو اشتدت الازمات واختلت الموازين . فالادب لغة الوجدان والاحاسيس والمشاعر .

ولقد واصلت مجله (الفكر) طريقها الصعب سنه واعداد . متجددة فى كل عدد . وعلى صفحاتها سار الفضايا الحيوية . كافحت الظروف المناوئة ، وعانت الكثير من أجل رسالتها السامية . يحدوها أمل كبيـر فى تحقيـق الرسالة وأداء الأمانه . وكان اصرار الاستاذ محمد مزالى على اصدار المجله فى موعدها دون انقطاع ، اصرارا على الصمة والمعنى ، اصرارا على الفكـره والكلمه . اصرارا على قبول التحدى . حتى أصبحت مجلة (الفكـر) منارة ثقافيه تهدى شداة الادب وتنير لهم الطريق .

سعت (الفكر) الى التواصل الثقـافى بين أقطـار المشـرق والمغـرب . وأدركت أهمية هذا التواصل . كى تحمى نفسها من العزله الفكرية والثقافية، وفتحت صفحاتها للادباء العرب فى المشرق والمغرب . وسعت جاهدة لفتـح منافذ التوزيع فى البلاد العربية . حتى صارت (الفكر) مجلة الادباء والمثقفين العرب ، تحرص عليها كل أديب ومثقف ، بنفس حرص المجلة على قرائها . وفى اعداد السنوات الاخيره . حرصت (الفكر) على نشر الكتابات المصريه باقلام الدكاتره محمد عبد المنعم خفاجى ومختار الوكيل وعبد العزيز شرف وصلاح عدس والادباء ملك عبد العزيز وعامر محمد بحيرى ووديع فلسطين ورابح لطفى جمعة وفوزى عبد القادر الميلادى ومفرح كـريم وأحمد فضـل شبلول وصاحب هذه السطور .

* * *

الفكـر . المناره الثقافيه . مجله الادباء والمفكرين العرب . وغاية منشودة لكل صاحب قلم صادق وأمين . ترحب (الفكر) بكل الآراء البناءة وتعتبـر الحرية ديدنها ، بما يثرى الفكر ويعمق التجربة الابـداعيه . ان صـاحب (الفكر) الاستاذ محمد مزالى ، قد اختار الفكر الحر المستنير اتجاها ومنهاجا، فالحرية هى القادرة على مواجهة متغيرات الحياه وتقلبات الزمن ، وهى الضمان لأداء الرسالة على خير وجه .

الفكر ، المنارة الثقافية ، تؤمن بالحرية . لثراء الفكر في تنوعه وتجديده ، وليس في تقييده وجعله أسير فكرة تستبد بالعقول وتخدع البصيرة .

الفكــر ، المنارة الثقافية التونسية ، يستقطب ضوؤها الاقلام العربيه . ولدت مثلما يولد النبت الاخضر في الارض التونسية ، فيجد من يرعاه حتى ينمو ويكبر . ولقد تزامن صدور المجلة مع حصول تونس على استقلالها ، فاملت مرحلة ما بعد الاستقلال على المجلة سياستها ، والوقوف الى جــانب قضايا الشعب الملحة . ومن يقرأ افتتاحيات الاستاذ محمد مزالي ومقالاته ، يجده غير منبهر بحضارة الغرب ، معتزا كل الاعتــزاز بأصــالة المقومــات الحضارية في بلده . فكتب ينذر بانهيار حضاره الغرب المــاديه ، ويشيــد بالحضارة العربية الاسلاميه . فالحضارة المرتكزة على القيم الروحية هي الأبقى والأخلد . انه راهن على مستقبل الوطن الذى يبتغيه حــرا مستقــلا ، وآثر العظمة على السعاده . خاض معركة التعريب وشاركه مفكرون وأدباء ، منهم : محمد الفاضل بن عاشور والبشير بن سلامه وأبو القاسم محمد كرو ومحمد العروسي المطوى وغيرهم .

كانت المهمة شاقة ، اذ من الصعب التخلص من رواسب الاستعمــار الذى فرض التجنس وحاول طمس الهوية التونسيه . ولم يكن المقصود بالدعوة الى التعريب ، تعريب اللسان فقط ، وانما تعريب التفكير . فقد اتجه الفكر الى الثقافة الفرنسية في الأغلب الأعم ، أو هكذا صارت أحوال البلاد . وكان لابد لهذه الدعوة من ارادة صلبه ، فضمن مقالاته تلك الصــرخة الشــابية المدوية ، بأن القدر يستجيب لارادة الشعوب المؤمنه بعداله قضيتها .

لهم المغامرة الابداعية ، فنقرأ تجارب قصصية وشعرية ، ونتوقف عند الجديد الجدير بالقراءة . انها خطوة موفقة من الاستاذين محمد مــزالي والبشير بن سلامه في نشر الادب التجريبي ، نابذين التعصب لاتجاه أدبي دون سواه . وأصبحت المجلة نافذة مفتوحة لكل ذى موهبة أصيلة ، أمثال : نعيمة الصيد وبنت البحر والصادق شرف ويوسف رزوقه وعبد الله مالك القاسمي وفتحي لواتي وغيرهم .

الفكــر ، المنارة الثقافية ، تواصل « النضال المقدس من أجــل محو آثــار الأحقاد الدفينة والتنبيه الى وحدة المصير وروعة العمل من أجــل كــرامة

الانسان فى كل مكان » (1) . وليس أدل من هذه الكلمات البليغه للاستاذ محمد مزالى ، تصويرا لرسالة الفكر .

* * *

وما لم تدعم الدوله الصحافه الادبيه ، فانها تعتمد على جهود فردية تسير فى طريق وعره وشاقه فتتعثر وتتوقف . وقليلة هى الحالات التى ينجح فيها أفراد بجهدهم الصادق الخلاق ، وايمانهم برساله الادب ، وكونه ضمير الامة واللسان المعبر عن آمالها وآلامها . والمثل فى هذا ما حققه الاستاذ أحمد حسن الزيات عندما اصدر مجله (الرساله) عام 1933 بجهد فردى . وكان « يعمل فى الرسالة محررا ومصححا ومديرا ومنظما ومديرا للبيع ، وحاسبا ومطلعا ومنصحا لأبوابها ، ومجيبا على رسائل قرائها » (2) . كذلك نجح الاستاذ محمد مزالى فى اصدار مجلة (الفكر) عام 1955 بجهد فردى . يأخذ من وقت فراغه ما يمكنه من « التحرير والمراسلة والاشراف على الطبع والتوزيع وجمع الاشتراكات بفضل المجهودات التى بذلها » (3) .

وكما سعت (الرسالة) الى مد جسور التواصل والحوار الثقافى بين الادباء العرب ، نجد (الفكر) ايضا تطلع الى الانتشار بين الادباء المثقفين ، وتعمل على استقطاب الاعلام الراسخه للاسهام فى تحريرها . وكما خاضت (الرساله) معارك ادبية فى الثلاثينات والاربعينات ، فان (الفكر) فى عقودها الثلاثه ، احيت مثل هذه المعارك ، لايمانها بالحوار الديمقراطى وحرية الاديب . وتقتضى المقارنة الاشارة الى اهتمام المجلتين بالشعر والقصة فأفردتا لهما صفحات عديده ، وتركتا لكل من الشاعر والقاص حرية الابداع . ففى (الرسالة) نشر (الشعر المرسل) و (الشعر المنثور) ، وفى (الفكر) نشر ما سمى (فى غير العمودى والحر) و (ابداع) و (الادب التجريبى) . كما ان المجلتين جاهدتا لربط الثقافه العربيه الاسلاميه بالثقافه الاوربية مع تاصيل الانتماء الوطنى والقومى . ففى (رسالة) الزيات تأكيد على الهويه العربية وأصالة اللغه . وفى (فكر) مزالى تأكيد على الهوية التونسية كرد فعل لمحاولات تجنيس البلاد .

---

(1) مجلة (الفكر) ـ مايو 1974 ـ ص 3 .

(2) د. محمد الفقي أحمد حسن الزيات ومجلة (الرساله) ـ دار المعارف بمصر ـ سبتمبر 1981 ـ ص 32 .

(3) محمد مزالى · مجلة (الفكر) ـ نوفمبر 1983 ـ ص 10 .

ان القضايا الفكرية والاهتمامات الادبية قد نختلف بين المجلتين الرائدتين، نظرا لاختلاف المكان والزمان ، ولكن لو تأملنا الواعز والغاية لوجدنا تشابها وتماثلا ، وقلنا : إن (الفكر) استلهمت خط (الرسالة) الفكرى . فلقد اهتمت المجلتان بايقاظ الشعور الوطنى والقومى ، والاحتفاء باللغة العربية والحرص عليها ، والاعتزاز بالثقافة العربية الاسلاميه . وقد واصلت المجلتان الصدور دون انفطاع ، مما يعكس ايمان الزيات برسالته ، وأصالة الفكر عند مزالى .

صدرت (الرسالة) أسبوعية (4) لمدة عشرين عاما ونيف ، لم تتخلف عن موعد الصدور بيوم واحد . والامل المرجو أن تواصل (الفكر) الصدور، ونحتفل بعيد ميلادها الذهبى والماسى ان شاء الله . كما يحدوناالامل فى أن تصل (الفكر) الى القارىء العربى أينما كان . فالرابطة الفكرية والادبية هى أقوى الروابط العربية وأمتنها ، وقد أثبتت (رسالة) الزيات صدق هذه المقولة . فحماس الزيات للادب وفنونه وللقضايا الفكرية والقومية ، دفعه الى مواصلة اصدار المجلة ، متغلبا على المصاعب والعقبات ، متطلعا الى وطنه العربى الكبير ، طامحا الى استقطاب الاقلام العربية . يقول الزيات : « فى سبيل الادب كل أذى يحتمل ، وفى حب العربية كل بذل يعوض ، وفى خدمة الوطن كل صعب يهون » (5) . ويقول محمد مزالى : « اننا نؤمن بمجهود الاديب ونؤمن بأن تأدية رسالة الكلمة ضرب من الجهاد ، تقتضى العزم والصبر والمثابرة » (6) .

وقد جمع الزيات كل ما كتبه فى مجلتى (الرسالة) و (الرواية) (7) ، وضمنه كتبا مستقلة أو نشره ضمن كتابه (وحي الرسالة) . وجمع مزالى أيضا ما كتبه فى (الفكر) فى كتبه (من وحي الفكر) و (فى دروب الفكر) و (وجهات نظر) .

---

(4) تجدر الاشاره الى أن مجلة (الرسالة) صدرت فى أول عهدها نصف شهرية حتى العدد الحادى والعشرين .

(5) مجلة (الرواية) ـ العدد الاول ـ أول فبراير 1937 .

(6) من وحي الفكر ـ مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله بنونس ـ ط 2 ، عام 1979 ـ ص 148 .

(7) مجلة نصف شهرية أصدرها الزيات فى الفتره : (فبراير 1937 ـ يناير 1940) .

ويرجع ذيوع (الرسالة) وانتشارها الواسع ، الى أنها تخطت حدود مصر ونطلعت الى القارىء العربي في كل مكان ، واستقطبت الادباء العرب ، واهتمت بالقضايا القومية العربة ، وحاربت الشعوبية والمروجين لها . وهاجمت الدعوة الى العامية ومحاولة القضاء على الفصحى . انها باختصار شديد ، سعت جاهدة الى مد جسور التواصل الثقافي بينها وبين الاقطار العربية ..

وللفكر من أسباب الذيوع والانتشار ، ما جعلها تتبوأ مكانتها اللائقة والجديرة بها في صدر الصحافة الادبية ، ساعدها على ذلك ما تحظى به من مكانة في نفوس الادباء العرب ، ومواصلتها الصدور دون انقطاع على مدى ثلاثين عاما من عمرها المديد . ولقد حاربت (الفكر) الايديلوجيات والمذاهب والافكار الهدامة ، ودعت الى العربية الفصحى مقابل الدعاوى الرامية الى تقويض أركانها ونشر العامية ، ولرئيس تحريرها الاستاذ البشير بن سلامه كتابات جادة في مجال اللغة العربية ، اهتم فيها بالتفاوت الكبير بين لغة الكلام ولغة الكتابة ، وبقدرة العربية على استيعاب الالفاظ العامية (8) ، وله دراسات مستفيضة عن مشاكل الكتابة باللغة العربية ، ودعوته المستنيرة من أجل الاتفاق على شكل حروف عربية للطباعة تيسر عمليه القراءة وتحبيبها الى القارىء (9) .

واذا كنا ندعو مجلة (الفكر) الى أن تولي اهتمامها بالمشرق ، كتابا وقراء، فاننا ندعو المشرق العربي أيضا الى أن يولي اهتمامه بالنتاج الفكري والادبي في المغرب العربي . انها دعوة الى كسر العزلة الفكرية التي استحكمت حلقاتها ، وبات النشاط الادبي في أوربا وأمريكا والشرق الاقصى معروفا جيدا لدينا ومتداولا في أوساطنا الادبية ، بينما لا نكاد نعرف شيئا من آداب الاقطار العربية ، غير القطر الذي ننتمي اليه ، وهي قاعدة لها استثناء لقلة من الادباء أتاحت لهم المراسلة الادبية والزيارات أن يعرفوا نشاط أقرانهم من الادباء والمفكرين .

فلنكسر العزلة الفكرية والثقافية ، فمن العار الاخلاقي كما يقول الاستاذ محمد مزالي : « أن نتبدد طاقاتنا في متاهات الخصومات السياسية والمذهبية

---

(8) كتاب (نظرية التطعيم الايقاعي) .

(9) كتاب (قضايا) ـ ص 185 وما بعدها .

والتقليد الاعمى لغيرنا وحتى لخصومنا بينما يفرض علينا المنطـق السليم والنظر البعيد والسديد أن نقاوم عزلتنا الفكرية ونتمسك بعروبتنا الوثقى وندعم وحدتنا الروحية والحضارية الاصيلة المتفتحة » .

ان الفكر الحر ، الذى لا يخضع للتمذهب أو التعولب ، لهو الفكر المستنير الذى يتجاوب معه القارىء ، ويشعر بصدى ما يقرأ في حياته وسلـوكه . وانى لأرى عظمة (الفكر) وشموخها ، فيما أتاحته من حرية الرأى والتفتح والاصرار على بعث الروح القومية الاصيلة . كما قادت (الفكر) المسيرة نحو تأصيل الادب التونسي ، وتفجير طاقات الابداع واتاحة الفرصة للتجـارب الادبية فى شتى فنون الادب .

ونحن فى مصر ، نطالع (الفكر) بفرح غامر ، كمجلة رائدة ، عصمت نفسها من كل وافد دخيل ، مبقية على كل ما هو أصيل .

لقد نجحت مجلة (الفكر) فى أداء رسالتها ، وتعاملت مع قارئها بعقـل مفتوح ، وصدر لا يضيق بالنقد ، مؤصلة قيم المجتمع ، معبرة عن آمال المواطن وآلامه ، معتزة بالحضارة العربية الاسلامية .

حسني سيد لبيب
(مصـــر)

ننشـــر فى العـــدد القــادم

الأصـــالة نظـرية .. وتطبيقــا .. فى فكـــر

الاستــاذ : محمـــد مــزالى

بقلـــم : **رابـــح لطفـــى جمعـــه** (القـــاهرة)

العروبة والاسلام على صفحات "الفكر"

بقلم : فوزي عبد القادر الميلادي
(مصر)

حرصت مجله الفكر منذ مولدها سنه 1955 وعلى مدار الثلاثين عاما من عمرها المديد ان شاء الله على التأكيد على التلاحم والترابط بين أبناء الوطن العربي الواحد ، وفتحت صدرها لكل المفكرين والادباء والشعراء من كافة ارجاء العالم العربي بحيث أصبحت بمثابة منتدى وملتقى لهم جميعا .

والى جانب ذلك عنيت المجلة في السنوات الاخيرة عناية بالغة بقضايا الامة العربية تاريخا وتراثا وحضارة وقضايا معاصرة كما أولت اهتماما خاصا بقضايا العالم الاسلامي وبالفكر الاسلامي المستنير .

واذ كانت قضية فلسطين هي القضية الاولى التي تشغل بال العرب شعوبا وحكومات فلا غرو أن تهتم مجلة الفكر بتقديم الدراسات التي تلقى الضوء على تلك القضية من كافة جوانبها .

ولعل اهم ما نشر عن هذه القضية على صفحات الفكر ما كتبه الاستاذ محمد مزالي عنها بمناسبة الحديث عن الموسوعة الفلسطينية (1) ومن خلال حديثه عن الموسوعة ، ينفذ الى أعماق القضية الفلسطينية ولا يغيب عنه مقارنة أبعاد تلك القضية بالاستعمار الفرنسي والانجليزي والايطالي الذي رزحت تحته العديد من شعوب الامة العربية ردحا طويلا من الزمان ويجعل مدخله الى البحث مقارنة بين السياسة والثقافة فيقول: «في أول الامر كانت الثقافة. وما الفكر والسياسه الا عمل دؤوب بالطرق الملائمة المطورة بحسب الواقع لتحقيق التصور الثقافي أو المشروع الثقافي. ففي الاول الثقافة أما السياسة

---

(1) مجلة الفكر عدد يوليو 1981 ص 6 وما بعدها .

فهي خادمة للثقافة وذلك ما كنا نقوله في المغرب العربي الكبير أيام الكفاح فاننا لم نتعاط السياسة لمجرد استقلال البلاد بل الذي دفعنا الى السياسة هو تحقيق استقلال وطن له مقومات ثقافية لذلك كنا ولا نزال نقول الثقافة أولا والسياسة ثانيا ، دخلنا معمعة الكفاح لتثبيت كياننا لانه إذا ثبت الكيان وبرزت المقومات الوطنية فالاستقلال مسالة زمن ومسالة امكانيات وذلك ما يؤكده الاستعمار بالحجة المقلوبة) وينتقل بعد ذلك الاستاذ محمد مزالي الى الحديث عن الاستعمار الفرنسي وأوجه الشبه بينه وبين الصهيونية ويقول (الاستعمار الفرنسي سعى منذ عشرات السنين الى القضاء على مقوماتنا الوطنية على عروبتنا على اسلامنا ، على تقاليدنا الشعبية على كافة معالم شخصيتنا ايمانا منه بأنه لو نجح في ذلك لسهل عليه ابتلاع شعوب شمال افريقيا وهذا ما يفعل الآن الاستعمار الصهيوني) .

ويربط بعد ذلك الكاتب بين التحرير والثقافة (ان قضية تحرير فلسطين هي قضية تحرير الشعوب المكافحة من أجل بلوغ الاستقلال هي قضية ثقافة قضية وجود ثقافي . فما دامت قضية فلسطين قضية شعب له مقوماته وله شخصيته وله أصالته وما دام هذا الشعب داعيا بهذه المقومات فلن تنجح الصهيونية وستفشل كما فشل الاستعمار الفرنسي التوطني وكما فشل الاسنعمار الايطالي التوطني كما فشل الاستعمار الانجليزي ـ ولو ان الاستعمار الانجليزي استعمار اقتصادي سياسي أكثر منه توطني ...)

ويتحدث الاستاذ مزالي عن الفكر العربي والثقافة العربية (انا ارى ان الفكر العربي والثقافة العربية لا أقول : إنهما نتيجة جمع بل هما نتيجة تفاعل وتكامل بين ثقافات وخصوصيات منبثقة من الشعوب التي تتكون منها الامة العربية) .

وفي اشارة الى الموسوعة الفلسطينية وأهميتها يقول الكاتب (الموسوعة عمل يوازي ويدعم ويتكامل مع البندقية والرشاش ومع صمود اخواننا في الجبهة الدبلوماسية والسياسية ثم هي مساهمة كريمة من الشعب الفلسطيني في اثراء الثقافة العربية الاسلامية ثم ان الثقافة العربية الاسلامية التي أثريت على هذا المنوال هي نفسها من شانها ان تسهم في الثقافة الانسانية ..

هذا العمل لا أقول انه عمل جليل فحسب بل هو عمل ضروري لانه به يكتب للشعب الفلسطيني ثم للعروبة المناعة والصمود والبقاء ... هذا العمل هو الذي يهب للحياة الدوام الذي يثقب الرخام وهو شرط من شروط الديمومة في التاريخ ..) .

- وأهمية هذه الكلمة تكمن فى انها تنطوى على دعوة للمفكرين من أبناء الوطن العربي ومن أبناء فلسطين بصفة خاصة لالقاء الضوء على كافة ما يتعلق بالتراث الفكرى والحضارى للشعب الفلسطينى والغوص الى أعماق ثقافته وابراز مقومات تلك الثقافة في وقت غابت فيه تلك المقومات أو كادت تغيب أو تتوارى خلف منابر السياسة وبندقية المجاهد .

والحديث عن القضية الفلسطينية على صفحات الفكر لا ينتهى ويأخذ صورا وأشكالا متعددة ومن الابحاث التى استرعت انتباهى مقال للدكتور نور الدين صمود بعنوان (القضية فى شعر الامارات) (2) وهو يتضمن عرضا لكتاب يكاد يكون فريدا من نوعه فى المكتبة العربية يحمل ذات عنوان المقال ومن تأليف الاستاذ واصف باقي ونستبين من السطور الاولى ان الكتاب المذكور يدور حول القضية الفلسطينية في شعر الامارات العربية المتحدة ومن خلال المقال نلتقى ربما لاول مرة مع اربع شعراء من شعراء دولة الامارات والخيط الذى يشد هؤلاء الشعراء الى بعضهم البعض هو قضية فلسطين .

ومن خلال تجوالنا مع الدكتور نور الدين صمود فى عرضه للكتاب نستطيع أن نلتقط بعض القصائد التى جادت بها قريحة هؤلاء الشعراء ..

الشاعر الاول أحمد أمين المدنى وهو من دبى يتحدث عن الشهيد

وسواء عليه مات شريدا أو سجينا أو فى جحيم النضال
وسواء عليه اذ ذكروه أو نسوه على ممر الليالى
فى مجارى الدماء تنساب نارا منه أمنية له فى اشتعال
ان غفا داعبته حلما جميلا أو صحا شاغلته عبر الخيال
يهب الروح دونها فى سخاء لا يهاب الردى لنيل المنال
او يخاف النزال ان هب داع لبلبى : يا مرحبا بالنزال

---

(2) مجلة الفكر عدد فبراير 1982 ص 40 وما بعدها .

ويصدح الشاعر الثانى محمد شريف الشيبانى من أبو ظبى فى قصيدة بعنوان لن تضيع فلسطين :

ضاعت فلسطين لن تضيع سدى فان اشراقها قد صاغ كل هدى
قرى فلسطين مهما ذقت من ظما ماء الخليج سيطفيه اذا اتقدا
فبستظلك نصر رافع يده لتلتقى وتنال الفخر منك يدا
يا مهبط النور يا ظلا تـوطنه الزيتون مستوقفا فى افقه الامدا

والشاعر الثالث هاشم الموسوى يقول فى قصيدة له على لسان الامة العربية

وتوهج التاريخ ينبض بالكفاح المر عبر الدهر من شهدائى
وقفت على مهج الغزاة صواعق وانى على ظلم الطغاة قضائى
انا فوق ما يرجو الغزاة بكل ما أوتيت من مجد ومن عليـاء
واذا اعتلت صهيون ظهر اريكة فلقد تربع قبلها اعدائى
ثم استفاقوا والحياة جميلة عندى وملء جنونهم ضرائى

....

يا طالبا للنصر خطك عاثر ان كنت ترجو النصر من اعدائى

اما الشاعر الرابع من شعراء الامارات فهو حبيب يوسف الصائغ الذى يجعل من مناشدة الضمير العالمي لكى يقف بجانب الحق مدخراً الى قصيدته هكذا ..

يا ضمير العالم الغافى أفق واهدم حصون الجبروت
مزق الصفر من الاوراق فى كل القواميس التي تسكن فيها العنكبوت

وينهى الشاعر قصيدته بشيء من الفرحة بعد حرب آكتوبر .

زغردى يا أرض فالافراح عادت للغناء
تبعث الامال فى كل الدروب
تحمل الباقات رغم الهول والاحقاد والعيش الجديب
فانتفاضات الرجاء
لم تضع يوما هباء
لم تكن تذهب يوما ـ مثلما قيل لنا ـ ادراج ريح

منذ ان عشنا وشاهدناه ينسى جرحه الشعب الجريح

آخذا بالحق ثارا

لابن عبد الله أهل الحق والتاريخ والشعب واوجاع المسيح

واعتقد ان أهم ما يعنينا فى هذا المجال ليس نزال المعايير النقدية على هذه القصائد أو بعضها لكن الذى يعنينا أكثر بل ويثلج صدورنا أن نجد من أبناء عمومتنا فى دولة الامارات من يتغنى بفلسطين حتى لو كان شاعرا ناشئا ثم نجد من يجمع هذه القصائد بين دفتى كتاب واحد ومن يـولى ذلـك الكتـاب عنايته مثلما فعل الدكتور نور الدين صمود ثم نجد مجلة عربية حبيبة مثل مجلة الفكر تفتح صدرها لذلك كله ، وهذا المقال يحقق أكثر من هدف سام جليل فهو يبرز التضامن والتلاحم بين ابناء الوطن العربى وهو يذكر فى الوقت ذاته بقضية أو مأساة فلسطين ثم هو هدف العالم العربى بأسره بمجموعة من شعراء الامارات قد يكونون ناشئين فى بداية أو منتصف الطريق ومع ذلك فيحمد لهم شرف المقصد وعلو الهمة كما يحمد للمؤلف وكاتب المقال ومجلة الفكر على السواء دفعهم الى دائرة الضوء مما سيحفزهم حتما وفى القريب ان شاء الله الى زيادة الاهتمام بانتاجهم الشعرى والارتفاع بمستواه .

وعلى طريق الوحدة العربية الشاملة سارت دول الشمال الافريقى شـوطا طويلا فى مسيرة المغرب العربى الكبير بما تحققه تلك الدول من تعاون وتضافر يستهدف وضع اللبنة الاولى فى صرح الوحدة العربية الشاملة وهى لبنة المغرب العربى الموحد .

وفى مقال فى الفكر للدكتور المنصف من (3) بعنوان «من أجل مغرب عربى موحد» نراه يناقش قضية هامه يرد فيها على كثير من التساؤلات ويـدحض الحجج التى نرى فى تنوع الانظمة واختلافها فى كل قطر عقبـة فى سبيـل الوحدة فيقول (ان تنوعنا خلاق ما دام منسجما متضامنا .. بل بالاحرى قد نجد فى هذا التنوع مراكز دعم لوحدتنا وتكاملا لمقوماتها وتلاقى لطاقاتها .. وبناء المغرب العربى الكبير لن يكون الا بيـن اطـراف متسـاويـة وواعيـة ومسؤولة ..) ثم ينتقل الى الحديث عن أهمية اقامة مغرب عـربى مـوحـد

---

(3) مجلة الفكر عدد دسمبر 1980 صفحة 12 وما بعدها .

(٠٠ لا شك أن ارساء قواعد مغرب عربي موحد يشكل خطوة هامة في سبيل وحدة العالم العربي ٠٠ هذا العالم الذي يمتد من الخليج الى المحيط يحتوى على أجزاء لها خاصيات معينة يسهل توحيدها كمرحلة نحو الوحدة العربية الشاملة ٠٠)

وهذا المقال وان كان يعبر عن رأى صاحبه الا انه لا يعدو ان يكون افصاحا عما يجيش في صدور أبناء الامة العربية من آمال وأحلام نحو تحقيق الوحدة الشاملة الثابتة الاركان يوما ما .. ولعله لا يكون بعيدا ..

وبعد فهذه بعض الاشارات السريعة الى اهتمامات مجلة الفكر بالامة العربية وقضاياها وقد أوردتها على سبيل المثال وليس الحصر لانتقل بعد ذلك الى اهتمامات مجلة الفكر بقضايا الاسلام والمسلمين ٠٠

وقد يكون اهم ما يشغل بال المفكرين في العالم الاسلامي اليوم هو تقديم الاسلام الى العالم كله على حقيقته كدين يؤكد معاني العزة والكرامة والحرية ويؤمن بالازدهار والتطور وتقدم الحلول لمشكلات العصور المتعاقبة ..

وعلى صفحات الفكر تحدث الاستاذ البشير بن سلامة عن الاسلام في مقال بعنوان (من العبودية الى العبادة الحق) (4) فقال : (في الحقيقة ان الاسلام قصدأولا وبالذات رفع العبودية عن كل العرب وهم ضعفاء مستضعفون مكبلون في حريتهم مطعونون في انسانيتهم مخدوشون في انتسابهم الى البشرية في جوهرها الصافي طلاقة وعفوية ٠ نعم قصد الاسلام رفع العبودية عن كل العرب أسيادا ومماليك علية وسوقة وبذلك سوى بينهم جميعا بتحريرهم لبعضهم من بعض وتخليصهم من أوهام الاوثان وأوهام أنفسهم وشهواتها المضلة وكبريائها المدمرة لهم ولمن حولهم وطغيانها عليهم وعلى غيرهم ٠٠٠٠ ان المعجزة الكبرى التي أظهرت الدين الاسلامي في بلاد العرب هي التي ضمنت بقاء المسلمين في البلدان الداخلة في الاسلام والا كيف كان في امكان هذه الشعوب أن تصمد أمام جحافل الاسبان والبرتغاليين ، لولا اكتشاف أمريكا وانصراف هؤلاء بعنجهيتهم وقوتهم الجبارة الى محق الهنود الحمر ولولا بروز المسلمين الاتراك الذين تصدوا بكل حماس لوقف التيار الماحق) ؟!

---

(4) مجلة الفكر عدد دسمبر 1980 صفحة 1 وما بعدها ٠

ومما احسن فيه الاستاذ البشير بن سلامة استرشاده بالتاريخ فى التأكيد على قوة الاسلام والمسلمين وصمودهم ضد تيارات الغزو والابادة والتاريخ لا يكذب ولا يزيف وحتى لو ران على أحداثه بعض الصدأ حينا فان الايام ما تلبث ان تجلو ذلك الصدأ لتبدو الاحداث التاريخية على حقيقتها ٠

ومن الحديث عن قوة المسلمين وحريتهم ننتقل مع الدكتور محمد فاضل الجمالى الى حديث يعالج مشكلة من أهم مشكلات الساعة وهى التربية الاسلامية وذلك فى مقاله (نحو تربية اسلامية صالحة لزماننا) (5) ٠

ويشير الدكتور محمد فاضل الجمالى الى وجود نظرتين الى التربية فى العالم الاسلامى نظرة تدعو الى الاخذ بالقديم وتعاف الجديد ، ونظرة تزدرى القديم وتحاول تقليد الغرب تقليدا تاما ، وهاتان النظرتان فى رأس الدكتور الجمالى لا تحققان مطامح العالم الاسلامى الناهض ويرى الاخذ بفلسفة تعليمية تبنى على الاسس الآتية :

1) درس أوضاعنا ومشاكلنا الدينية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ٠

2) درس تراثنا التربوى الاسلامى ٠

3) درس ما حققه الغرب من انجازات قيمة فى الحقل التربوى ٠

4) صوغ فلسفة تربوية مجددة للعالم الاسلامى تكون محصلة درسنا لاوضاعنا وتراثنا ٠

5) القيام بتخطيط تربوى شامل يؤمن لنا الانتقال من حاضرنا المتخلف الى مستقبلنا الزاهر ٠

6) اعداد الوسائل من مال ومربين ومراوق وكتب وأجهزة وأدوات تربوية لتحقيق هذه الاهداف ٠

وبعد فهذه هى خلاصة مقترحات الدكتور فاضل الجمالى وكم اتمنى أن يؤلف الدكتور الجمالى كتابا يعالج فيه هذه المشكلة الحساسة من مشاكل العصر ويتم تداوله فى كافة أرجاء الوطن الاسلامى ٠٠٠ اذن لظفرت المكتبة

---

(5) مجلة الفكر عدد ديسمبر 1980 ص 18 وما بعدها ٠

العربية والاسلامية بكتاب قيم يضيء الطريق أمام المسؤولين عن التربية وأمام الاجيال الصاعدة على السواء ...

والحديث عن القرآن الكريم المعجزة الكبرى حديث لا ينفك ولا تبلى جدته.. وكل يوم يتأكد فيه أمام الباحثين ذوى العقول المستنيرة الخالية من التعصب عظمة هذا الكتاب بدلائل جديدة لم تكن معروفة فى العصور السابقة ...

ولعل خير ما أختتم بـه هذه الكلمـة هـو الاشـارة الى مقـال (اعجـاز القرآن يظهر فى العقل الالكترونى) (6) الذى أعده أصلا فى صورة بحث علمى بالانجليزية الدكتور رشاد خليفة وقام بتعريبه الاستاذ توفيق بن سلمونة .. وقد نشر البحث لاول مرة فى الولايات المتحدة الامريكية وسجل الدكتـور خليفة النتائج الاولى لابحاثه فى مكتبة الكونجرس سنة 1972 .

وفى القسم الاول من البحث ابراز لبعض الحقائق التى اكتشفها العلمـاء وكان القرآن قد شار اليها قبل هذه الاكتشافات بمئات السنين ومـن ذلـك مثلا :

1) عندما اكتشف العلماء أن الارض تدور حول نفسها وحول الارض اندهش الناس وقد أشار الى تلك الحقيقة القرآن الكريم (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شيء) (سورة : النمل آية 88)

2) عندما اكتشف العلماء أن هيكل الارض كروى اتضـح للـدارسين أن القرآن قد ذكر تلك الحقيقة فى سورة الزمر آية 5 . (خلق السماوات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وكلمات هذه الآية كما يقول الباحث تؤكد ان دوران الليل والنهار والنهار والليل لا تكون الا اذا كانت الارض مستديرة .

3) عندما اكتشف العلماء أن الشمس منبع للنور وان القمر ليس الا عاكسا لاشعة الشمس اتضح أن القرآن الكريم قد أكد هذه الحقيقة عدة مرات (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) (سوره يونس آية 5) ثم (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل منها سراجا وقمرا منيرا) سورة الفرقان آية 61 ثم ايضا (وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) سورة نوح آية 16.

(6) مجلة الفكر عدد ديسمبر 1980 ص 37 ومابعدها .

وينص الكتاب بعد ذلك الى عرض ما اثبته العقل الالكترونى من ان الآية الكريمة (بسم الله الرحمن الرحيم) عدد حروفها 19 تكررت كل كلمة منها 19 مرة أو اضعاف 19 فى القرآن الكريم وقد وردت كلمة بسم 19 مرة تماما وردد لفظ الجلالة الله 2698 مرة اى 142 × 19 وجات كلمة الرحمان 37 اى 19 × 3 كما جاءت كلمة الرحيم 114 أى 19 × 6 ٠

ويخلص المؤلف من ذلك الى ان قوة تفوق قوة البشر هى التى أحكمت آيات القرآن الكريم وصدق الله العظيم (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) سورة هود آية 7 ٠

وهكذا لقى الاسلام فكرا وعقيده ومنهجا كل حفاوة واهتمام من مجلة الفكر٠

تحية لمجلة الفكر فى عيدها الثلاثين والى الامام دائما فى اعلاء راية الفكر الحر المستنير وخدمة العروبة والاسلام ٠

فوزى عبد القادر الميلادى
(مصر)

الفكر

الفكر لا كفؤا له احد ، ولكن
والد فى كل شهر يولد
متولد من سورة الاخلاص عن
خبر يفين مبتداه محمد

ص٠ ش

تحية الفكر

شعـر : الهادى عبد الملك

مجلةَ الفكـرِ باركْ أيُّها الفكرُ
واذكرْ مفاخرَها ما أمكنَ الذِّكْرُ
لا يملكُ الحرفُ إلاّ أن يعانقَها
فليسَ للحرفِ إلا الصدقُ والشكرْ

* * *

ياروضةَ الوحيِ إنّي طائرٌ هَزِجٌ
لي في ربوعكِ جولاتٌ ولي وَكْرُ
ولست وحديَ مفتونا وبي شغف
ولا هواكِ على بعضِ الورى حَكْرُ
لئنْ تغيّبتُ أعواما .. أعودُ كما
يعودُ للخمرِ منْ أقدَارُه السُّكْرُ .

نظرات في الشعر التونسي من خلال مجلة « الفكر » 1955 - 1985

بقلم : عبد العزيز قاسم

– 2 – (*)

لقد استمر الشعراء الذين نشطوا العشرية الأولى يكتبون في العشرية الثانية ولكننا سنحاول النظر في حركة شعرية تميزت بها المرحلة الجديدة نعني ما سماه الاستاذ البشير بن سلامة حركة « في غير العمودي والحر » التي كانت منبرا لأصوات شابة نذكر من بينها على الخصوص احمد القديدي ومحمد الحبيب الزناد وفضيلة الشابي ، وقد جاءت هذه الحركة تمردا على القواعد الشعرية المعروفة التي تقوم فيها الموسيقى على موازين ايقاعية معروفة لا تتغير يجب على الشاعر اتباعها مهما كان الغرض والموضوع ، فالشاعر الذي يكتب في الحب في الحزن ، في الفرح ، في موضوع سياسي وغير ذلك من المواضيع مضطر الى استعمال نفس الوحدات الايقاعية بحيث يبقى الجرس الموسيقي واحدا في كل الحالات الامر الذي يؤول بالشاعر حتما في نظر اصحاب هذه الحركة ، الى التكلف والرتابة ، ومن ثم الى الحد من القدرة على التعبير المناسب للموضوع المناسب ، ولا يتعلق الأمر باستبدال القواعد البالية بقواعد عروضية جديدة تؤدي آخر الامر الى نفس المأزق، فضلا عن كون **عبقرية اللغة لا تسمح باستنباط تفعيلات جديدة غير التفعيلات الخليلية** لذلك وجب الغاء العروض نهائيا باعطاء الشاعر حرية مطلقة هي وحدها الكفيلة بايجاد اجراس موسيقية جديدة لا تحد، هذا هو المنطلق النظري لحركة « في غير العمودي والحر » اما من حيث التطبيق فان الجماعة ترى ضرورة ايجاد ايقاع داخلي مرن للأبيات لا تقوم فيه الوحدات

(*) انظر الفكر · ع 1 – س 31 – اكتوبر 1985 .

الايقاعية المعروفة أى التفعيلات المتماسكــة المتضامنــة بدورها المعتاد بــل إن الحروف سواء في تحركها المسطح أو في سكونها ومدها هي التي تعطي البيت موسيقاه السمفونية في لهاثها وتشنجها أو سيولتها وانبساطها ، في تصعيدها المتأزم أو في انحدارها المتلاشي ، والشاعر في كل ذلك حر كامل الحرية يتعامل مع الحروف دونما رقيب ســاهر على الحــدود يمنــع عليه تخطيهــا وبذلك تصبح كل قصيدة من صنف « في غير العمودى والحر » تجربــة شعرية قائمة الذات يتحمل فيها الشاعر مسؤوليته كاملــة وتتسم بمزاجــه وذوقه . ولقد واجهت هذه الحركة معارضة شديدة من قبل المتمسكين بالقواعد محافظة على ايقاعات اثبتت جدواها طوال القرون علاوة عن أنها مظهر مــن مظاهر الاصالة وكان رد الجماعة هو أن القدامى كان لهم فضل استنباط انغام تتماشى مع أصوات عصرهم التى كانت تتسم بالانسجام أما اليــوم فان اصواتــا جديدة احدثتها الآلة المتطورة في المصنع والطريق العام ثم انه لا يجوز لأحد أن يمنع غيره من استنباط ما يعتقد أنه أكثر ملاءمة لمزاجه وطرافته على غرار ما يجرى في الموسيقى السمفونية والجاز . ولسنا هنا في مجــال الحكم لهــذه التجربة أو عليها إلا أننا مضطرون الى أن نلاحظ أنها قد انتهت على ما يبدو ، إذ سرعان ما اصابها في الظاهر على الاقل ، ما يشبه الاعياء والارهاق . **فالقواعد قويــة تنتقم وتثار ولا يمكن مقاومتها الا بقواعد جديدة تعوضها وهو ما لم يحصل** وما كان ليحصل تبعا للمنطلقات التى قدمنا . وهناك صورة يجوز أن ننطبق علىهذه التجربة هي أن الشعر فيها بقى مادة خاما أشبه ما يكون بالنبات البرى في حيويته وألوانه الفوضوية خلافا للشعر العمودى وفي درجة أقل للشعر الحر وهما أشبه بالحديقة المخططة المنسقة . وفيما يلي نماذج مــن هذا الشعر الذى نستطيع أن ننعته بالمتحرر . في قصيدة بعنوان « الرقصة الاولى » ترمز بها فضيلة الشابي الى ضرورة تجديد الخلق في انتفاضة التغييــر والبحــث عــن المطلق تقول الشاعرة :

سارقص فــوق زلازل الارض
رقصتــى الاولى
ساخاطــب الانســان
بالكلمــة الأولى
وابــكى ... (38) .

---

(38) الفكــر 1970 ، 5 ، ص 6 .

وتستمر القصيدة فى مقاطعها الخمسة لتعيد ترتيب الاشياء ولتستحدث « واقعا » جديدا وتبكى ، لتفتح « ابواب الدنيا وتبكى » ، لتمزق الأقنعة وتبكى موظفة الدموع « لصنع المرايا » التى تؤكد بانعكاسها حضور الارض فى تحديها للغناء . ثم تنتصب فضيلة الشابى كاهنة لهذا القرن تستمع إلى :

اصـوات ـ اصـوات
تـدق اعمـاق الأرض
اصـوات ، رفـض للمـوت
اصـوات ، رفض للصمـت
رفض لصمـت الله (39) .

وتلك فى نهاية الأمر هى الاصوات التى يريد هذا الشعر الجديـد أن ينطق بها لأنها :

لغـة الارض ـ تحطيم للمدى
اصـوات ـ لغة الغضب ـ والرجاء (40) .

القضية كلها فى عالم فضيلة الشابى قضية أصوات حتى لو تعلق الأمر بالماء ينبـوع الحيـاة :

رايـت المـاء فى الليـل
صوتـه ـ وشوشـة ـ همسـة ـ لغـة
لغة معطـاء ـ وثبة فى الضياء ـ
تزرع البرتقال ـ فى اعين الأجيال
وتبحث فوق نافذتى الحقيقـة
رايت المـاء فى الليل ـ يتحدى الويل (41) .

هذه الاصوات الجديدة تسوقها الشاعرة الى « الصغار » الذين يمثلون الجيل البكر ، الجيل الذى لم تفسده القوالب الجاهزة ، الجيل الذى تدعوه إلى زرع اللعنة فى عالم الكبار ذى الاسوار العالية ، تدعوه إلى قذف الكرة السوداء فى الأعين الحزينة حتى « تعمش لوعة الانفجار » :

---

(39) الفكـر 1970 ، 6 ، ص 59 .
(40) الفكر 1970 ، 6 ، ص 59 .
(41) الفكـر 1970 ، 9 ، ص 60 .

نحـن الصغار ـ لا نعـرف الكتابة
لا نعـرف قول الشعر ـ لا نعـرف الخطابة
نحن فى أعماق الكلمة ـ ضربنا الكآبة (42) .

بهذا الاسلوب اللاهث المتقطع تقاوم الشاعرة الكتابة المألوفة فهل نجحت فى ابداع كتابة جديدة ، أم انها بقيت كما تقول وتعترف « لا تعرف الكتابة » ؟ إن شعر فضيلة الشابى على تمزقه مشحون بالصور العنيفة والطريفة :

أتذكر ... ـ حينما كنا نجذب الموت من ردائه
ونختفى وراء الشمس ـ اتذكر .. اتذكر ...
حين قدمـت لى قـوس قـزح
أرجوحة سمائية ـ وطردت الخوف كذبابة
من مقلة البشرية (43)

ماذا يبقى من هذا الشعر لو حذفنا منه هذه الصور ؟ لا يبقى سوى الانفجار الذى يأتى على كل شيء ، يتلف كل شيء ، يتلف هذا الشعر نفسه .

ولعل قصيدة «علاقات» لمحمد الحبيب الزناد تصلح أن تكون مفتاحا لشرح الظروف الخاصة بظهور هذا الشعر الذى أعلـن العصيان عـلى التراث وذلك لانهيار القيم التى ظل هذا التراث يحملها عبر القرون فلقـد ظهـر « فى غيـر العمودى والحر » فى بداية السبعينات وقد جلس العالم العربى عـلى حافة درب التاريخ يهضم هزائمة العسكريـة والحضارية فى حين أخـذت الاجيال تقطع سلاسل الصبر لتثور على السلطة العاجزة ولتعبر عن أزمة الثقة الـتى باتت تسود العلاقات مع الناس ، مع الواقع ، وحتى مع الذات :

الشمس الباهتة ودهشة الوجوه
تنم عن بياضاتي وعنقلقي
فى عالـم تعـوزه النجابـة
يضـرب العصفـور الواحد بحجرتين
ولا يطيـر ...
تكـذب عـلى ـ وأكـذب عليـك
تربطنـا علاقـة كذابـة (44) .

---

(42) الفكـر 1970 ، 10 ، ص 25 .
(43) الفكـر ، 1970 ، 1 ، ص 50 .
(44) الفكـر 1970 ، 3 ، ص 17 .

وقد يحسن بنا الوقوف عند قصيدة بعنوان « دعاية مغرضة » تصلح ان تكون بيانا شعريا لهذا الصنف من الكابة يعبر عن حدوده ونسبيته ويحــدد مقاصده البسيطـة :

قصائــدى ـ لا تحمل طعم قديم الشعر
وكثيرا ما تعبر عن شكل هذا العصر
عن مشاكـل هذا العصــر
فهى إذن قصائــد شكليــة
قصائــد عصريــة (45) .

ثم يضيف الزناد أن هذهالقصائد « لاقصد لهــا » « فهى مقصودة لذاتهــا » وليست « نصوصا صحيحة معتمدة » « ولا اعمالا باقية مخلدة » إنها « تعيش يومها فى يومها » تندد بالعار فى زمن الفضيحة ولا أغراض فيها سوى الاغراض الشخصية . من الواضح أن الشاعر يكتب لتصفية حساباته مع الآخرين كل الآخرين وفى لحظة من اندر لحظات الصدق يقول الشاعر :

قصائدى خاليــة من الايقــاع
وهى كالبدعــة ـ تنقصهــا الدعابة والابــداع
ولا أبعاد فى قصائدى ـ فهى كالبذاءة تمجها الاسماع
وهى كراس امراة حبلى تشكو الصداع
وهى خائنة للمبدا
ستصــدر ضدهــا بطاقة إيــداع !

هذه القصيدة تحتكر الانتباه وهى تتميز بتناقض ينم عــن براعة فائقة فهى معقدة فى بساطتها دعة فى نواضعها موقعة منسجمة فى تشويشهــا وهى حبلى فعلا ولكنها نرفض الولادة القيصرية وليس فيها سوى خطأ تقديرى واحد هو أنه لم تصدر ضدها بطاقة ايداع فهى الخارج عن القانون ترتع فى الطرقات ولا أحد يطالب بالقاء القبض عليها . وفى الجملة يجب أن نلاحظ أنها القصيدة التقريرية الوحيدة التى تخلو مــن نفس شعرى حقيقى . « فى غيــر العمودى والحر » شعر شق عصا الطاعة ففجر كل شىء واصبح يطالب بحق «الفوضى»

---

(45) الفكــر 1970 ، 9 ، ص 71 .
(46) الفكــر 1970 ، 9 ، ص 72 .

فى أن تقوم بذاتها فى عصر تخلخل فيه النظام وهذا ما يعبر عنه أحمد القديدى بطريقتــه :

يا بائع الورد ـ بعنى بنفسجة وحشية
نبتت مثــل ـ على الجبــال الجــرد
نبتــت رغم الاعاصيــر ورغم البــرد
تحمــل للــتى احبها ـ اصدق ما عندى :
فوضاى ـ فوضاى ... (47) .

إن هذا النوع من الشعر يحتاج الى دراسة مفردة فقد انتهت التجربة بالتفرع الى مذاهب وملل وفق « الفوضى » التى نفخ فى عواصفها ، والجديــر بالملاحظة ان هذه الحركة الشابة الساخنة لم تمنع ظهور شعراء شبان آخريــن احتفظوا بالقواعد ومن هؤلاء رياض المرزوقى المتأثــر بنزار قبانى وجعفــر مــاجد فى نسائياتهما ، وقد فاضت قريحته عن قصائد غــزلية تعــددت فيها المواعيــد واللقاءات والهجران وفيما يلى انموذج من هذا الشعر فى قصيدة « العيد » التى أهداها الشاعر الى « حمامته الغالية ف » .

اشكرها ـ تركتنى فى العيد وحيدا
لم تبعــث لى حــتى برسالــة
صنعــت مــنى تمثــال ضآلــة
... وحــدى فى الغرفــة
أحلــم بالعيــد المقبــل
بفتــاة وقفــت فى شرفــة
أنتظر الايام الحلوة فى لهفة (48) .

وتتعالى أصوات المتزمين ضد شاعر يتغزل ويخطب ود النساء وروما تحترق ولكن رياض المرزوقى يصر على ذلك ويمعن فى حبه ويثور على شعر «الشعارات»:

ما اجمــل ان نصرخ : « وا فيتنــام ! »
ما اجمــل ان نحطم الهندسة القديمة

(47) الفكــر 1970 ، 8 ، ص 30 ـ 31 .
(48) الفكــر 1971 ، 4 ، ص 39 .

ما أجمل أن نثــور ضد الفقر والسقــام
ما أجمل أن نذيب فى المشاعر العظيمــة
حنيــن الف عــام
طعامنا كلام ـ منامنا كلام
معــذرة يا موطنى ـ اتخمنا الكلام (49) .

وتلـك هى المعـادلـة الصعبــة التى اهتــدت مجلـة الفكـر الى العمـل بها : اعطاء فرصة الكلام لأنصار الكلام ومناهضيه ، ومــن هنـا سطعت هذه الفسيفساء الشعرية ذات الالوان المتناغمة رغم أنف اصحابها .

صوت آخر ظهر فى هذه الفترة التى كثر مخاضها العسير أحيانـا والخصب دائما ، هو صوت المنصــف الوهايبى وهــو شاعر مثقف مشغــوف بالتــراث وبالحداثة ويبدو أنه كان متأثرا بالشاعر الامريكى « والت ويتمن » الذى جعل اسمه عنوانا لاحدى قصائده فنظم المنصف الوهايبى هو أيضا قصيدة بعنوان « المنصف الوهايبى » ولكن فردية هذهالقصيدة « المركزية الأنـا » ذات قيمــة جماعية بالتأكيد ، فالمنصف الوهايبى هنا اسم جنس يتضمن ضيــاع الشباب العربى فى هذا الزمن الردىء ، الشباب العربى « الممدد فى ساحة الاعدام » تحت سنابك « خيل الروم والافرنج » :

... عرفت الليل والماخور أيتها المدينة .. يا غراب البين .. يا نقالة الموتى
اضعت ملامح الطفل الذى كان اسمه «المنصف» .
وكم أدمنــت خمر الموت فى حاناتــك الحمراء حين رأيت فى الأحلام
واليقظــة « أبا الطيــب »
يطوف امام باب القصر وهو يبيع ماء الوجه يلبس جلد حرباء
وحين رأيــت خلانى تقودهــم الوصوليــة
اضعــت طفولتــى فيــك
ونمــت عــلى مقاعدك العموميــة (50) .

يتخذ التركيز النرجسى بالضمير وبالتسمية بعدا مأسويا كبيرا فقد وقع

---

(49) الفكـر 1972 ، 5 ، ص 36 .
(50) الفكـر 1971 ، 10 ، ص 36 .

توظيف الذات لغرض بعيد كل البعد عن الرمانسية ، ان الامر يتعلق هنا بمحاولة يائسة للمحافظة على الهوية فى مهب رياح الضياع والاستلاب، وللشاعر قصيدة أخرى عنوانها مخالف تماما لعنوان الأولى فهو « لا أحد » ولكن مضمونهما يكاد يكون واحدا فهو مشحون بمأساة الهوية ، مكثف بعذابات القرون ففى قديم الزمان قال الشعر شاعر مخالفا بذلك قرار السلطان الذى قال «ثلاثة ليس لها وجود ـ الحب والاشعار والورود» فعلق « فى السوف فى رابعة النهار » وتمر الأيام والسنون والقرون فيبعث الشاعر حيا ورغم انتصار الحياة على الموت فان ناموس الكون لا يتغير :

كانت نهايتى بدايتى ـ وعندما افقت
وجدتنى معلقا بين السما والارض
انتحل الاعذار ـ وكانت الامطار
تهطل فى شوارع المدينة ـ بغير حد
ولا أحد ـ يطرق باب الصمت ، آه لا أحد (51) .

لقد كان الشعر التونسى فى العشرية الأولى للاستقلال ولمجلة الفكر يتقد حماسة ويتوهج تطلعا إلى الآفاق الجديدة ولكن سلامه كانت قصيرة وبعد هزيمة 1967 انقطعت خيوط الرجاء فى العالم العربى وظهر جيلان جيل مأزوم يحاول تحريك السواكن بدءا بجلد الذات وجيل آخر مهزوم يراوغ وينافق وهو الذى يصوره عبد الله الكحلاوى فى قصيدة قاسية يفر فيها بأن الاجداد من حقهم أن يرجموا أحفادهم عشاق الهزيمة الذين نمر بهم الفصول يتجمدون فى الشتاء ، يموتون فى الرماد ، ثم يأتى الربيع فيدب الماء فى العروق فنحلو العودة الى الأفيون ، وماذا فى الصيف ؟

فى الصيف نبكى جرحنا ـ نمزق الستائر ـ ونبلس السواد ـ
لكننا يا جدتى ننافق ـ لأننا فى الليل ـ
نعانق الماخور والكهوف ـ ونشرب الجنس ونحن فى خسوف
وفى الصباح ـ نعود للبكاء ـ نعود للنواح (52) .

---

(51) الفكر 1971 ، 4 ، ص 63 ـ 64 .
(52) الفكر 1971 ، 5 ، ص 91 .

لقد سبق لرياض المرزوقي أن قال متهكما « ما أجمل أن نصرخ : وا فيتنام ! » وفي الحقيقة لم يكن من السهل أن يصرخ الشاعر التونسي « وا فيتنام ! » فقد كان الموقف الرسمي محايدا ولابد في هذا المجال من التنويه بشجاعة مجلة الفكر التي احتضنت قصائد عدد من الشعراء ممن تضامنوا مع نضال الشعب الفيتنامي ، فهذا منور صمادح في قصيدة بعنوان « هوشي منه » يحيي هذا الزعيم بوصفه قائدا وشاعرا :

ايها الشاعر يا صحو الضمير   في المغيرين على الشعب الصغير
انت روح ثار في اعصابنا   زلزل الارض على كل مغير
دمت للانسان تعلي صوته   عشت للرايات والنصر الأخير (53)

أما جعفر ماجد فقد هاله ما روته الاخبار عن «نهر الميكونغ» يجر الضحايا الفيتناميين ابطال الكفاح التحريري فيخاطب النهر متأملا في منزلة الانسان وفي معنى الحياة والموت ، الموت الحقيقي والموت المجازي وما أكثر الموتى :

واصل سبيلك واسق السهل والحزنا   واجرف ضحاياك لا تطلب لها سفنا
.. العالم انهار حتى عاد ساكنه   لا تشتهي روحه أن تسكن البدنا
حضارة اليوم لا يحيا بها بشر   إن لم يكن ميتا في ذاته عفنا
.. هناك مات شجاع صان عزته   وآخر بسياط الذل مات هنا
.. وثالث في كهوف الليل ترقصه   مليحة خلفت في قلبه الشجنا
يا ضيعة العمر نقضيه بلا هدف   مثل الضفادع واديها بها افتنا (54)

ويهتز الشاعر محيي الدين حريف هو أيضا لمأساة الفيتنام فيتلقى « أصوات » المناضلين في الادغال والعاملين في الحقول يصرخون في صمت :

اسمع الآن أصواتهم
وكأني أنا بينهم أزرع الارز اغرف ماء البحيرات
اروي به كل غابة
واراهم هنا من بعيد

(53) الفكر 1971 ، 10 ، ص 4 .
(54) الفكر 1970 ، 9 ، ص 50 – 51 .

فيجذبني فيهم الصمت يخنق جند الكآبة
إنهـم في عيـون المنايـا
... في الوجوه التي لم تذق من سنين طعام الفرح
... يصنـع الحـزن عكازة للعجائـز
ويحيـل طريق الجنائـز
معبـرا لانتصارات هذا الذي حارت الناس فيه (55) .

إن التضامن مع كفاح الشعوب ايمان من قبل الشعراء التونسييـن بوحدة النضال التحريري حيثما كان وفرصة لتذكير النفس والآخـرين بالقضايـا القومية وبازمة الحرية والقيادة في الوطن العربي حيث مازالت نكبـة حزيران ترج الارض وتسحب البساط من تحت الاقدام . ويثور جعفر ماجد على الاصنام التي يتحتم تحطيمها ببنادق الكلمة .

رصاصـة الحـرف إن سددت طلقتهـا تطـوى العصـور وتجتـاز المسافـات
وفي عيـون طغـاة الأرض عاصفـة نثيرهـا نحـن ، قبـل الانقلابـات
يـا امـة وهبـت للكـون سادتـه لم ينضب الوحي في ارض النبوءات ،
لابـد أن تسقط الاصنـام ثـانيـة ويفتـح الشعب ابواب السماوات (56)

لابد إذن من العودة الى الاصول لمقاومة الجاهلية الجديدة التي تسببت في انطفاء النجوم وسدت الطرقات في وجه المسيرة ، وهكذا تكون العشرية الثانية للفكر من أخصب المراحـل عطاء وقلقا يسودها ضباب الألم الـذي سرعان ما تمزقه ومضات الايمان بالمستقبل هذا الحقل الصعب الذي تحرثه أقلام الشعراء فتنتشر الواحات في صحراء الظما .

العشرية الثالثة تتسم بالاستمرار استمرار الحميـة والدفاع عـن القضايا العادلة وفي مقدمتها قضية فلسطين التي ظلت جرحا نازفا في قلـوب شعرائنا على اختلاف اتجاهاتهم واختياراتهم . وبمناسبة احتضان تونس للمؤتمر العام الثاني للاتحـاد العام للكتـاب والصحافيين الفلسطينيين شـارك الشعـراء التونسيون في اثبات هوية الشعب المشرد ومساندة حقوقه الثابتة ولـم تكن

---

(55) الفكـر 1975 ، 9 ، ص 44 .
(56) الفكـر 1973 ، 8 ، ص 22 .

القصائد عنترية بل هادئة هدوء الصابر الواثق من نصره ذات يوم ويتضح من خلال هذه القصائد أن الشعراء التونسيين يعتبرون القضية الفلسطينية ذات بعدين بعد وطني عربي وبعد انساني شامل لذلك عندما يتغنى أحمد اللغماني بالحرية انما يتغنى بحرية الانسان الفلسطيني والانسان في كل مكان ، فالحريـة حق للجميع وجب على الأحرار أن يدافعوا عنه وفي اعتقادنا أن القيادات العربية قد ملت قضية فلسطين ولو كان بامكانها أن تتخلى لتخلت عن الارض والعباد ولكن الشعر لهم بالمرصـاد :

مـن اجلـك يرتشف العلقـم
ويغني الجرح النازف في الاعماق ويعزف قيد المعصم
من أجلـك تختـزن الطاقـات كعفريـت وسط القمقـم
كي يطلق إن حان الميقات فلا تختار ولا ترحم
يمتد الصبر بصاحبه ويجـف على الجرح المرهم
لكـن لابد مـع الايام لبذر النقمـة أن ينجـم
من اجلك تنقلب الانفاق الى ابراج عاجيه
والى شرفات شرقيه
تستروح منها الحرية (57) .

هذا الشعر الصادر عن المعاناة والتـأمل ، يريـد أن يكـون حـافزا على العمل الطويل الشاق وما ابعدنا به عن شعـر الشتائم الصـادرة في لحظات الانفعال المسطـح . ومن مهمات الشاعر اعداد طينـة الابطال للبـذل والعطـاء

والتضحيـه وكذلك تخليد هؤلاء الابطال بعد استشهادهم ، وهذا محيي الدين خريف يهدي قصيدته « الاقمار الثلاثة » الى « أم اسامة التي فقدت ابناءها الثلاثة على أرض الثورة الفلسطينية فصمدت وحثت الباقين على مواصلة الكفاح » .

تـوقـــدي
فخنجـر الليـل مضيء في يـدي

---

(57) الفكر 1977 ، 7 ، ص 33 .

وهـم على البعـاد
اقمـار اسفارى وزوارى بـلا ميعـاد
قدمـاى عـلى شـاطىء الحـزن
أما دمى فشراب الثرى حين يعطش
وفى داخـلى لاغـب الحقـد يبطش
لو ترانى أعانـق صدر الذى عاد بعد الغياب
ألثـم الشمس فوق التـراب
المـس الثـوب ثوب فلسطين بين الثياب (58) .

هذه القصيدة تحية للأم العربية الحزينة التى تحول نيران الألـم إلى شمس تلثمها فوق التراب شفتين تتحديان اللهب . تلك هى الأم الجديده التى تلد حراس الحرية وتستحث الباقين على نشدان الحياة ليبعثوا أحياء .

تعلمـوا ، تعلمـوا كيف يمـوت الزهـر
وكيف تسفـح السمـاء مدمع الأمومـه
ينتفض الرعـب إذا زار الشهيـد القبـر
وتتمـادى رحلـة الديمومه (59) .

الشعر ضمير الأمة وسجل أيامها ومن واجبه تفجير ينابيع الضـوء فى ليل اليأس ولكن هذا الدور الاساسى الذى يلعبـه الشعراء ابقاء للقيـم والحميـة لا ينسيهم الامراض الداخلية التى تنخر الجسم المهدد من الخارج فلابد لهم من أن يشهروا « بأرض الجبن والجهل » . يقول نور الدين صمود :

محترفو خنـق الاحـرار
من لا فـرق لديهـم بين الأفكار وبين الابقـار
نصبـوا لرعاية نشر الافكـار !

---

(58) الفكـر 1977 ، 7 ، ص 89 .
(59) الفكـر 1977 ، 7 ، ص 90 .

لا يخطر هذا فى العقل
لكن يحدث فى شعب يتفشى فيه الجبن مع الجهل (60) .

ويبقى الشعر مع ذلك معدن مقاومة للجبن والجهل ومصدر انعتاق وخلاص ومحطة رجوع الى الوطن كما نشير الى ذلك ابيات محمد عمار شعابنية :

ارادوا لنا خندقا وزريبه
واسيجة خلفها كيف يلقى حبيب حبيبه
وها أننى اتوصد منك باغنية الاجتياز
لنخرج من جرح هذا الزمن
ونعبر فى فرحة واعتزاز
طريقا إلى شرفات الوطن (61) .

شعر الشباب يطفح حزنا ووجعا ولكنه لا يعاد أبدا الى المراره العاجره ففى هذا الشعر ايمان منفذ بالحب المطهر وبنجاعة الغناء كما يتبلور فى قصيدة ليوسف رزوقة بعنوان « والرياح عادة تأتى لواقح » :

عطشى والبحر الابيض المتوسط يرسف فى السلاسل
قيل لى : إن العصافير تغنى فى بلاد الواق واق
فرحلت بجناحين من الشوق
وكنت فرحا جدا وكان الغليان
فى شرايينى .. وكان الخفقان
فى دمى الأزرق
من أين دخول الفيضان الدموى يكون ؟ لا يهم
فدليلى منتهى العشق
وهذا العشق عند الشدة ـ الردة مفتاح (62) .

ويحرب الشاعر الرحيل إلى المدن الحبالية البعيدة فلا يجد ضالته بل يزداد اكسوا، ويكاد صوته يصمع وسط الساح وتعلمه التجربة أن كلب « بافلوف »

(60) الفكر 1978 ، I ، ص 124 .
(61) الفكر 1978 ، I ، ص 160 .
(62) الفكر 1978 ، I ، ص 169 .

يمكن ان يتخلص من الانعكاس الشرطي وأن يرتمي « في لحظات الصحو على طارق بابه » ومهما امتدت ألسنة دخان النسيـان ومهما اشتـد الرعب فـان الرياح المدمرة تأتي آخر الامر باللقاح فلا بد اذن من طلب «المزيد من العناء» ٠

شعراء الفكر يعدون بالعشرات والعشرات طوال العشريات الثـلاث ومهما ضاقت هذه الدراسة المقتضبة فلا يجوز أن نهمل اسم الصادق شرف صاحب القصيدة المسلسلة والابيات المطولة التي لا تعرف نهاية فهو بفيـض مـلامـا وغراما ويدعو الى « الهروب من الهروب » :

عجيب بضعف الهياكل منك استطعت التسلل بين سنابك خيل المصاعب
وبيـن وحـوش المتاعـب
ولست من الهاربين ولو تتكسر كوبا بكوب
ولو ان صوت المغرق ظل يهدد ظل يجذر فيك رصاص الرسوب
فكل هـروب ستهرب منه ، ستهرب منـه
وذلك امجد ، ذلك أسمى معاني الهروب ! (63) .

الصادق شرف لا يهرب واذا هرب فالى الامام فلقد سبق لـه أن راهن على انتصار الحب في زمن لا يحب ، انه طوفان شعري يجرف السماد يغذي العشب النافع وكذلك الطحالب والاشواك فاذا جاء الحصاد كان « موسم الشمول » موسم اتمام الكمال بغموض الحبيبة التي نموت الاسئلة عند قدميها :

غامضة إن تسألوا عن كنهها ينهزم السؤال
فليس من يرى كمن شجره الخيـال
وليس اشهى من تلحفي بها في موسم الشمـول
وربما لا استحي من ان اقـول
ما لا يجـوز ان تقبلـه العقـول
كان القول : ناقص هو الكمال ٠٠
لانها الجزء الذي يتمم الكمال (64) ٠

---

(63) الفكـر 1980 ، 7 ، ص 36 .
(64) الفكـر 1985 ، 10 ، ص 33 .

النقص مصدر الشعر وضمان ديمومته والشاعر هو الباحث أبدا عن المطلق ومن حسن الحظ أن يحتاج الكمال إلى التمام ، بقى أن نشير الى أن عشرية الفكر الثالثة خلافا لما كان متوقعا ظلت عشرية الشعـر هى الأخـرى بظهور مواهب جديدة يحسن إفرادها بدراسة خاصة الا ان هذا لا يمنع من أن يتضمن هذا العرض قبل انهائه الى بعض نماذج شعر الجيل الطالع الذى بلـغ النضج قبل الابان تحت حرارة الوجع وكثافة الحزن ، الحزن على تناقضـات الواقع وعـلى العجز الواعى عن التحكم فى اتجاه المركـب التائه فى الصحو والاعصار عـلى السواء لذلك يكتب البشير المشرفى « قصائد حزينة جدا » :

زمن الحزن يكبر فى وينطقنى بالروائـع
زمـن الحـزن رائـع
زمـن الحزن أغنيـة مسكونـة بالفواجـع
فلا تعجبوا ان أحبة ان كنت فى الشوق ضائـع
لقد رضـع الحـزن قلبى منـذ الولادة
هلا سألتم مرافىء وجدى ففى أفقها خبر الحزن شائع (65) .

وفى قصيدة بعنوان « اليوم لا تبكى الرياح عـلى دمى » يتبلور هـذا الحزن المتجذر فى القلب يرضع من دمائه ، إننا أبناء الحـزن وآباؤه وينهـل صوت الشاعر متدفقا لا توقفه الفواصل والنقط وكأنه سد منهار :

هذا انا العربى والجرح المعمق فى جبينى لونه العربى
شكل الحزن فيه كيومنا العربى – مجبول على الأحزان ...
يا صور الحطيئة والفرزدق والغزالى هل للونى فيك زاوية ؟
اليوم لا تبكى الرياح على دمى .. وارى رؤى الحلاج فاترة
وجـرح الغيـم منسكبا على الشرفـات .. يا عمرى تنكر لى الصنوبر
واعتلى الصفصاف قمة لوعتى .. من لاخضرار اللون حين
يلـف اركانى ويغمر مهجتى .. (66) .

---

(65) الفكـر 1982 ، 6 ، ص 7 .
(66) الفكـر 1984 ، 9 ، ص 22 .

هدا الحزن أجمة باسقة الاشجار اعشوشبت فيها الدروب فاذا هى أضيع من مفازات القحط ، وللمنفى اشكال وألوان يختنق بها الكلام ، الكلام المطوق والكلام الذى تلوح به اليدان الى حد الاجهاد فى شعر عبد الله مالك القاسمى :

تعبت يداى من الكلام
وفى دمى لم تهدإ الكلمات
يا صمت المدى
هل ذاك صوتي والصدى
غيم على غيم ولا مطر (67) .

ورغم هذه الغيوم الملتف بعضها ببعض يحاول الشاعر أن يحاصر الأمل فلا يفلح ومن خلال هذا الامل الحصار يستمر الشعر وفى استمراره تكمن الحياة ويبقى النضال ولو « انطبق الطريق على الطريق » وتواصل « الملحمة » ولو كانت ملحمه الخيبة كما يتلقاها حمبده الصولى

يشتد على قلبى وقع الازمات
اهادن حلما فرخ فى الاذهان خمولا
وبنادير الساحة تعزف ملحمة الخيبه
تحت ستار الظفر
... اتوسد احلامى وأنام على جرحى
واظل أردد فى حلمى يا ليل الصبر متى غده ؟ (68) .

وسواء توسد الشاعر احلامه ونام أو نهض وسار فان العاية لا تدرك ما دام السائر يمشى خارج الطريق وهو الوضع القلق الذى يصوره الحبيب الهمامى فى قصيدة « ذات ليل .. ذات حزن » :

اسير معى ... خارجا عن مياهى
ومستغرقا فى خرابى
امد عروقى لهذى المدينة فى آخر الليل

---

(67) الفكر 1985 ، 7 ، ص 84 .
(68) الفكر 1984 ، 7 ، ص 49 .

اشجــار حنـــاء
حـــتى تخصص لى نجمــة
فى تالقهــا أنســج الحلـم والحلـم يعلــو
يضيء ضلوعــى بوجــه امــرأة
تزغــرد اعضاؤهــا لى اداهمهــا بجميــع بقايــاى
من اجل ضحكتها المدفاة (69) ٠

من خلال هذه الشواهد يتبين أن القاسم المشترك بالنسبة الى هــذه المرحلة الشعرية هو الحزن والحلم ولكن الشاعر لا ينفك يداهم وفى ارادتــه أكثر من بقية ، وذلك هو المتبقى نحو ادراك الامل وتحقيق الحلم .

من خلال هذا العرض المنقوص بالضرورة قدمنا نماذج شعرية تعطى القارىء صورة عامةلجمهوريةالشعرالتونسي ونود أن نعتذر للكثيرين الذين استقطناهم من القائمة آملين فى العودة إليهم فى فرصة قريبة ومما يدعم هذا الاعتذار فى نظرنا هو أن كاتب هذه السطور قد أهمل أيضا مساهمنه المتواضعة الشخصية فى هذا العطاء الراحر . ومهما يكن من أمر فان الشواهد المقدمة كافيــة لابراز مميرات الشعر التونسي خلال العشرياب الثلاث الأخيرة فقد انتقل هذا الشعر من مرحلة الغضب العصبى الجامح الى الثورة المدمرة الكافرة بكل شيء ومنها الى مرحلة الحزن المشحون بالرعد والزوابع التى سىولد الغضب الجديد المجدد وان المقارن بين هذه اللوحات الشعرية يدرك أن ما حصل فى مجال الشعر من تطور حاسم انما هو ثورة حقيقية فى الشكل والمضمون وما كان ذلك ليحدث لو لا سياسة مجلة الفكر التى تعهدت كل المواهب وأزاحت عن طريقها كــل الموانع والعقبات فكان هذا الثراء وكان هذا التنوع .

ملاحظــة أخيره . كان انصار القواعــد الخليلية يتهمــون الشعراء الشبان الثائرين على البحر والتفعيلة بأنهم عاجزون عــن استيعاب الايقــاع العــربى الاصيل فأثبت هؤلاء بأنهم قادرون على ذلك فالتفعيلة لم تغب مطلقا عن أبياتهم بل أثبتوا انهم قادرون حتى على القصيدة العمودية موحدة القافية كما يتبين من الباقة الشعرية التى قدمها اربعة شعراء فى العدد الاخير من السنة الثلاثين

(69) الفكــر 1984 ، 7 ، ص 63 .

لمجلة الفكر التزموا فيها نفس الموضوع « تونس الحب ... تونس الياسمين » ونفس البحر والقافية وهى تجربة فى منتهى الطرافة من الابداع المشترك ، يقول عبد الله مالك القاسمى :

فقوا ايها الشعراء قليلا قصائدكم لا تروم الرحيلا
مكبلة بالمحتراب المعانى كبوصلة قد اضاعت سبيلا
.. احبك قرطاجة .. الياسمين تدفق فى القلب حلما جميلا
ولا تساليني فما ينفع العشـ ـق إن لم أكن قاتلا او قتيلا
فلى جسد طافح بالهوى لا يميل ولو حاولوا أن يميلا (70)

وينافس يوسف رزوقه صاحبه فيركب نفس الجواد حاملا قلبه الى نفس الحبيبة :

وحاولت ان ادلهم قليلا ولكن حبك ظل الفتيلا
احبك تونس إنى فتاك هوى فانتهى فى هواك قتيلا
اتى النبع فى كل وجه فصفق فى الكلمات الحمام هديلا
ولم يبق لى غير حلم يتيم تشكل عبر الرؤى أرخبيلا
أنا آخر الشعراء اشتهاء وأولهم نعرة وصهيلا (71)

ويأبى الشاعر الحزين البشير المشرقى ليلهى بأثقاله ، ليشرب وينام ويتحول كآبابه بمعجزة الحب الى واحة ظليلة :

اجىء لأروى لديك الغليلا واغفو على شاطئيك طويلا
أنا متعب يا بلادى فاين الـ ـمرافى... أمأطلب المستحيلا؟
انا خافق شاعر يستريح على ربوة الحرف إن هو قيلا
ولكنه تائه فاعذريه ولا تطلبى منه أن يستقيلا
فكل المواجع مهما استبدت اراها بفيئك كونا جميلا (72)

---

(70) الفكر 1985 ، 10 ، ص 15 .
(71) الفكر 1985 ، 10 ، ص 27 .
(72) الفكر 1985 . 10 ، ص 32 .

ولا يتخلف الصادق شرف المراهن على انتصار الحب ليؤكد أن الذى لا يعشق دخيـل على الشعـر :

احبـك تـونس والحـب فيـلا : يحقـق مـا قـد بدا مستحيـلا
بحبـك إنـى احقـق حلمـــا هو الحب مـا كـان حلما جميـلا
واجمل منـه انتصـار فسيـح على من على الشعر كـان الدخيلا
تمازج فينا الهـوى فاستـوينا فما كان فرعـا يصيـر أصيـلا
ومـا كان أصلا تنامى زيـاتين يغسلنا الظل منها غسيـلا (73)

لا نخفى أننا اغتممنا كثيرا طوال هذا العرض بقصائد كثيفة العتمة فجاءت هذه القصائد الاخيرة شبيهة بالشماريخ أضاءت مجموعة من النجوم القزحية فى ليل كاد يفقد كواكبه وبذلك ننم المصالحة مع أنفسنا ومع الآخرين وعدنا الى الأصل ، الى الحب ، حب الوطن وحب الناس ، الحب الذى هـو البدء والانتهاء بالنسبة الى كل شعر أصيل .

عـبد العزيـز قـاسم

---

(73) الفكـر 1985 ، 10 ، ص 44 .

تحية الفكر في عيدها الثلاثين

شعـر : عبد الرحمان الكبلوطـي

أطـالع بالشوق في كل شهرٍ عروسَ المجـلات في كلّ قطـرِ
وأقرأ أعدادها في ابتهـال قـراءة آيِ الـوصيّـات عشـر
فـألقى بهـا ما أنا أشتهـي : مقالات صـدق وآيـات شعـر
وفيـض أقـاصيصَ يجتاحنـا تـدفّق سيلـه في كـلّ سطـر
هيَ (الفكر) في عيدهانحتفي بذكرى ثلاثينها خيـر ذكْـرِ
هيَ الدّوحة المصطفاة هنـا تفيض على الكـون أطيـاب ثمـر
رعاها حريص على نبتهـا وأودع في قلبهـا خيـر بـذر
رسـالـة فـكـر تحملهـا رسـول البيـانِ بجـأش وصبـر
(مزالي) ومازال شهما طموحا سخـيّ الفعـال ، ومن غير حصر
يفجر في الجيل طاقات بذل فينمو التفـاؤل في كـلّ شبـر
يـؤازر سيـره مستبسـلا (بشيرٌ) تلقـّاه في وجـه بشـر
هما اثنان : هذا مدير قدير كساؤه بـ(الفـكر) حلّة فخـر
وهذا (بشيـر) رئيس لتحريـرها والأمين على كـل سـرّ
يسيـران بالفـكر في أرضـنـا مسيـرة شعـب أبـيّ وحـرّ
يصعّـر خـدّه للظّـالميـن ويـرفض أشكال عسـف وغـدر
ويصـرخ في وجـه أعدائنا ويـكسـب نصرا على إثـر نصر
كـذا من ثـلاثيـن عاما مضت رأينـا « المجلّة » في ضوء بـدر

ثنير الدياجي ، تفكّ الاحاجي وكلا تناجي بايات سحر
وتصبو لعهد جديد بفضل الحبيب المفدّى الزعيم الأبر

نصير الثقافة من نصف قرن ومنقذ تونس من ظلم دهر
لنحيا أعزاء في شعبنا وفي الجوّ نسمو على ألف نسر
ونطمس في الكون أعداءنا ونجرف أذنابهم جرْف نهر
ونقوى على كل من رامنا بسوء ، وقابَلَ خيرا بشر
فتونس أمّةُ خيرٍ عميم وفكر قويم ، ودرّةُ عصر
بلادُ السلام وأرض الأماني وروض موشّى بِفُلّ وزهرِ
عروس المدائن . أبناؤها أقاموا الدليل على حُسْنِ سير
وذادوا عن الأرض ذود أسود ولم يُسلمُوها بمال وتبر
فطوبى لابناء هذا الحمى صلات التآخي وآلاء طهر
وعاشوا يحبّون خضراءنا ويرْقون بالفكر في كل أمر
لتبقى المجلّة في سعيها على العهد تصدر في كل شهر

عبد الرحمان الكبلوطي

التوجه الحضاري بين محمد مزالي والبشير بن سلامة من خلال افتتاحية مجلة «الفكر»

بقلم : د. الهادي حمودة الغزي

ـ 2 ـ (*)

وفي هذه المرحلة مرت «الفكر» بطورين وهما: طور التعريف، والدعوة المطلقة لما آمنت به من حق . ولم نصادفها معارضة داخلية أو انكار خارجي لا عليها ولا على مؤسسها حتى اذا بلغت الفكر في اتجاهها درجة الترشيد وبدا اتجاهها يشكل مدرسة لها مريدوها ولها انصارها قفزت فقاقيع المجتمع وما أكثرها وأسوأها في مجتمعاتنا العربية ، واذا برد الفعل السلبي اتجاهها يأخذ خطا بيانيا صعدا وبخاصه بعد أن أسندت وزارة التربية القومية الى مؤسسها الاستاذ محمد مزالي · ومن هنا كانت بداية فترة الالتحام أو المجابهة الحادة بين اولئك «المستلبين ·· والمنشطرين ·· والمغفلين ··» (3) الذين آمنوا بالعودة «الى ما وراء الوراء» وبين مؤسسة الفكر ومدرستها فلقد كانت السبعينات ذروة للتحدى لان «الفكر» قد بلغت وقتئذ أشدها وأسمعت، وأقنعت . وتحلقت من حولها مواكب الاجيال من شباب الفكر والسن ، تلاميذ وطلبة ومعلمين وأساتذة بمختلف أصنافهم· مما أفزع دعاة «الورائيات» فاشتد كلبهم وتوالت الهجمات المسعورة على صاحب «الفكر» اقتناعا جهنميا من أن اقتلاعه من حلبة السباق يكفل لهم التغلب واستمرار التبعية فيما هم فيه (4) · ولقد كتب عنصر الزمن وقانون البقاء لما هو أصلح ولما هو حق ؛

(*) انظر الفكر عدد 1 ـ السنة 31 ـ أكتوبر 1985 ·

(1) الفكر أكتوبر 55 ·

(2) الفكر جانفي 76 ·

(3) الفكر ماي 77 ص 2 ·

فلقد أيد الله الفكر بجمعها بين القيادة التربوية رغم الهزات المؤقتة وبين قيادة اتحاد الكتاب التونسيين ، وأخذت تتوسع فى تطبيق تعـاليمها فى ميـدان التربية والتعليم بمختلف مستوياته وقد تزايدت المسؤولية فى بناء نهضتنا الحديثة بتولى الاستاذ محمد مزالى خطة وزير أول ومشاركة الفكر فى المخطط لما عسى أن تكون عليه تونس عام 2000 ٠

ولئن بكم الصم وصم البكم فى هذا الدور فان «الوراثيين» ما يـزال منهم بقية ٠ وخطورتهم متمثلة فى كونهم «تخفشوا» وارددوا نفـاقا فى التـدرع ومن هنا كانت الخطوره لان مجلة الفكر رضيت أو لم ترض اللسان الناطق فى البناء ، وليس فى ذلك ضير اذا اخلصت النيات ؛ ومن أين ؟ وكيف ؟ ٠ لذلك أكدت الفكر من جديد على استقلاليتها «ان الآراء المعروضه على صفحات الفكر لا تلزم الا اصحابها » (5) . ومع التأكيد على حريه المجله . وفى هـذا التوجه عادت تذكر برسالتها القومية وما كانت قد خططت له من منهج منـذ صدورها ٠ «فالمجلة الدورية تساير الحياة الفكـريه والادبيـه فى نبضـاتها وتقلباتها وطفراتها ، وتعيش حياة عهود الازدهار وفترات الركود ، وتخلق الاجواء من الحركة والحركة تعود بالفائدة دائما على الادب» (6) ٠

ومن هنا فان مسؤولية الفكر صارت متعاظمه والقضايا المستقبليه والمعيشة صارت بها اكثر تلبسا غير أن المنهج فى البناء ومقومات ذلك البناء بقيت هى هى وان ازدادت خطوط المعالم توضحا وتحديدا ٠ ولعلها تتمحور فيما يلى :

ـ السبل العلميه المنهجة فى تحقيق النهضة وبالتالى التوسع فى تحقيق الحضارة ٠

ـ تعانق فكرة العروبة بالاسلام ٠

ـ التصدى للنظريات الاحباطة على المستويين الاقليمى والجهوى وكذلك العربى الاسلامى ٠

ـ العمل من أجل ثقافة أصيلة نامية متحركة ، محركة ٠

---

(4) وخاصة فى أوائل السبعينات ٠
(5) الفكر جانفى 83 ص I ٠
(6) الفكر مارس 80 ص I ٠

ـ العمل على ايجاد أدب حي متفاعل وذلك بالعمل على تيسير وسائل التحصيل كترقية الكتابة العربية والتعهد اللغوى ·

ـ التربية والتعليم ومناهج الدراسة ·

وفى الوقت الذى كانت «الفكر» تحافظ ، رسالة ، على هذه المحاور العامة فان مواكبتها الوطنية والمغربية ظلت ضرورة لا محيد عنها ·

ونستطيع أن نؤكد على أن الفكر فى عشريتها الثانية انصبت بحثا عن الحضارة المنشورة والطريقة الناجحة اليها والمتمثلة فى البناء الاصلاحى · وأولى هذه الخطوات أن «نؤمن بوحدة الفكر الانسانى ونسعى الى تنشئة الاجيال على المحبة والوئام ، والتسامح» (7) · «وتبقى مسؤولية المثقفين فى الرؤية والنقد» (8) · لان الفكر الايمانى رسالة كل الشعوب والحضارة الحديثة أصوليا لم نكن حضارة الغرب وحده وان حاول أن يحتفظ فيها بالطابع · وفى هذا الاتجاه تقرر «الفكر» أن «اثراء الحضارة حق وواجب» ·· «يمارسهما ويتحمل تبعاتهما كل البشر» (9) · وهى بعد التقعيد حمل مقدس ؛ غير أن الاثراء يجب أن يكون مشروطا ؛ فالحضارة العربية قديما وفقت الى ايجاد ضرب من التوازن غير مخل بينما الحضارة الغربية أثبتت وجودها المبنى على الاستحواذ والتحريف والانانية ، اذ سلك الغرب بنهضته وحضارته مسلكا لا يخلو من تزوير للتاريخ وتشويهه · وقد تكفل بهذه المهمة السيئة المبشرون والسياسيون والتجار ولم يتخلف عن هذه الضلالة حتى مفكروه ، وموسوعاتهم شاهدة عليهم (10) · بما اشتملت عليه ، من «طمس الحضارات الاخرى ، (11) ومن ازدراء لعادات الشعوب» · ومما يزيد الخطأ خطورة أن الفكر الغربى عمل على ايصال تراثه الفكرى المشوه وتمريره فى ثنايا التفكير الغربى الحديث وصريح هذه الادلة : الدعوات العنصرية المتعالية من هنا وهناك ·

---

(7) الفكر فيفرى 77 ص 4 وما بعدها ·
(8) الفكر ، الشهر نفسه ص 5 ·
(9) الفكر ماى 77 ص 1 ·
(10) الفكر جويلية 77 ص 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 7 ·
(11) الفكر الشهر والسنة نفسها ص 1 ·

ما الحل اذن ؟

يتوجه الحل فى منحيين : غربى وعربى فالغربى هو أن يطالب الفكر الغربى بالاقلاع حيث « لفتنا نظرهم الى محو آثار الالتباس التاريخى الكبيـــر الـــذى أفسد علاقات الشرق والغرب منذ قرون» • و «استمرار ظـاهرة التعصـب العنصرية ، ومركب التفوق والاستعلاء» والواجب على الغرب فى هذا الصدد أن يعيد قراءة التاريخ ، هذا أولا وثانيا يجب أن يطالب «بتواضع فكرى» (I2) ثم التأكيد حد الاقناع والترسيخ بأن «المجتمعات البشرية لا ولن يمكن أن تكون خيرا فقط ولا شرا فقط بل انها كلها معقـدة يتصـارع فى صلبهـا وفى نفس كل فرد من أفرادها التقوى والفجور والجمال والقبح ••• المادة والروح ••• وانما تتفاضلون ويشرفون بمدى جهدهم وجهادهم فى سبيل نصرة القيم الانسانية السامية فى نفوسهم وحولهم ••» (I3) •

ومن هنا يمكن القول ان «الفكر» قد توصل بصورة منطقيـة اقنـاعية فى البحث الى تحقيق قاعده لا تعتقد الغرب يطمئن اليها أو يودها وهى أن حضارة الغرب الحديثة كسائر الحضارات لها ما لها وعليها ما عليها من سلبيات بـل ان ما يكون عليها لهو أكثر مما على غيرها لانها على عظمتها لم تتوفق فى أن تحوز بالانسان المعاصر «من العبودية الى العبادة الحق» • (I4) وبالتالى الى ايجاد الشرعية الفكرية من أن كل أمة وكل شعب له الحق فى الاثراء الحضارى «من وجهة» (I5) عبقريته ومن هنا يأتى الدور الحضارى المنتظر من العـرب ولسائر الشعوب الاخرى أى ان الحضارة طابعا ونماء ليست حكرا على أحد وأن الغرب دخيل فيها ومتأخر بشريا عن قوافل أمم الحضارة فى التاريخ •

اما فى المنحى العربى فان تحقيق الحضارة العربية الحديثة اذا قدر لها أن توجد فلا بد من أرضية لها ، بنوية تقوم على وسائل علمية ، تزال بفضلهـا العقبات الكاداء ومن بينها ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق والعهدة تقع أساسا على مدى توفق الفكر العربى فى حمل الغرب على «محو آثار الالتباس التاريخى الكبير •••» • ثم هداية «الفئة المقصودة من اخـواننا فى اللغـة

(I2) الفكر ماى 77 ص I ، 2 •
(I3) الفكر جويلية 77 ص 2 •
(I4) الفكر ديسمبر 8I ص 5 •
(I5) الفكر ماى 77 ص I •

والدين والوطن فاننا لم نزل نوقظ همم المستلبين ...» (16) وهكذا بحق نظهر جدية الفكر فى هذا الحقل ومعناها «ان نؤدى رسالتنا الحضارية ... وأن نتحمل مسؤولبتنا كامة من دون تردد للماضى أو محاكاة للغير» (17) أى أنه من الواجب على المفكر العربى أن يخرج من طور «التقرد» والتحنيط : على أن هناك أصولا لا يجور للعربى المسلم أن يفرط فيها وهو يكابد مجاهدة من أجل هذا الفتح الحضارى الجديد . وذلك بتجديد ايماننا بأن ما سنه الاسلام من قوانين «أسمى من أن ينجاوره الزمن ، اذ هو المرونة التى لا نعرف العسر واليسر الذى لا ينتابه الكسر» (18) وعلى هدى ما نجح فيه العربى المسلم قديما حين « وجد توازنه النفسى أوجد بين الدين والدنيا روابط » . فيجب علينا اليوم فى هذه المعركة الحضارية أن نعمل لتحقيق نحو من ذلك التوازن وتلك الروابط حتى يتسنى لنا ان نتجاوز بالعالم من «العبودية الى العباده الحق ، وحملناه الينا ونورناه وسهلنا له هذا الانتقال » (19) : فان فى الاسلام «من الثوابت ما لا يتجاوزه الزمن» . ومن «الرؤية الحضارية التى لا تتحقق بدونها» .

وتحذر الفكر من أنه « قد يبقى الاستقلال والوطنية » « أشكالا جوفاء » وبلا حماة . إن عدت غاية « ولم تستند الى رؤية حضارية أصيلة » (20) .

المتوقى من هذا المحذور فلا بد من العمل البنوى الحق الذى نكونه مجموعة من المقومات الذاتية والقيمية الاتصافية وذلك بتحويل العقليات والذهنيات فى الاتجاه العقلى السليم والمحافظة على عروبتنا وقوميتنا ... ونصون مقوماتها الاصيلة ونتجنب أسباب الشحناء (21) ثم « النهل من العلوم الحديثة» (22) وتوفير المناخ الملائم للبناء الحضارى بعيدا عن مصادرة الحريات « الوجه المأسوى من الازمة » (23) . ومن المأساة الوعى بحقوق الانسان ،

---

(16) الفكر ماى 77 ص 1 .
(17) الفكر ماى 77 ص 1 وانظر الفكر مارس 80 ص 4 ، 5 .
(18) الفكر جانفى 77 .
(19) الفكر ديسمبر 81 ص 1 ، 2 ، وجانفى 83 ص 4 .
(20) الفكر ماى 77 ص 2 .
(21) الفكر أفريل 76 ص 3 .
(22) الفكر ديسمبر 79 ص 2 ، 3 .
(23) الفكر الشهر والسنة نفسها ص 3 .

وعدم ربطها «بواجبات الانسان» (24) حتى سادت العبودية بدل العبادة الحق، وانتهى المطاف فى مغامرة «الفكر» هذه «بالمطالبة بتنظيم جديد للعالم» • (25) وكانها بهذا الطلب تصدع بفشل الحضارة الغربية لعجزها عن الحلول الانسانية لحل مشاكل انسان هذا العالم المعاصر وبالتالى فلا بد من البحث عن هوية لحضارة جديدة •

كذلك بالنسبة للعرب اليوم فان مجلة الفكر نعترف فى صراحة «بماساة المجتمع العربى وتخلفه وضعفه» (26) وبسقوطه حضاريا لانـه بنى نظـرية التعطيل والتهديم لما كان بناه الرعيل الاول مـن ربـان النهضـة الحـديثـة لجمال الدين الافغانى ، والتعويض عن ذلك بالتلقى الحضارى الغربى مظهريا حتى اننا لم نتمثل من صميم التفكير الغربى عموما غير سلبيـاته وقشـوره التمدنية • وغرنا ذلك فانتفشنا (وكأننا صناعها) (27) وبغلطنا ذاك سقطنا فى بؤرة الكبت والارهاب والعنف «بفنونه» (28) فازدادت مجتمعاتنا تعريكة، وخسرنا الصفقة حتى ان الادمغه المفكره من أبنائنا تجافتنا وعاشت الغربة عن الوطن وعشنا للفراغ •

وتنتهى الفكر الى موقف من تحولاتنا المعاصره شبيهـا بما انتهت اليـه عند تحليلاتها لمعطيات التفكير الغربى وحضارته المتغلبة فدعت العرب الى أن يتوبوا الى عمهم الحضارى وطالبتهم بالمراجعة الملحة «فنحن اليوم فى حاجة الى تقييم جديد» (29) نبتعد فيه عن «تبنى مواقف القرددة والدمغجة» (30) ووفق رؤية حضارية أصيلة ، التفاضل لاهلها يقاس «بمدى جهدهم وجهادهم فى نصرة القيم الانسانية السامية فى نفوسهم وحولهم» (31) • استنادا الى «شعور بالانتماء الى أمة واحده» (32) ومعايشة المعاصرة والاصالة والانصهار فى الحضارة العصرية فى جوانبها المشرقة (32) •

---

(24) الفكر جانفى 83 ص •
(26) الفكر اكتوبر 81 • وانظر قبل هذا العدد الفكر مارس 80 • ص 4 •
(27) الفكر جانفى 77 ص 2 •
(28) الفكر اكتوبر 81 ص 1 •
(29) الفكر أكتوبر 81 ص 2 •
(30) الفكر ديسمبر 81 ص 5 •
(31) الفكر جويلية 77 ص 2 •
(32) الفكر ماى 79 ص 3 •

ومنهجية الانهاض للعرب طلبا لتحفيق الدفـق الحضارى لا تنتهى عند هذا الحد لانها أكثر شمولية وأشد تحسسا وعمقا ٠ فما سبق أن أشرنا اليه ان هو الا جانب يكمله الاقتصاد والعمران البشرى والتوجهات السياسية وكذلك الفنون الجميلة وفى مقدمتها الادب والنقد ... وبالاجمال فان مسيرة الانهاض يجب أن تشمل كافة ما توحى به كلمة «ثقافة» على ضوء من الدراسة العلمية والتخطيط المحكم ٠ وجعل هذه المحاور كلها تتفاعل فى بوتقة واحدة ، يكمل بعضها بعضا ٠

وللفكر اسهام مهم فى توضيح منهجية الانماء الحضارى فى الحقل الثقافى على المستويين النظرى والعملى ، استكمالا لتصور المفهوم الانمائى المنشود على هيئة مركب معرفتى يثمر المعرفة الكبرى التى هي الحضارة ٠ وقد أكـدت تمشيا مع هذه الارضية أن «لا مناعة للفرد والجماعة بدون واجهة فكرية وأدبية قوية» (33) وبالتالى فلا بد من (مقاربة اقتصادية) والنظر الى أن الادب والاقتصاد شىء واحد فى التحرك نحو الانهاض وربط البحث بالتنمية (33) ٠

وكل هذه المبادىء لها تحليلات وتطبيقات فى الميدان الثقافى حيث نظـر اليها على أنها عملية خلق جمالية وعملية انتاج . وعلى هذا فلابد فيهـا من صناعة للكتاب ومشاركة ملحة بين الدولة ورجال الاعمال وايجاد الظـروف الملائمة لذلك كله ، واقرار ميثاق شرف بين المنتجين والمنشطين (34) وافساح المجال للمثقف أن يقول كلمته «فى الازمة الاقتصادية والاجتماعية» (35) ٠ وقد أتيح للفكر أن عين ثانى شخصية من أسرتها على رأس وزارة الثقافـة جعلته يخرج بما تأثل لدى الفكر من رصيد من حيز النظر الى حيز التطبيق وانها لثورة انهاضية حقا تتجاوز ما تباشر به دعـاة التلقى الاعتبـاطى بما يسمى «بالثورة الثقافية» ، لانها تطبيقات لفلسفة الاصلاح ، عقلانية النظر عربية الملامح انسانية المقاصد تبعد عن التهريج الاديلوجى ورد الفعل العدائى. ولاول مرة فى تاريخ التحولات العربية تؤسس البنوك الثقافية وترصد الارصدة ضمن التخطيط الانمائى العام ٠ فالثقافة لم تعد فضلة ولا تكملة صلة بل هى الصلة نفسها ، المحققة ، لا محالة للانعتاق النظامى علما وفنا. ولابد فيهما من علمية التفكير وحكمة السياسة عند التنفيذ ، «لا نتفاءل بافراط ولا نتشاءم

(33) الفكر جويلية 80 ص 1 وما بعدها ٠
(34) الفكر أفريل 81 ص 3 ٠
(35) الفكر مارس 83 ص 4 ٠

بافراط» (36) . وتعترف «الفكر» بالعراقيل الكأداء من أجل الانماء الانهاضي فالكتابة العربية تمثل عقبة خطرة (37) على القارىء المتلقي وبالتالي على المجمع المعرفي بما فيه العنصر الادبي «فالكتابة المنقوصة لا تساعد بطبيعة الحال على القراءة الصحيحة الا بعد الفهم الصحيح» . وهكذا «يلجأ أغلب الناس الى قراءة متعثرة تقريبية فينجر عنها فهم تقريبي غير صحيح ينتج عنه بطبيعة الحال تفكير لا يتصف بالدقة والتركيز والتمييز ، ولا يستثنى اصحاب الاختصاص في فهم اللغة ... وحتى هؤلاء فانهم يترددون في كثير من الالفاظ ويحتاجون الى الرجوع الى القواميس» (38) واذا كانت الكتابة العربيه هذا حالها فكيف نفكر في علم ناهض أو أدب عالمي وشاعر كذلك في حين « يلجأ اغلب الناس الى قراءة متعثرة تقريبية ينجر عنها فهم تقريبي ... فالعلاقة بين سرعة القراءة والملكات الذهنية للقارىء ثابتة كما ان الحروف لها دخل كبير في هذه السرعة» .

وعند الفكر أن الوسائل المعاصرة كالاعلامية والوسائل «السمعية والبصرية هي آنية ، تؤثر بسرعة وتزول بسرعه فهي بالنسبة للمقروء كالطيف أمام الكائن السوي» «ولهذا فانه طالما لم يقرر اهل العربية في أعلى مستوى الكتابة التامة للشكل» «فان العربية تبقى .. عرجاء تحتاج دائما الى عكاز معتمد عليه نتمثل في لغة اجنبية» (39) . وهكذا كتب على العربية القصور والتأزم وعلى ثقافتنا التعثر والوهن . واقتراحات الفكر للخروج من هذه الازمة هو مواكبة الاختراعات والاسراع بالقيام بالتجارب على نحو من التصور العلمي الدقيق .

وبذلك أقرت «الفكر» بقصور الفكر العربي علما وفنا وبتعذر العملية الانهاضية المحققة لحضارة ننشدها بسبب قصور الكتابة العربية . منضافة الى السلبيات الكثيرة وشبيه بأزمة الثقافة العربية الشعر وهو الفن الذي تعيره «الفكر» الاهتمام الكبير اذ تعرفه تعريفا تحليليا فترى أنه «الخلق والبروع» (40) الى صهر اللغة في تنازعها مع الادب فكرا وأسلوبا . والادب بهذا المفهوم «معناه التجديد والتوق الى احداث نوع من الانصهار تتلاحم فيه

---

(36) الفكر مارس 83 ص 4 .

(37) الفكر جانفي 80 ص 1 .

(38) الفكر الشهر والسنة نفسها ص 2 .

(39) الفكر الشهر والسنة نفسها ص 4 .

(40) الفكر ديسمبر 82 ص 1 ، 2 .

وتتمازج اللغة مع الادب على أساس من الفكر والاسلوب (41) ومعنى هذا أن الادب ليس الاسلوب وحده ولا الفكر ولا اللغة بل هو هذا كله وزيادة هي «الخلق» باعتباره التزاما في البناء الانهاضي • وبعكس ما يروج المروجون فان الانسان المعاصر «أحوج الى الشعر في هذا العصر الذي طغى فيه الرقم وتكاثرت هموم الحياة» لانه «تعبير مهم عن وجدان الفرد والجماعة ••• ، ويكون سبيلا الى معرفة واستجلاء أسرار الوجود •••» (42) فهو اذن والعلوم التجريبية سواء في الريادة وعملية الاعداد الحضاري على أن معوقات قائمة على حدود التطور في الشعر العربي على نحو ما عرفنا في الثقافة ، فعلاوة على الكتابة المنقوصة ، هناك مسألة الايقاع وان سجل مرحلة تطورية مهمة ولكنها غير كافية لسيطرة الاوزان الخليلية التي لم تعد مقبولة ، ويجب البحث عن ايقاع جديد «لايجاد أوزان أخرى أكثر دقة عن طريق آلة قيس الايقاع للبحث عن الوحدة الايقاعية في الشعر العربي» (43) •

ولسنا ندري هل «الفكر» لاحظت ضربا من المحذور الذي يكاد تقع فيه باخضاع العمل الوجداني الداخلي الى عملية تكنيكية خارجية اللهم الا اذا تكفل النقد بذلك مقدما النتائج باعتبارها أطروحات • وكأني بالفكر ترمي الى عمل كهذا لانها تلح الحاحا كبيرا على العمل النقدي (44) الذي هو مسؤولية جماعية للادب باعتبار مهمته الوظيفية ما بين «مجابهة لما تقتضيه الحياة العصرية ••• ودراسة لمختلف المسالك الاقتصادية والاجتماعية والسياسية» (45) • واذن «فالادب يجب أن يقحم في ميدان المعركة» والاديب مدعو «للصدع بالواقع والايمان بالقيم» (46) والادب وسائر المعارف الاخرى فنا وعلما يجب أن تتعايش نماء تكامليا على أرضية من الاصالة والتفتح والانصهار طلبا لتحقيق مركب معرفي يحقق النهضة والتقدم وبالتالي يرجح معادلة الامكان بميلاد حضارة عربية وحصين بحول فعلي وحدي لامننا تستند منه الى قرارات « هي صادرة عن نسق فكري وعن رؤية فلسفية لها ملامحها الواضحة ، وغاياته » .

---

(41) الفكر فيفري 1980 •

(42) الفكر جوان 81 ص 1 ، 2 •

(43) الفكر ماي 84 ص 6 •

(44) الفكر ، مارس 77 ص 1 ـ 4 والفكر فيفري 80 ص 1 ، 2 والفكر ديسمبر 82 ص 1 ـ 4 والفكر ، جانفي 82 ص 1 ، 2 ، 3 والفكر مارس 1985 ص 6

(45) الفكر جوان 77 ص 2 ، 3 •

(46) الفكر الشهر والسنة نفسها ص 1 •

هي للماضي نجع وفي الآن والآتي «تنعت بالاصلاح المستقبلي» (47) • وان كانت مجتمعاتنا بسبب ما تجمع فيها عبر قرون الظلام ما تزال تعيش على (مداومة التلبس بالسلوك الذي لا ينم ، لا عن تقدم علمي ولا عن شعور حاد بالمسؤولية) • (48) ولذلك تعثرت جامعاتنا وتعثر معها البحث العلمي •

وبالاجمال فان الفكر لا تعد ما يحدث الآن في ساحة التفكير العربي الحديث عموما بالتحولات الحضارية • ولها بديل عن ذلك بتمثل في حركة اصلاحية انهاضية وتوجهات يجب العمل بها • كي نصل الى مرحلة التحول الحقيقي •

في 19 / 9 / 1985

د. الهادي حموده الغزي
استاذ التعليم العالي في اللغة العربية وآدابها
(الجامعة التونسية)

(47) الفكر مارس 48 ص 1 •
(48) الفكر جويلية 84 ص 5 •
(49) الفكر ماي 83 ص 4 الفكر ديسمبر 83 ص 2

كرم الفكر

بقلم : محمد المختار جنات

في غرة كل شهر تهل مجلة « الفكر » حافلة بثمار الادب ورياحين الابداع والمعاناة .. لم تتخلف عن موعدها مع أحبائها طيلة ثلاثين سنة .. لم تخذل أى قارىء يتوق الى اقتنائها ، ولم تتنكر لأى كاتب يبوح لها بمكنون قلمه .. بستانها خصب دوما ، حافل بما لذ وطاب .. يحظى برعاية صاحبه ، يعطيها من جهده الكثير ، فتدر في كل موسم الانتاج الوافر والوفير : كما وكيفا .. عطاؤها غذاء للهاوى ، وزاد للدارس ، ولقاح للكاتب ، و « مشموم » للمثقف .

والفكر ـ في عطائها السخى ـ كريمة الى أقصى حدود الكرم .. مدرستها مفتوحة يغشاها الدارس هاويا ، ويتخرج منها منتجا .. ينهل من نبعها ، ويكرع من حياضها حتى اذا شبع وارتوى ، وهضم وجدانه رحيق الفكر ، واراد كالنحلة اعطاء ما أخذ ، احتضنته الفكر ، وأفردت له في مجمعها بيتا يفرز فيه عسله .. يطمع في تشجيعها حملة الاقلام على اختلاف مشاربهم ، فلا تصد عن بابها المشرع احدا .. ينشر على صفحاتها الكاتب الضليع فيتألق ، ويرودها المجدد فيعضد ويؤزر ، ويقتحم رحابها المغمور هيابا فيحظى بما يحلم ! ..

أصبحت الفكر بهذه الأريحية ماوى الاقلام ، وميدانا لسباق المتنافسين ، وحقلا للتجارب وتطعيم الادب والثقافة ، ونبعا يسقى رياض الفكر والمعرفة ، وسجلا أمينا لقضايا العصر ، وحجة تشهد بيقظة الكاتب العربى بصفة عامة والكاتب التونسى بصفة خاصة ، تبرهن على مواكبته للنهضة ، وتترجم عما يكن لأمته من مشاعر اعتزازه بماضيها التليد ومستقبلها المشرق .

نهل الطلبة والمربون والمنعمون من كرم الفكر الفياض ، ومن المؤسف ـ بل والمؤلم ـ أنهم لم يقابلوا جودها بالحمد والشكر والعرفان .. ولئـن تغاضت الفكر ـ وهذا من شيم الكريم ، وسجاياه ـ عن جحودهم ، ولم نوجه اليهم ولو كلمة عتاب،فان من واجب من استساغ كرم الفكر وأفاء الى ظلها أن يصدع في عيدها الثلاثين بكلمة عرفان يرد بها بعض الجميل الذى طوقت بها الفكر نجاحه في دراسته ان كان طالبا ، وتوجت بها نجاعة تصانيفه ان كان مربيا ، واثرت بها مكاسبه ان كان منتجا سنمائيا أو تلفزيا .

فكم من مربين أفلوا ـ فيتاليف الكتب المدرسية ـ على أخذ النصوص الادبية ـ شعرا ، ونثرا ـ من مجلة الفكر ، أثروا بها كتبهم التي باعوها في الأسواق ، وتقاضوا أموالا وفيرة بدون أن ينصوا عن المصدر الذى أخذوا منه هذا الانتاج ، أو يعترفوا ـ ولو من باب الأمانة في التقاديم التي يستهلون بها كتبهم ـ بفضل مجلة الفكر فيما أخذوا ووهبوا ؟ . ولئن استملحت « الفكر » أخذهم لأنها ترى فيه خدمة مثلى للنشء التونسي ، ودورا هاما يندرج في صميم رسالتها ، وواجبا يؤديه كتاب الفكر لأبنائهم وذوى جلدتهم،لا يستحقون عنه جزاء أو شكورا.. فان هذا الاخذ العريض لا يبرر جحود المصنف المربي ، ولا يدخل ضمنـا في مشروعيه تطعيم الكتب المدرسة بالنصوص التونسيـة . فالنص التـونسي ـ في لغته العربية ـ جيد ، لا يحتاج الى تزكية أو تعريف أو تنازل حـتى يشع ويعم ، ثم ان للتأليف ـ مثل وبعد كل اعتبار ـ حقوقا يكفلها القانون ، ان تخلى عنها المؤلف ـ لأنه يرى في وضع انتاجه بين يدى الناشئة شرفا ـ فان للناشر أيضا حقوقا يكفلها كذلك القانون لا تقر الاستفادة مجانا مما تكبد الناشر في سبيل طبعه وتوزيعه نفقات مادية طائلـة . لمجرد أنه وضعه قيـد التداول بين الناس ، خاصة اذا كان المستفيد ينشد من اعادة ترويـج انتاج الناشر دخلا ماديا يثرى به مكاسبه .

وان الامر ليهون اذا ما اقتصر المستفيدون مـن كرم مجلة الفكر عـلى أخذ النصوص الادبية لتدريسها للنشء : تلاميذ وطلبة . ولكنه يصبح شاقا اذا عمد المنتجون للسنما او للتلفزة الى السطو جهارا على القصص وتجارب الكتـابة السنمائية التى تنشرها مجلة الفكر لتحولوها الى أفلام او مسلسلات تلفزية يقدمون فيها عمدا على طمس اسم صاحب الانتـاج . والاستخفاف ضمنا بمجلة الفكر ـ وهي صاحبة الحق الثاني التي يرجع اليها حـق الاذن فـي أخذ الانتاج المنشور على صفحاتها · اقتباسا أو «سيرة» ان لم تكن صاحبة الحق الاول كما تتمسك بذلك كبريات المجلات ودور النشر العالمية .

قد يخطر لمن يطالع هذه الكلمة الصريحة أني مغال في تقديري لكرم الفكر ، والواقع أنه حدث فعلا استغلال كرمها بطريقة جاحدة ، والشواهد على ذلك كثيرة وبينة.ولن أذيع سرا ان قلت: إني ككاتبفيمجلةالفكرحظى بتشجيعها الكريم لم يسلم بدوره من استغلال المستفيدين من كرم مجلة الفكر الواسع ، فقد أخذ المربون من مجلة الفكر ما انتجه وأدرجوه في كتبهم المدرسية، وعمد أحد المنتجين السنمائيين الى أخذ تجربته « الوجـه الآخـر للقمـر » في كتابه المسلسلات التلفزية التي نشرتها مجلة الفكر ، وحولها الى مسلســل تلفزي تم اعداده في استديو عجمان بدولة الامارات العربية..حدث هذا بدون أن يتفضل المربي أو المنتج السنمائي حتى باستئذان مجلة الفكر ، فضلا على أن يفاتح أي منهما صاحب الانتاج برغبته في أخذ ما يريد !

هذا الكرم .. ـ ونحن في عيد تكريم الفكر ـ الا ننوه به ؟ ألا يستحــق منا الاشادة والتنويه ؟ خاصة ، ومجلة الفكر ـ خلافا للمجلات فاطبة . عربية أو أجنبية ـ لم تطالب أي مستفيد فهل مما نشرته ـ سرا ولا علنا ـ بحقوقها،بل ولم توجه لأي مستفيد من كرمها ولو كلمة بنية التشهير أو الادانــة ، أو لمجرد العتاب عن عدم استئذانها في أخذ ما حفن من بيدر كرمها الواسع وما اقتطف من أدواح فضلها العميم المثمـر ؟!

فاليك ، يا منبع الجود والكرم ، أصدع بفضلك وكرمك اللذين جحدهما الجاحدون . ودمت مائة وألف سنة منبعا للكرم والفضل والسخاء .

محمد المختار جنات
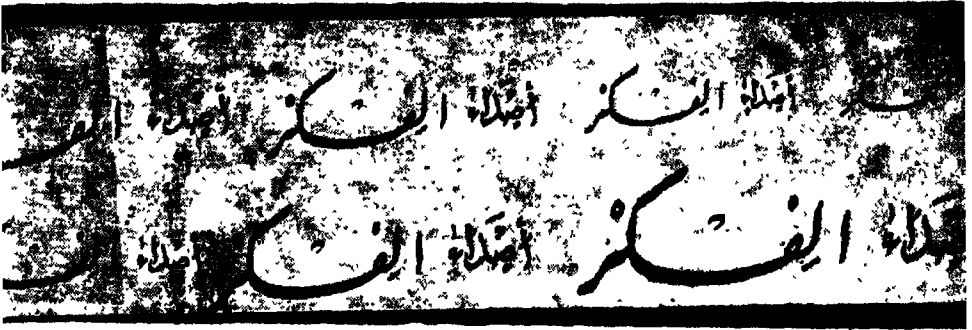
● **الذكرى الثلاثون لصدور مجلة « الفكر » :**

كان الاحتفال بمرور ثلاثين سنه على انبعاث مجله « الفكر » والذى طفى على فعاليات الساحة الثقافية في النصف الاول من شهر أكتوبر 1985 في مستوى خلود الملحمه وعمق التجربة وثراء المسيرة ، وبدا جليا وواضحا أن التضحيات الجسيمة التى سجلت خطوط تلك الملحمة المثيرة عبر مساحة زمنية تقدر بثلث قرن قد أعطت ثمارها ، ونبتت ، في موقع كل قطرة عرق سالت ، زهرة يفوح من غصن برعمها الطيب . كانت « الفكر » في الثلاثين يافعة ، شامخة تتمهر بين أحضانها الفتوة المتجدده دوما ، والرصانة الطاغية أبدا . جاء الاصدقاء والاحبة والعشاق وكل من مر على باب « الفكر » أو طرفه ، وأحاطوا بالشجره فى عيدها الثلاثين يعترفون لها بالجميل ، ويسردون مقاطع من ملحمة مثيرة خالده .

حضر محمد عامر عديرة ، ناصر الدين الاسد ، غالى شكرى ، لميعة عباس عمارة ، عبد الرحمان مجيد الربيعى ، سعيد فرحات ، خليفة التونسى ، قمر الكيلانى ، محمار الوكيل ، حسنى سيد لبيب ، صالح جواد الطعمة ، سلمى خضراء الجيوسى ، وديع فلسطين ، ملك عبد العزيز ، رابح لطفي جمعة ، عبد المنعم خفاجي ، عبد العزيز شرف ، صلاح عدس ، نعمات أحمد فؤاد، فتحى السلمودى، عبد الهادى التازى، أحمد فضل شبلول، فريدة أحمد، محمد حسن الامانى ، صالح خرفى ، أديب اللجمى ، جاك بيرك ، المنصف الفيطوني ، محمد عزيزه ، أولس قرافباد . حطوا كلهم من خارج الحدود لمشاركة « الفكر » إطفاءها الشمعة الثلاثين من عمرها ومعهم حضر مؤسس « الفكر » وصانع ملحمتها ، الاستاذ محمد مزالى ، الوزير الاول ، والاستاذ البشير بن سلامه رئيس تحريرها ووزير الشؤون الثقافية ، والعديد من رجالات الادب والفكر والثقافة فى ربوعنا .

وتنوعت فعاليات الاحتفال ، فامتزجت الذكريات المثيرة واللقاءات الطريفة بالبحوث القيمة والدراسات المعمقة ، فكانت لحظات فسيفسائية رائقة أكدت أن « الفكر » بأبنائها وعشاقها عظيمة الثراء ، كثيرة الوقائع والانجازات ، سخية العطاء ، مدرسة ضاربة أسسها في عمق التجربه الانسانية . كانت اللقاءات فرصة لسرد الذكريات والعودة الى مخازن الذاكره ومعاينة حقبة من الوقائع طواها الزمن .

عاد الاستاذ محمد مزالي يرسم شكل البناء الذي وضع هيكله لبنة لبنة ، وكأنه يسرد وقائع حلم من أحلام الشباب الطموح . وعاد الاستاذ البشير بن سلامه شاعرا رقيق العاطفة ، شديد البيان ، طريف الصورة ، ثابت المقصد وهو الذي استماله النثر فانساه الحنين الى الحبيب الاول ، وجاء الاستاذ عبد العزيز قاسم يحمل في جرابه روح شاعر عاهد نفسه على مغازلة القافية كما يغازل الخطاف الربيع !! وغنى الشعراء أغنية الوفاء للشجرة التي مدت لهم أغصانها أذرعا تحتضنهم بعطف ، وظلالا تقيهم هجير الصمت والنسيان.

● **المجلس الأدبي :**

في البدء كان اللقاء مع مؤسس « الفكر » الاستاذ محمد مزالي في مجلس أدبي بمركز الفن الحي بالبلفيدار حيث رحب الدكتور محمد الطالبي رئيس اللجنة الثقافية القومية بالحاضرين ووقف الجميع دقيقة صمت ترحما على روح الفقيد عيسى الناعوري المفكر العربي الكبير وصديق « الفكر » الوفي الذي وافته المنية وهو يستعد للاحتفال بعيد ميلاد المجلة التي أحبها بشغف عظيم ، ثم تحدث الاستاذ البشير بن سلامه وزير الشؤون الثقافية ورئيس تحرير « الفكر » فابرز بالخصوص أن اقتران هذا المجلس بالاحتفال بالذكرى الثلاثين لصدور مجلة « الفكر » ليس الا حرصا على توضيح المنهج الذي ارتضته « الفكر » في معالجتها لقضايا الانسان في تونس وهو يبني كيانه ويواجه مصيره بكل عزيمة وصبر ويسعى الى تبوؤ مكانه اللائق بين سائر البشر في حوار مثمر وتراشح متواصل ، ثم انطلق الحوار حول مسألة « الأصالة والمعاصرة » وتفرع الى قضايا مختلفة (دور الثقافة في البناء الحضاري ، الادب ومسؤولية الكاتب ، الشباب وتواصل الاجيال ، الفكر بين الأصالة والمعاصرة) ، وأبحر عبر تجاويف هذه المسائل جاك بيرك وأحمد خالد ومحمد عامر غديرة وعبد العزيز قاسم وأبو يعرب المرزوقي ، وأجاب الاستاذ محمد مزالي من كل التداخلات بجدلية المفكر وفاعلية « الرجل الملحمي » وحجته وبيانه ، وقال بالخصوص : « الأصالة ليست رجوعا الى الوراء بل هي اعتزاز

وايمان بأننا في تونس كعرب ومسلمين أبناء عائلة الاسلام معتقدا وحضارة وأخلاقا ومعاشرة » .

● **افتتاح الاحتفال بالذكرى الثلاثين لتاسيس مجلة « الفكر » :**

كان افتتاح مهرجان « الفكر » بقصر المؤتمرات في السابع من شهر أكتوبر 1985 وكان الحضور عظيما ومشهودا ، وبعد تدشين المعرض الوثائقي أطلق بعض الضيوف الكبار العنان لاحاسيسهم الفياضة وتكلم الاستاذ البشير بن سلامه فأبرز الدور الكبير الذي لعبته «الفكر» في بناء صرح الثقافة التونسية الأصيلة النابعة من واقع الشعب التونسي ومن مقوماته العربية الاسلامية وثوابته الحضارية الانسانية .

وهذا نص كلمة وزير الشؤون الثقافية في افتتاح مهرجان « الفكر » :

« ايها السعادة العظمى ان يحضر هذا الجمع الكريم ، افتتاح الذكرى الثلاثين لصدور مجلة « الفكر » برئاسة مؤسسها ومديرها الاستاذ محمد مزالي تحت سامي اشراف المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبه الذي من واجبنا أن نتجه اليه بالتهاني الحارة والشكر الجزيل وهو الذي وفر المناخ الملائم والبيئة الفكرية والثقافية المناسبة لتترعرع مجلة « الفكر » وتبلغ أشدها .

وانه لفضل من الله ان تتاح الفرصة لاستقبال هذا العدد الكبير من ضيوفنا ومن احباء مجلة « الفكر » وأصدقائها الذين عاشروها على مدى عقود وأمدوها بأحسن ما لديهم مما جادت به قرائحهم خدمة للفكر والثقافة ومدا للجسور بين الشعوب شرقا وغربا . فاليهم نتجه بالشكر الجزيل على حسن العناية وتواصلها ولهم نتمنى اقامة طيبة في تونس الخضراء وباقة يانعة من الاصدقاء وأهل الود . ونخص بالذكر صديقنا العزيز د. ناصر الدين الأسد وزير التعليم العالي بالاردن الشقيق ورئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) وصديقنا ممثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السيد الدكتور أديب اللجمي نيابة عن أخينا وصديقنا الدكتور محيي الدين صابر .

ونتجه بالشكر أيضا الى كل الاصدقاء من التونسيين الذين آمنوا بالكلمة وأودعوها صفحات مجلة « الفكر » يمثلون بذلك أجيالا متعاقبة وتجارب متتالية وجاءوا اليوم في هذا العدد الضخم ليتبادلوا التهاني فيما بينهم ويقيموا حصيلة هذا الجهد المشترك المتواصل .

ولا ننسى أيضا عائلة الصحافة وكل العاملين بالوسائل السمعية والبصرية الذين واكبوا مسيرة « الفكر » وتبعوا خطى الادباء والكتاب وكانوا سندا لهم حتى وان تقشوعم الحساب فهم ايضا حقيقون بالشكر والتنويه ، ثم

أليس من باب العرفان بالجميل أن نشكر أيضا كل الساهـرين على مطبعـة فنون الرسم مسؤولين وعملة الذين واكبوا هذه المسيرة الطويلة وعملوا دائما جهدهم لتكون المجلة جاهزة غرة كل شهر .

واذا كانت كل هذه الاسباب التي توفرت والعوامل التي تهيأت من شأنها أن تقيم هذا الصرح الشمخر فى بناء الثقافة التونسية ، فان « الفكـر » لن تكون أساسا ولن تكون كما هى لو لم يقيض الله لها رجلا أعطاها من نفسه ورعاها بحدبه وجهده ومكنها من الوسائل المادية والمعنوية التى تذللت بهـا العراقيل وانضحت بواسطتها السبل والغايات وأعني بذلك الاستاذ محمد مزالى الذى هو أحق من يمكن له أن يتحدث عن مسيره « الفكـر » وجهادها ويقيم حصادها طيلة ثلاثين سنة فاليه نتجه بشكرنا الجزيل وبتهانينا بهذه الذكرى العظيمة .

ولكن الذى يجب أن نبرزه بكل تأكيد هو أن « الفكـر » قامت بدور كبير فى بناء صرح الثقافة التونسية الاصيلة النابعة من واقع الشعب التونسى ومن مقوماته العربية الاسلامية وثوابته الحضارية الانسانية وأصبحت ظاهرة ثقافية فريدة غيرت طبيعة حياة المجلات فى تونس وسيرورتها وفتحت لها بابا من الامل فاذ بالساحة الثقافية تزخر اليوم بالمجلات وتتمتع بوسائل الـدعم التى تجعلها فى منأى عن كل تعثر أو انقطاع . ناهيـك أن وزاره الشـؤون الثقافية أصبحت لها أربع مجلات دورية وأن عدد المجلات التى تحظى بـدعم الوزارة يناهز الخمسة والاربعين عنوانا . فظاهرة « الفكـر » يمكن من هذه الزاوية أن تدرس كظاهرة ثقافية فريدة فى المجتمـع التـونسى قـويت على الثبات والبناعة بفضل عوامل عديدة .

وختاما فانه لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر الى اللجنة الثقافية القوميه وعلى رأسها الدكتور محمد الطالبى وكل العاملين بها وكذلك دار الكتب الوطنية ومصالح الوزارة بما هيأته من أسباب لتكون هذه الذكرى فى مستوى الحدث.

ويجيب الاستاذ محمد مزالى مؤسس « الفكر » ومديرها ببيـان شمـولى مؤكدا أنه ما كان لأسرة « الفكـر » أن تصمد ولا للمجلة أن تعيش عمرها المديد لولا المناخ النهضوى والفكرى والاجتماعى الحر الذى توفـر للصحافة التونسية بعد الاستقلال والذى لم يتوفر مثله قط طوال عهد البايات والعهد الاستعمارى . مبرزا دور الرئيس الحبيب بورقيبه الذى جاهد وكـرس كل حياته من أجل الانسان التونسى (راجع افتتاحية هذا العدد) .

● **الجلســات العلميــة :**

الجلسات العلمية كانت ثلاثا ، الاولى حول الشعر فى مجلة « الفكر » ، قدم

البحث الاستاذ عبد العزيز قاسم وناقشه الاستاذان محسن بن حميده ورياض المرزوقي ، الثانية تناولت الاتجاهات الفكرية في مجلة « الفكر » . البحث للاستاذ أبي يعرب المرزوقي وناقشه الاستاذ فتحي التريكي ، والثالثه كانت حول القصة في مجلة « الفكر » والباحث هو الاستاذ الطاهر قيقه والمناقش الدكتور نور الدين بلقاسم . والنقد في مجلة « الفكر » للاستاذ الحبيب الشاوش وناقشه الاستاذ أبو القاسم محمد كرو .

وبين هذه الجلسات الثلاث تفاعلت الافكار وتلاقت الرؤى . وتصادمت المفاهيم في أحيان كثيرة لتنصهر في نهاية المطاف في مصب واحد هو عمق « الفكر » وثراؤها .

في الجلسة الاولى بين الاستاذ عبد العزيز قاسم مدى غزارة وتنوع وتعددية الانجاهات الشعريه في مجلة « الفكر » عبر عشرياتها الثلاث، فان تميزت العشرية الاولى بكثافه الضغط التاريخي على الافكار متمثلة أساسا في معركتي الاستقلال والجلاء فان العشريه الثانيه كانت المنطلق الحقيقي للنصح الابداعي وطرق أبواب الحداثة ، أما العشريه الثالثة فقد وصفها الباحث بفتره شعر الغضب والنقمة واليأس وقد ناقش هذا البحث كل من رياض المرزوقي ومحسن بن حميده وأحمد فضل شبلول وحسني سيد لبيب ومحمد العروسي المطوي ، ومحمد خليفه التونسي ، و د. سلمى الجيوسي . و د. حياة جاسم محمد ، وعبد السلام المسدى ، والحبيب الشاوش . ومحمد كمون ، وعبد الحميد الزاهي ، ونور الدين بلقاسم ، وعبد المنعم خفاجي ، وعبد الرحمان مجيد الربيعي ، و د. نعمات أحمد فؤاد ، ووديع فلسطين .

وتمحورت التدخلات بالخصوص حول أسباب التقسيم العشري الذي لجأ اليه الباحث والعلاقه بين العامية والفصحى والحداثة والاعتراض على قصيدة النثر وأزمة الشعر العربي عموما . ثم ألقى محسن بن حميده والهادي عبد الملك قصيدتين تحية لمجلة « الفكر » في عيدها الثلاثين ليختم الجلسه الاستاذ البشير بن سلامه بجمله من التوضيحات تتعلق بغايات « الفكر » واهدافها السامية وعلاقتها بالحركة الفكرية العربية عامة وسعة صدرها وصبرها .

الجلسة الثانية قدم فيها أبو يعرب المرزوقي بحثا حول الانجاهات الفكرية في مجلة « الفكر » ، تعرض فيه بالخصوص الى تصنيف لأعداد المجلة مع ربطها بالاتجاهات الفكرية التي طغت عليها وتحديدها مع ابراز أهم خصائصها وقد ناقشه الاساتذة : رياض المرزوقي ومحمد صالح المراكشي وعبد المجيد البدوي ومحمد كمون والحبيب الشاوش واحمد العايب وعبد السلام المسدى

وسعيد فرحات وخليفة التونسي واحمد الشرفي قبل أن يأخذ الدكتور صالح جواد الطعمة الكلمة فيقدم تحليلا حول البعد العالمي في مجلة « الفكـر » . وتلاه جمع من الشعراء والباحثين بقصائد ودراسات .

في الجلسة العلمية الثالثة والاخيرة قدم الاستاذ الطاهر قيقـة بحثا حول القصة في مجلة « الفكر » حاول فيه الانيـان على أغلب خصائص الـرواية والقصة بمجلة « الفكر » ، معتمدا على الاساس الزمني في المقام الاول . وقد عابت عليه الدكتورة حياة جاسم ذلك ايمانا منها بأن الخصائص الفنيـة هي المنطلق الامثل لتحديد مميزات العطاء القصصي وأشكاله أما البحث الثـاني المبرمج بهذه الجلسة فينعلق بالنقد في مجلة « الفكر » فدمه الاستاذ الحبيب الشاوش مستعرضا فيه ملامح الممارسات النقدية المنشورة بالمجلة ، وقـد ساهم في مناقشة البحثين المقدمين كل من نور الدين بلقاسم ، أبي القاسم محمد كرو ، حياة جاسم ، قمر الكيلاني ، فتحي التلمودي ، محمد العروسي المطوي ، صالح جواد الطعمة والسيد العياري . واستمـع المشاركـون الى قصائد ودراسات قدمها عبد الهادي النازي ، لمبعة عباس ، ناجية ثامر ومختار الوكيل . وألقى السيد البشير بن سلامه كلمة ختامية تناول فيهـا مجـددا بعض ملامح مسيرة مجلة « الفكر » معرجا على قضية الشخصية التونسية التي لم يفهم بعض النقاد مدلولها اذ هي دعم للشخصية ومدى اهتمـام مجلـة « الفكر » باللغة العربية .

وكانت الخاتمة سهرة مع الاستاذ محمد مزالي حضرها الضيوف والاصدقاء، وحلق عبر فضاءاتها نغم الذكريات الجميلة والعهود الحلوة ، والاصـرار على التواصل والامتداد . وبرز « الانسان الملحمي » في مسـيـرته نحـو الخلـق والبناء والتشييد بعزيمة أقوى واصرار أشد .

مصطفى عطيـه

● **كلمـة رئيـس اللجنـة الثقـافية :**

هذا نص الكلمة التي القاها الاستاذ د. محمـد الطـالبي رئيس اللجنة الثقافية القومية في افتتاح الاحتفال بالذكـرى الثـلاثين لصدور مجلة « الفكر » وذلك يوم الاثنين 1985/10/7 بقصر المؤتمرات :

انه يسر اللجنة الثقافية القومية ، في افتتاح هذا الموسم الثقافي الجديد ، ان نحتفل بمرور ثلاثين سنة على تأسيس مجلة « الفكر » على يـد الاستـاذ محمـد مـزالي .

لقد سبقت مجلة «الفكر» مجلات عديدة صارعت من أجل الحفاظ على الذاتية الثقافية التونسية ، وقدمت خدمات جليلة ، لكنها ـ لاسباب عديدة ـ لـم ترزق طول النفس ، فافل نجمها ولم يكتب لها ان تعمر طويلا .

وقد ولدت مجلة « الفكر » بولادة الاستقلال ، فكنبت صفحة جديدة فى ناريخنا الفكرى ، والادبى والثقافى عموما ، مواكبة كل الاحداث ، محللة لكل قضايانا المصيريه . وهذا ما دعانا الى الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على ميلادها. وقد كنب لها الدوام ، فلم تختفت ساعة ، ولم نتاخر يوما عن موعدها . وهكذا أصبحت مجلة « الفكر » سجلا ثمينا وأمينا للادب والثقافة التونسية ومرجعا أساسيا لا غنى عنه للباحثين وللمثقفين عموما . فمنها قد انطلقت دراسات جامعية عديدة ، وحولها كتبت الصحف والمجلات ، وفى المعرض الذى أعددناه أحسن شاهد على ذلك .

واذا ما حققت مجلة « الفكر » الاهداف التى من أجلهـا بعثت ، واذا مـا واصلت السير فى الطريق التى لها رسمت ـ ولا تخلو طـريق من عـوائق وعقبات ـ فذلك يرجع أساسا الى عزيمة مؤسسها ومديرها وما وجـده من اخلاص وثبات من طرف رئيس تحريرها . فلم تن الاستاذ محمـد مـزالى المسؤوليات الجسام التى تحملها وما يزال يحملها عن البقاء وفيا لـ « الفكر »، ولم يمنع ثقل المسؤولية وعديد الشواغل الاستاذ البشير بن سلامه من اصدار المجلة فى حينها . ولم يكن ليتأتى كل هذا لولا الايمان بالفكر وقداسة الثقافة الى حد التفانى ونكران الذات .

فالى المسؤول الاول عن الثقافة ، الى الاستاذ البشير بن سلامه أحيل الكلمة مع جزيل الشكر لما وجدته اللجنة الثقافية القومية لديه من مساعدة فى كامل مراحل تنظيم هذه الاحتفالات .

ثم القى وزير الشؤون الثقافيه كلمته (انظر الصفحتين : 138 ــ 139) .

● **تحية الى مجلة « الفكر » فى عيدها الثلاثين :**

تحت هذا العنوان راسلنا د. أحمد عبد السلام بالكلمة الرقيقة التالية :

ان احتفال مجلة « الفكر » بالذكرى الثلاثين لصدورهـا يقتضى ان نهنئها بطول النفس وان ندعو لها بامتداد العمر حتى تعمر الاحقاب تلو الاحقاب .

وما منيت به غالب المجلات الادبية التونسية خاصة والعربية عامة من قصر مدة صدورها من شانه ان يزيدنا استبشارا بـدوام « الفكر » هـذه السنوات الثلاثين فى مسيرتها المنتظمة .

وهذا الاستبشار الذى يشاركنى فيه جمهور قراء « الفكر » فى تونس وفى كامل الوطن العربى ليقترن عندى بذكرى التفاؤل الذى احاط بالخطوات الاولى لمجلة « الفكر » ، اذ كانت الاعوام الاولى من حياتها هى مطلع الاستقلال السياسى لتونس ، فواكبت المجلة تطلع المثقفين التونسيين الى ادب حر اصيل والى ثقافة تناسب مطامح المناضلين فى هذا الوطن المكافح النبيل ، فحوت المجلة العديد من

المقالات واجرت مختلف الاستفتاءات عن مستقبل الثقافة والتعليم وعـن عموم مسالك الابداع وعلاقات المبدعين بالجمهور ، ففتحت بذلك صفحاتها الى مختلف الاتجاهات والاراء التي ظهرت بتونس بفضل نهضة الاستقلال .

والامل اليوم وطيد في ان تواصل مجلة « الفكر » هذه المسيرة بنفس العزم وبنفس الفتــوة .

ومن بلغ الثلاثين مازال في الحقيقة شابا .

● **حديث الفعل باللغة الايطالية :**

في اطار سمت بين ارجائه روح الفكر الانساني الخالد ، وبحضور العديد من رجالات الادب والثقافة والسياسة وبعض الاكاديميين من تونس وايطاليا، تسلم الاستاذ محمد مزالي،الوزير الاول نسخة من كتاب «حديث الفعل» مترجما الى اللغة الايطالية ، اعترافا بالجميل وتقديرا عميـا لمفكـر قـدم للثقـافة الانسانية أجل الخدمات وأعطى لمفهوم العمل السياسي بعده الاخلاقي السامي، وقد حضر هذا الحفل الوفد التونسي المرافق للسيد محمد مزالي في زيارته لايطاليا مع مطلع النصف الثاني من شهر أكتوبر 1985 . علما وأن الاستـاذ فرنسيسكو قبريالي **عضو المجلس العلمي لبيت الحكمة** هو الذى قدم الكتاب ومؤلفه للحاضرين .

● **الميز العنصري يشنق شاعرا افريقيا :**

نفذت سلطات الميز العنصري بجنوب افريقيا في الثامن عشر من شهـر أكتوبر 1985 حكم الاعدام شنقا في الشاعر الافريقي المناضل « بـن ياميـن مولويز » الذي لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وقد جاء هذا الحكـم العنصري الغادر ضد الشاعر الافريقي المتعاطف مع « المجلس الوطني الافريقي » وهي المنظمة التي تناضل من أجل حقوق المواطنين السود في جنوب افريقيـا ، ليؤكد من جديد مدى بشاعة الارهاب الذى **تمـارسه السلطـات العنصـرية** المتحالفة موضوعيا واستراتيجيا مع الصهيونية العالمية . ولم تكن النداءات العديدة الصادرة عن المنظمات الانسانية والفكرية للعفو عن الشاعر المناضل « بن يامين مولويز » لتمنع حكومة بريتوريا من **ارتكاب جرمها الفظيع** .

● **الدكتور عيسى الناعوري في ذمة الله :**

تنعى مجلة « الفكـر » ، أحد اصدقائها الاوفياء فقيد الادب والفكر والعلم الاستاذ د. عيسى الناعوري ، رئيس مجمع اللغة العربية بالمملكة الاردنيـة الذي وافته المنية فجأة وهو يستعد للاحتفال بمرور ثلاثين سنة على تأسيس مجلة «الفكر» التي عاش ملحمتها مساهما لا يبخل عليها بالراقي من ابداعاته.

برد الله ثراه .. وتغمده بوافر رحمته وجميل غفرانه .

الفهرس

الصادق شرف
(سكرتير التحرير)

نعيمة الصيد
(مكلفة بالادارة

إضمنوا لطفلكم
إنطلاقة حسنة في الحياة

أنا أدّخر
أنت تدّخر
نحن ندّخر
في الشركة التونسيّة للبنك

الشركة التونسية للبنك
... البنك

عالم المعرفة

النظام الإعلامي الجديد

تأليف:
د. مصطفى المصمودي